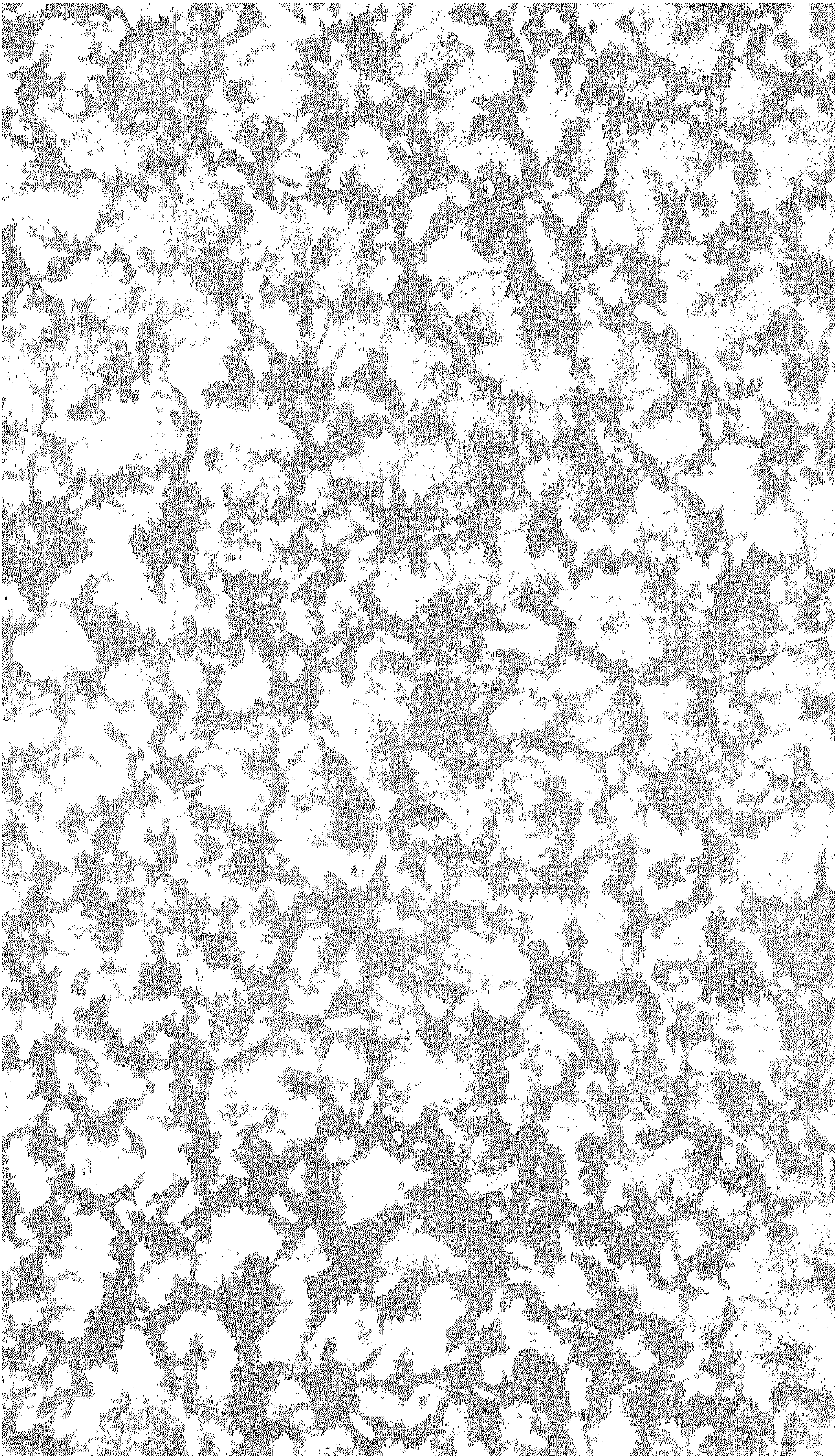
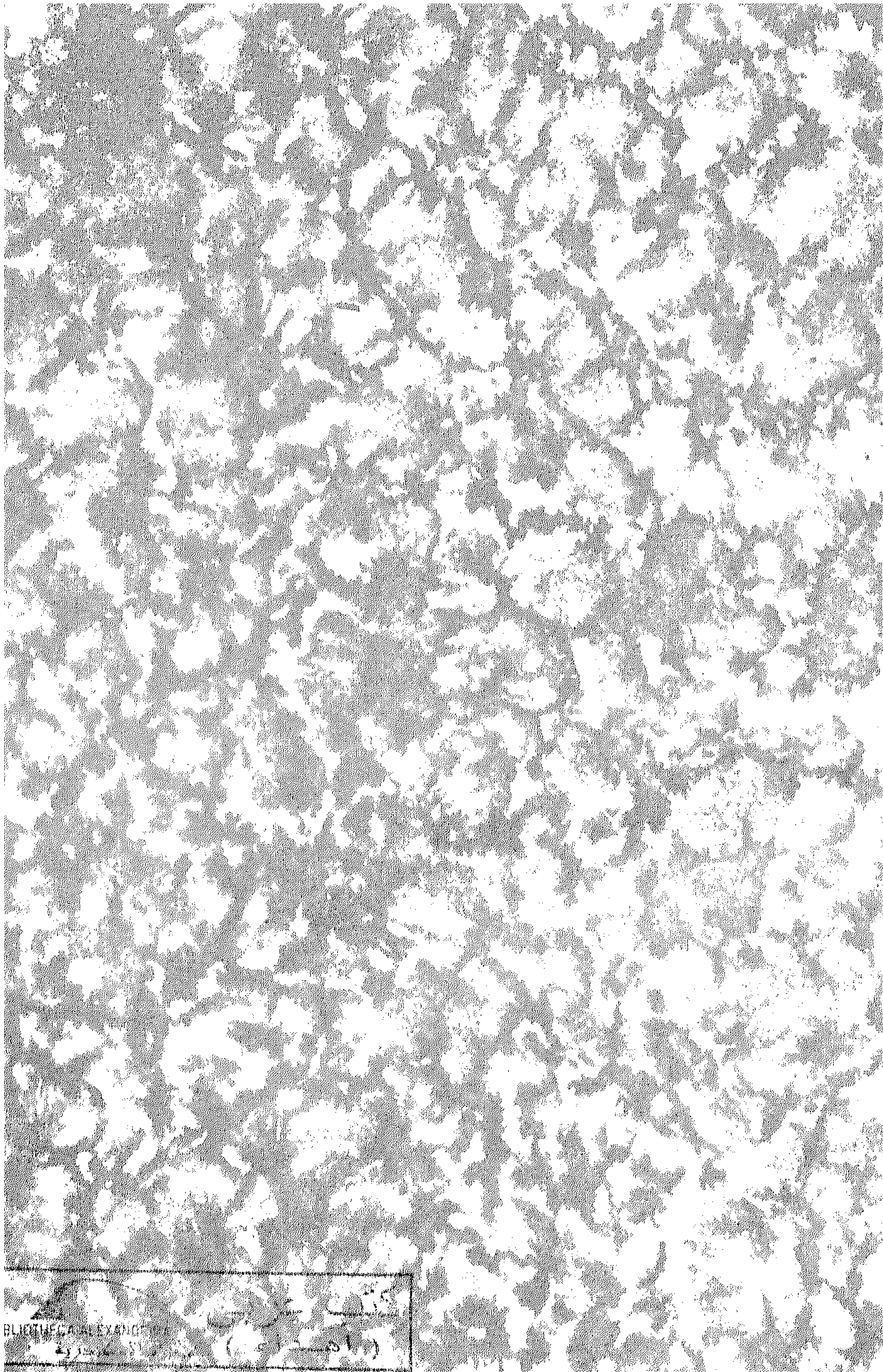



BLIOTHECA ALEXANDRINA

مذكرات لودندورف

تاريخ حياة الفيلد مارشال لودندورف وأعماله في الحرب الكبرى

وضعها الفيلد مارشال الفون اريخ لودندورف



عربها — احمد رفعت — الجزء الاول

تطلب من المكتبة التجارية بأول شارع محمد علي بمصر

لصاحبها مصطفى محمد

مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر لصاحبها حسين علي

مذكرات لودندورف

تاريخ حياة الفيلد مارشال لودندورف وأعماله في الحرب الكبرى

SOUVENIRS DE GUERRE

وضعها

أريخ لودندورف

رئيس المعسكر العام للجيوش الألمانية

وعربها

— احمد رفعت —

تطلب من المكتبة التجارية بأول شارع محمد علي بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

(الجزء الاول)

مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر لصاحبها حسين علي

لودندورف

لا أبتغى أن أكتب تاريخ حياة لودندورف ، ولا أريد أن اسطر جمل الثناء عليه ، ولا أحاول أن أصفه للقراء وصفاً يقربه الى الأذهان ، فان لودندورف باعتباره أعظم قائداً أنجبته البطولة الخالدة لا يحتاج الى مثل هذا القلم الذى لا يسعه أن يوفي هـذا القائد العظيم حقه كيفما افاض فى الشرح أو تناهى فى دقة التعبير والوصف ، اذ يكفيه فخراً انه لبث أكثر من عامين يدير الكرة الارضية بين يديه القويتين ، ولكن الذى أريد أن أسطره تحت اسمه الخالد شيء خلاف ذلك كله : أريد أن أسطر سيرته الوطنية التى تجعل هذا الوطني الالمانى العظيم فوق مستوى أبطال العالم .

ان لودندورف لم يجاهد لادراك الفخر الكاذب والمجد الفانى بل لاجل انقاذ وطنه من النطاق الحديدى الذى كاد يقضي عليه القضاء الاخير . فلولا تمثل شبح لودندورف الهائل امام مخيلات الدول المتآلفة على المانيا لما قبلت هذه الدول مهادنة المانيا قبل القضاء على جيشها واسطولها ، أو بمعنى أوضح قبل تمزيق المانيا كما مزقت النمسا . فالفضل فى بقاء المانيا حافظة قوامها متماسكة الاجزاء يرجع الى الخوف من وطنية لودندورف التى ستضرب بها الامثال على توالى الأجيال .

أما وطنية لودندورف فى أثناء الحرب فتتضح فى أجلى مظاهرها من تلاوة « ذكرياته عن الحرب » التى نجلوها اليوم فى حلة عربية زاهية لبنى الوطن المقدس خاصة وللناطقين بالضاد من أبناء الشرق عامة . وأما وطنيته بعد الحرب فتتمثل فى كل حركة تبدو الآن فى المانيا بقصد التخلص

من تحكم الدول المتفقة فلودندورف هو بطل الوطنية الالمانية بالأمس ولا يزال بطلها المرهوب اليوم ، واذا أمد الله فى أجله ليكونن بطلها العجيب المدهش فى الغد .

ان قوى العالم المتكالبة على المـانيا لم تتغلب على وطنية لودندورف ولكن هذا البطل العظيم انسحب من ميدان الصراع بدافع الوطنية استبقاء على وطنه من تمزق وحدته بايدى الانقسام والفوضى . واذا كان قد أغمد حسامه لمصلحة وطنه بالأمس فانه لن يتلكأ في انتضائه غداً اذا ما مست حاجة الوطن الى اعاض بريقه الخاطف مرة أخرى

ولقد يرى المتأمل من خلال ما سطره يراع هندنبورج روح يأس يشعر بانه لايعلل نفسه بالعمل لمصلحة وطنه بل ينتظر من الشبيبة الالمانية أن تعمل لمستقبل الوطن الالمانى ، أما لودندورف فلا يخامره شيء من ذلك ، إذ لايزال عظيم الأمل ، قوي الارادة في العمل لمصلحة وطنه وفى اعادة ذلك الوطن الى حالته الأولى من الرقي والسؤدد . فوطنية هندنبورج حكيمة رزينة ، وأما وطنية لودندروف فمتأججة لاتلبث اذا ما عصف بها اعصار الحوادث أن تشعل بالسنة لهيبها كل ما حولها .

ولا نكاد نرى بين عظماء الابطال من يقارع ضروف الحدثان بعزمه الذى لايفل له غرار سوى لودندورف فى المـانيا وأنور باشا فى البلاد العثمانية . وهذا العزم الذى لايفـتر ولا يغالب هو الذى ألفت اليه أنظار أبناء وطني الاعزاء ليقرأوا في ضوئه الباهر آيات الوطنية البينات فلا يداخلهم عجز ولا وهن ولا ترهبهم قوة كنفما بلغ شأنها ، فان الايام تلد العجائب والمدار على الثبات وقوة الارادة فانهما دعامتا الوطنية الصادقة

واذا تخطينا هذه الكلمة الموجزة عن وطنية لودندورف فاننا قبل البدء في تعريب كتابه نقول انه اجمع وادق واصـدق ما كتب عن الحرب

الكبرى فهو احفل بالتفاصيل من مذكرات رئيسه هندنبورج لأنه خاض غمار الحرب قبل رئيسه وافتتح الميدان الغربى بانتصاراته الباهرة فى بلجيكا وبما أنه كان رئيس المعسكر العام للجيوش الالمانية فهو الذى كان يتولى وضع الخطط وتنفيذها ويشرف على كل دقائق الاعمال ، بخلاف هندنبورج الذى كان عمله فى الأغلب مقصوراً على معرفة المشروعات المرتبة والخطط المجهزة والمصادقة عليها واستصدار الأوامر الصادرة بشأنها من الامبراطور ومقابلة رجال السياسة ومفاوضتهم باسم الجيش

ولعل الله يجعل من مادة هذا الكتاب وما سبقه من الكتب الاخرى خير غذاء صالح لتقوية الشعور الوطنى لدى قومى واكسابهم مثل عزيمة لودندورف التى لا يتسرب اليها الضعف ولا يتطرق اليأس .

مساء ٢٧ فبراير سنة ١٩٢٢

احمد رفعت



المفتتح

في السنوات الأربع التي شغلتها الحرب لم اتوفق الى تدوين شيء عنها ، اذ كنت في حاجة الى الوقت . اما الآن ولدي براح كاف منه فاني لآت بعالم استطعه من قبل فاسطر كتذكرة خاصة ما انتقش في حافظتي من ذكريات الحرب .

لقد اقامتني الحياة فى مراكز لها سلطة الادارة العملية . اذ دعينا نحن الاثنين القائد الفليد مارشال فون هندبنورج وانا معا والى جانبنا عدة من الرجال لتولى شؤن الدفاع عن البلاد .

فهذه الذكريات التي ادونها عن الحرب تبسط اعمال الامة الالمانية وجيشها التى اصبح اسمى خالداً بجانبها . فهي تصف ما بذلت جهدى في القيام به وتوضح ما كنت شاهد عيان فيه أثناء تصارع الامم من الوقائع التي لامثيل لها الى الالم فالذهول اللذين أصابا الامة الالمانية .

والى الآن لم يتسع الوقت امام الالمانيين ليستجمعوا قواهم ويتمالكوا أنفسهم . وذلك لأن أموراً جمة لا تزال تبهظ كواهلهم . على أن صورة الاعمال العظيمة التي قام بها جيشهم وأدتها داخلية بلادهم تهيء لهم النهوض باباء وشمم . ولكنهم ليس لديهم ما يسمح لهم بدرس العبرة المستخلصة من الحوادث التي ساقتهم الى ما أصيبوا به من الشقاء والبأساء لأن التاريخ يجري بلا هوادة فى مجراه مكتسحا فى طريقه الشعوب المتمزقة وحدتها والتي تقضي على أنفسها بأيديها .

لودندورف

كتب في السويد بجهة هيسلهولوسجورد فيما بين نوفمبر ١٩١٨ وفبراير ١٩١٩ وأكمل فى برلين الى ٢٣ يونيه وهو يوم قبول — الصلح

رايى وعملى

— ١ —

ان الاستيلاء على ليبيج بدأ سلسلة الانتصارات الألمانية . وأنه لعمل جرىء دفعت به قوة الذهن الى قوة الارادة التنفيذية

ان حملات الميدان الشرقى التى تمت فى عامي ١٩١٤ والحملة التى تمت في ذلك الميدان بالمثل اثناء صيف ١٩١٦ كانت أعمالا حربية تعتبر من اهم المشروعات العسكرية التى حدثت فى سائر الازمان . وقد عرضت الرؤساء والجنود الذين قاموا بها لأعظم التجارب والاختبارات . فقد كان للروسيين ثمت من الجيوش العاملة عدداً يربو بكثير على الجيوش المتحالفة الالمانية والنمساوية التى كانت تكافح فى تلك الجبهة

على ان القتال الذي قمنا به نحن الاثنين القائد الفليد مارشال فون هندبنورج وانا ابتداء من ٢٩ اغسطس ١٩١٦ وهو يوم وصولنا الى المعسكر العام الاكبر هو الذي يمكن اعتباره اعظم واشق الحروب التى عرفها التاريخ حتى الآن . فما رأى العالمون من قبل ماهو أقوى وأشد تاثيراً من ذلك القتال . فأن المانيا التى كان يظاهرها حلفاء ضعفاء اخذت تصارع أعداء العالم بأسره . فكان من اللازم اصدار قرارات ذات خطورة تندمج فى باب الاستثناء . وهذه القرارات كان الباعث عليها الموقف الحربي واعتقادنا فى حالة الحرب وطبيعة الحالة العامة اذ ذاك .

وقد استعملت الجيوش البرية والجيوش البحرية فى الكفاح الطرق المعروفة من قبل ، وأما القوى والمصادر التى استخدمت فى هذا الغرض

فهي التي تجاوزت وحدها كل ما كان يتصوره العقل البشري . الا أن الصفة الخاصة التي امتازت بها هذه الحرب هي أنها جعلت شعوبا برمتها تندمج بعضها في بعض على اشكال كتل قوية خلف جيوشها ثم تتداخل في تلك الجيوش وتمتزج بها امتزاجا خاصا لا مثيل له . وفرنسا هي الدولة الوحيدة التي ظهر على ارضها مثل هذا المنظر في سنتي ١٨٧٠ و ١٨٧١

وما عرف في هذه الحرب متى كان ابتداء ظهور قوة الجيش والبحرية ولا متى كان انتهاء عزم الامة . وذلك لأن الجيش والأمة كانا ممتزجين بعضهما ببعض . وعلى ذلك فقد كان العالم يرى امام عينيه منظر حرب امم وشعوب بالمعنى الأتم . وقد تلاقت وجها لوجه اقوى دول الأرض مزودة كل واحدة منهن بكل ما أوتيت من حول وقوة . وكان ينضم الى الصراع الناشب بين القوى المتعادية في الجهات المتسعة وعلى امتداد منبسط البحار الصراع القائم ما بين نفوس الشعوب المتعادية وقواها الحيوية عامدة بعضها الى محو او شل البعض . ومن السهل بل من الامور التي ليس فيها خطر عظيم إشهار الحرب والقيام بالمعارك عند توفر الجيوش الكثيفة ، الا أننا القائد الفلد مارشال هندبنورج وانا لم نكن حاصلين على الاعداد الوفيرة في السنوات الثلاث الأوليات من الحرب ، فلم يبق أمامنا الا أن نعمل حسبما يقضي به ضميرنا وواجبنا وأن نتحمل تبعة ما نراه لازما لأدراك النصر . ولقد كان النصر في جانبنا طول هذه المدة .

وفي مارس سنة ١٩١٦ عند ما شرعنا في الهجوم العام بقوى لا عهد من قبل لألمانيا بمثلها وفي موقف موافق جدا ازاء خصومها أحرزنا انتصارات عظيمة ولكننا لم نستطع ان نتوصل بسرعة الى الفوز الجاسم . ثم جاء دور الضعف والفتور حينما بدأ الاعداء يتقوون شيئا فشيئا

— ٢ —

ان هـذه الحرب العالمية حرب الشعوب والامم قد أحوجتنا نحن الالمانيين الذين تحملنا أبهظ اعبائها الى مطالب ضرورية فى منتهى الفداحة فقد كان من الواجب علينا أن نبذل كل ما فى استطاعتنا من نفس ونفيس اذا شئنا أن نربح نتيجة هذه الحرب . وبمعنى أوضح كان من الواجب علينا أن نقاتل وأن نعمل الى آخر نقطة من دمنا وآخر قطرة من عرقنا وأن نستمر على مواصلة مجهودنا فى النزال بل على أكثر من ذلك أي على مواصلة ابتهاجنا بالثقة القائمة فى نفوسنا : وهو حكم صارم إلا أنه لا يقبل النقض على الرغم من الصعوبات المادية التى يعترضنا بها الخصم وعلى الرغم من فداحة دعوة العدو الجوابة التى لا تنكف عن الانتشار بقوة وسوء قصد فظيعين .

ان الجيش والبحرية يستمدان حياتهما من الوطن كما تستمد شجرة السنديان مواد نمائها من الارض الالمانية ، وهما يعيشان من أرض الوطن التى ينفقان قواهما فى الدفاع عنها . وهما يتقبلان ما يحتاجان اليه لكنهما لا يستطيعان أن ينتجا حاجتهما ، وهما انما يقاتلان بما تهيئه لهما البلاد من القوى الادبية والجثمانية والمادية . وهـذه القوى هى التى تمكن الجيش والبحرية من الانتصار والتى تسمح لهما باقامة أدلة الاخلاص الصادق والتضحية الفادحة فى الصراع اليومي وفى خلال أرزاء الحرب وخصاصاته ، وهما اللتان تستطيعان وحدهما أن تضمنا لألمانيا الفوز النهائى وبهما تمكن وطننا من مصارعة العالم بأسره ذلك الصراع التيتاني (أى الهائل الخارج عن قدرة البشر) ، وفى الواقع بالاستعانة بمناصرة حلفائنا وبالاتاوات والأمداد التى فرضت على الجهات المحتلة حسب مقتضيات القوانين الحربية

فكان من الضروري اذن ان يتلقى الجيش والبحرية من البلاد بلا انقطاع التشجيع الأدبي والرجال والأدوات على اختلاف انواعها وان تتجدد فيهما على الدوام دماء الحياة والنشاط .

وكان من الواجب تقوية الحالة الادبية والارادة الحربية في داخل البلاد . والويل لنا اذا ما انقطع تجدد هذين الامرين ! وكلما امتد أمد الحرب ازدادت الاخطار جسامة وتعدداً من هذه الجهة وازدادت حاجتنا الى بذل المجهودات القصوى . وفي الوقت نفسه يصبح الجيش والاسطول في حاجة الى الانعاش الأدبي .

وصار من المحتم مواصلة العمل الى النهاية القصوى والمحافظة على قوى الوطن الجسدية والمادية من كل شائبة .

وهذه مهمات عظيمة كان من الواجب على البلاد أن تؤديها . ولم تكن البلاد القاعدة التي يرتكز عليها دفاعنا الوطني الذي يجب ان لا ينقطع لحظة واحدة فقط ، بل كانت بالمثل الينبوع الفياض الذي يجب ان يظل سلساله سائغا صافيا وفوق ذلك شديد التدفق ليقوي أعصاب جيشنا واسطولنا ويمكن قواهما من التجدد بغير انقطاع . وكانت الأمة في حاجة الى قوة داخلية تهيء لها تزويد الجيش والاسطول بمطالبهما الحيوية . فقوة البلاد وقوة الجيشين البري والبحري كانتا قويتي الارتباط بعضهما ببعض فلا يمكن عزل أحداهما من الاخرى . وعلى هذا فشجاعة مجاهدينا ترتبط ارتباطا محكما بالحالة الادبية الداخلية . فداخل البلاد كان يعمل ويحيي لاجل الحرب ، وما مر فيما مضى من العصور مثل هذا المنظر ، وأصبح من الواجب على الحكومة وعلى المستشار المسئول أن يباشرا بنفسيهما هذه الحركة النشطة وأن يعملا على تقويتها

وكذلك كان على المستشار أن يقوم بمهمة أخرى عظيمة في مجرى

الحرب وهى : ادارة الصراع القائم ضد جبهات العدو الداخلية . أفليس لألمانيا أن تستخدم هى أيضا هذه الآلة الحربية القوية التى يستخدمها أعداؤها كل يوم ضدها ؟ أولا ينبغى لها أن تحاول اصابة الروح الادبي لدى شعوب الاعداء كما يفعل الاعداء لدينا ومن سوء الحظ انهم ينجحون فى عملهم هذا نجاحا باهرا ؟ وهذا الضرب من المصارعة كان مقصورا فى المبدأ على أن يستخدم داخل البلاد بواسطة الممالك المحايدة ثم انتقل فيما بعد الى أن يكون من ضروب القتال التى تستخدم ما بين الجبهة والجبهة . وفى الحقيقة ان المانيا كانت تعوزها وسيلة قوية لانتشار دعوتها : وهى ضرب نطاق المجاعة على الشعوب المعادية .

ان مهمة الحكومة عظيمة ازاء الامة بايصال الحرب الى نهاية حميدة . ولم تكن لدينا أية هيأة من هيات الحكومة مكلفة بتأدية ما هو أعظم من المهمة التالية : وهى جعل مجموع قوى المانيا المتحدة وقفا على أمر الامبراطور ليستخدمها فى سبيل الانتصار فى الهيجاء وفى سبيل مكافحة ذكاء الشعوب المعادية وحالتها الادبية . وعلى ذلك فقد صار نشاط الحكومة عاملا حاسما فى الحرب . وهذا هو الذى استوجب أن تكون الحكومة والرايخستاج والشعب متحدة فى الرأى وأن لا تتشبع الا بفكرة واحدة وهى : الحرب . فالحالة تتلخص فى التعبير الآتي : ان القوة كامنة فى البلاد ومفعولها ظاهر فى جبهة القتال .

وأهم ما يعترض من الفكر هو موضوع الصلح الذى كان واقرا فى الاذهان عدم التمكن من ابرامه الا باندفاع الحرب فى تيار هائل جداً . فالحكومة بسعيها لأجل مواصلة الحرب انما تعمل لأجل الوصول الى الصلح الذى كان الاستعداد لابرامه فى الحال واجبها الجوهري الآخر

وعلى ذلك فما كدنا نصل الى القيادة العليا القائد الفيلد مارشال وانا

حتى خابرنا المستشار بعد دراسة الحالة العامة بآرائنا في مطالب الجيش التي هي فى الوقت نفسه مطالب البحرية وعرضنا عليه المهمات التي تتطلب هذه المطالب من داخل البلاد تأديتها . ودعوناه الى الاشتراك في العمل الحربي وكنا على ثقة واطمئنان على الرغم من فداحة الحالة العامة المصحوبة بمظاهر التهديد .

لقد استقبلت الحكومة وصولنا الى القيادة العليا بتحية الحفاوة والترحيب . واتحدنا معها اتحادا مقرونا بالثقة والطمأنينة . الا أنه وجد على توالي الأيام تياران من الافكار المتناقضة ينبعثان من جانب الحكومة ومن جانبنا ويتصادمان عند نقطة الخلف . وهذا التناقض كان شديد الوطأة علينا وفى الوقت نفسه كان مصدرا لمشاكل جسيمة

لقد كانوا في برلين لايستطيعون أن يشاركونا فيما نراه من الضروريات التي تتطلبها الحرب ولا يجدون الارادة الحديدية المستولية على الشعب بأسره والتي لاتعرف سوى فكرة واحدة وهى : الحرب والانتصار . أما ديمقراطيات دول الاتفاق الكبرى فقد توصلت الى ادراك مقتضيات الحرب الضرورية وعملت على ايجادها . فجمبتا فى سنتي ١٨٧٠ و ١٨٧١ وكليمانسو ولويد جورج فى خلال هذه الحرب تمكنوا بثبات عزيمة من وضع شعبيهم تحت تصرف الحرب بقصد الوصول الى الظفر . ولقد رأت حكومتنا بنظر غير صائب عدم الموافقة على ذلك الاصرار على مواصلة السعي لادراك المقصد النهائي ، وعلى تلك الارادة القوية المتجهة الى التدمير والاهلاك المتشبعة بهما دول الاتفاق . ولبثت الحكومة ملترمة خطة واحدة واضحة للعيان . فبدلا من جمع كل القوى الموجودة فى البلاد لاستخدامها فى الحرب ومن تقوية أعصابها الى النهاية القصوى للوصول الى الصلح المنشود من طريق ساحة القتال أخذوا يطرقون فى برلين سبيلا آخر ،

متكلمين ومعيدى التكلم فى التصالح والتصافى مهملين اجراء دماء الحمية فى عروق الشعب الالماني . وكانوا يحسبون فى برلين أو يريدون أن يحسبوا أن الشعوب المعادية تنتظر بنافد الصبر كلمات المسالمة فتنقض على حكوماتها وتطالبها بابرام الصلح فكانوا يجهلون فى هذا الصدد حالة تلك الشعوب والحكومات المعادية العقلية وقوة شعورها الوطني وصلابتها فى تنفيذ ارادتها . وكأنما تاريخ الماضي لم يلق درساً مفيداً على رجال برلين . فهم لايشعرون إلا بعجزهم عن التاثير فى حالة العدو الادبية وبذلك يفقدون أملهم فى الظفر فيستسلمون الى أيدى الحوادث التى تتدافعهم فى مجال الشكوك والريب . ومن هنا تولدت الرغبة فى عقد الصلح بدلا من العزيمة على مواصلة القتال بقصد الانتصار . إلا أن طريق الصلح كانت مسدودة برغبة العدو فى سحقنا . وأهمل رجالنا تحريض الشعب على اجتياز طريق النصر المحفوف بالصعاب والمشاق

وكان الرايخستاج والشعب يريان انهما في عوز الى ادارة قوية ، وهي رغبة شديدة لدى الكثيرين . واذ لم يجداها اضطرا الى الاندفاع فى التيار الذي يحمل الحكومة الى أحرج المواقف . وعلى ذلك اخذت اهم المسائل الكبرى المختصة بالحرب تدخل شيئًا فشيئًا فى دائرة الاهمال . بل لقد قضت عليها المناقشات السياسية والانانية الشخصية . وهذا هو مصاب الوطن .

من المحتمل ان تفضى الثورة التى تزعزع اليوم اوربا الى نظام عالمي جديد ، وان تنضج افكار الشعوب وعواطفها فتجنح الى صلح عادل والى تعاطف انساني . اما شروط هدنة الصلح فلا تمهد الى سلوك هذين السبيلين. وعلى كل حال ففى خلال المدة التى توليت فيها رئاسة المعسكر العام لم يكن العالم قد تغير بعد .

فوجهة نظر القيادة العليا كانت منطبقة على ما صرح به الرئيس ولسن في نوفبر ١٩١٨ للدفاع عن برنامجه البحري الكبير فى قوله انه لا يرى من الحزم العدول مذ الآن عن برنامجه البحري لاجل سياسة عالمية ستتمخض بها الأيام ولم يتخذ بشأنها أي قرار بعد.

وكذلك كتب رئيس مجلس جنود الجيش الرابع ما يماثل هذا القول فى نوفمبر ١٩١٨ قائلا :

« من الجائز ان يبني كثيرون من الناس الثورة على قاعدة امنيتهم الساميه . ولكن القائد من وجهة القتال مضطر لان يقول بان فلسفة دول الاتفاق لا تزال حتى الآن منتهجة الطريقة المادية . »

ان العالم اليوم مدهوش ومخدوع بامنيته السامية ولذا لا يرى الحقائق على علاتها . أما الشعب الالماني المفتون الواهم فسيدفع ثمن وهمه من حياته

ولقد كان رأى القيادة العليا كما يلى : لتبتدىء الانسانية قبل كل شيء فى الظهور بشكلها الجديد ثم نعمد نحن على الأثر الى وضع أسلحتنا والى التكلم فى المصالحة والتراضي ، أما اذا فعلنا غير هذا فاننا بالتأكيد نصبح معرضين للضرر . ان غصن الزيتون ليس الوسيلة التى تدفع بها صولة السيف . فما دام الناس ، وعلى الخصوص مادم أعداؤنا باقين على الجبلة البشرية المعهودة فيهم الى الآن فان الكلمة الواجب اتباعها بالنسبة لالمانيا وعلى كل حال بالنسبة لنا نحن الاثنين القيادمارشال وانا بصفتنا الرئيسين العسكريين المسئولين لايمكن أن تكون الا كما يلي : تجريد السيف وحمله مرهفا على الدوام . فكان إذن من أشق واجباتنا التشدد فى مطالبة الحكومة باتخاذ الوسائل الحربية الضرورية وبالتوفيق بين هذه الوسائل والقرار الذي استقرت عليه عزيمتنا بحكم الضرورة باعتباره الطريقة المثلى الوحيدة

وعمت القيادة العليا وجهها شطر السلطة النظامية فى كل المسائل .

وكانت الحرب تتطلب من هذه القيادة فى كل آونة قرارات سريعة وممتدة النفوذ . وكانت تتطلب على الدوام التشبع بروح العزم ولكنهم كانوا فى برلين يترسمون آثار وقت الصلح . ولذا لم تكن الاجوبة على أهم الشئون خطراً تصل الى المعسكر العام الا بعد بضعة أسابيع . وعلى أثر هذا التباطؤ الذي جنحت اليه السلطات البرلينية وتجاهلها ضرورات الحرب اتخذت لهجة التخاطب بين الفريقين شكلا حادا . ولقد أسفنا لهذا الامر . إلا أن نفسينا كانتا تجيشان على نيران الضجر ، إذ كان لابد لنا من العمل بسرعة لأن الامور المراد البت فيها كانت تتوقف عليها غالبا مسائل فى منتهى الخطارة .

لقد كان للحكومة فى زمن السلم تمام السلطة على سائر المصالح . وكانت وزارة الخارجية معتبرة فى دائرة لا يسمو اليها النقد . فاصبح من الصعب على الوزارات ان ترى المعسكر العام ابتداء من نشوب الحرب يتمتع بسلطة لا تقتصر على مشاركة مستشار الامبراطورية فى تحمل اعباء التبعة الكبرى بل تتخطاها فى بعض الأحيان بحكم الضرورة الى انتهاج خطة شديدة ازاء برلين لم يعهد لها مثيل من قبل . وكنت اتمنى ان تحسب الحكومة حسابا لهذه الحالة الواضحة تماما والمتناهية فى البساطة . ولم تختلف علائق القائدين فون ملولتك وفون فالكنهاين مع الحكومة عن علائق القائد الفلدمارشال وعلائقى معها .

على ان الحكومة ظلت متبعة مناهجها الخاصة بها ولم تشأ ان تضحي شيئا من مقاصدها وخططها فى سبيل تنفيذ رغائب المعسكر العام الاكبر . بل على عكس ذلك قد اهملت كثيرا من الأمور التى طالبناها بتنفيذها والتى لاغنى عنها فى سبيل فائدة استمرار الحرب .

وقد اضطر المعسكر العام الاكبر منذ ابتداء الحرب ان ينجز مهاما

تختص بدوائر اخرى غير دائرته مراعاة للمصلحة العامة . وقد تركت الى عهدة السلطة العسكرية مسائل مراقبه الصحافة ومراقبة المطبوعات الاخرى ومحاربة التجسس والسهر على التحريضات الثورية مع ما فى الاشتغال بهذه الأمور من احراج السلطة العسكرية واستغراق وقت وعمل كان ينبغي وقفها على مجرى الحرب . وقد حدث ارتباك فى مشروعات الدوائر المسئولة بسبب اختلاط اختصاصات الاعمال بعضها ببعض ولاحتياج الى الرجال الاكفاء اللازمين لكل ادارة . ولهذا فقد اضطر أركان الحرب العام تلقاء شعوره العظيم بمقدار التبعة الملقاة على عاتقه أن يعمل مباشرة ما يرى الحاجة ماسة اليه . على انه كان فى مركز يسمح باداء هذه المهام على أحسن ما يكون بفضل الضباط العديدين الذين كان فى وسعه أن يتخير ذوى الكفاءة منهم من بين فئة المستودعين . وهكذا انتقلت الادارة الى أيدى أركان الحرب العام . ومع ذلك فقد ظل التنفيذ موكولا فى غالب الاحيان الى رجال السلطة فى داخل البلاد ولم يعد الحد الفاصل ما بين اختصاص السلطات ذوات الاشراف على مجرى الامور واضحا . وصارت المنازعات غير ممكنة الاتقاء . ولا يمكن أن يحول دون حدوثها إلا قيام ادارة قوية الارادة ذكية نشطة فى الداخل ، ووجودها هو المرام الذى ينشده المعسكر العام الاكبر .

— ٣ —

لقد كنت أقدم بنفسي بصفتي رئيس المعسكر العام الاكبر الى الحكومة مطالب المعسكر العام الاكبر فى أغلب الاحيان وأتولى الدفاع عنها .

وانى ما كنت أتوقع نفعا من جهة كبار الرجال ولا من جهة الاحزاب السياسية . فأما الاحزاب التى لم تتكلم إلا عن التصالح والتراضي بدلا من

أن تستثير حمية الامة الحربية فلا يمكنها أن توافق على ضرورة ما يتطلبه المعسكر العام الاكبر . وأما من جهة الحكومة فأفكارها تطابق ارآء تلك الاحزاب . وعلى ذلك فقد اتفقت الحكومة واحزاب الاغلبية في حكمها على الحالة العقلية العسكرية .

وبالطبع انني كنت التقى بكثيرين من الانصار بين رجال الاحزاب الذين كانوا يرون مثلى استحالة الصلح والتراضى ما دام العدو مصمما على فكرة المحو . وكانوا يطلبون بذل اعظم مجهود لاجل مواصلة الحرب الى النهاية . ولم أوجه خطابي اليهم يوما ما ولكنهم هم الذين كانوا يخاطبونني ويخطبون فى صدد أفكارى بمحض ثقتهم بى . وهذه الاحزاب كانت تمثل الاقلية وهى أحزاب اليمين . ولهذا كان ينعتنى الآخرون بأنى رجعي فى حين انني لم يكن لي عيب لديهم سوى تصميمى على مواصلة القتال . ولو كنت اوافق الاحزاب الديمقراطية على آرائها لكنت أجد بالطبع اشياعا لى بينها وكانت أحزاب اليمين ربما تطلق علي لقب « ديمقراطى » بل لقد حدث شيء من هذا القبيل في بعض الاحيان .

أما أنا فلست فى الحقيقة رجعيا أو ديمقراطيا بل أنا مجرد نصير لتمتع قوة الامة الالمانية بالرفاه والرقي الفكري والادبي كما كنت نصيرا لاستتباب الأمن والنظام وتوطيد سلطة الحكومة في البلاد . وهذه هى الدعائم التى ينهض عليها صرح مستقبل الوطن . وكان المقصد المنشود أثناء الحرب هو ما يأتى : مواصلة الحرب بأقصى ما يمكن من الشدة وسير حياتنا العسكرية على أتم نظام وكذلك انتظام حياتنا الاقتصادية التى يجب أن تظل دائرة حول هذا المحور حتى بعد انتهاء الحرب .

ان جمود الحكومة في شئون كثيرة كان يدعو أحيانا بعض الاصدقاء المتأججة في قلوبهم نيران الحمية الى الامتزاج بى بدون أن أمهد الى ذلك .

بأي قول ويناضلون لأجلي الاحزاب التي تخالفني في وجهة نظري . وما كنت اعماله كان غير متخذ شكلا خاصا ومنفصل عن مجموع الاعمال الاخرى . ولهذا فقد كانت بعض الاعمال أوبعض الجمل تحمل خطأ على غير محملها الحقيقي ، أخذت تنتشر اشاعات لا نصيب لها من الصحة . فحملتني صراحتي العسكرية في بادئ الامر على أن اقابلها بالاستخفاف : لأن ذلك كله لم يكن شيئا مذكوراً في جانب المهمات العظيمة المسندة الي . الا ان هذا الاستخفاف بدأ لي فيما بعد كأمر يؤسف عليه الا انني لم يكن في استطاعتي ان احول عنه . ولقد رجوت من الصحافة عدة مرار الاهتمام بشأني. على انني من جهة اخري كنت منهمكا في العمل بطريقة لا تمكنني من الرد على ما ارمى به . ولم يكن لي منبر خطابة أرتقيه وفضلا عن ذلك فقد كنت اعتقد أن الشعب الالماني كان يعلم حق العلم بالحقيقة القاسية . أما الحكومة فقد كانت سعيدة جدا بحصولها على مانعة للرعود ، وبدلا من توليها الدفاع عني تركت المحرضين ينفثون سمومهم وأخذت تصمني بوصمة المتحكم المستبد متحصنة خلف المعسكر العام الاكبر فأدى هذا العمل الى ان لا يكون اسمي متداولا على ألسنة الجمهور . وهذه هي صورة المنظر العام لما كان حادثا اذ ذاك . وكان المستشاران الدكتور ميخايليس والكونت فون هرتلنج خارجين عن دائرة هذه الاعمال الا ان الضرر العظيم كان قد صار اعظم من أن يتلافى — بالنظر لمركزي العسكري — ونجم عن هذا الضرر مصاب وطني عظيم .

لقد القيت على عاتق القيادة العليا وعلي انا ضمنا تبعة عدة حوادث مؤلمة . فمن قبيل ذلك ما اسند الي من انني السبب في تعذر تموين داخلية البلاد بما كانت تتزود به قبل الحرب الامر الذي لم يمكن في وسعي ان افعل شيئا لتلافيه في حين اننا نحن المشتغلين بشئون المعسكر العام الاكبر لم يكن لنا صوت مسموع في مسألة تموين داخل البلاد . بل كان مرجع ذلك

العمل الى وزارة الحربية والى المقدار المقدم للتموين .

وسمعت بعد سفري أن الزعماء الاشتراكيين يقولون انني مسئول عن الطريقة التي كان يتبعها القواد حكام الجهات ازاء حق الاجتماع . وأن هذا الامر بعيد بالمرة عن دائرة اختصاصي .

والامر الآتي ربما يكون له صبغة ذات أهمية خاصة بالمثل فقد عزيت الي في خلال فصل الشتاء الواقع بين عامي ١٩١٦ و ١٩١٧ ازمة النقالات والفحم ، والخطأ المترتبة عليه هذه الازمة يرجع الى عدم التبصر الذي حدث قبل وصولي الى المعسكر العام الاكبر . وفي فبراير عام ١٩١٧ طلبت تعيين مندوب خاص بالفحم ، الا انهم لسوء الحظ لم يتوفقوا في الحال الى ايجاد الموظف الجدير بهذا المركز . ولم يفكروا مرة اخرى في اختيار الشخص اللائق الا بعد مدة من الزمن . وفي صيف سنة ١٩١٧ اخرج المعسكر العام الاكبر من جبهة القتال ٥٠٠٠٠ من عمال مناجم الفحم فادى هذا العمل الى توفر المخزون من الفحم بكثير عن مثيله في العام السابق. ولكن كل هذا لم يستوجب الرضا عن المعسكر العام الاكبر الذي كان عمله ناجعا والذي استطاع ان ينتج فائدة في هذه المرة اكثر مما كان في وسعه عمله من هذا القبيل في شتاء ١٩١٦ — ١٩١٧ . غير أن الانصاف لم يكن من شأن أولئك الذين أرادوا تسوئ سمعتي لدى الجمهور أو أولئك الذين مع علمهم التام بحقائق الامور كانوا مع ذلك، يحسبذون تلك الاعمال الموجهة ضد شخصي

وبالقاء التبعة الهائلة لكل ما يحدث على عاتقي فقد كنت اتمنى انتهاء الحرب، ولم يكن في وسعي ان اتمني شيئا خلاف ذلك . وطالما اعلنت رأيي في هذا الصدد . ولكن الذي كان يجب لانهاء الخصومات هو الحصول على صلح يضمن لالمانيا استتباعها السير في طريق الحياة ، وبغير ذلك نكون قد

خسرنا الحرب. وكنت اجد ان الصلح لايتهيأ الا اذ كان العدو يرغبه هو ايضا بطوية صادقة . وكان يلوح لى خطر ظهورنا بمفردنا فى مظهر الراغبين بشدة فى ابرام الصلح .

وكنت اعرف ان التكلم فى امر الصلح وتمنيه من صميم الفؤاد امران لايؤديان الى ابرمه ، وذلك لان الفكرة السلمية التى تحبذ الصلح والتراضى كان الكثيرون يتخذونها سلاحا صدنا . ان عدداً كبيرا من الناس كان صادقا في تمنيه انتشارا السلام العام : وهو شعور يتجه الى أمنية سامية شريفة لم يتم الى اليوم تحققها فى هذا العالم الحافل بالصراع الدائم . ولكن هل علم أولئك الناس اذا كان العدو يوافقهم على شعورهم وأمانيهم ، وفي حالة عدم موافقته اياهم هل هم على تمام العلم بما ينجم من المصاب الجسيم عن تحريك ونشر فكرة امكان عقد الصلح في كل وقت بأضعاف عزائم الرجال المستعدين لتضحية نفوسهم في سبيل هذه البلاد الى درجة لاتسمح باعادة تحميسها مرة اخرى ؟ لقد بعثوا فى نفوس شعبنا الرغبة في الصلح ولم يبعثوا بها في نفوس الاعداء . وقد جعلوا عقد الصلح في منتهى الصعوبة لان دول الاتفاق بعلمها بما كان يحدث عندنا استخدمت هذا العلم في مصلحتها . وكذلك جعلوا مجهود القيادة العليا لحمل العدو على طلب الصلح بالوسيلة الوحيدة المؤدية الى ذلك وهي اقناعه بعزمنا على مواصلة الحرب الى النهاية في منتهى الصعوبة والاشكال . فهم اذن على الرغم من تزودهم بامنيتهم السامية مسئولون عما لحق بالوطن من المصاب العظيم !

وما عرفت على اثر ماعلمته من موقف العدو أن قد عنت لنا فرصة تسمح بابرام صلح مؤد الى التراضى بطريقة عادلة معقولة . وكل ماانتشر في هذا الصدد تداولا بالألسنة أو اذاعة بواسطة الصحف لاأساس له من الصحة ، ولم تطلع الحكومة يوما ما القيادة العليا على شواهد تجيز احتمال

عقد الصلح .

ومما لاشك فيه اننا كنا نستطيع في كل آونة ان نحصل على الصلح الذي اضطرنا الى التوقيع على شروطه الآن . فاي مستشار وأي سياسي بل أي رجل ذى عواطف المانية كان يستطيع الرضا بمثل هذا الصلح ؟ أما اي صلح آخر فلم يكن من الميسور التوصل اليه وكل الناس كانوا يعلمون ذلك ، فكان من المحتم علينا اذن ان نكافح لأجل الانتصار ما دامت الحرب قد استطار لهيبها .

ولقد تشبع ذهن الكونت زرنين فى آخر الأمر بهذه الافكار نفسها مثل تشبعى بها على الرغم من كونه لم يشأ ان يبقى متمسكا بها . وفى هذا الصدد يقول فى خطابته التى القاها يوم ١١ ديسمبر سنه ١٩١٨ :

« لقد كان الموقف دائما كما يلي : اننا لو اخترنا فرصة حربية موافقة لاستطعنا ان نقترح شروط صلح اذا قرن بقبول عدة تضحيات ربما كان يصادف حظ القبول لدى دول الاتفاق . ولكن الرجال العسكريين الالمانيين كلما ازداد حظهم من الانتصار ازدادوا توسعا فى مطالبهم ، واذا ما فازوا بانتصارات كبرى صار اقناعهم بالعدول عن تلك المطالب يكاد يصبح مستحيلا

« على انى اعتقد من جهة اخرى انه لم توجد فى تاريخ هذه الحرب سوى فرصة واحدة كان من الممكن ان يتم فيها مثل هذا المسعى وهى : الفرصة التي سنحت بعد معركة جورليس الشهيرة . »

ومعركة جورليس حدثت فى مايو ١٩١٥ ، فلم توجد بعدها اذن — حسب رأى الكونت زرنين — آونة اخرى كان من المحتمل ابرام الصلح فيها مع تقديم تضحيات كبيرة من المطالب الالمانية . وسواء أوجدت فرصة احتمال عقد الصلح فى مايو ١٩١٥ ام فى آونة اخرى فأني اقول

فى هذا الصدد ما يلى :

ليس العسكريون الالمانيون فقط هم الذين كانوا يمتنعون عن قبول صلح على تلك الصفة بل الشعب الألماني بأسره كان يمتنع عنه طالما يشعر فى نفسه بالقدرة على مواصلة الكفاح ! فكان من الواجب اذن على رجال الحكومة ان يقووا هذه الثقة بالنفس وهذه الصلابة ليمكنوا الوطن بالفعل من الظفر وليقوه عواقب الانهزام الفظيعة . ولكن لم تكن موجودة لدينا أوساط لها مثل قوة ارادة اعدائنا . وماذا تهم ارادتنا نحن ؟ انها لم تتغلب على ارادة العدو . فكلما تكللت ارادتنا بأكاليل الظفر الالماني يبتدىء رجال السياسة الألمانيين فى التكلم عن الصلح والتصافي . . .

— ٤ —

لقد لبثنا نحن الاثنين القائد الفيلد مارشال وأنا نعمل مدة اربع سنوات باتفاق تام كأننا رجل واحد . وكان احب شيء الي وأدعى أمر للسرور لدي ان اراه ظاهرا للعيان فى مظهر اعظم رجل فى هذه الحرب امام انظار الشعب الألماني وان يعتبر ممثل الانتصار ورمزه المحبوب .

ولقد أراد الفيلد مارشال ان يشاطرنى مجده . فعمد الى الأشادة بذكرى اثناء الحفلة التى اقمناها في ٢ اكتوبر ١٩١٧ احتفاء بعيد ميلاده السبعيني اذ عبر عن شعوره نحوى بالفاظ تدل على تأثره العظيم .

وكان القائد الرئيس يتحمل تبعة مركزه امام العالم اجمع وامام نفسه وامام جيشه وامام وطنه . و بصفتى رئيس اركان حرب ورئيس المعسكر العام كنت كذلك على أتم الاستعداد لأن اتحمل اعظم عبء من هذه التبعة وكان ضميرى عظيم الارتياح الى تحمله ، فكنت اذن مستعدا فى كل وقت ان أبسط تفاصيل اعمالى وان اقبل المناقشة فيها .

لقد كانت آراؤنا فى وضع الخطط والمشروعات الحربية تتفق أحكم اتفاق . فنجم عن ذلك حدوث اتحاد بديع فى تساندنا فى اعمالنا . فبعد ان أتفاوض واتباحث مع مساعدي اعرض بأيجاز على القائد الفليدمارشال آرائى عن الخطط والمشروعات التى يجب ان تتم بموجبها كل الاعمال الحربية واختتمها بالتصميم النهائي ، فكنت أسر بأن أرى القائد الفيلد مارشال – منذ معركة تانينبرج الى يوم ارتحالى فى سنة ١٩١٨ – دائما على اتفاق معى فى الرأي ومؤيداً لى فى كل مشروعاتى .

وكنا نشترك كذلك فى اعتقادنا فى هذه الحرب الوطنية وفى الامور الضرورية التى تتطلبها . وكذلك كانت وجهة نظرنا فى مسألة الصلح واحده. فأن القائد الفليد مارشال كان يريد مثلى تأمين حياة الشعب الألماني من كل اعتداء عليها فى المستقبل . ولهذا فقد كان يلقى فى كفة الميزان كل قيمته الشخصية ليجعلها راجحة من جهتنا .

وكان اولئك الذين تحرج نفوذهم سلطة القيادة العليا أو يمكنها ان تؤثر فى مجرى متابعتهم لاغراضهم المشوبة بألأنانية يسعون بالطبع الى فصم عرى الاتحاد المحكمة بين القائد الفيلد مارشال وبينى . ولم يكن احدهم يستطيع ان يتعرض له بل كان يتصور أنه يقدر على اتخاذى هدفا لمرماه. فيزعمون وجود اختلاف وهمي بين حالة القائد الفيلد مارشال العقلية وحالتى ، فيدعون انه يمثل المبدأ القويم وانني امثل المبدأ الذميم ، غير أن أولئك الذين يذيعون مثل هذه الاشاعة يجعلون القائد الفيلد مارشال على الاقل شبه مسئول عن كل مايرونه سيئا ضاراً ، هذا اذا لم يكونوا قد حطوا من شأنه باتخاذهم منه رجلا غير حاصل على المزايا السامية التى يريدون أن يسندوها اليه والتى هى فى الحقيقة مما يتجمل به شخصه المحبوب .

ان مجـد القائد الفيلد مارشال ثابت فى قلوب الشعب الالمـاني ثباتا لايمكن تحويله . وانني لأبجله تبجيلا فوق كل حد كما أني أديت الخدمة فى جانبه بأعظم اخلاص . ولقد قدرت شرف نفسه حق قدره كما اجللت فيه عاطفة حبه للملك وتحمله بارتياح التبعات المختلفة .

— ٥ —

ان حياتي كانت برمتها وقفا على خدمة الوطن والامبراطور والجيش . وما كنت أحيي فى سنوات الحرب الأربع الا لأعمل لأنهاء هذه الحرب.

وكانت حياتي سائرة على احكم منوال من النظام . فحينما كنت رئيس أركان حرب فى الشرق وكنت ادير حركات الجنود رأسا كانت كل الاعمال وفاقا لمقتضيات الحالة الحربية . وكنت أبكر الى مكتب عملي من الساعة السادسة او السابعة صباحا وألبث فيه الى ساعة متأخرة من الليل .

وباعتباري رئيس المعسكر العام كنت أباشر أعمالي مدة أوقات الهدوء حوالى الساعة الثامنة . وبعد مضي ساعة يصل القائد الفيلد مارشال فنشرع فى التكلم بايجاز عن الحوادث والمشروعات الحربية وكذلك عن المسائل الجارية .

وكان عرض الامور على جلالة الامبراطور يحدث فى ساعة الظهر . وفى الساعة الأولى تتناول طعام الغذاء الذي يظل من نصف ساعة الى ثلاثة أرباع الساعة . وفى منتصف السـاعة الرابعة أعود الى مباشرة الاعمال فى المكتب . وفى الساعة الثامنة نجلس على مائدة العشاء وبعد الارتياح نصف ساعة يستمر العمل الى منتصف الليل أو بعده بساعة .

وهذا النظام قلما يعتريه اختلاف . بل الأيام الأربعة أو الخمسة التى كانت معتبرة كعطلة لي لم تخلني مطلقا من تادية العمل .

وكنت على اتصال بالتلغراف وبالتليفون مع كل اجزاء الجبهة ومع المعسكرات العامة الكبرى لسائر حلفائنا . وكانت الجيوش توجه الي صباح مساء بتقاريرها من غير انقطاع وتشرح تفاصيل الحوادث الخصوصية شرحاً وافيا .

وكان الكولونيل لهمان رئيس ادارة تلغراف الشرق الذي صار فيما بعد رئيس ادارة تلغراف الجيوش والقائد هيس مساعدي البارعين القديرين .

وكانت ادارتا التليفونات والتلغرافات تؤديان اعمالهما بهمة فائقة .

فمن جهة كان من الضروري الوقوف على مجرى كل الحوادث التى تقع فى متسع الجبهة الهائل . ومن جهة اخرى كان من الاهمية بمكان عظيم تتبع ادوار الكفاح خطوة فخطوة وبطريقة مباشرة . ومع ذلك كان من الضروري ان يقف المعسكر العام الاكبر فى الحال على كل الحوادث المهمة . وذلك لأن نقص الاحتياطى غالبا ما كان يقتضى أوامر معجلة لما يترتب على هذا النقص من النتائج الخطيرة .

وكانت مسائل سلوك الجنود وكل ما له صلة بالحياة العسكرية والموارد الداخلية مقدمة على سواها من الشئون الاخرى . والمسائل السياسية الحربية لم تكن تعتبر الا فى الدرجة الثانية من الاهمية

وكانت ساعات العمل فى المكتب تقتضى باشتغالى بنفسى خاصة فى الاطلاع على التقارير المقدمة من رؤساء الاقلام ومن رؤساء الادارات التى تحت اشرافى وفى المفاوضات والمباحثات المختلفة .

وانى لأتذكر بابتهاج وانشراح العلائق الجميلة التى كانت تربطنى بالادارات والمصالح المختلفة فى أركان حرب الشرق وفى المعسكر العام الاكبر وبالنظر لجسامة المهمة المسندة الي وثقل التبعة الملقاة على عاتقى لم يكن تصلح لمساعدتى سوى اشخاص أقوياء العزائم وأكفاء لان يعملوا من

تلقاء أنفسهم و بمحض ارادتهم ، وكنت أتطلب من هؤلاء الرجال أن يطلعونى بصراحة على حقيقة آرائهم وهذا ما كانوا يفعلونه ، وأحيانا بشجاعة. وكان تساندنا فى الاعمال قائما على الثقة المتبادلة بيننا بصفتنا رجالا متساوين وكان مساعدي يعملون بجانبي وهم واثقون من كفاءتهم ومقدرتهم واخلاصهم وكانوا لى أعضادا متفانين فى الاخلاص ومستقلين وممتلئة جوانحهم بأشرف عواطف القيام بالواجب. وبالطبع أن البت فى الامر كان مرجعه الي لأن التبعة يجب أن تكون معينة ومحددة. وكانت الحرب تتطلب عملا سريعاً. غير ان البت فى الامور لم يكن له ارتباط بمسألة التحكم والاستبداد بالامر ، فاذا صادف عدم موافقتى على مشروعات مساعدي فانى لم أستعمل طريقة الرفض الجارحة. وعند ما تتطلب الآراء ايضاحا فانى كنت أبذل جهدى فى بسط ما يعن لى بصراحة بدون أن أوجد ما يدعو الى الارتباك والتخبط في الافكار. وانى لسعيد بمجد مساعدي وحسن سمعتهم. وكان اعتقادى الذى لا يتحول هو ان مثل هذه الحرب الهائلة ذات المطالب العظيمة التى لا تنتهى ولا تحد هي فوق مقدرة أي انسان وكفاءته. فهي إذن ميدان فسيح تتبارى فيه القرائح الوقادة والعزائم الصادقة.

وكان مساعدى الاول فى الميدان الشرقى الليفتنان كولونيل هوفمان الذى صار اليوم قائدا ، وهو ضابط حاد الذهن ذو مطامع شريفة مجيدة. وأعظم دليل أظهرته على تقديرى اياه حق قدره هو اقتراحى أن يشغل مركزى فى الشرق عند ما انتقلت فى آخر أغسطس ١٩١٦ الى المعسكر العام الاكبر فأدى خدمات عظيمة باعتباره أقدم ضابط فى أركان حربى

وقد اتخذت فى المعسكر العام الاكبر كمساعد لى فى تحضير الاعمال الحربية الليفتنان كولونيل ويدزيل الذى كنت أعرفه واقدره حق قدره من زمن طويل. وكان يعرف الجبهة الغربية حق المعرفة وقد امتاز بهذه

الخصيصة بصفته أقدم ضابط فى هيأة أركان الحرب ورئيس أركان حرب الفيلق الثالث وعلى الاخص بما امتاز به من العمل الباهر امام فردان . وانه لجندي بارع ذو قيمه عظيمه . ولم أفارقه الا فى سبتمبر ١٩١٨ لمجرد رغبتى فى اعادة تنظيم العمل فى هيأه أركان حربى لأتمكن من اصابة قسط من الراحة أكثر من الاول ، ولكننا لبثنا كلانا محتفظين بعواطف الود والولاء أحدنا للاخر .

وبعد الليفتنان كولونيل ويتزيل ادنيت الي الكولونيل هي والقومندان فون ستولبناجيل وهما عسكريان حازمان ذكيان مرنان وقضيت معهما أشق الساعات التى يستطيع أن يراها العسكري فى حياته : أي عند ما شعرنا بأننا لانستطيع أن نفوز فى الحرب فوزاً عسكريا نهائيا . ولقد كان من آلم الامور على نفسى أن أجدنى مضطراً الى مفارقتهما فى ذلك الوقت

وكانت مسائل الترتيب موكولة بنوع خاص الى الضباط فون فوللارد بوكيلبيرج والبارون فون ديم برش وفراهنيرت فهم رجال ذوو مقدرة هائلة على العمل وذوو نشاط عظيم وذكاء نادر المثال ولذلك كان عملهم عظيما جداً

وكان لثلاثة من مساعدي شأن خاص يمتازون به على الآخرين ، ويرجع ذلك الى أهمية الاعمال التى كانت مسندة اليهم .

فالكولونيل باور شخص ذو قيمة جليلة جـدا وهو يرى مثلى ان الحرب لاتسير فى مجرى موافق الا اذا كانت حاله البلاد الداخلية مساعدة على قيام الجيش بواجبه ووصوله بسهولة الى الفوز النهائي ولأجل هـذا كان يبذل كل مجهوداته فى هـذا السبيل . وقد أدى عملا نافعاً فى ترقية واكثار مدفعيتنا . وكانت مهمته الجوهرية توفير الادوات الحربيه الضرورية للجيش والبحث فى الطرق التى تمكن الصناعة من انجاز المقادير المطلوبة منها ، ولاجل هذا الغرض كان متصلا بالمتعهدين وبالعمال . وعمله متصل

من هذه الوجهة بوزارة الحرب .

وكانت آراؤه ومساعداته فى كثير من المسائل المتعلقة بالنظام الاقتصادي والعسكري وبالمسائل الفنية فى منتهى الفائدة لمجرى الحرب

والقائد فون بارتنو يرفير وهو ضابط ذو عقل هادىء وذكاء واضح ووطنية راقية فقد كان رئيس الشعبة السياسية . وان من اهم الأمور التى يضطلع بها اركان الحرب العام للجيش المحارب اشرافه على السياسة الحربية فى البلاد الاجنبية والبلاد المحايدة وتخابره مع المستشار الامبراطوري فى المسائل السياسية التى تنجم عن السياسات الخارجية . وكذلك كان الامر فيما يختص بالحوادث السياسية التى تجرى فى الجهات المحتلة من الوجهة المرتبطة بالمعسكر العام الاكبر . وكانت الجهات التى ادخلتها الحرب فى حوزتنا ذات شأن عظيم بالنسبة لسلامة الوطن من الوجهة العسكرية . وكل المسائل التى تعرض من هذا القبيل كانت تتطلب اهتماما عظيما وعملا جديا من قبل المعسكر العام الاكبر . والشعبة السياسية هي الادارة العسكرية التى من اختصاصها النظر فى سائر الشئون المرتبطة بمسألة الصلح .

وثالث اولئك الضباط الثلاثة هو الليتتنان كولونيل نيقولاي وهو رجل ذو جلد على العمل لا مثيل له وفكره متجه دائما الى بث النظام المحكم . واختصاصاته كانت عديدة جدا بل ربما تتخطى حد الكثرة فهو مكلف بالاشراف العسكري على الصحافة وهذا العمل يجعله يراقب باهتمام عظيم فى دائرة الوسائل العسكرية الممكنة حالة البلاد والجيش الادبيه ويحافظ عليها من العبث بها الا ان الغرض المقصود من هذا العمل لم يمكن الحصول عليه . وذلك لأن ادارة الصحافة ونشر الدعوة لم يتم تنظيمهما بطريقة فعالة مع اننا قد حسبنا لهما حسابا دقيقا .

وكان هذا الضابط مكلفا كذلك بالاشراف على ادارة الاستعلامات

السرية وادارة مقاومة التجسس الفائمتين على مراقبة البريد والتلغراف والتلفون ومراقبة الحدود ومقاومة التجسس الاقتصادي وتحريض العمال على الاعتصاب . وقد ادى هذا الضابط بالمعلومات التي تلقاها خدما جليلة للمعسكر العام الاكبر . على ان الحرب كانت بطبيعتها تمنع التأكد من أي شيء ولهذا السبب لم يتمكن العدو على الرغم من المصادر العديدة التي كان يستقى منها معلوماته من الوقوف على مقاصدنا ومشروعاتنا . ولهذا فقد كان يؤخذ دائما على غرة الا فى ١٥ يوليه ١٩١٨ اذ سهلت عليه غلطتنا معرفة مقاصدنا .

وكان اليوز باشي فون راوخ وهو ضابط محنك غيور من اركان الحرب يتولى امر استجماع المعلومات المختصة بحركات العدو وقراراته العسكرية بواسطة ادارة الجيوش الاجنبيه التي كان يرأسها . وهذا العمل جعله يحمل على عاتقه تبعة كبرى وفى هذا الموضوع قد قام أركان الحرب العام بكل ما كان ينتظر منه

وكذلك كان يوجد بين أركان حربي كثيرون من المساعدين الاوفياء الاذكياء أذكر منهم الكولونيلين فون تييشو يتز وفون ميرتز والقومندانات فون والدوف وجرانتز وفون هاربو وهوفمان و بارتينو برفير وموتهس واليوزباشيه و يفيروغبريال وجيير وفون فيشر تروينفيلد وفون جوسلر وفون بوزيك وخلافهم .

وكان روح الولاء والتعاطف يسود على المائدة الكبرى التي كنا نلتف حولها . وكان القائد الفيلد مارشال يحب التفكه بالنوادر المستملحة المفرحة ويهش الى المحادثات المنعشه . وكنت أحب أن آخذ بنصيب منها الا انني لا ألبث أن أجد نفسي مندفعة على الرغم مني الى الخوض فى المسائل الحربيه . مع انه من الواضح توجه الرغبة فى عدم التكلم فى مثل هـذا

المقام فى صدد الحركات الحربيه .

وكان بعض الزائرين يجالسوننا أحيانا على المائدة أو يقتصرون على زيارتنا فى المكتب . بل فى بعض الاحيان كنا نستقبل المدعوين ونحن فى موقف احرج . وأتذكر ان كثيرين من الزوار وصلوا الينا فى اكتوبر ١٩١٤ مصحوبين بقطار مفعم بهدايا للجنود وأخذوا يتحدثون عن قرب الاستيلاء على فرسوفيا فى حين اننى كنت مضطرا إذ ذاك للتفكير فى اصدار أمر بالتراجع الى الخلف ، فكان قدومهم فى مثل هذه الحالة عبثاً الا انهم على كل حال كانوا يدخلون الانتعاش فى نفوس الجنود .

وكنا نعلم من الضباط القادمين الينا من سائر انحاء الجبهه أنباء تفصيلية تفيدنا أكثر من المعلومات التى كنا نستمدها من التقارير المرسلة الينا . وكنت دائما على اتصال مباشر بكل الوسائل مع امتداد الجبهه وكثيراً ما كنت أحصل على المعلومات الدقيقه التى كنت أتطلبها . ولهذا فان زيارات الضباط كانت تهمنى جداً .

وكثيرا ما كان يجيء الينا بعض رجال الحكومه قادمين من برلين أو رجال الدول المتحالفة معنا . وقد زارنا المستشار فون بيتمان هو لويج فى خريف ١٩١٤ ونحن فى بوزين ثم فى فبراير ١٩١٥ ونحن فى لوتزن . وكذلك كثيرا ما رأينا المستشارين الآخرين . وأحيانا كان يزورنا رجال من البرلمان وكنت أعتقد ان هؤلاء الرجال كيفما انتسبوا لاي حزب فهم انما يجيئون بدافع الرغبة فى مشاهدتنا . وكنت التزم امامهم وامام الاشخاص الآخرين بالطبع التحفظ الضروري فى أقوالى المختصة بالمسألة الحربية وبمسألة الصلح .

وكذلك حضر الينا فى عدة مرار ممثلو الصناعه الكبرى والتجارة وجمعيات العمال ودعوناهم الى مائدتنا . ورأينا كذلك ملحقين عسكريين

من البلاد المحايدة ووفوداً من الضباط المحايدين قدموا ليتفقدوا الجبهة ومراسلين المانيين وأجانب وممثلى الصحافة والعلم والفن

وكانت مائدة رئيس قيادة الشرق تحفل فى أغلب الاوقات بممثلى سائر البقاع البروسية الشرقية والغربية . ولذلك حظينا بزيارة عدة امراء

وبالطبع كانت زيارة جلالة الامبراطور شرفا خاصا عظيما لنا . وظلت آحاديثنا فى حضرته حافظة صبغتها الاصلية اذ كنا نعتقد ان جلالته يحب ان يكون بيننا لينعشنا ويبث روح الابتهاج فينا .

وكنت شديد الشغف بأن ارى على المائدة عدداً من المدعوين لأن هذا الأمر فرصة تتيح لي الخوض فى مسائل مختلفة اريد الوقوف على مختلف الآراء فيها . وكنت بعد هذه المحادثات اجد دائما لدي الاوقات الكافية لتأدية اعمالى العسكرية الخاصة بى

— ٦ —

ان ادارة الجيش تتطلب عزما وحكمة كما أنها تتطلب بالمثل علما واسعا بنظام الجيش المتناهى فى التعقد وهذا مالا يتيسر الا بعمل شاق دائم يستغرق اليوم بأسره . وينضم الى هذا العلم أمر آخر وهو : ادراك حالة الجنود العقلية وحالة عقل العدو . وهذا الأمر لا يدرك بالعمل الموصول ولا بالعلم الواسع ولكن بكثير من الشئون الاخرى التى لا تفيد فيها سوى مقدرة الشخص الذهنيه . فالفراسة والحذق وسعة الاختبار لها من الشأن فى هذا الامر اعظم مما لقوة الارادة والجلد على العمل . والثقة التامة والاعتقاد الجازم فى النصر هما الرابطتان اللتان تصلان ما بين الرئيس وجنوده .

وكان لنا من اركان حرب مجموعات الجيوش واركان حرب الجيوش مساعدون بارعون ذوو آراء مبتكرة يساعدوننا على تأدية مهمتنا خير

مساعدة . وكنا نتبادل فيما بيننا الآراء بغير انقطاع ، الا ان البت فى الامر كان من اختصاصنا نحن . اذ المعسكر العام الاكبر هو المسئول عن ايجاد التوافق والتناسق ما بين أجزاء الجيش وأعماله المتنوعة التى لا تحصى . وقد جعلت تنقلات الجيوش على التوالى هذه المهمة فى منتهى الخطارة .

وكانت هيأة أركان الحرب ازاء هذه التنقلات مستقلة فى رأيها وعملها استقلالا يعتبر فى حالة الحركات الكبرى وخطط الهجوم أعظم منه فى الحرب المحلية وفى الدفاع . وكانت توجد بالطبع أعمالا خططية تختلف آراء أركان الحرب فى تفاصيلها عن آراء المعسكر العام الاكبر وكثيراً ما كان يحدث ان هيآت أركان حرب تحتفظ عند هذا الاختلاف برأيها الاخير . فكان هذا فى نظرى منبع مشاكل وعراقيل : ففى حالة التوفق والفوز كانت الامور تجرى فى مجار حسنة ، وأما فى حالة الاخفاق فما كان يسعنى الا أن أوجه عبارات المؤاخذة واللوم .

وكنت أجد أهمية عظيمة للمحادثات المفرغة فى قالب مشوب بحدة فى الصوت وللتأثيرات السريعة ، ولهذا فقد كنت أحب أن أذهب بنفسى الى الجبهة ، وباعتبارى رئيس المعسكر العام كان تحت طلبي قطار خاص محتو على مكاتب وآلات تلغرافية خصوصية . وبالطبع ان هذا السفر لم يكن يستدعى مواصلة العمل الاساسى . وفى كثير من المحطات كانت تصل الينا التقارير اليومية كما كان يحدث فى المعسكر العام وعند الاقتضاء يمكن التخابر مع سائر الجهات وكانت علائقى مع هيآت أركان الحرب ومع الجنود على أحسن ما يرجى . وكنت أجتهد فى أن أكون موضع الثقة التامة لدى الجميع .

وأحب شيء الي أن أتذكر العلائق التى كانت تربطني بالمعسكر الاكبر لولي العهد . لقد كان الامير الوريث ذا نظر مكين من الفن العسكري ،

فكان يطرح أسئلة وجيهة تدل على سعة معلوماته. فهو يحب الجندي ويريد رفاهة الجيش. ولم يكن من أنصار الحرب بل من محبي السلم . وهذه هي الحقيقة الثابتة على الرغم من كل الاشاعات المتناقضة . وكان ولي العهد يأسف دائما على انه غير مستعد استعدادا تاما ليقوم بمهمة الامبراطور فى المستقبل وكان يبذل لاجل هذا الغرض كل ما فى وسعه من الجهد . وقال لى مرة ان مهمته أشق من مهمة أي اختصاصي . وهـذا ما عرضه بالفعل فى مذكرة خاصة رفعها الى الامبراطور والده والى المستشار .

وكان رئيس أركان حرب مجموعة جيوش ولي عهد المانيا الكولونيل الكونت فون درشولنبورج وهو ذكي محب للحركة وذو شجاعة عظيمة خير معوان لى على تأدية أعمالى وكنت أثق به أتم الوثوق

وكذلك كثيرا ما ذهبت الى مجموعة جيوش الامير روبرخت ولي عهد بافاريا . وكان رئيس اركان حربه ذا قيمة سامية وفى منتهى النشاط وهو القائد فون كوهل وهو أحد اصدقائى من عهد الشباب وانى لمعجب برباطة جأشه العظيم فى اصعب المواقف واحرجها

ولو اننى استتبعت الكلام عن مجموعات الجيوش الاخرى لطال بى الشرح . الا اننى اريد ان اقول كلمة عن القائد فون لوسبرج ، فأن هذا المنظم الماهر كان فى الغالب يفيد الوطن والجيش ، وكان لثقـته بى قيمة عظمى فى نظرى

وعند ما كنت اذهب الى الجبهة كان رؤساء اركان الحرب يعرضون علي الحالة فى حضور قائدهم . وكانوا يخاطبوننى بنفس الصراحة التى يخاطبنى بها مساعدي فى المعسكر العام الاكبر وذلك لانهم كانوا يعرفون رغبتى فى الوقوف على آرائهم بمنتهى الوضوح واننى لا اقبل المخادعة والتستر وكنت اذكر الجيوش احيانا بعدم رغبتى سوى تقارير تتضمن حقائق الوقائع وان

تكون متضمنة المعلومات السيئة كتضمنها المعلومات الاخرى

وكان التقرير يتبع بمناقشة يتداخل فيها قائد الجيش اذا كان لم يقدم هو بنفسه التقرير وهذا أمر مقبول لدي جدا . والمحادثات التى كانت تجرى بعد ذلك كثيراً ما كانت تمكنني من مباحثه قائد الجيش فى شئون جمه .

ولم تكن صلاتى بالجيوش مقصورة على اسفارى الاسبوعية ، بل كنت كل يوم اتحادث صباحاً مع رؤساء أركان حرب الجيوش بواسطة التليفون فيطلعونى على بواعث همومهم ودواعى مسراتهم . وفى الغالب يطالبوننى باشياء . وهم يعلمون انى لا اتأخر عن انجاز كل ما فى استطاعتى فعله . وفى كثير من الاوقات اسرى عنهم شجونهم بكلمات مسلية مشجعة تجعلهم يعاودون اعمالهم الشاقة بعزيمة صادقه . وفى اوقات كثيرة يمكن تلافى الاغلاط وتدارك الاخطار مع شدة الازمة وتعقد الامور بمجرد التأثير الشخصى فى الاشخاص المقابلين للتأثر .

ولم اكن استخدم المحادثات التليفونية الا فى استطلاع مجرى الاحوال . اما الاوامر فلم تكن تصدر بالتليفون الا فى الضرورات القصوى ، وفى هذه الحالة كنا نشفعها بالكتابة ايضا الى اركان الحرب .

وهذه المحادثات بالطبع تصل من تلقاء نفسها الى قواد الجيوش .

وما كنت احبذ البتة طريقة تخويل رؤساء اركان الحرب منتهى السلطة . على ان قواد الجيوش كانوا رجالا ذوى مدارك وصفات سامية لا تسمح بايجاد مثل هذه النزعات .

على انه قد حدث مرارا ان استخدمت سلطة القيادة العليا فى اصدار اوامر لم اكن لاوافق عليها لو استشرت فيها . وعند ما كنت اعلم بامور من هذا القبيل كنت الجأ الى المعاملة الشديدة .

وحينما لا تسمح لي اوقاتى بالذهاب بنفسى الى الاماكن التى تقتضى

النظر فى بعض الشئون المهمة كان المعسكر العام الاكبر يرسل الى اركان حرب أى جيش ضباطاً من هيأة اركان الحرب العامة ليتبينوا بأنفسهم الحالة فى الاماكن التى تجرى فيها امور هامة ويعودون من الساحة التى قصدوها مزودين بالمعلومات الكافية .

وكان تغيير الاشخاص فى القيادة العليا لاينقطع . اذ كانت هيآت اركان الحرب فى الجيوش تتطلب من آن الى الى آخر اشخاصاً معينين وكذلك هيأة اركان الحرب العامة . وكذلك المعسكر العام الاكبر يحدث احيانا تبديلا فى الموظفين بمحض ارادته .

وهذا النقل انما يحدث عندما تتطلب بعض المعارك ذهاب ضباط ذوى خبرة ومقدرة عظيمة الى الميدان . فهنالك يقتضى السماح بارسال بعض الضباط النافعين جداً النفع فى المعسكر العام الاكبر للتمكن من ادارة الحركات الحربية بطريقة تضمن الاقتصاد فى الحياة البشرية بقدر الامكان مع تأدية الغرض المنشود فى الوقت نفسه .

واحيانا ينتقل رؤساء من أركان حرب الجيوش أوقوادها وهذا يكون فى حالة طول القتال فى احدى الجهات أو حدوث اختناق فى تلك الجهة وذلك لان مهمة هؤلاء الرجال تصبح عسيرة عليهم اذا طالت مدة أعمالهم ولم تنته بالنجاح المرضي . وكل مرضي تدل رجاله وهو في المعترك يستبدل بسواه . وهذه التنقلات تحدث ارتباكا الا ان ضرره غير جسيم . ولم يكن من الميسور سحب اركان حرب أحد الجيوش بأجمعهم ، لان مثل هذا العمل ينتج اضطرابا عظيما ولا سيما في مسألة تموين الجيش . وانما يقتصر على نقل بعض رجال هيأة اركان الحرب الذين لا يترتب على سحبهم ارتباك جسيم .

وقد سحب فى بعض الاوقات قواد جيوش ورؤساء هيئات اركان حرب بناء على اقتراح المعسكر العام الاكبر وكان سحبهم مراعاة لمصلحة

القيادة والجنود . ومن الطبعى انه بسبب طول الكفاح كان لا بد من حدوث ضعف وتراخ في بعض الجهات ، الا ان هـذه الحالات ظلت لحسن الحظ متفرقة . وثمت شيء في منتهى الصعوبة ، وذلك انه على الرغم من حسن القصد لم يكن من المستطاع العدول عن استعمال الشدة فى بعض الاحيان بل الامتناع عن ارتكاب بعض ضروب الجور والاعتساف وما كنت ابتغى فى امثال هذه الحالات سوى اصلاح الاغلاط التى حدثت ولكننى عندما كنت ارى ان تساهلى وتلطفى اديا الى عواقب غير ما كان ينتظر منهما فاني اعود حينئذ على نفسى باشد اللائمة .

وقد حملتنى الرجة العنيفة التى حدثت فى ٨ أغسطس سنة ١٩١٨ الى رفع استقالتى الى القائد الفليد مارشال . وبالتاكيد اننى كنت قد أصبت بقلة الرجاء فى ادراك الفوز النهائي من جراء امتداد امد الحرب ، الا اننى لبثت متغلبا على عواطفى مدة طويلة .

ليبيج

أن مهاجمة حصن ليبيج اجمل ذكرى فى حياتي العسكرية . فلقد حدثت بسهولة وارتياح واتاحت لى أن اجاهد اثناءها جهاد الجندي الذى يؤدى واجبه العسكرى فى الصف .

انذ كنت عند نشوب الحرب قائد لواء من الفرسان فى ستراسبورج وقضيت من قبل مدة طويلة فى هيأة اركان الحرب ، اذ لبثت بها فى المدة الاخيرة من مارس سنة ١٩٠٤ الى فبراير سنة ١٩١٣ خلا هنيهة وجيزة وانا مشتغل فى شعبة خطط الاعمال الحربية التى صرت رئيسها . فعرفت دقائق استعدادنا الحربي والمسائل المختصة بمقادير الجنود الممكن حشدها وكان اهم اعمالي قسم التعبئه . وما يختص بهذا القسم من المعلومات يصدر

من رئيس اركان الحرب العام نفسه .

والتعبئة بالطريقة التي تمت بموجبها في اغسطس كان ترتيبها بمعرفة القائد الكونت فون شليفين وهو من أعظم العسكريين الذين عرفتهم الجندية النظامية . وقد وضع هذه الطريقة لاتباعها في حالة اعتداء فرنسا على حيدة البلجيك او في حالة ممالأة البلجيك فرنسا . فهنالك تحدث الاغارة في الحال على بلجيكا باهم القوى الالمانية المحتشدة . وذلك لان كل عمل آخر يكون معرقلا مادام الجناح الالماني الايمن مهدداً من جهة بلجيكا : وفي هذه الحالة يصبح من المستحيل الحصول على عمل ناجع من جهة الحدود الفرنسوية . في حين ان العمل الناجع السريع في الجانب الفرنسوي ضروري جداً لاتقاء خطر الاغارة الروسية قبل افلات الفرصة ووصول الروسيين الى قلب المانيا . وقد عرضت فكرة اتخاذ خطة الهجوم على الروسيا والتزام جانب الدفاع ازاء فرنسا في حالة امتداد مدة الحرب فرفض الكونت فون شليفين هذه الفكرة .

وقد تحققت خطة الكونت فون شليفين عند ما صار من المؤكد أن جنوح بلجيكا الى فرنسا امر واقع .

ولا ادري الطريقة التي اتبعها القائد فون مولتك للاتفاق مع المستشار فون بيتمان على مسألة اختراق بلجيكا . أن مكتبي لم يكن مختصاً بمثل هذا الشأن ولذا لم تصدر منه تفاصيله . وكذلك لا علم لي اذا كان بعض رؤساء المعسكر العام قد عهدت اليهم هذه المهمة . على اننا كنا جميعا متفقين على ضرورة اتباع الخطة التي رسمها الكونت فون شليفين . وذلك لانه لم يكن يوجد من يعتقد بامكان حيدة بلجيكا .

ففي مثل مركزنا الكائن في وسط اوربا ونحن محوطون باعداء متفوقين علينا تفوقا عدديا عظيما لابد لنا من الوجهتين السياسية والعسكرية ان

نحسب حساب هذا التفوق الهائل وان نتخذ غاية الاستعداد فى التحوط والتسلح اذا شئنا الا نستسلم طوعاً الى السحق والمحو. ومن المعلوم ان الروسيا ابتدأت الحرب بطريقة مخيفة وظلت تعزز جيوشها بقوى متواصلة. وهي تابى الا ان تقهر النمسا وتستولي على البلقان وقد ابانت عدة امور من جملتها اطالة الخدمة العسكرية مقاصد فرنسا الحقيقية. ان فكرة الانتقام قد تجددت فى نفوس الفرنسويين ولا بد لارض المانيا ان تخضع الى فرنسا مرة اخرى. واخذت انجلترا تنظر الى تقدمنا الاقتصادي نظرة التبرم والامتعاض ويروعها رواج سلعنا وحاصلاتنا وما تراه من نشاطنا واقدامنا. وعدا ذلك فان المانيا اصبحت اقوى دولة فى اوربا ولها أسطول عظيم آخذ فى التوسع والتقوى. وهذا ما جعل انجلترا تعتقد بانها مهددة في سيادتها العظمى بين العالم. ان الانجليزي السكسوني اعتاد على ان يرى نفسه سيدا. لقد حشدت الحكومة الانجليزية فى بحر الشمال وفى المانش قواها التي تمكنت من جمعها الى ذلك الحين وعلى الخصوص في البحر الابيض المتوسط. وكانت الخطبة التهديدية التي القاها لويد جورج في ٢١ يوليه ١٩١١ قد افصحت عن حقيقة المقاصد الانجليزية التي كانت مستورة بمهارة فائقة. فاصبح من المعلوم بعد هذه الخطبة اننا سنساق حتما الى الحرب، وان القتال الذي سيحدث سيبلغ مبلغاً لم يعلم له مثيل من قبل في العالم اجمع. وبتقدير قوى الخصم المنتظر له ان يحشدها كما يستخلص من معلومات بعض الدوائر غير العسكرية يتضح منها انها خطر علينا.

وفي غضون خريف ١٩١٢ حينما انكشفت حقائق المقاصد التي ينطوى عليها الاعداء ولم يبق ثمت ادنى شك فيها وصار الاهتمام فى الجيش بجعله على قدم الاستعداد وعلى أتم نظام بالهمة المعهودة عن الالمانيين اثناء قيامهم بالواجب، عرضت مشروعاً يتضمن تقوية الجيش بدرجة

عظيمة تحقق آمال الاوساط ذات المعلومات المكينة والأحزاب البرلمانية التى تحسن قراءة العواقب . وتمكنت من حمل القائد فون مولتك على ان يعرضه على المستشار . ولا بد ان يكون المستشار رأى ايضاً حرج الموقف فوافق في الحال على المشروع . وقد فوض الى وزير الحربية امر البحث فيه وتطبيقه على رغائب الامة . وبما ان تنفيذه لم يكن يتقاضى اكثر من مليارمارك فلم يكن في الامر ما يحول دون المضي فيه لان هذا المبلغ لا يبهظ مالية البلاد . وهذا المشروع يتضمن فرض الخدمة العسكرية قسراً على سائر افراد الامة ، وكان لا يزال يوجد عدد كبير من القادرين على تادية هذه الخدمة لم يؤدوها فوجب عليهم بمقتضى هذا المشروع ان يؤدوها وهؤلاء يعدون بالآف العديدة . ولم يكن الأمر مقصوراً على انماء عدد الجيش العامل بل كان لا بد من تقوية حصوننا والاستزادة من الادوات الحربية . وتم ذلك كله بالفعل . ولكن الرغبة التى شددت فى المطالبة بتحقيقها وهى انشاء ثلاثة عرضيات جدد لم يتم تحقيقه بل لم يطلب هذا الامر ، وكان اهماله ذا عواقب غير محمودة . وذلك لان إنقاص هذه العرضيات الثلاثة ظهرت فداحته من اول دفعة عند نشوب الحرب ، والتشكيلات الحديثة التى بدئ في تنظيمها اثناء خريف ١٩١٤ بدت فيها كل العيوب التى ينتظر ظهورها في الانظمة التى لم يتم احكامها . وهذه التشكيلات الجديدة ظهرت فوائدها الحقيقية فيما بعد عند ما تم تدريبها وتنظيمها على ابدع واحكم نسق ولكن هذه الفوائد لم تجيء الا بعد أن اصيبت وحدات كثيرة من التشكيلات الاولى باضرار وخسائر فادحة

ولم يكن المشروع باجمعه قد تم التصديق عليه حينما سرت الى دوسلدورف بصفتى كولونيل للالاى التاسع والثلاثين من حملة البنادق . ولقد كان لتشديدى فى المطالبة بانشاء العرضيات الثلاثة تأثير عظيم .

— ٢ —

إن الخدمة العاملة عمل ذو نفع عظيم . فبعد ان قضيت مدة طويلة في المكاتب اباشر اعمالها ارتاحت نفسي جد الارتياح للانتقال الى الخدمة العاملة اذ احتككت بالرجال الذين عهد تدريبهم الي والذين انما كنت أقوم بتأدية اعمالى معهم ولاجلهم فاكون منهم ضباطا وضباط صف وجنودا وبهذه الطريقة اهتم بتثقيف الشاب لاجعله رجلا مثقفا كاملا . وكنت قد لبثت ثلاث عشرة سنة مبعدا عن الخدمة العاملة . اما الآن فالاشراف على تدريب الجنود الشبان مهمتي الاولى . ولقد توليت سبع مرار تعليم الجنود الشبان وانا لاأزال ضابطا شابا ، وذلك في المدة الواقعة مابين ١٨٨٠ و ١٨٩٠ : فى الالاى السابع والخمسين من المشاة المقيم فى مدينة ويزيل القديمة وفى البحارة المشاة فى ولهلمسهافن وفي كييل . وبعد ذلك قضيت عدة اسابيع في الالاى الثامن من رماة القنابل اليدوية فى فرانكفورت على الاودير وصرت رئيس بلوك في الطابور الحادى والستين فى تورن من ١٨٩٨ الى ١٩٠٠ . وهو العهد الذى لن انساه .

وكنت اشعر بالتبعة العظيمة الملقاة على عاتقى وانا رئيس الاى لما كنت اعتقده من قرب نشوب الحرب التى تتقدم بخطوات واسعة . وقد ذكرت ضباطي فى عدة خطب القيتها على اسماعهم بالحالة المتناهية فى الحرج فى الاوقات التى نجتازها . وكنت اعتبر الجيش دعامة سلامة المانيا ومستقبلها وكذلك كنت اعتبره وسيلة حفظ النظام والامن العام فى داخل البلاد . ولم تكن توجد اقل بادرة تؤذن — ولله المنة والحمد — فى سنة ١٩١٣ بتحول الجيش عن هذه الخطة السديدة .

وكانت الطاعة فى نظرى سواءاً من الضابط أم من الجندى البسيط

هي اساس كل تشكيل عسكرى . وهـذه الطاعة لا يمكن أن تتاصل فى نفس العسكرى الا بعد قضاء مدة طويلة فى الخدمة . وهـذا التأصل لا يحدث الا اذا انتقل وراثة من دم الى دم فانه فى هذه الحالة يحمل المرء على التزام الطاعة طول مدة الخدمة العسكرية حتى ازاء الانفعالات النفسية التى تخرج المرء عن اطواره فى أغلب الاحيان وامام اهوال المعارك وطول مدة القتال . وكان تشكيل جيشنا فى زمن السلم يمثل اقل عدد يمكننا أن نبرزه فى زمن الحرب .

وكنت ابذل جهدى فى أن اجعل هؤلاء الرجال المتجملين بالطاعة جنوداً عاملين ابطالا . والطاعة لا تقضي على الخلق الكريم بل تجعله متينا و يجب احلالها فى مكان يسمو على كل شاغل شخصي وان لا يتخلى عنها المرء فى كل عمل يتساند فيه مع أي انسان وان يرمي من التمسك بها الى غرض وحيد وهو : الانتصار . وكل ما يطلب من الجندي فى المعترك ان يكون مطيعا . فالقيام والاندفاع الى الامام تحت نيران العدو عمل عظيم . على انه ليس متناه فى الصعوبة فما أجرأ وما اشجع ذلك الذى يتقدم ثابت الجأش الى الموت بل ذلك الذى يقود . . . أو ذلك الذى يرسل جنوداً آخرين الى الموت ! فلا بد للمرء من أن يكون قد كابد هـذه الامور من قبل حتى يستطيع ان يعرف مقدار ما تنطوى عليه من المشقة والصعوبة

وبينما كنت منهمكا فى تدريب وتثقيف الجنود وضباط الصف وتلقينهم حتى ما يلزم لـكل منهم فى مهنته فى المستقبل كنت اجد من اهم واجباتي ان استمر على اعداد هيأة ضباطى وترقية معلومات ضباطى الشبان . اما الضباط العاملون فيظلون حولى ، واما الضباط الاحتياطيون وصف الضباط والجنود فينصرفون متى ادوا مدة الخدمة المفروضة عليهم فهؤلاء الضباط العاملون هم الذين يحتفظون بالروح العسكرى . فيجب اذن

ان يكونوا على تمام العلم بالاعمال العظيمة وبتاريخ الوطن ككل الرجال الذين يشغلون مراكز الرئاسة . ولا يبرح عن البال ان الضابط الذي يؤيده صف الضابط هو الذى يجب ان يحافظ على مراعاة النظام فى وقت الخطر . وهذا هو السبب فى جعل هيأة الضباط فى معزل عن الاختلاط بسواها ومنعها من الاعمال السياسية .

ولقد بذلت كل ما فى وسعى لامكن ضباطى من ادراك حقيقة الحرب الحديثه . وكذلك أجهدت نفسى فى حملهم على القيام بمهمة شاقة وهى تقوية ثقتهم بانفسهم ، تلك الثقة التى لا ينبغى أن تكون محض غرور وخيلاء .

وبذلت قصارى جهدى فى تعليم الالاى وسرنى أن رأيته قائما بواجبه أمام العدو . وشد ما عرانى الابتهاج حينما وجدت نفسي خلف اللواء المنتسب اليه الآلاى بصفتى كولونيل شرف له . وقد أطلق على الآلاى اسمي عندما اضطررت الى مغادرته ومفارقة صفوف الجيش . وانى لأفتخر بالالاى لودندورف .

وفى ابريل ١٩١٤ أرسلونى الى ستراسبورج حيث كان القائد فون دايملنج قائماً بتجهيزات عسكرية مهمة . وأصبح مركزي بصفتى قائد لواء من الفرسان مخالفا للمركز الذى كنت فيه وانا قائد آلاى . فلم أختلط كما كنت أفعل من قبل بهيأة الضباط وبالجنود . وصارت مهام وظيفتى مقصورة على اصدار الاوامر والتعليمات العسكريه . وسررت من تمكنى من عرض لواء فرسانى أمام رؤسائى فى ساحة الاستعراض فى بيتش قبل نشوب الحرب .

وقد حدث التفكير فى تعيينى رئيس معسكر لهيأة أركان الحرب العامة . وفى مايو اشتركت فى الطواف الكبير الذي قامت به هيأة من أركان الحرب ذاهبة فى تجوالها من فريبورج فى بريسجاو الى أن بلغت كولونيا . واشترك

سمو الامير الوريث فى هذه السياحة بالمثل . وكان واقفا نفسه بالفعل على مواصلة أعماله بمنتهى النشاط . وكان ميله الحربي قويا وله نظرة صائبه . وكنت مضطراً فى شهر اغسطس للقيام بما يسمونه « سياحة الدقيق » رغبة فى درس طرق تموين الجيش من وجهة النظر الفني العسكري .

وكنت في ستراسبورج عندما بوغت بنبأ المذكرة التى أرسلتها النمسا الى الصرب كما بغت بها سائر الناس . ولم يجهل أحد ما كانت تنطوى عليه هذه المذكرة من الخطر . وفيما بعد صار الاعتقاد جازماً بنشوب الحرب . ان السياسة أثقلت عاتق الجيش الالماني بمهمةفي منتهى الصعوبة. واتجهت نظراتى الى برلين وحسبت انني فيمعزل من كل الحوادث العظيمه .

— ٣ —

وصدر الأمر بالاستعداد فى أول اغسطس . وعلى الأثر سافرت زوجى الى برلين وكذلك اضطرت سائر اسرات الضباط والموظفين الى مبارحة تلك المدينة . ولم نستطع في خلال سنوات الحرب الاربع أن نتخذ لنا نظاما بيتيا . ولم أر زوجى الا نادراً أو بمعنى أوضح لم اقابلها الا خلسه . وبما انى كنت مستغرقا وقتى طول مدة الحرب بالعمل الموصول فقد ضحيت صلتى باسرتي ببعض التضحية فى هذا العهد الهائل .

وابحرت بجيادي يوم ٢ اغسطس ثم اجتزت كولونيا ووصلت الى ايكس لاشابيل . وكان أمر التعبئة الصادر الي متضمنا تعييني رئيس معسكر الجيش الثاني الذى يرأسه القائد فون اميخ المكلف بمباغتة معقل لييج ببضع الوية من المشاة الراكبة صار تجهيزها بسرعة ولم تتوافر أعدادها الكاملة بعد . واريد بهذه الطريقة فتح طريق البلجيك للجيش

واقمت في ايكس لاشابيل بفندق الاتحاد .

ووصل القائد فون اميخ في صبيحة يوم ٣ اغسطس ، فرأيته لأول مرة . ومن ذلك الحين الى وقت وفاته وانا حافظ له عاطفة احترام شديد بصفته عسكريا نابغا . وكان رئيس أركان حربه الكولونيل فون لامبسدورف وهو ضابط بارع قام بعمل ما ثور في الهجوم على ليبج وفي الاعمال التالية.

وفي صباح ٤ اغسطس صار اجتياز التخوم البلجيكية ، بينما يعلن الرايخستاج في برلين وطنيته بهتافه للحكومة ، وبينما يقسم رؤساء الاحزاب الذين كانوا حاضرين اذ ذاك في تلك الجلسة الشهيرة يمين الاخلاص المتناهي للامبراطور في وقتي الرخاء والشدة على اثر القاء الخطبة الامبراطوريه . واشتركت في هذا اليوم نفسه في اول وقعة حربية في جهة فيزا على مقربة من الحدود الهولاندية . ومن الواضح ان البلجيكيين كانوا يستعدون منذ مدة طويلة لاتقاء شرا غارتنا عليهم . فالطرق اتلفت وسدت بطريقة تدل على انها نتيجة عمل عظيم استغرق وقتا طويلا . وفي الحقيقة اننا لم نر أمثال هذه العراقيل في التخوم الجنوبية الغربية البلجيكية . فلماذا لم تتخذ البلجيك امثال هذه التحوطات من جهة فرنسا ؟

وكان يهمنا جدا الاستيلاء على جسور فيزا (كباريها) بدون ان تصاب باتلاف . فذهبت الى لواء فرسان فون دير مارويتز الذي كان مشتبكا في هذه الجهة ووجدته لا يستطيع التقدم الا ببطيء شديد من جراء العوائق المنبثة امامه . فأرسلت بناء على طلبي فصيلة من الكشافة الى الامام . وبعد قليل عاد أحد الكشافه : فاشيع ان الفصيلة دخلت فيزا ولكنها محيت فيها بأسرها . فتقدمت بنفسي ومعي رجلان ولم البث ان امتلأ قلبي حبوراً برؤيتي الفصيلة سالمة : وقائدها هو الذي اصيب وحده بجرح بالغ من جراء رصاصة اطلقت عليه من شاطىء نهر الموز الآخر. وقد افادتني هذه النادرة فيما بعد : فاني لم اعد اهتم بما يطلق عليه لقب

« اشاعات المراحل » .

وكانت الجسور الكبرى البديعة المنصوبة على الموز في فيزا قد تقوضت اركانها وذلك لان البلجيكيين كانوا مستعدين للقتال .

وفي المساء صرت في هرفيه حيث انتقل معسكري لاول مرة الى ارض العدو . فنزلنا فى فندق مواجه للمحطه . ووجدنا كل شيء في المدينة سالما . وبتنا ليلتنا هادئين . واستيقظت في جنح الليل على صوت اطلاق البنادق ، ورأيت الرصاص يطلق بالمثل على مسكننا . فكانت هذه فاتحة حرب الأفراد المتفرقين في البلاد البلجيكيه . وفي اليوم التالي عم هذا النوع من الحرب . فكان هذا الامر مبعث شدة القتال التي دامت مدة طويلة في السنتين الاوليين من الحرب في الميدان الغربي والتي لم يحدث مثلها فى الميدان الشرقى . وعلى عاتق الحكومة البلجيكية تقع المسئولية الكبرى من نتائج هذه الحرب غير النظامية لانها هى التي دبرتها بطريقة منظمة . وذلك ان الحرس المدني الذى كان فى زمن السلم يرتدي بلباسه الخاص ويحمل سلاحه تفرق فى مبدأ الحرب لاجل القيام بحرب الافراد وصار رجاله آونة يظهرون بملابسهم النظامية وآونة اخرى في ملابس عادية . بل كان من المحتم بالمثل على الجنود البلجيكيين أن يحملوا فى مزاودهم ثيابا مدنية في اول الحرب . وقد رأيت بعيني في الجبهة الشمالية الشرقية ثيابا مدنية تركها الجنود الذين كانوا يقاتلون هنالك فى الخنادق عند مغادرتها .

ومثل هذه الحرب لم تكن متبعة من قبل ، ولهذا لا ينبغى مؤاخذة جنودنا على اتباع خطة التأديب الشديدة . وربما اوذي اثناء القمع بعض الابرياء ولكن « المظالم البلجيكية » ليست سوى اقاصيص اذيعت بمنتهى البراعة ، وقد اخترعت ونشرت فى كل مكان بغاية ما يستطاع من دقة الحيلة . وما مخترعها ومروجها سوى الحكومة البلجيكية . لقد سافرت

الى ميدان القتال وانا متشبع بفكرة الشهامة ومصمم على انتهاج خطة الانسانية فى الكفاح الذى ستدور رحاه . وحرب الافراد هذه لابد لها من ان تستفز غضب كل جنـدي ، وقد تحملت نفسى العسكرية بعبء ثقيل كاد يقضي على عاطفتي الشهامة والانسانية التى تتجمل بهما .

— ٤ —

ان المهمة التي عهد الى ألوية الفرسان المنفصلة القيام بها عسيرة . اليس من الجرأة التي لم يسمع لها مثيل الرغبة في اختراق خط الحصون المدافع عن معقل من الطراز الحديث والاستيلاء على هذا المعقل ؟ لقد شمل الجنود القلق من هذا الاندفاع . ودلتنى بعض الحادثات التي جرت بيني وبعض الضباط على ان الامل ضعيف في نجاح هذه الحركة .

وبدأ السير الى الامام بين معالم الدفاع فى اتجاه لييج فى الليلة الواقعة ما بين ٥ و ٦ اغسطس . وكانت هيأة أركان الحرب العـامة قد وضعت خطة لهذا العمل الحربي الا انى لم أشأ أن اتبع هذه الخطة ، وانما اذكر هذا الأمر هنا من قبيل استعراض ذكرياتى الخصوصيه .

وغادر القائد فون اميخ مدينة هيرفيه حوالى منتصف الليل . فسرنا سوية على متني جوادينا الى حيث يوجـد اللواء ١٤ من المشاة الراكبة الذى يقوده القائد فون فوسوف في جهة ميشير وعلى بعـد يتراوح بين ٢ الى ٣ كيلومترات من حصن فليرون . فوجدنا الجنود ملتفين حول مطابخهم السيارة التى لم يسبق لهم استخدامها والتى أفادت في الحرب فائدة كـبرى والظلام الدامس يسترهم عن الابصار وهم على قارعـة الطريق تحت مرمى مدافع الحصن لو تنبه حماته اليهم . فدوت بعض طلقات من جنوب الطريق صوبت على الجنود المجتمعين وكان تراسلها من بيت كائن فى جنوب الطريق

فادى هذا الاعتداء الى حدوث مناوشات . الا ان الحصن الزم جانب السكوت بفضل من الله . وبدأ الزحف حوالى الساعة الاولى بعد منتصف الليل . وكان لابد من المرور بشمال خط الحصون للوصول قبيل منبلج الصباح الى هضاب الشرتريز الكائنة فى ضواحى المدينة . وكان من المحتم على الالوية الاخرى التى ستجتاز خط الحصون من نقط اخرى ان تصل فى الوقت نفسه الى ضواحى المدينة .

وكانت هيأت اركان حرب القائد فون اميخ فى مؤخرة القوى الزاحفة فتوقف صف القوى المتلاحقة فجأة مدة طويلة فاندفعت مسرعا الى الامام ولم أجد مايستدعى هذا التوقف ، وزيادة على ذلك فانه أدى الى اعتقادات مكدرة فى حقيقة الحالة الحربيه . ولم أكن فى الحقيقة سوى مشاهد بسيط اذ لم تكن لى سلطة القيادة ومهمتى مقصورة على تزويد جيشى بالمعلومات اللازمة عما هو جار فى لييج وايجاد تناسق بين الوسائل التى يتخذها القائد فون اميخ والتعليمات التى يصدرها القائد فون بيلوف . وبالطبع جعلت صف القوى الزاحف يعاود السير وظللت سائراً في مقدمته . وفى أثناء السير فقدنا صلتنا بالطريق التى كنا نوالى زحفنا فيها . وأخذنا نبحث تحت جنح الدجى عن الطريق الاولى فاجتزنا بقرية رنيين الا اننا لبثنا نسير على غير هدى . وأردنا الخروج من القرية فسقطنا انا والطلائع فى سبيل ردىء . وسرعان ما انهلت علينا قذائف البنادق . فاخذ الرجال يتساقطون ذات اليمين وذات اليسار . ولست انسى ماحييت صوت الرصاص عن قرب وهو ينغرس فى أجساد الرجال . فقمنا بعدة وثبات على العدو الذى لانعلم له مستقرا والذى أخذت نيرانه الحاصدة تزداد استعارا . ولم يكن من السهل التلاقى فى ظلام الليل اذا ماحدث التفرق . فعسر علينا أن نجمع شملنا ونسير فى الطريق المثلى . واضطررنا عندما

ذلك الى النكوص على الاعقاب امام هـذه النيران الحاميـة مهما فى هذا الامر من الغضاضة على النفس . ولقد يحسب الجنود أن الخوف استولى على فؤادي وماذا يهمنى من حسبانهم ان آمراً آخر اعظم من اقاويل الناس وظنونهم يصير عرضة للخطر اذا استسلمت الى حماقة الاندفاع المؤذى . وارتددت زحفا على الصـدر مصدرا امرى الى رجالى بأتبـاعى الى حدود القرية .

وعندما بلغت دنيين اهتديت الى السبيل القويم . فرأيت جنود مراسلات القائد فون فوسوف معتلين صهوات جيادهم . وكانوا يحسبون القائد قتيلا فسلكت السبيل القويم مع رجالى القلائل وهو السبيل المؤدى الى طرف الغابة . واذا ببريق يلتمع فى الافق على حين فجأة أعقبه انفجار حدث على طول الطريق ومـع ذلك لم يصب أحد منا . وبعـد أن تقدمنا عـدة خطوات الى الامام التقينا بكومة من الجنود الالمـانيين القتلى والجرحى . وكانت هـذه هى الشرذمة التى خرجت مع القائد فون فوسوف والتى لابد ان تكون قد اصابها انفجار آخر من قبل . فجمعت جنود الطابور الرابـع من الصيادين والالاى السابع والعشرين من المشاة الذين كانوا قد اخـذوا يصـلون تباعا . وعزمت على أن اتولى قيادة لواء الفرسان . وكان أول ما ينبغي القيام به القضاء على الاعادى الذين يرسـلون السـنة النيران على الطريق . فـترامى اليوز باشيان فون هاربو و برنـكمان من اركان الحرب بثلتـين من الشجعان على العوائج والمزارع المنتشرة على جانبي الطريق وتمـكنا من الاهتداء الى المدافع المختبئة فاستسلم الرجال العديدون الذين كانوا يستخدمون هـذه المدافـع . وعلى أثر ذلك امكن الاستمرار على السير الى الامام .

ووالينا الزحف حتى بلغنا بعـد مدة وجيزة طرف الغابة التى أنشبنا

وقعة شديدة فى شوارعها وأزقتها . وابتدأت تباشير الفجر تتوضح . وسرنا نحن انيوز باشيين ركني الحرب فون ماركارد الذي يرأس الطابور الرابع من الخيالة البروسية وفون جرايف الذي يرأس القسم الثاني من الالاى الحملة ومساعده البارع الملازم نايديه و بعض الجنود وانا معهم زاحفين على جناح السرعة . فلما بلغنا الربوة التي ننشدها اصعدنا اليها مدفعا من نوع الهاون السهلي ثم اردفناه بآخر مثله . فا كتنسا الطرق ودمرا البيوت القائمة على الجانبين. وبهذه الطريقة تيسر لنا التقدم ببطئ وحذر . وكنت احيانا ادعوا الرجال المترددين الى السير معى وعدم ترك اتقدم بمفردى الى الغرض المنشود . وأخيرا تخلصنا من القرية وضواحيها بعد انلاذ سكانها باذيل الفرار . فلم يبق امامنا بعد ذلك سوى الاشتباك مع الجيش النظامي البلجيكى .

و بعد خروجنا من القرية بصرنا بصف مستطيل يتقدم فى اتجاه الموز ووجهته لييج . فرجوت ان يكون هذا الصف اللواء السابع والعشرين من المشاة الراكبة . الا انه لم يكن سوى جنود بلجيكية فارة نحو نهر الموز بدلا من هجومها علينا . وكان لابد من مرور وقت طويل علينا قبل ان ندرك حقيقة الموقف . وفى هذه الاثناء كانت القوة الضئيلة التي تحيط بي قد تقوت بما انضم اليها من القوى المتلاحقة على آثارنا . لقد نجحنا فى اجتياز خط الحصون . ووصل الالاي ١٦٥ من المشاة تحت امرة رئيسه المقدام الكولونيل فون أوفين وهو محتفظ بنظامه الاتم . ثم وصل القائد فون اميخ فاستمر الزحف حينئذ على الشرتريز

ووضع القائد فون اميخ تحت تصرفى العناصر المتكون منها اللواء الحادى عشر من المشاة المشتبكة فى الجنوب على فرض انها قد توفقت هى بالمثل الى اختراق نطاق الحصون . واستمر التقدم بدون أن يعترضه عائق . وحينما

تراءت أمامنا معالم الجبهة الشمالية من ليبيج اخذنا نصعد السفوح الموصلة الى شرق الشارتريز من وادى الموز . وكانت الساعة الثانية حينما انتهى اللواء من حركة الصعود اليها والاستقرار بها . فصوبت فوهات المدافع الى اتجاه المدينة . وبدئ باطلاق قنبلة من آن الى آخر كعلامة للألوية الاخرى وكوسيلة لالقاء الرعب فى نفس قيادة العدو وسكان المدينة. واضطررت الى الاقتصاد فى الذخائر لانها كانت قليلة جدا . وكانت الجنود منهوكة القوى وقد أصيبت باضرار جسيمة من الوقعة التى اشتبكت فيها وكذلك الضباط فقدوا جيادهم . والمطابخ المتحركة بقيت فى الخلف . فتركت الجنود تغتنم قسطا وافرا من الراحة وسعيت فى التماس القوت الكافى لها من البيوت المتفرقة فى الضواحى غير عابئ باي خطر .

وبعد قليل وصل القائد فون اميخ بنفسه وانضم الى اللواء وصرنا نرى من قمم الشارتريز المدينة في اجلى وابدع مناظرها . فهي الآن منبسطة تحت أقدامنا . وقلعتها منفصلة عنها ومستقلة على الشاطى الآخر من الموز . وعلى حين فجأة بصرنا بالرايات البيضاء تخفق فوق معالمها . فأراد القائد فون اميخ أن يوفد رسولا اليها . فاقترحت عليه أن ينتظر قدوم الرسول الموفد من قبل العدو . فاصر القائد على تنفيذ ارادته . فانطلق البوز باشى فون هاربو بجواده الى المدينة . وعاد منها حوالى الساعة السابعة مساء : وكانت الراية البيضاء وقد ارتفعت على غير ارادة القائد ولم يبق أمامنا متسع من الوقت يسمح بدخول المدينة . فقضينا ليلتنا على اسوأ ما يكون

وفى هذه الاثناء أمرت الفرقة بان تلم شعثها وترتب شؤنها . وكانت حالتنا فى منتهى الحرج . ولم تصلنا انباء عن بعض الفرق الاخرى ومن جملتها الفرقة الحادية عشره . وذلك لان الرسل الموفدين من قبل تلك الفرق لم تتمكن من الوصول الينا . والفرقة المذكورة اذن أصبحت محصورة

في وسط دائرة الحصون بمفردها ومنقطعة عن العالم الخارجي فلا بد لها من توقع كرات الاعداء عليها . أما نحن فقد أثقل كاهلنا وجود الف من اسرى البلجيكيين في معسكرنا . ولعلمي بأن الشارتريز عمل تحصيني قديم وهو موجود أمامنا خلواً من جنود الاعادى فقد أرسلت اليه بلكا من جنودنا ومعه هؤلاء الاسارى . ولعل رئيس البلوك ساءل نفسه اذا كنت قد فقدت صوابي

وأقبل الليل فازداد الجند اضطرابا . فطفقت اجوب خلال صفوفهم حاثا على التزام الهدوء والشجاعة قائلا لهم : « غــدا سندخل ليبج ! » فقوت هذه الكلمة قلوبهم .

اما القائد فون اميخ واركان حربه فقد وجدوا لهم مأوى صالحا في ضيعة صغيرة .

ولن أنسى ما حييت ليلة ٦ الى ٧ اغسطس لانها ستخلد في ذاكرتي ببردها القارس . وكنت قد غادرت امتعتي في المؤخرة . فأعارني القومندان فون ماركارد معطفه . وأخذت استرق السمع لمــا كان يتبادر الى وهمي من تعالي اصوات البنادق . فكنت آمل ان يتمكن أحد الالوية من اجتياز دائرة الحصون . غير ان اذني ما كانتا تسمعان سوى سكون عميق لا يكدر صفاءه التام الا صوت قنابل الهاون التي تسقط فوق المدينة كل نصف ساعة مرة . فبلغ القلق مني اشد مبلغ . وفي الساعة العاشرة مساء امرت بلوكا من الجنود الصــيادة ان يباشر تحت امرة اليوزباشي اوت احتــلال حصون الموز الكائنة في ليبج لتكون وهي في قبضتنا وقاء لحركتنا عنــد متابعة الزحف فنظر الى اليوزباشي . . . ثم سار في سبيله . وادرك هذا البلوك سؤله بغير قتال على اننا لم نستلم تقريره عن هذه المهمة .

واصبح الصباح فقصدت القائد فون اميخ وبحثت معه في الحاله . وانتهى الامر بالتصميم على دخول المدينة ولكن ساعة دخولها لم تعين .

وفيما انا مهتم باصلاح حالة اللواء ومحاولا الوصول الى الطريق المنتظر وصول اللواء الحادى عشر منها واذا بامر القائد فون اميخ صادر الي بدخول المدينة. وكان الكولونيل فون اوفين يقود الطلائع . ثم تبعته بقية اللواء مصحوبة بالاسرى و بعد قليل تقدم القائد فون اميخ واركان حربه ثم سرت انا بالمثل فى مقدمة هيأة اركان حرب اللواء . فسلم الينا عدد كبير من الجنود البلجيكيين انفسهم عند دخولنا المدينة وعهد الى الكولونيل فون اوفين احتلال القلعة . وقد اتضح من المعلومات التى وصلت الينا فيما بعد انه لم يقم بمهمته بل ذهب الى حصن لونسن فى الجنوب الغربي من المدينة وتوطن عند هذا المنفذ من لييج . ولاعتقادي قبل وصول هذه الانباء بان الكولونيل فون اوفين مقيم في القلعة رأيت ان اتقدم بنفسي الى القلعة فركبت اوتومو بيلا بلجيكيا وصحبت احد الضباط ولم اصطحب جنديا واحدا . ولكننا عند ما بلغنا القلعة لم نجد حولها اثراً للجنود الالمانيين فهى لا تزال فى قبضة العدو . فقرعت باب القلعة الذى كان لا يزال موصدا ففتح من الداخل وسلم بضع المئات من الجنود البلجيكيين الموجودين فى الداخل انفسهم الي بمجرد ان انذرتهم .

وفى الحال تقدم اللواء واحتل القلعة التى رتبت على الأثر دفاعها .

و بما ان المهمة المعهودة الي قد انتهت فقد صار فى وسعى أن استأذن القائد فون اميخ فى الانصراف . واعتزمت على الخروج من القلعة بالطريق التى سرت فيها لدخول القلعة آملا ان اطلع قائد الجيش على مجرى الامور التى حدثت ، ولأرى الالوية الاخري ولانظم احتشاد المدفعية لمواجهة الحصون . وقبل ان ابارح القلعة وصل اليها بضع مئات من الجنود الالمانيين الاسرى الذين صار انقاذهم من الاسار .

وكان اللواء الرابع والثلاثون من المشاة قد اخترق خط الدفاع بمستكشفيه على الشاطئ الغربي من نهر الموز . الا انه اضطر الى التخلي

عن مواصلة القتال . فالشرازم التى اخترقت الخط سقطت اسيرة فى قبضة العدو . ثم وصل اللواء الحادى عشر و بعد قليل اقبل اللواء السابع والعشرون من المشاة و بهذه الطريقة صار لدى القائد فون اميخ عند مفارقتى اياه قوى لا بأس بها . غير انه فى الحقيقة وصل نبأ يفيد زحف الفرنسويين فى اتجاه نامور . فالموقف الحربى اذن لايزال حرجا . ولا يمكن اعتباره مأمونا الا بعد سقوط عدة حصون من جهة الشرق على الأقل .

— ٥ —

كان وداعى للقائد فون اميخ مؤثرا . و فى الساعة السابعة انطلقت فى الطريق قاصدا اكس لاشابيل . وكانت هذه السفرة عجيبة ، فقد تطوع أحد رجال الحرس المدني لكي يكون دليلى . فاختار اتوموبيلا لم ارده . والاتوموبيل الذى كنت قد حصلت عليه طرأ على آلاته خلل قبل خروجه من القلعه . فلم يسعنى سوى ان استسلم الى هذا الجندى البلجيكى استسلاما اعمى . فجرت الامور مع ذلك فى مجارحسنه . فاجتزنا هرفيه ، وكان الفندق الذى أقمت فيه والمحطة قد احترقا . وعندما بلغنا التخم الالماني وقف سواق الاتوموبيل فجأة وصرح لى بانه لايستطيع أن يتجاوز هذه الغايه . و بفضل عدة وسائل نقلية اخرى وصلت متأخراً فى جنح من الليل الى ايكس لاشابيل ومعى الجندى البلجيكى . فاستقبلت فى فندق الاتحاد كاني قادم من عالم الاموات . ووجدت امتعتى مع الجندى مراسلتى رودولف بطرس الذى لبث أمينى مدة ست سنوات طوال . وكان اقصى مطمعه حصوله على وسام الصليب الحديدى . ومع ذلك فما استطعت أن احقق سؤله لان مثل هذا العمل يخالف

مبادئي . فالتهمت الطعام في ايكس لاشابيل بسرعة ثم خففت تحت اذيال الدجى الى الامام باحثا عن الالويه . وظللت حوالى ٩٠ ساعة لم أطرح عن جسدى أرديتى . والتقيت من قبيل المصادفة بالآبى القديم الذى كان قد أبحر بسرعة شديدة ونزل الى الشاطىء البلجيكى ليشرع فى الهجوم من جهة ليبيج ليكون كنجدة للقوى المقاتلة هنالك . وكانت القيادة العليا فى برلين مصابة بالمثل بسوء الاعتقاد فى نجاح عملنا .

ان موقف جنودنا فى ليبيج كان فى منتهى الحرج . وكنت فى قلق عظيم لاجل هـذا الأمر . الا ان حسن الطالع جعل العدو يلتزم جانب الجمود .

ان وصف بقية الحوادث التى تتابعت ازاء ليبيج مما يدخل فى اختصاص التاريخ . ولم تسمح لى المقادير بالاشتراك فى تلك الاعمال الا ما كان مختصا منها بالاستيلاء على حصن بونتيس والا أن اشاهد سقوط حصن لونسن . وسبب سـقوط هـذا الحصن اصابته بمقذوف من مدافعنا عيار ٤٢٠ ملليمترا . فالتهبت النـيران فى أماكن الذخائر التى انفجرت بشدة هائلة قضت على سائر وسائل التحصين . وخرج من تحت الانقاض المتداعية جنود بلجيكيون اكتست وجوههم مسحة من السواد وكذلك خرج من تحتها جنود المانيون كانوا قد أسروا فى الليلة الواقعة ما بين ٥ و ٦ اغسطس فرفعوا أيديهم وقد تلطخت ثيابهم بالدماء المتدفقة من أجسادهم وأخذوا يصيحون : « لا تقتلوا ! لا تقتلوا ! » وبما اننا لسنا من الهون (قوم متوحشون اغاروا على اوربا فى القرن الخامس) فقد سارع جنودنا بحمل الماء الى أولئك البائسين فنضحوا وجوههم وأرووا ظماءهم .

وشرعت الحصون تسقط بين أيدينا واحداً فرحـدا وفى أوقات متقاربة تمكن الجناح الايمن من الجيش الالمانى من اجتياز نهر الموز والتقدم

بحرية في البلاد البلجيكيه . وحينئذ شعرت براحة عظيمه .

ولقد اعتبرت اشتراكى في حركة الاستيلاء على لييج كعناية خاصة من القدر لانني كنت في زمن السلم قد اشتركت فى وضع مشروعات الاستيلاء عليها فلما جاء وقت التنفيذ كنت متشبعا بكل مايلزم لهذا العمل الهام . وأنعم علي صاحب الجلالة الامبراطور بوسام « الجدارة » لاجل توفقى فى ادارة حركة اللواء أثناء هذه الحملة ، و بالطبع استلم القائد فون اميخ هذا الوسام قبلى لانه كان الرئيس المسؤل . والاستيلاء على لييج عمل جليل اشترك فى اتمامه عدة رجال آخرون لهم الحق فى مشاطرة مجد التسلط على هذا المعقل المنيع .

وقضيت بقية مدة الزحف فى بلجيكا بصفتى رئيس معسكر الجيش الزاحف . وعنت لى الفرصة التى سمحت بدرس كل دقائق التموين ، وهذا الدرس ساعدنى على القيام باعباء وظيفتى خير قيام فيما بعد عندما صرت رئيس أركان حرب . وساعدنى الوقت على المرور ببلدة اندين : فرأيت فيها ذلك المنظر الرهيب المؤثر الذى يرسم أشكال التخريب والتقتيل التى أحدثتها حرب الافراد .

وكذلك حضرت فى ٢١ اغسطس عبور نهر السامبر من غرب نامور ، والفرقه الثانية من الحرس هى التى قامت بهذه الحركة . ولقد كان منظراً مؤثرا فى النفس أن يرى المرء أولئك الفتيان الاشداء صباح الوجوه المتألف منهم آلاى اوجوستا يتقدمون بعد العبور بقلوب كالصلب الى الهيجاء .

و فى صبيحة ٢٢ اغسطس استلمت امر استدعائى الى الميدان الشرقى

رئيس اركان حرب الشرق

من ٢٢ اغسطس ١٩١٤ الى ٢٨ اغسطس ١٩٢٦

تانينبرج

— ١ —

ان الكتابين الواردين الي من القائد فون مولتك والقائد فون ستاين اللذين ينبئاني بانتدابي رئيس اركان حرب الجيش الثامن الخيم في بروسيا الشرقية ويستدعياني الى المعسكر العام الاكبر في كوبلنس وصلا الى يدى في الساعة التاسعة صباحاً من يوم ٢٢ اغسطس وانا في المعسكر العام للجيش الثاني في منتصف الطريق الكائنة ما بين وافر ونامور . وقد اسلمهما الى اليوزباشي فون روخوف .

اما القائد فون مولتك فكتب الي ما يلي :

« لقد اسندت اليك مهمة جديدة شاقة ، وربما كانت اصعب من مهمة الاستيلاء على لييج . . . انني لست اعرف شخصا يمكنني ان اوليه تمام الثقة كما اثق بشخصك انت . فربما ستتلافى الحالة في الشرق كما تلافيتها هنا . لا تؤاخذني اذا ما انتزعتك من مركز لا يلبث العمل الحاسم فيه ان يتم في اقرب وقت ان شاء الله . فمن الواجب عليك ان تقدم هذه التضحية لاجل الوطن . وكذلك الامبراطور له ثقة بك . وبالطبع انك لن تقع عليك تبعة ما حدث هنالك . ولكن ربما تؤدى شجاعتك الى تلافي ما يعسر الآن تلافيه . فتقبل اذن هذا التعيين المقرون باعظم ما يمكن ان تطمح اليه نفس الجندي الباسل . وآمل ان تحقق الثقة التي صار

توجيهها اليك . »

واما القائد فون ستاين الذى كان اذ ذاك رئيس المعسكر العام والذى صار فيما بعد وزير الحربية فقد انهى كتابه بالكلمات الآتية .

« فمن الواجب عليك اذن ان تسافر . ان مصلحة الدوله التى تقتضى ذلك . ان هذه مهمة عسيرة الا انك ستتغلب عليها فى النهاية . »

وعلمت عدا ما تقدم من اليوزباشى فون روخوف ان القائد فون هندنبورج قد تعين قائدا عاما غير انه ليس معلوماً اذا كانوا سيجدونه واذا كان سيقبل هذا المنصب .

ولقد فخرت بالمهمة التى اسندت الي حديثاً و بالثقة التى احرزتها بموجب هذين الكتابين . وقد استخفنى الطرب من جراء اعتقادى باستطاعتى فى احرج المواقف وفى المكان الذى يقتضى عملا حاسماً ان اكون مفيدا لامبراطورى ولجيشى ولوطنى . ان حب الوطن والولاء للملك والتشبع بفكرة القيام بالواجب وان كل امرىء انما يعيش لاجل الاسرة ولاجل الدولة كانت هى كل ما ورثته من البيت الابوي . ان ابوي لم يكونا غنيين . واخلاصهما للعمل لم يكسبهما سعة العيش وتوفر المال . ومع ذلك فقد كنا بفضل الاقتصاد العظيم فى مطالب الحياة نتمتع مع البساطة التامة بعيشة اهلية سعيدة مشمولة بالتمازج والوفاق ولم يكن لابى وامى سوى فكرة واحدة يشتركان فيها وهى : تربية اطفالهما الستة . وانى لاعبر لهما هنا عن اعترافى بجميلهما .

وحاولت وانا لاازال ضابطاً يافعاً ان اعمل لاستفيد من عملى . الاان رجائى من الحياة لم يتحقق . وطفقت اقضى معظم اوقاتى فى ويزين وفى ويلهلمسهافن وفى كييل وانا ملتزم غرفتى بصفتى ملازماً فى تلاوة الكتب التاريخية وتواريخ الحروب والجغرافية . فاخذت معلوماتى المدرسية تزداد

نموا واتساعا . واصبحت فخوراً بوطني وبرجاله العظماء . واعظم ما اجللته في بسمارك قوة شخصه وشدة تصميمه على ادراك امانيه . وارتسم عمل اسرتنا المالكة لاجل عظمة بروسيا الالمانية في ذاكرتي بوضوح تام . واصبحت يمين الولاء التي آليتها لهذه الاسرة شعورا قويا قائما على اساس الإخلاص وتضحية النفس . وبدت لي أهمية جيشنا واسطولنا العظمى في سبيل سلامة وطننا الالماني الذي ظل على الدوام ساحة قتال اوربا وكلما توسعت في تصفح كتب التواريخ ازدادت هذه الاهمية خطارة في نظري . وبالقاء النظر على ما حولي كنت ارى عظمة وجسامة العمل السلمي الذي قام به وطننا في سبيل المدنية وفي سبيل الانسانية .

وكان اول نشاطي في الاعمال اللازمة لمصلحة الجيش خاصة في عام ١٩٠٤ حينما تعينت في شعبة تخطيط الاعمال الحربية التابعة لهيأة اركان الحرب الكبرى . وانتهت مهمتي في هذا الصدد بتوسطي لفتح اعتماد خاص لتنظيم الجيش بمليار مارك .

ولبثت مدة طويلة وانا مرشح في حالة التعبئة العامة لان اكون رئيس مكتب الاعمال الحربية في المعسكر العام الاكبر . وهذا الترشيح انتهى بالطبع على اثر تعييني قائد آلاي في دوسلدورف . فصارت بعدي حقلا خلفي في هيأة اركان الحرب الكبرى . وكنت ارى اهمية ترشيحي في حالة التعبئة لان اكون وانا في وظيفتي الجديدة رئيس معسكر الجيش الثاني منحصرة في مسألة الإستيلاء على ليبيج من غير ان اجد فيها ما يجتذب النظر بنوع خاص اكثر من ذلك .

وقد اشتركت في عدة سياحات قامت بها هيأة اركان الحرب تحت اشراف القائد فون مولتك الذي وعدني بأن ارى كيف تكون الحرب الكبرى . ان مركزي الحديث اتاح الفرصة التي اظهر فيها اذا كنت سأحقق ولو في دائرة

صغيرة آراء الاستاذ الاكبر لهيأة اركان الحرب العامة القائد الكونت فون شليفين . ليس للجندي ان يؤمل زيادة في الفائدة من وراء الحرب . واني لشديد الاسف لان هذا المركز اسندالي في وقت عصيب على الوطن.

فكل كياني الخاص ونفسي الالمانية كانا يشجعاني على العمل .

وبعد ربع ساعة كان الاتوموبيل يطوى بي بساط الغبراء منطلقاً الى كوبلنس . ومررت بمدينة وافر . ولقد رايتها في اليوم السالف مدينة لطيفة وهي اليوم تلعب فيها السنة النيران . وهنالك ايضا وجدت الاهالي مشتركين في الكفاح . وبهذه الطريقة ودعت بلجيكا .

وفي الساعة السادسة مساء صرت في كوبلنس . وفي الحال زرت القائد فون مولتك الذى لاح لي انه متعب . ومنه علمت حقيقة الحالة في الميدان الشرقي . ذلك ان الجيش الثامن هاجم في يوم ٢٠ اغسطس في جهة جومبينن جيش النيمن الذى يرأسه رينكامف . وعلى الرغم من احرازه بعض الانتصارات الفنية فلم يتتوج الهجوم بالظفر النهائي . فاضطر الجيش الثامن حينئذ الى الكف عن مواصلة القتال . ومن هذه الآونه اصبح هذا الجيش متراجعاً ما بين بحيرة ماوير والبرجيل . فصار ارتداده من جهة الغرب الى ما وراء الاجيراب ومن شمال البرجيل الى ما خلف الدايم اي الى خط الدفاع الأمامي عن معقل كنيجسبرج واقتضى نقل العرضي الاول بواسطة السكة الحديد من المحطات الكائنة في غرب انستربورج الى جوسلرسها وزن ليكون تحت تصرف ذلك الجيش وصار نقل الفرقة الثالثة الاحتياطية من انجيربورج الى اللنستاين . هو هنستاين لتقوية العرضي العشرين .

وكان خط البحيرات ضعيف التحصين ومع ذلك فقد ظل من نيقولايكن الى لوتزن تحت سلطتنا . ولم يسق العدو الى هذا الخط سوى قوى هزيله .

وكان القائد فون شولتز رئيس العرضي العشرين هو الذي يتولى القيادة فى التخم الجنوبى من بروسيا الشرقيه . وقد حشد فرقة وكذلك اللواء السبعين من اللاندويهر وعناصر من حامية تورن ومن حاميات حصون اخرى قائمة على نهر الفيستول فى جهة جيلجنبورج و فى الشرق حيث أخذ يقاتل بلا انقطاع جيش الناريف الروسى المحتشد تحت امرة سامسونوف . وقد اصيب فى هذا النزال بضغط شديد .

فكان الواجب الاعتماد على تقدم جيشي العدو على التوالى من جانبي سد البحيرات . وقال لى القائد فون مولتك ان الجيش الثامن عازم على اخلاء الاراضى الواقعة شرق الفيستول . والمعاقل هي التى ستظل محتفظة بقواها وستدافع عنها هذه القوى . وقد صمم الجيش الثامن بدون ادنى شك على التزام هذه الخطة على اعتقاد ان النصر الحاسم سيتم قريبا في الميدان الغربي واذ ذاك يمكن ارسال نجدات تساعد على استعادة بروسيا الشرقية والتغلب على العدو فى اراضينا وهذا النوع من العمل الحربى كان يتكلل غالبا بالفوز فى خلال التمرينات العسكرية التى كانت تحدث تحت اشراف القائد الكونت فون شلييفين فاذا تم الظفر النهائى في الغرب فأن الجيش الثامن يكون له حظ الاحتفاظ بقواه ليناجز العدو فى وقائع آتية ولكن مثل هذا القرار لا ينظر فيه الى حقيقة ما يجرى في ميادين القتال ولا الى التبعة الهائلة المترتبة على التخلى للعدو عن ارض المانية . ان هذه الحرب العالمية قد القت على الانسانية درسا جديدا فى ضروب البأساء التى تعانيها البلاد المكتسحة حتى لو كان القتال متبعا اعظم طرق الرحمة والشرف . وبعد اظهار الطريقة التى اتبعت فى الحوادث الجارية فى الشرق يمكن القول بأن التراجع الى ما وراء الفيستول مؤد الى نكبه . فنحن اذن لن نتمكن من الاحتفاظ بخط الفيستول ازاء القوات الروسية المتفوقة ،

أو على الاقل لن نستطيع بالمثل أن نساعد الجيش النمسوي فى بحر شهر سبتمبر. ولهذا السبب فان الجيش النمسوي اصبح مهدداً بتداعى اركانه. فالموقف الحربي فى الشرق على هذه الصفة التى علمتها عنه بالتأكيد في شدة الحرج الا انه لا تزال توجد اوجه احتمال لتلافي هذا الموقف .

فبناء على طلبي صدر الامر فى الحال الى الشرق بوقف حركة الارتداد التى تقرر أن يقوم بها فى ٢٣ الجارى السواد الاعظم من الجيش الثامن . وصار من الضروري ان يستريح العرضى الاول من احتياطي حصن كونجسبيرج ولا ينبغى ان ينزل العرضي الاول من الجيش العامل فى جوسلرسهاوزن بل على مقربة من القائد فون شوالتز فى جهة دويتش ايلاو . وكل العناصر التى لا تزال مستعدة للقتال من حاميات تورن وكولم وجراودنز وماريئبورج يجب نقلها الى جهتي ستراسبورج ولا وتنباخ . وهـذه الحاميات تتألف من فصائل اللاند ويهر ومن اللاندستورم . وبهـذه الطريقة تشكل فى القسم الجنوبي الغربى من بروسيا الشرقية مجموع جيش قوي . وبهـذا المجموع يمكن اتخاذ خطة الهجوم بينما يستمر مجموع الشمال على القتال وهو منسحب فى اتجاه الجنوب ليشتبك فى الكفاح مع جيش النار يف . واما ما يمكن اتباعه من العمل فلا يمكن تقريره نهائيا الا فى مكان العمل . ولا يتأتى للروسيين ان يفلتوا من هذه الخطة بل لابد ان يلتحموا معنا فى ميدان الصراع . والشيء الواضح الذي يتبادر الى ذهن كل ضابط من اركان الحرب الانتفاع من انفصال كلا جيشي العدو عن الآخر .

وكذلك قابلت جلالة الامبراطور . وكان جلالته اذ ذاك هادئاً مطمئنا . وأخـذ يتكلم بصوت قوي عن الحالة الحربية فى الشرق معرباً عن اسفه الشديد لرؤيته قسما من الوطن الالماني معرضا لاغارة العـدو . وكان اكبر همه ما يكابده رعاياه من الآلام والاهوال . وانعم على الامبراطور

بوسام « الجدارة » الذي انا احرزته لاجل العمل الذي قمت به في ليبيج ووجه الي عبارات الثناء . وساظل طول حياتي حافظا اجمل ذكرى ممزوجة بنشوة الطرب و بالافتخار لهذا الشرف الجليل المجيد .

وفي الساعة التاسعة مساء ركبت القطار الخاص المعد لنقلي من كولونيا الى الشرق .

وقبل ارتحالي بقليل علمت ان القائد فون هندنبورج قبل أن يتولى القيادة العامة فى الميدان الشرقى وانه سيركب هذا القطار من محطة هانوفر فى الساعة الرابعة صباحا . وعندما وصل القطار الى هانوفر كان القائد فى المحطة . فخففت الى لقائه وتعريفه نفسي . وكانت هذه المرة الاولى التى تقابلنا فيها . وكل الاقاويل التى تداولتها الالسنة فى هذا الصدد تدخل فى سلك الاقاصيص الخرافيه .

وعرضت عليه الحالة فى الشرق بايجاز ثم اضطجعنا

وفى الساعة الثانية بعد الظهر يوم ٢٣ اغسطس وصلنا الى مارينبورج حيث كانت هيأة اركان الحرب في انتظارنا . وكان موقف الجيش قد تحسن . اذ صار العدول عن الارتداد الى ماوراء الفيستول . وأول ماوجب الاهتمام به على أثر التغيير الحديث هو الاستيلاء على الباسارج . فتمكن القائد جرونيرت رئيس معسكر الجيش الثامن والليوتنان كولونيل هوفمان من القيام بهذه المهمه .

وكان استقبالنا فى مارينبورج بمنتهى الفتور . فحسبت نفسى فى عالم آخر : فقد انتقلت فجأة من ليبيج وذلك التقدم السريع فى الميدان الغربى الى هذا الجو المشوب باكدار القلق والاضطراب . غيران التطور لم يلبث ان تم هنا بسرعه . فعادت الثقة الى النفوس . وتحولت الحياة فى دائرة ركان الحرب الى ماوصفتها به فى مبدأ هذا الكتاب .

— ٢ —

لقد سألني القومندان فالديفيا الملحق العسكرى الاسبانى البارع في ميدان القتال أثناء اكتوبر ١٩١٤ عند زيارته الاولى معسكرنا فى بوزن عما اذا كانت معركة تاننبيرج حدثت بموجب خطة محكمة وضعت بروية وتدبر فى مدة طويله . فكان جوابي كلا . فدهش من هذا الامر لانه وكثيرين سواه يظنونها خطة مدبرة من قبل .

لقد تم حشد قوى كبيرة فى زمن كاف . وذلك لان معارك المواقع المحصنة يقتضى مثل هذا الاستعداد . ففى الحرب المتحركة وفى معركة الحرب المتحركة تتتابع الآراء فى فكر القائد العام بسرعة تتابع الحوادث ازاء عينيه . فليس له فى مثل هذا المقام سوى الاعتماد على حكم الشعور : وحينئذ تتحول المهنة العسكرية الى فن .

ان الفكرة الاساسية للمعركة اخذت تتكون شيئاً فشيئاً بتفاصيلها فى المدة الواقعة ما بين ٢٤ و ٢٦ اغسطس . وكان الأمر الجوهري هو معرفة ما اذا كان فى الامكان بالتأكيد ابعاد العرضى الاول من الاحتياطى والعرضي السابع عشر من الجيش العامل عن جيش رننكامف للتمكن من جمع الاجزاء الاخرى من الجيش الثامن وتوجيه ضربة قوية الى جيش النار يف . ان هذا الامر يتوقف على ماسيتخذه رننكامف دون سواه فاذا عرف كيف يستفيد من الفوز الذى احرزه في جومبينن وزحف بسرعة فان مشروعنا يصبح مستحيل التحقق . فلم يبق اذن سوى سوق العرضي الاول الاحتياطى والعرضي السابع عشر العامل الي اتجاه الجنوب الغربي نحو ورمديت بينما يكون المجموع الآخر من الجيش الثامن يناوش جيش الناريف ليشغله الى ان يتم الترتيب المقصود واذ ذاك يصيبه بضربة تلجئه الى الادبار . وكذلك لم يكن من المستطاع القيام بدفاع قوى على

خط ثابت شرق الفيستول وانما يمكن اعتبار الدفاع فى هذا الخط بمثابة مشاغلة وقتية للعدو .

واخذ يتضح بالتدريج ان رننكامف لا يزحف الا ببطء شديد . وعلى اثر ذلك استطاع العرضيان اللذان كانا يتراجعان تقريباً الى خط بارتنستاين جرداون ان ينعطفا بوضوح نحو الجنوب فى اتجاه بيشوفسبورج ونايدنبورج . وصار نقل العرضي السابع عشر أولا تحت حماية الفرقة الأولى من الخيالة والعرضي الأول الاحتياطي من طريق شيبنبايل الى بيشوفستاين فى الجنوب . وبعد ان انساب خلف العرضي الأول الاحتياطي وتقدم من بنشوفستاين الى بيشوفسبورج انحدر العرضي الأول الاحتياطي فى دوره الى الجنوب مستديراً حول شيبنبايل فى اتجاه سيبورج . فلم يثبت فى خط القتال الممتد امام رننكامف سوى الفرقة الاولى من الفرسان المستقرة فى شيبنبايل وفى الجنوب . على ان لواءها الأول صدر اليه الامر كذلك فى ٢٦ اغسطس بالتحرك من روسيل الى سينسبورج . وعلى ذلك لم يكن موجوداً فى ٢٧ اغسطس سوى لواءين من الخيالة ما بين بحيرة ماور ونهير البريجيل قبالة ٢٤ فرقة قوية من المشاة وعدة فرقة من الخيالة وهي القوى المؤلف منها جيش رننكامف . فسد البحيرات مفتوح من جهة الشرق ومن الممكن تحويله فتصبح كونيجسبيرج منعزلة بسهولة .

ولقد كان تقرير البدء فى انشاب المعركة نتيجة التباطؤ الذى اظهرته القيادة الروسية فى تحريك جيشها ، وكان الباعث على هذا القرار الامل فى الانتصار على الرغم من قلتنا العددية ، فالقرار اذن فى منتهى الخطورة.

وبمقتضى هذه الخطة اصبحت الفيالق متحركة خلف جيش النار يف الذى كان يزحف من نايدنبورج على اللنستاين . وكانت هي نفسها جاعلة جيش رننكامف خلف ظهورها بدون ان يكون لها وقاء امذ كوراً

منه في حين انها على مسيرة يومين او ثلاثة ايام من مستقره . وكان جيش رننكامف يلوح في الشمال الشرقي بقوته الهائلة كسحابة سوداء تتبعها العاصفة عند ما نشب القتال في ٢٧ اغسطس على طول امتداد الساحة وبأشد ما يكون احتداما لا لينتهي في يوم واحد كما كان شأن الحروب في الاوقات السالفة بل ليستمر الى يوم ٣٠ . ومع ذلك فان جيش رننكامف لم يتعد خط اللنبورج جيرداوبن تايد نبورج و بذلك استطعنا ان نحرز انتصارا باهرا .

وقلما يمكن تصور القلق الذي كان يساورني في غضون هذه الايام الطوال وانا ارقب حركات وسكنات جيش النيمن عن بعد .

وليتمكن العرضي السابع عشر العامل والعرضي الأول الاحتياطي من القيام بعملهما بمنتهى الحرية والمقدرة حدث عفوا أن بقية الجيش الثامن اضطرت الى ان تباشر الهجوم هي بالمثل . مع ان الذي كان مرسوما من قبل لهذا المجموع من الجيش الثامن الا يتخذ خطة الهجوم .

وبعد ان وصلت النجدات الى العرضي العشرين العامل مرت عليه ايام عسيرة انهكت قواه . فقد كان في يوم ٢٣ معتليا القمم المحدقة بالجهة الشمالية الشرقية من جيلجنبورج جاعلا جبهته في اتجاه الجنوب في حين ان العدو كان زاحفا من نايدنبورج اي من الجنوب الشرقي . وكانت الفرقة الثالثة الاحتياطية لا تزال تتجمع غرب هوهنستاين . والعرضي الاول العامل قد بدأ ينحدر بالتدريج من القطارات التي تنقل وحداته الى دويتش ايلاو . وقد نجح القائد فون شولتز في رد قوى الاعداء المتفوقة الا انه اضطر مع احتفاظه بالقمم التي يحتلها غرب جيلجنبورج الى اجتذاب جناحه الايسر بسرعة الى الجهة الكائنة غرب هوهنستاين الى امتداد ينتهي عند موهلن . وهذه الحركة مع كونها شاقة على الجنود

الا أنها افادت جدا : فقد حسب الروسيون انفسهم ظافرين . ولم يدر في خلدهم اذ ذاك ان الالمانيين سيقاومون فلم ينتظروا منهم بالاحرى ادنى هجوم . ورأوا طريق البقاع الالمانية مفتوحة امامهم شرق الفيستول .

وفي يوم ٢٤ صرنا على مقربة من القائد فون شولتز . والتقينا معاً في تاننبيرج . وقد جعلا هو ورئيس اركان حربه الكولونيل هيل اسميهما مجيدين خالدين بما اتياه من الاعمال الجليلة في اثناء هذه الحرب .

وقد وصف لنا القائد فون شولتز شرحا وافياً دقيقاً الاعمال الحربية الجسيمة التي قامت بها الجنود المجتمعة تحت امرته من مبدإ الحرب وما عانوه من الاهوال التي لم يسمع بمثلها في الوقائع الاخيره . وكان يعتقدان العدو سيوالي ضغطه عليه الا انه كان قوي الأمل في الثبات والتغلب على مجهود العدو .

وفيما نحن نسير في الطريق الموصلة من مارينبورج الى تاننبيرج اذا بنا نلتقط اشارة جوية مرسلة من العدو اطلعتنا على بيان واف جداً عن الوسائل المقررة للايام التاليه. وكان جيش النار يف يتقدم بالتدرج نحو اليسار مع العرضي الثاني العامل الزاحف من اور تلسبورج الى بيشو فسبورج التي يمكنه ان يبلغها او يتخطاها في ٢٦ منه ومع العرضي الثالث عشر العامل الزاحف من نايد نبورج عن طريق باسنهايم الى الليبنستاين . ثم يجيء فيما بعد العرضيان الخامس عشر والثالث والعشرون العاملان اللذان قاتل بهما القائد فون شولتز العدو في هذه الايام الاخيرة وكانت آخر مرحلة لهذه العرضيات بلغت في يوم ٢٦ جهة وابليتز الكائنة في الجنوب الاقصى. واقصى مراميها في الخلف نحو اليسار مع الاتجاه في سمت الغرب ، وشرع العرضي الأول العامل يتقدم عن طريق ملاوا وسولداو مستوراً ببعض فرق من الفرسان من جهة لاوتنبورج وستراسبورج .

وكان من المهم مباغتة حركة العدو التى يجارينا بها بمهاجمته من الغرب بمجموعة الجيش الثامن الكائنة فى الجنوب . وهذا المشروع يصير قويا اذا امكن الالتفاف فى الوقت نفسه بسولدوا من الجنوب للاحداق كذلك بالعرضي الأول من الجيش الروسي . فهزيمة جيش الناريف المتوقع حدوثها لدى زحف العرضيين السابع عشر العامل والأول الاختياطي الالمانيين يمكن حينئذ ان تنقلب الى انحلال عام . الا ان قوانا لم تكن كافية لاتمام مثل هذا المشروع . فاقترحت اذ ذاك على القائد فون هندنبورج الهجوم بالعرضى الاول العامل عن طريق ايلاو ومونتوفو وبالجناح الايمن للعرضى العشرين العامل الواصل اليه مدد حديث عن طريق جيلجنبورج على ارسداو والقاء العرضى الاول الروسى فى اتجاه الجنوب الى سولداو . وعلى أثر ذلك يندفع عرضينا الاول العامل في اتجاه نايدنبورج ليحدق على الاقل بقلب جيش الناريف وهو متصل بالعرضى السابع عشر العامل والعرضى الاول الاحتياطى . فلم يبق علينا الا نعرف كيف ننفذ مشروعاتنا لنفوز بقصدنا .

ولقد ارجىء هجوم العرضيين العاملين الاول والعشرين الى يوم ٢٧ . وكنت احب ان اراه مبتدئا قبل هذا الموعد غير ان الفليق الاول العامل لم يكن قد استعد بعد لان فرع السكة الحديد الذى يخترق بروسيا الشرقية اصيب بعطب بالغ . ولهذا السبب صمم القائد فون فرانسوا المتولى قيادة العرضى الاول العامل على الا يشرع فى الهجوم قبل ان يصير عرضيه باكمله تحت تصرفه .

على ان الامور لم تجر باجمعها فى مجاريها الحسنة كما يوضحه هذا الشرح الوجيز . فان كل الوحدات اصيبت باضرار جسيمة ومتاعب عظيمة وقد اعترى اعدادها نقص فادح من جراء الوقائع المتتالية التى لبثت تخوض

غمارها . ونهضت عقبات متعددة فى سبيل الاوامر المرسلة الى العرضي الاول الاحتياطى والعرضي السابع عشر العامل . ولبثنا نحن فى انزعاج من حملات شراذم الفرسان المعادين . بل لقد طفقنا نتساءل اذا كان العدو سيدع لنا من الوقت ما يسمح بتنفيذ مشروعاتنا .

وقد احرجنا الاهالى المدنيون الفارون من وجه العدو بنوع خاص لانهم كانوا متجمعين خلف مجموعة القائد فون شولتز . وكانوا يعدون بالآلاف مشاة و فى المركبات وهم يسدون منافذ السبل . وظلوا ملازمين الجنود . فلو حدث تراجع فجائي من مجموعة هذا الجيش لنجم عنه مصاب هائل يلحق بالاهالي وبالجنود فى آن واحد . الا انه لم يحدث شيء من ذلك . ولم يكف رجال الجندرمة القلائل لتصريف هذه الامواج المتلاحقة فصار من المحتم تركها تسير كما تشاء . ولقد بقيت من تلك الايام ذكريات مؤلمة ماثلة فى ذاكرتي

— ٣ —

وقضى معسكرنا العام يومي ٢٤ و ٢٥ اغسطس فى روزنبيرج ويوم ٢٦ فى لوبار . ولقد استخدمنا يومى ٢٥ و ٢٦ في الاختلاط برؤساء الوحدات وبالجنود .

وقد صار الموقف فى مساء ٢٦ كالآتى :

القائد فون موهلمان — الملحق بالعرضى الاول العامل — ومعه عناصر من حاميات حصون الفيستول فى لاوتنبورج وستراسبورج وهو محتك بخيالة العدو احتكاكا شديداً . والعرضي الاول العامل نفسه محتشد في مونتوفور فى الجنوب وقد اخذ يقترب مع موالاته الـكفاح من اوسداو

وقد التحم اشد التحام مع العرضى الاول الروسى . والقائد فون فرانسوا متهيء للاستمرار على الزحف فى يوم ٢٧ .

وعهد الى الجناح الايمن للعرضى العشرين المعضد بقوى اخرى ان يهاجم اوسداو من جهة الشمال وان ينضم بعد ذلك الى العرضى الأول ليستمرازاحفين على نايدنبورج . ووجب على الفرقة ٤١ من المشاة التقدم من جاردينن الى وابلينز وعلي يسارها لواء من اللاندويهر ، وكذلك الفرقة الثالثة الاحتياطية والفرقة ٣٧ من المشاة تهاجمان عن طريق موهلن في اتجاه الشمال وابلينز وهو هنستاين . وبهذه الطريقة صار الاشتباك مع العدو على طول الجبهة : واللنستاين صار احتلالها بالمثل .

وكانت فرقة فون درجولتز اللاندويهرية التى جعلها المعسكر العام الاكبر تحت تصرفنا لاتزال قادمة الى اوسترود وبيسيلين . وقد جاءت من سليسنفيج هولستاين حيث بقيت محافظة هنالك الى هذا الوقت على القناة والشواطىء . فوجب عليها ان تكتسح هوهنستاين من الشمال الغربي .

وفى ٢٦ اغسطس بلغ العرضى الاول الاحتياطى جهة سيبورج ، وحمل العرضى السابع عشر العامل على لاوتزن وبوساو فى شمال بيشوفسبورج فاشتبك بفرقة من العرضى السادس الروسى وقذف بها فى اتجاه بيشوفسبورج وخاض المعركة بنجاح اللواء السادس من اللاندويهر الذى اقترب فى يومي ٢٤ و ٢٥ من لوتزن حتى صار فى الجهة الشمالية الغربية من بيشوفسبورج .

وصار من المحتم الهجوم على اوسداو فى الساعه الرابعة من صباح ٢٧ واردنا ان نشاهد هذه الوقعة الحاسمة التى يدور عليها محور المعركة الكبرى لنتمكن من الاشراف فى مراكز الكفاح على عمل العرضيين العاملين الاولا والعاشر الذى تم ترتيبه وصدرت به الاوامر من قبل .

وفيما نحن مرتحلون من لوباو الى جيلجنبورج وصل نبأ سار يفيد سقوط

أوسداو . فاعتبرت المعركة مكسوبة من هـذه الساعة . ولكننا لم نكن قد كسبناها بالفعل بعد . واذا كنا قـد حسبناها سقطت فان جنودنا لم تحتلها فعلا الا فيما بعد فى ضحوة النهار . واذ ذاك صار جيش الناريف مشطورا من الوجهـة الفنية . فقذف العرضي الاول العامـل العدو الى سولداو وتقدم هو الي نايدنبورج .

اما العرضى العشرون العامل فقد أصيب بخسائر فادحة ولهذا فان فوزه فى القتال كان اقل من سواه . ولم تتقـدم الفرقة ٤١ من المشاة الي جارديينن وبالجملة لم يحدث اى تقدم فى جهة الشمال .

واحتشدت فرقة فون درجولتز على مقربة من هو هنستاين .

والخلاصـة اننا لم نكن على تمـام الارتياح عـد ما تلاقينا بعـد الظهر في لو باو .

وعند وصولنا نمى الينا ان العرضى الاول العامل انهزم والبقية المتخلفة منه آخـذه فى الانسحاب الى مونتوفو . الا ان هذا النبأ كان غـير قابل للتصديق . فخابرنا المندوب الحربي الموجود فى محطة منتوفو : فافاد بانه يوجـد حقيقة جانب من جنود العرضى الاول العامـل وهم شارعون فى التجمع هنالك . غير انه ظهر فيما بعـد ان المسألة لاتتعدى حدان احـد الطابير الذى وجد نفسه في موقف حرج اضطر الى التخلى عن مركزه وكذلك كانت فصائل تجتاز لو باو بسرعة متجهة الى الخلف فاحدث مرورها بهذه الصفة شيئا من الاضطراب . لقـد بوغت الرئيس من كل الجهات في آن واحد . فلا بد له من اعصاب حديدية تتحمل هـذه الصدمات القوية . لقـد يذهب الظن بسهولة جدا الى ان الحرب ليست سوى عملية حسابية ذات نواتج عظيمة . على ان الحرب هى كل شيء سوى هـذه العملية الحسابية . وما هى الا تصارع القوى الهائلة المجهولة ما بين

طبيعية وأدبية مصارعة هائلة ذات مشقة عظيمة يزيد فى هولها مايعتور احد الجانبين المتكافئين من قلة العدد . وما الحرب الا تساند بين رجال متفاوتين فى متانة الخلق وفى الآراء المتباينة أشد تباين . وارادة الرئيس هى النقطة الوحيدة التى تتجه اليها الانظار فى وسط هـذا الاختلاف العظيم .

وخير لاولئك الذين ينتقدون القيادة ، اذا لم يباشروا القيادة بانفسهم اثناء الحرب ، ان يدرسوا قبل كل شيء التاريخ العسكري . وآمل ان يتهيأ لهم ان يديروا بانفسهم رحى القتال فى احـدى المعارك فان تزعزع المركز والمطالب الجسيمة المتتابعة بجعلهم ينوءون بفداحـة العبء و ... تحملهم على الغض من غلوائهم . ولا يوجـد سوى رئيس الحكومـة او الرجل النافذ امره فيها من تضاهيء تبعته ، عنـد اشهاره الحرب وهو على تمام العلم بما يترتب على اشهارها ، فى فداحتها ثقل التبعة الضاغطة على عاتق القائد . فأما تبعة الاول فهى واحدة وذات فداحة هائلة ، واما القائد فالتبعة رازحـة على كتفه كل يوم بل كل لحظة ، فهو يحمل أعباء مـلايين من الرجال بل اعباء شعوب باسرها . فليس ثمت ماهو اعظم من هذه المهمة لدى العـ سكرى ، الا انه لا يوجد بالمثل ماهو أصعب من تولى رآسة جيش او الاضطلاع بمهمة القياده العليا .

ونمى الى علمنا مساء فى ساعـة متأخره ونحن فى لوباوان العرضى الاول الاحتياطى بلغ فى زحفه وارتنبورج . واصيب العرضى السابـع الروسى بهزيمة تامـة امام عرضينا السابـع عشر العامل ونكص على اعقابه عن طريق اورتلسبورج . الا انه اخـذ يتجه مرة اخري إلى الجهة الجنوبية من بيشوفسبورج واقتفت آثاره قوات على شيء من الضعف في حين ان السواد الاعظم من العرضى السابع عشر خيم في

عشية ٢٧ بجهة منسجوت وفي شمالها .

ولم يبق علينا في ٢٨ الا ان نامر العرضي الاول العامل بالاستيلاء على تايدنبورج . على انه اتجه من تلقاء نفسه الى هـذه الجهة . ووجب على العرضي العشرين العامل ان يقوم بالهجمة المعهودة اليه في يوم ٢٧ ودفع الفرقة ٤١ من المشاة خاصة بسرعة شديدة الى الامام . ووجب على فرقة فون درجولتز اللاندويهرية ان تهاجم هو هنستاين . وتحتم على العرضي الاول الاحتياطي والعرضي السابع عشر العامل ان يرحفا في اتجاه الغرب الى الليبنستاين باسنهايم جاعلين جهة اورتلسبورج غطاء لهما .

وفى صباح ٢٧ ارتحلنا الى فروجيناو ونصبنامضاربنا في العراء عند مدخل القرية الشرقى . وكان القائد فون شولتز على مقربة منا . ومددنا خطا تليفونيا غير منتظم لايجاد رابطة بيننا والعرضى الاول العامل . ولم نتمكن من التخابر مع الفيالق الاخرى .

ولم تكن المعـلومات الاولى الواصلة الينا داعية الى الارتياح . لقد تم الاستيلاء على نايدنبورج . وهاجمت الفرقة ٤١ العاملة وابليتز الا انها ارتدت على اعقابها ، واصيبت بخسائر فادحه . وهى موجودة الآن فى الغرب وخوفها شديد من احتمال كر العدو عليها . فارسلت اليها ضابطا بالاتومبيل . فعاد الى منبئا بان حالة الفرقة لا تدعوا الى اليأس . وفرقة اللاندويهر الموجودة فى جهة موهلن لم تستطع التقدم . وموقف الجناح الايمن للعرضى العشرين فى هذه الجهة يصير حرجاً اذا هجم العدو بقواه المحتشدة هنا لك . وعلى الاقل تستغرق المعركة وقتا طويلا . وحينئذ يتسنى لرننكامف ان يزحف . الا ان العدو التزم الجمود ازاء الفرقة ٤١ من المشاة ولم يزحف جيش النييمن .

• وحلق اليوزباشي بارتنور فرمن هيأة اركان حرب العرضى السابع عشر العامل فى الجو حتى استشرف خطوط الاعـداء وآب منها بانباء

خسارة عن زحف عرضيه على مؤخرة العدو .

واستمرت الحالة تزداد تحسنا في مصلحتنا بعد ظهر ذلك اليوم . ففي غرب هو هنستاين استولت الفرقة الثالثة الاحتياطية ثم بعدها الفرقة ٣٧ من المشاة على اراض ودخلت فرقة فون در جولتز هو هنستاين . فبدأ حينئذ تزعزع جبهة العدو . واراد القائد فون هندنبورج ان يذهب بالاتومبيل الى موهلن . فوصلنا اليها في وسط الذعر القصير الذي تسبب من قدوم الاسرى الروسيين الذين يجيئون افواجا عديدة . وهذا الرعب احدث تأثيراً سيئاً وتردد صداه بقوة في المؤخرة .

وفي المساء مضينا الى اوستيرود . وكان الحكام الاداريون قد غادروا البلاد على اثر ما حدث من الامور السيئة الناجمة عن امر التعبئة . وكان هذا سببا في زيادة اضطراب الاهالي .

ولم نعلم بالتحقيق حالة كل فيليق على حدته ، بيد انه لم يكن ثمت أدنى شك في اننا كسبنا المعركة . والذي كان يستحيل ابداء رأي قطعي فيه هو ماذا كان هذا الانتصار تاماً نهائيا أو مقصوراً على هذه المعركة . وعلى كل حال فقد صدر الامر الى العرضي الاول العامل بارسال قوى الى جهة ويللنبيرج حيث يرتمى العرضي الثالث عشر بالمثل عليها . فقد اصبح من اللازم قطع خط الرجعي على الروسيين .

ووصلت انباء اخرى أثناء الليل تفيد ان العرضي الثالث عشر الروسي سار من اللنستاين الى هو هنستاين حيث ضغط بشدة على اللاند ويهر وكان العرضي الأول الاحتياطي قد بلغ الجهة الجنوبية الغربية من اللنستاين فأدى تقدمه الى التحام حلقة الحصر حول العرضي الثالث عشر الروسي والى انهاء المعركة ، بينما كان العرضيان الاول والسابع عشر العاملان الالمانيان يقطعان طريق القهقرى على عناصر روسية اخرى .

فصممت حينئذ على ان اذهب في صبيحة ٢٩ الى هو هنستاين لأوزع

منها الوحدات التي كانت تضغط عليها . واصبح من الواجب اعداد الاعمال الحربية اللازمة لمنازلة جيش رننكامف ، سواء اتقدم أم بقى في مكانه .

على ان حادثا جديداً كاد يوجد امامنا مشكلة اخرى تحول دون وثوقنا من احراز الفوز النهائي في هذه المعركة .

وذلك ان محلقة اعلنت فى صباح ٢٩ ان عرضيا روسيا آتيا من الجنوب اخذ يزحف على نايدبورج ويوشك ان يدنو منها . فهو متجه اذن الى ظهر الفيلق الاول العامل الذى كان مستقبلا الجهة الشمالية وهو مستمر على مكافحة الروسيين المتراجعين امامه . وفي الوقت عينه تقريبا وصلتنا مخابرة تلفونية من نايدنبورج تفيد ان قذائف من قبل الاعداء تسقط على المدنية وانتهت المخابرة عند هذا الحد . فأمرنا في الحال كل القوى المستعدة بالزحف في اتجاه نايدنبورج لتعضيد العرضي الأول العامل في الوقعة الجارية . الا ان القائد فون فرنسوا تلا في الأمر بنفسه مستعملا نشاطه ومهارته ، ولم يستفد العدو من حرج الموقف بسبب تردده وتخوفه .

وبعد اصدار الاوامر شخصت الى هوهنستاين . واجتزت فى اثناء سفرى مجال العراك وكان له تأثير شديد فى نفسى . وكان الاختلاط سائدا شرق هوهنستاين على صفوفنا والاسارى الروسيين الذين لا يدخلون في دائرة الحصر . ولم يكن ايجاد النظام بالامر الهين . وكان العرضيان الاول الاحتياطى والعشرون العامل منتشرين على طول الطريق الموصولة ما بين اللنستان وهوهنستاين . وعلى ذلك أصبح الجيش أو على الاقل عرضي منه تحت تصرفنا .

واصبحت المعركة وشيكة الانتهاء . وبلغ من شدة تغلغل الفرقة الثالثة فى جموع العدو الكثيفة انها وصلت الى موشاكن شرق

تا ينبورج . وحاول الروسيون المنهزمون عدة مرار ان يخترقوا دائرة الحصر الالمانية من جملة نقط . وظلت الوقائع دائرة بشدة وعلى الاخص حول موشاكن حتى تهيأ النصر المبين فى ٣٠ اغسطس .

وعلى أثر ذلك انتحر القائد سامسونوف . وقد ووري التراب من غير ان يعلم بأمره أحد على مقربة من ويلانبيرج . وقد استدلت زوجه من حلية ذهبية كانت لاتزال محفوظة في ثياب القائد وكان قد استبقاها معه تذكاراً لزوجه على قبره . وكانت قد حضرت الى المانيا لتستدل على زوجها من الاسرى .

وحمل القواد الاسرى الى اوسترود حيث عرضوا على القائد فون هندنبورج .

وعلمت اعداد الاسرى ومقادير الغنائم . وكانت اعداد خسائر الاعادى من قتلى وجرحى بالمثل عظيمة جدا . وقد انتشرت اشاعة فحواها ان الروسيين اندفعوا بالآلاف الى البرك والمستنقعات وغرقوا فيها بالآلاف وهذه الاشاعة مع شدة انتشارها لانصيب لها من الصحة لان هذه الجهة خالية من البرك والمستنقعات .

لقد حدثت معركة من ابدع ما عرفه التاريخ . وقد قاتل فيها جنود كانوا قد جاهدوا من قبل بضعة اسابيع ، واحيانا كان القتال فى غير مصلحتهم . والفضل فى نجاحهم النهائي يرجع الى طرق تعليمنا العسكرية فى زمن السلم . وستظل هذه المعركة عنوان مجد للقيادة وللجيوش وللضباط وللجنود بل للوطن الالماني باسره .

فالمانيا والنمسا هتفتا بتهليل الابتهاج . . بينما التزم العالم باسره السكوت ولقد اطلق على هذه المعركة كاقتراحى لقب معركة تا ننبيرج تذكاراً للوقعة التى سحق فيها جيشا ليتوانيا وبولونيا المتجمعان التشكيل التوتوني . فهل

يسمح الالمـانيون اليوم كما سمحوا فيما سلف للتوانيين وعلى الاخص للبولونيين ان يستفيدوا من ضعفنا ليعاملونا بالشده ؟ وهل ينبغى ان تمحي المدنية الالمانية التى مرت بها الاعوام الطوال ؟

على انني لم يستخفنى الطرب من نتائج هذا الانتصار العظيم ، لان القلق الذى كان يساورني من جانب جيش رننكامف احدث تأثيراً شديداً فى اعصابي . بيد اننا كنا فخورين على كل حال بهذه المعركة . فان اختراق قوى العدو والاحداق بها ناجمان عن قوة ارادة فى الانتصار لا تغالب وقد يسر لنا الظفر التدبر فى التحوط وعدم الاغترار بالظواهر . وعلى الرغم من قلة اعدادنا فى الشرق فقد استطعنا ان نواجه العدو فى المعترك بقوات تكاد تعادل قواه . واني لاوجه أفكارى وتشكراتي الى استاذى القائد الكونت فون شليفين .

وقد حمدنا الله القدير القائد فون هندنبورج وانا فى كنيسة اللنستاين البروتستانتية على ما اتاح لنا من الظفر ونحن فى أشد ما نكون من التأثر .

ولم أجد من وقتي دقيقة واحدة للراحه . فقد وجب على ان الم شعث الجيش واعده لمعاودة الطراد . وما أشق هذه المهمة التى تحتم الاستعداد للمعركة الجديدة فى الوقت الذى خرجنا فيـه من المعركة المنتهية . وكان لابد لنا من اخلاء هذه الجهة من الاسرى لان وجودهم عبء ثقيل امام قلق الموقف وعدم التأكد من النتيجة .

ووصل الي وسام الصليب الحديدى من الدرجة الثانية فحملته بافتخار . ولا يزال قلبي مفعماً حتى اليوم بالحبور من تذكر ليبيج وتاننبيرج . وقد قلت قيمة وسام الصليب الحديدى من الطبقة الثانية على طول مدة الحرب ، وهو أمر موجب للاسف الشـديد وان كان في منتهى البسـاطه . وعلى كل حال فان حمله كل شارة مجد وشرف .

— ٤ —

واستمر زحف الجيوش الالمانية الظافرة فى الساحة الغربيه . فارتأى المعسكر العام الا كبر استطاعته امداد الجيش الثامن بثلاثة عرضيات يقتطعها من الجبهة الغربيه . فوصل التلغراف المتضمن هذا المدد عند الابتداء فى معترك تاننبيرج . ثم سئلت فيما بعد اذا كان من المستطاع استبقاء احد هذه العرضيات . وبما اني لم اطلب مددا فقد كان من الطبعى ان اقبل استبقاءه . فلم يجيء اذن سوى عرضيين وهما عرضى الحرس الاحتياطى والعرضى الحادى عشر العامل ومعهما الفرقة الثامنة العاملة من الفرسان . وهـذا القرار القاضي بانتقاص قوة الساحة الغربية كان عملا غير محكم . ومن سوء الحظ اننا لم نكن ونحن فى الميـدان الشرقي ندرك مغبته . ان الانباء الواصلة عن الغرب كانت حسنة جدا . ولكن نقطة الحرج العظيم تنحصر فى اقتطاع الامداد التى ارسلت الى الشرق من الجناح الايمن الذى كان يجتهد فى ادراك النصر الحاسم ، ولم تؤخذ من الجناح الايسر الذى اصبح بعد معركة اللورين فى منتهى القوة . وقد ترك العرضي الثـالث الذى كان على وشك المجيء الى الشرق فى اللورين .

وقد صارت الحالة فى غاليسيا سيئة . فقد ترامى السواد الاعظم من الجيوش الروسية على النمسا وقهر جيوشها شرق لمبيرج . ولم يكن الجيش النمسوى فى بادىء الحرب آلة قتال ناجمه . ولو كانت لنا مقاصد ابتدائية حقيقية قبل نشوب الحرب لكنا الزمنا النمسا باصلاح جيشها . بل لاكملت هي من تلقاء نفسها خطوط مواصلتها الحديدية التى لا تكاد تفى بالحاجة الضرورية . وعلى كل حال فان هذه المسألة اصبحت حملا باهظا على كاهلنا وما التحالف الثلاثي الا تحالف سياسى فقط . وأما التحالف الفرنسوي

الروسي فكانت صبغته حربية بحته . فاستفاد منه خصومنا فائدة عظمى .

وكانت اتفاقاتنا المبرمة مع النمسا لاجل حالة الحرب المشتركة غير وافية بالغرض المقصود كذلك . وكان القائد الكونت فون شليفين يخشى نقض العهود كما حدث شيء من ذلك من احدى الدول . ولم توضع خطة اعمال حربية مشتركة الا بطريقة تحضيرية فظة خالية من كل فطنة . واحتشاد الجيش النمسوى فيما يلي الصان لم يكن قابلا للتحقق الا اذا شعر هذا الجيش بأن قواه متفوقة على الجيش الروسي وهذا ما كان يعتقده ضباط نمسويون عديدون او اذا استطعنا في الوقت نفسه ان نعبر النارين بقوة هائلة . وهذا ما لم يكن في وسعنا القيام به لان الاعتماد الذي فتح لنا لم يسمح لنا بالحصول على العرضيات الثلاثة التي كان قد وعدنا بها اركان الحرب العام . وفضلا عن ذلك ينبغي ان نحسب حساب خروج ايطاليا من صفنا في الميدان الغربي .

و بمقتضي اتفاقاتنا القديمة مع ايطاليا كان ينبغي ان تجتمع ثلاثة عرضيات ايطالية مع فرقتين من الخيالة في الالزاس بينما يكون سواد الجيش الايطالي مع قيامه بالدفاع عن الشواطىء محتشداً على مقربة من حدود فرنسا المتاخمة لايطاليا العليا . وفي الوقت عينه يقوم الاسطول بمهمته قطع موصلات فرنسا مع مستعمراتها الكائنة في شمال افريقيا . وقد بقي الاعتماد على هذه الاتفاقات مدة من الزمن ، ثم صارت مهملة . وبناء على رغبة رئيس اركان حرب ايطاليا القائد بوليو صار الاهتمام بدرس وسائل اخرى .

وقد مات القائد بوليو في صيف ١٩١٤ قبيل نشوب الحرب بايام معدودة . ولم تحتج فرنسا لابقاء جندى واحد على تخمها الجنوبي الشرقي . بل تهيأ لها ان تشغل كل جنودها بمقاتلتنا ، لعلمها حق العلم بان ايطالية

ابن تنحاز الينا . فالضرر الذى الحقته بنا حليفتنا القديمة بهذا العمل جسيم. ولا يمكن انكار حرج موقفها ازاء انجلترا . وظل الخلاف القائم بينها والنمسا : وهو خلاف قديم لم يمنع تحالفها مع النمسا ومعنا . وقد استجرت عدة فوائد من جراء هذا التحالف . وكنا نرجو على الاقل أن تشعر ايطاليا بارتباطها بنا . الا ان العظمة الوطنية ابت الا ان تظهر فى أجلى مظاهرها ، وهي عاطفة لا مناص من وجودها فى سائر الامم . ولكن الشرائع الادبية التي تربط بعض الامم ببعضها لا ينبغى الاعتداء على حريتها . فأعتدت ايطاليا على حريتها . ولذا لايجوز لها ان تدهش لنقمنا من الخطة التي اتبعتها اثناء سنوات الحرب الأربع .

ولا يبرح عن البال الموقف العسير الذى وقفه الجيش النمسوى فى اخر اغسطس ازاء القوات الروسية المتفوقة عليه جد التفوق . وكان رئيس اركان الحرب النمسا القائد فون كونراد محقاً فيما ارتآه من وجوب تقدمنا الى ما يلي الناريف . بيدان قواتنا التى كانت اضعف من قوى رننكامف التى تواجهها لم تسمح للجيش الثامن بالقيام بهذه المهمة . فكل زحف فى اتجاه مالوا بولتوسك يمكن تعطيله فى كل آونة بزحف رننكامف على خط اللنستاين البنج . فصار من الضروري ادن ان ننهى قبل كل شيء حسابنا مع جيش النييمن الروسي .

وقد اضطر رننكامف تحت تاثير معركة تاننبيرج ان يسترجع بعض عناصر جيشه التى كانت قد تقدمت بضعة كيلومترات . الا انه على ما يظهر اردان يظل ضارباً ما بين مجرى البريجيل وبحيرة ماوير . فوجب على الجيش الثامن ان يحشد كل قواه لينشب معركة ثانية .

ولتنفيذ هذا المشروع انزلت الامداد القادمة من الغرب فى جهة اللنستاين البنج والجيش الثامن القديم تجمع ليزحف على خط

و يلنبيرج اللنستاين .

ولم يبق فى جهة سولداوسوى بضعة عناصر تغطي الحدود ، ووجب عليها ان تزحف في بولونيا فى اتجاه ملاوا

وعند ما انتهى حشد القوى اردنا مهاجمة جبهة رنتكامف الواسعة الممتدة بين بريجيل و بحيرة ما و ير مع الاحداق بجناحه الايسر من جهة وتزن بانحدار الى الجنوب . وعهد الى جناحنا الجنوبى الاقصى القيام بتغطية الجيش من جهة اغسطوف واوسوفيتز حيث كان ينتظر نزول جنود معادية هناك . وصار من الحتم على القوى التي تجمعت الى هذا الوقت من الجيش الثامن ان تقاتل وهي متوزعة على ثلاث مجموعات : احداها بين البريجيل و بحيرة ما و ير ، والثانية شرق لوتزن ، والثالثة فى اتجاه ليك

والقوى التى تم احتشادها الى منتصف ديسمبر هي : فرقة فون درجولتز اللاندوهرية فى نايدنبورج ، وحاميات معاقل الفيستول فى سولداو ، والفرقة الثالثة الاحتياطية والعرضي الاول العامل فى ويلنبيرج وفى اورتلسبورج واللواء الاول من الخيالة غرب جوها نيسبورج ، والعرضي السابع عشر العامل فى باسنهايم والعرضي العشرون والعرضي الحادي عشر العامل والعرضي الأول الاحتياطي فى اللبستاين وفى جانبي اللنستاين ، وفرقة خيالة الحرس القادمة من البنج فى الباسارج الاسفل ، وتقدمت الفرقة الثامنة من الفرسان فى اتجاه لوتزن ، وكذلك الفرقة الاولى منها وقفت ازاء جيش النييمن ، ومن الواجب ان تتقدم هي بالمثل فى اتجاه لوتزن ، واحتل احتياطي كونيجسبورج خط الدايم ، واحتياطي بوزن وهو فرقة الكونت فون بريدوف اللاندويهرية كان لا بد لها من المجيء الا انها لم تجيء مبكرة للاشتراك فى المعركة

وقد اضطرت وسائل نقل العرضي الاول الاحتياطي والعرضي السابع

اعشر العامل وادواتهما الحربية التي تراجعت فى المبدأ الى ماوراء الباسارج ن تقوم بحركات عسيرة جداً . على أنها تمكنت من الوصول اخيراً بغير ضطراب عظيم الى بلوغ منطقة احتشادها .

وردت الخيالة الروسية فرقتنا الاولى من الفرسان واستمرت فى اغارتها الى الباسارج على مقربة من ورمديت ولكن ضررها من الوجهة العسكرية لم يكن هائلا . فلم تقطع خط السكة الحديد الكبير الممتد من البنج الى كونجسبيرج ، وهذا ما لم ندرك له سببا .

وبالطبع كان من المهم لنا ان نعود الى استعمال هذا الخط فى اقرب وقت ولا سيما المكان الذي قطعناه عند انسحابنا من جومبينن . وكانت محطة كورشن مهمة بنوع خاص . فكان من اللازم استئصال شأفتها . وبعد مضى ٤٨ ساعة من استعادتها صارت كعهدها من قبل . ومن حسن حظنا ان التدمير كان اقل وطأة مما كنا نتصوره . وذلك لان الجنود لم يكونوا متدربين على هذه الاعمال تمام التدرب . وكان لابد للقيام بمثل هذا العمل من اسناده الى رجال فنيين . وان فى هذا لدرساً للمستقبل .

— ٥ —

وبدأ الزحف لمنازلة جيش رننكامف فى ٤ سبتمبر . فتوطنا يوم ٧ مع فيلق الحرس الاحتياطي والعرضي الاول الاحتياطى والعرض الحادى عشر العامل والعرضى العشرين العامل امام العدو على خط وهلاو — جيرداوين — نوردنبورج — انجيربورج الممتد مابين البريجيل وبحيرة ماوير ، وهاجمناه بطريقة محكمة فى الايام التالية . ولم تكن الوقائع التى اشتبك فيها العرضي العشرون ناجحة . اذقابلها الروسيون بكرات عنيفة وكانت مواقع الاعداء منيعة وعلى اعظم استحكام ومن المستحيل علينا

التغلب على هذه المواقع المستحكمة بالوسائل والذخائر التي لدينا اذا لم ينجح الاحداق المتوقع من جهة لوتزن وسد البحيرات المستحكم نجاحاً تاماً .

وكذلك موقفنا في لوتزن لم يكن حسنا على الرغم من الدفاع الجريء الذي قمنا به شرق لوتزن ازاء هجمات الاعداء . ولم يتقدم العرضي السابع عشر والفرقة الاولى العامة والفرقة الثامنة من الفرسان التي زحفت من جهة هذا الحصن في يومي ٨ و ٩ سبتمبر في الاتجاه الشمالي الشرقي من جهة البحيرات الا ببطء . وقد اضطرت الى الاشتباك في وقائع حامية في جهتي كروجلاوكين و بوسبسين والعرضي الاول العامل الذي اندفع الى الامام في اتجاه نقولاين وجوها نيسبورج اضطر الى التقدم السريع في جهة الشمال شرق خط البحيرات . فأسعف في مساء ٩ العرضي السابع عشر العامل اسعافا ناجعا . واستمرت الفرقة الثالثة الاحتياطية وخلفها فرقة فون درجو لتزا للاندويهرية على التقدم في اتجاه بيالا — ليك . فاصطدمتا في يوم ٨ سبتمبر على مقربة من بيالا بقوى معادية متفوقة عليهما .

وهذه الحركة الحربية كانت بالمثل جرأة لا مثيل لها . فان جيش النيمن كان مؤلفا من ٢٤ فرقة من المشاة تسمو كثيراً على ١٥ أو ١٦ فرقة المؤلف منها الجيش الثامن . وكانت الفرق الروسية محتوية على ١٦ طابورا في حين ان فرقتنا لا تحتوي الا على ١٢ . وتنضم الى القوى الروسية ايضا اربع فرق أو ست سائرة في طريق الاحتشاد على مقربة أوسوفييتز واوجو ستوف . وهذه القوى يمكنها ان تجتمع في كل آونة وفي أي مكان لتصيبنا بضربة هائلة . وكان جناحنا الايمن المنتشر شرق البحيرات معرضا للخطر بنوع خاص . ومن الممكن سحقه . على اننا مع مثل هذا الموقف المحفوف بالمكاره لم نتردد لحظة عن خوض غمار المعركه . وكنا نمتاز على العدو بمهارة

جنودنا فى التعليمات العسكرية ، وهذه التعليمات اكسبتنا فى تاننبيرج تفوقا عظيما ظل أثره ظاهرا الى نشوب هذه المعركة .

وكنا نودلو ان جناحنا الايمن اقوى مما هو عليه ، ولكى نكسبه باية طريقة قوة اخرى جعلنا فرقة من العرضي العشرين العامل قائمة على قدم الاستعداد تحت تصرفنا غرب البحيرة . ولكن كان لابد من ردها الى عرضيها . وقد اصبحت العرضيات الاربعة التى تهاجم جبهة العدو شاغلة امتداداً مقداره ٥٠ كيلو مترا وهذا شيء كثير . وزيادة على ذلك فان فليق الحرس الاحتياطى لخوفه من هجوم الروسيين عليه شرع يندمج فى نفسه بشدة . وكان من الضرورى ان يتبت الجناح الشمالى على مجرى البريجيل ثباتاً مكينا وبغير ذلك فان الجيش الثامن يمكن ان يلتوى من هناك . ولا ينبغى تقوية جناح الاحداق اكثر مما هو مقدر له . بل الواجب يقتضى انتظار النجاح الذى ستتكلل به هجمتنا . وعلى السلاح الفصل فى هذا الامر . اما نحن فليس علينا سوى ان نعد كل شيء للعمل بطريقة مؤدية الى الانتصار .

وفى صباح ١٠ سبتمبر ورد النبأ العظيم المعلن اخلاء العدو موقعه اثناء الليل متراجعاً امام العرضي الاول الاحتياطى فى شمال جيرداون وتم ذلك بلا شك على اثر تقدم العرضين الاول والعرضى السابع عشر العاملين فى مساء ٩ سبتمبر . وقد احتل العرضى الاول الاحتياطى هذا الموقع وعزم على موالاة الزحف . ويمكن تصور مقدار ما استولى علينا من الحبور فى المعسكر العام . فقد حصلنا على انتصار عظيم جديد ، ولكن فصل الخطاب ليس فى هذا الانتصار ، فان الجيش الروسى لم يغلب بعد على أمره ، فضلا عن كوننا لم نحصل فى الشمال الشرقى من لوتزن الا على انتصارات محليه . ومن الواجب متابعة العدو باقصى الشدة وموالاة مهاجمته

في تقهقره بغير انقطاع فى حين ان جناح الاحاطة يتقدم فى شرق سهل رومينت قاصداً طريق فيرباللن - - كوفنو . وبهذه الطريقة اردنا ان ندفع العدو بقدر المستطاع في اتجاه النيمن . غير انه ينبغى التنبه في الوقت نفسه الى ان رننكامف لايزال قادراً بمعونة الامداد المتتابع وصولها اليه على اتخاذ خطة الهجوم بعنف على اية نقطة من خطوط زحفنا . وكانت خطوطنا شديدة الضعف الا ان مجموعتينا الشماليتين اللتين كانتا الى هذه الآونة منفصلتين بعضهما عن بعض بواسطة بحيرة ماوير اصبحتا متصلتين . ومع ذلك فقد ظل الموقف في منتهى الحرج .

وشرعت الجنود فى تأدية مهمتها الحديثة ، وهى تعقب العدو بغير هوادة ومهاجمته كلما حاول التمهل فى هزيمته بالالتفاف حوله من سائر الطرق والمحافظة على اتصال الوحدات بعضها ببعض . ولتنفيذ هذه الخطة كان لابد من انتظار قيام الصفوف المجاورة بحركة الاحاطة المحلية تفادياً من فداحة الخسائر . وقد استمر العرضي السابع عشر العامل وعلى الخصوص العرضي الاول الاحتياطى الموجود فى اقصي الجناح الايمن وكذلك الفرقتان الاولى والثامنة من الفرسان على الزحف بغير تمهل الى المرتفع المنشود . وكانت وجهات السير التى تتوخاها العناصر المختلفة مبتدأة من اليسار تكاد تكون على النحو الآتى

احتياطى كونيجسبيرج : فى طريق كونيجسبرج تيلسيت . فيلق الحرس الاحتياطى : فى طريق جروس اندوفوهنن . العرضى الاول الاحتياطى : فى طريق انستربورج — بيلكاللن . العرضى الحادي عشر العامل : فى اتجاه شمال داركهمن وفى طريق جومبين — ستاللوبونن العرضى العشرون العامل : فى اتجاه داركهمن وفى منتصف طريق فيرباللن الى بحيرة فيشتيت : العرضى السابع عشر العامل : في الطرف الشمال من

سهل رومينت على الو يشتينيتز . والعرضى الاول العامـل : فى الطرف الجنوبي الشرقى من سهل رومنيت على ماريمبول . والفرقتان الثامنة والاولي من الفرسان : امام العرضى الاول على مقربة من طريق فيرباللن — روفنتو .

ولم تنفذ الحركات وفاقا لما كنت آملة تماما . اذ كان من المتعذر التفريق مابين الاحياء والاعداء ونجم عن ذلك ان صفوفنا اخذ يطلق النيران بمضها على بعض واخذ الجنود يندفعون على الجبهات بغيرحساب بدلا من انتظار تداخل الصفوف المجاورة . ولكن الذى استوجب اكبر القلق ماخامر العرضي الحادى عشر للعامل من حسبانه فى ١١ سبتمبران العدو يهاجمه بقوى متفوقة عليـه . وكان هـذا الحسبان محتملا ومن الواجب التوقى منه .

وبالنظر لعدم تناسب قوى الجيس كان لابد للجبهة من تعضيد قائم على خطة سريعة التنفيذ مـدارها بعض فيالق تنجز حركات الالتفاف فاضطررنا بحكم هذه الخطة الى توجيه العرضي السابـع عشر العامل والعرضى الاول العامـل الى اتجاه فى الشمال ابعد مما كانا يحاولان الوصول اليه . وبعـد مضي بضع ساعات تبين العرضى الحادى عشر العامـل انه كان واهما فى حسبانه . ولكن الامر كان قد صـدر لفعـل لجناح الاحداق فاقتضى استدعاء الفيالق المتقدمـة الى مكانها الاول ، فاستغرق هـذا العمل نصف يوم على الاقل .

لقـد قام الجيش السابع بمهمته خـير قيام . فتقدم بطريقة باهرة فى اربعة ايام اكثر من مائة كيـلو متر فى حين ان جنوده منهوكة قوائم من جراء الوقائع الطويلة ومن ضروب المتاعب الاخرى . وكانت اهم الاعباء لاحقة بالوحـدات القديمة من مجموع الجيش الثامن فانها لم تتمتع بالراحة

أما فيلق الحرس الاحتياطي والعرضي الحادى عشر العامل فقد قاتلا قتالا باهراً تحت اسوارة مور الا انهما بعد ذلك أصابا قسطاً من الراحة بضعة ايام .

ولم تكن نتيجة هذه المعركة مدهشة بقدر ما كانت نتيجة تاننبيرج . اذ لم يتيسر العمل فى ظهر العدو وكما حدث فى الدفعة الاولى لانه فى هذه المرة استطاع ان يتقهقر . ولم يكن الضغط عليه الا من الجبهة ومن الجنب . ففي تاننبيرج احتجزنا اكثر من ٩٠٠٠٠ أسير فى حين اننا لم نأسر فى هذه المرة اكثر من ٤٥٠٠٠ . بيد انه قد صار الحصول على كل ما كان يمكن ادراكه فى مثل هذه الاحوال

ويظهر ان رننكامف في الحقيقة لم يكن معولا على مقاومة عتيدة . وعلى كل حال فانه عجل بتراجعه قبل الاوان واتخذ الليل ستاراً لنكوصه على الاعقاب . لقد أنبأ طيارونا انهم رأوا صفوفا تسير في الطرق الا ان هذه المعلومات كانت شديدة الغموض . ان الروسيين عرفوا كيف ينفذون خطة التراجع فسيروا صفوفهم فى وسط الحقول وتنكبوا الطرق العامة .

واذ رأى الجيش الروسي اننا نتعقبه وانه مهدد بالتطويق عمد الى اجتياز النيمن فى حالة هرج وفوضى . فلم يعد فى الامكان اعتباره مدة الاسابيع الآتية كنظام عسكري متين الا اذا وصلت اليه امداد قويه .

ان معركة بحيرات مازوريا لم تصب قيمتها الحقيقية . وما هى الا حركة حربية صار ترتيبها في منبسط واسع ونفذت ضد قوى متفوقة بدرجة لا حد لها . فكانت بهذه الطريقة عرضة لاخطار عديدة لوان العدو كان على ثقة وطمأنينة من قوته : ولكنه لم يقبل الاشتباك حتى فى الوقعة الختامية وعمد الى الدفاع وهو مرتد الى الوراء ، وانقلب ارتداده تحت

ضغطنا الي هزيمة شنعاء .

وقد حدث خارجا عن دائرة ميدان المعركة ان الفرقة الثالثة الاحتياطية المشمولة برآسة القائد المقدام فون مورجن وفرقة فون درجولتز اللاندويهرية قاتلتا في يوم ٨ سبتمبر بنجاح باهر في جهة بياللا قوات معادية مفوقة عليهما جداً وقهرت الامداد الروسية الوصلة حديثا . فهما بعملهما هذا قد تلافينا خطراً أعظما كان على وشك ان يصيب قوانا المقاتلة في الشمال الاقصى. واقام القائد فون در جولتز بجوار اوسوفييتز . اما القائد فون مورجـين فقد استولى بعد وقائع حامية على اوجستوف وسووالكى . فنجم عن هذه الاعمال اخفاق مسعى الجراندوف نيقولا في انقاذ رننكامف من هذه الجهة اخفاقا تاما .

وفي ١٣ سبتمبر كانت المعركة قـد انتهت عمليـا . واصبح ترتيب المعركة على الوجه الآتي تقريبا .

حاميات للمعاقل تحت امرة القائد فون موهلمان في ملاوا ، فرقة فون درجولتز اللاندويهرية امام اوسوفيتز ، الفرقة الثالثة الاحتياطية فى طريق اوجستوف — سوفالكى ، والفرقة الأولى والفرقة الثامنة من الخيالة — والعرضي الأول العامل موالية التقدم بسرعة فى اتجاه ماريمبول ، والعرضيان السابع عشر والعشرون العاملان متخطيان خط ويشتينيتز — ويرباللن والعرضي الحـادى عشر العـامل في شمال فيرباللن ، والعرضي الاول الاحتياطى في فلا ديسلافوف ، وفيلق الحرس الاحتياطي منسحب الى الشمال الشرقى من وهلاو ، واحتياطي كوينحسبيرج في تيلسيت .

فكانت توجـد اذن فى وسط الهيجاء عدة فيالق متدانية بعضها من بعض . وبعضها لم توجد لهـا اماكن في المعترك فاضطرت الى البقاء تحت الطلب عند القيام باعمـال حربية اخرى . ولم يكن ثمت مجال للشك منذ البدء بالزحف على رننكامف فى ان تقدم وحداتنا لن يصل

فى أية حـالة من الاحوال الى اجتياز النيمن . وكان رأيي اننا بعدالانتهاء من رننكامف نزحف بالقوى المتأهبة الى ماوراء التخم الجنوبي في اتجاه الناريف مع المحافظه التامة على حد بروسيا الشرقيه . ولقد اردت بهذه الطريقة الاشتراك مع النمسا وفقا لمقاصد القائد فون كونراد . ولم اكن قد اعلمت فى هذه الاثناء بالهزائم الشنعاء التى اصيب بها الجيش النمسوى . واصدرت الاوامر حسب ماذكرت لا انها لم تنفذ .

— ٦ —

وقد كانت هيأة اركان الحرب تتبع خطوات الجنود مباشرة اثناء زحف الجيش الثامن المقرون بالظفر من جهة اللنستاين الى الدحول في أراضي العدو . والتزمت فى كل وقت الاحتكاك بهيأة أركان حرب العرضيات وبالوحدات المكافحه . وكان اصدار الاوامر الى المقدمة وتلقى الانباء الوارة من الامام بسرعة يقتضيان هـذا الاحتكاك ، وذلك لان وسائل الارتباط الفنية لم تكن محكمة ووافية بالمرام . فالخط التليفونى المنتشر فى بروسيا الشرقيه واف بالمرام ، الا ان كثيرين من المستخدمـين كانوا قد غادروا مراكزهم ومحطات التلغراف الجوى ادت خدما جليلة الا انها لم تكن خاضعة الا للخيالة ولاركان حرب الجيش . فاضطررت لهذه الاسباب الى الاعتماد على استخدام الاوتوموبيلات والى ارسال ضباط من اركان الحرب وقد أدى فيلق الاتوموبيلات المتطوع خدما عظيمه . وقد قطع مسافات شاسعة ومسالك وعرة فاشبه بعمله هذا الشق مغامرات الفصائل الخيالة . وكان الطيارون القلائل الموجودون تحت تصرفي يفيدوننى فوائد لا تقدر فى اعمال الاستطلاع ولنالم نتمكن من استخدامهم فى نقل المعلومات والاوامر . وعلى الرغم من قلة وسائل الانصال السريع فقد توصلنا الى الوقوف بقدر اللزوم على المعلومات الضرورية والى تبليغ أوامر القيادة فى

الاوقات المناسبة الى الجهات المختصة . وكنت كثيرا ما اعتمد على التليفون فى استنهاضهم الرجال حيث تدعو الضرورة الى الاستنهاض وفى التداخل فى الامر حيث يستدعى نجاح مجموع الاعمال الحربية ذلك . وهذه المخابرات الشخصية مع رؤساء اركان الحرب كانت مفيدة ، لانها تسمح بالوقوف على المعلومات الدقيقه و بالعمل بطريقة مباشره .

ولقد تنقل المعسكر العام عدة مرار . ففى نرردنبورج وصلنا لاول مرة الى ناحية لبثت مدة غير قليلة من الزمن تحت سيادة الروسيين . فكان حالة القذر فيها مما لا تصدقه العقول . فلاسواق غامة بالقمامات والغرف ملوثة بسائر ضروب الاقذاء الدنيئه .

وعند ما انتقلنا الى انسترنبورج سكنا فى دساورهوف حيث كان رننكامف نازلا مع اركان حربه بالمثل ، ولم يكن قد مضى وقت طويل على مغادرة الجراندوق نيقولا نيقولا يفيتش هذه المدينة كذلك .

وسمحت لنا الفرصة بمشاهدة المواقع الروسية عن قرب . وهنانا أنفسنا على عدم الاستيلاء عليها بالوثب لاننا كنا فى هذه الحالة نصاب بخسائر فادحة .

وقد حافظت وحدات روسية عديدة على الاستقامة اثناء توطنها فى روسيا الشرقية في شهرى اغسطس وستمبر . فبقيت المخازن وكهوف البيوت سليمة . وشدد رننكامف على جنوده اثناء اقامتهم باستربورج فلم يعبثوا بشيء ما . ومع ذلك فقد جلبت الحرب اهوالا شدادا لاتدخل في دائرتي الوصف والحصر . فان القوزاق ارتكبوا من ضروب القساوة بل من انواع التوحش ما يتخطى كل حد . فكم اقترفوا من حوادث النهب والاحراق . بل لقد قتل عدد عديد من الاهالي وعبث بصون النساء وانتزع قسم من السكان من منازلهم . وانها لاعمال الحماقة والجهل . وكثيراً ما

حدث التساؤل على غير جدوى عن البواعث على أمثال هذه الاعمال.
فان الاهالي لم يقاوموا الروسيين بتاتاً لانهم فى منتهى الهدوء . وقد عملوا بمقتضى وجهة نظرنا فلم يشتركوا فى القتال . وعلى ذلك فالروسيون هنا مسؤلون عن أعمالهم السيئة .

ولقد عانت بروسيا الشرقيـة ضروب الآلام من جراء الاحتلال الروسي . واننا لا لنفخر الآن بتحرير شطر من الارض الالمانية . وقد أعرب لنا الاهالي عن امتنانهم وحبورهم العظيمين . وما كنا منقذى هذه البلاد لتعود الى الخنوع للنير الاجنبى . فلتقنا العناية الالهية وصمة هذا الخزي !

ولقد غمرنا الابتهاج جميعا ونحن فى انستربورج يوم ١٤ سبتمبر لما ادركناه من الظفر في حملاتنا الموفقة العظيمة . وما كان أعظم دهشي عند ما نمى الى علمي تعييني فى منصب رئيس لاركان حرب جيش الجنوب الذى شرعوا فى تاليفه فى برسلاو تحت امرة القائد فون شوبيرت .

— ٧ —

انتهى الزحف الالماني فى الميدان الغربى بالتراجع ، وذلك لان الجناح الايمن للجيش الالماني كان ضعيفاً جداً فلم تتم حركة التفافه بالاتساع الكافي فكان انتقاصه فيلق الحرس الاحتياطي والعرضي الشرين العامل شؤما عليه بل لقد كان اللازم تعضيده بفيالق تستجر من اللورين ومن الالزاس . وهذا ما كانت ترمى اليه أعمال القائد الكونت فون شليفن . وما كان لهذا الجناح ان يتقدم فى زحفه الى مثل هذا المدى السحيق متجهاً نحو لونفيل — ابينال حيث بقيت الجنود الالمانيـة التى جرى احتشادها فى الالزاس واللورين محتجزة هنالك . ومثل هذا الاحتجاز

كان يصيب الجيش الالماني باسره لوان جناحنا الايمن بدلا من اكتساحه البلجيك بقى فى جنوب لونجوى . و فى الوقت الذي كنا سنستخدم فيه قودانا فى خط الحصون الممتد ما بين فردن و بيلوفور كان جناحنا الايمن يصير عرضة لهجوم الجيوش البلجيكية والفرنسية والانجليزية المجتمعة الزاحفة من بلجيكا وكان لا بد له من النكوص على الاعقاب . وكنا نفقد بهذه الطريقة جهتنا الصناعية وهى الرين السفلى . وكانت هزيمتنا اصبحت مؤكدة .

لقد صدر الامر بالتراجع عن المارن ولم تتوفر الوسائل التى تمكننى من معرفة ما اذا كان هذا القرار صوابا . ومن ذلك العهد صار من المحتم ان سيطول أمد الحرب . ولا بد لامتدادها من تحميل وطننا اعباء الضحايا الهائله . فكان من الواجب فى هذه الآونة وضع كل وسائل الحمية والنشاط المتوفرة فى المانيا تحت تطلب القتال والبدء فى نشر دعوة قوية لاجل هذا الغرض فى داخل البلاد . ولكنى دهشت من الحالة العقلية التى تبينتها فى برلين فى آخر اكتوبر ١٩١٤ اذ وجدتها غير حافلة بالحرج العظيم الذى يهدد موقفنا العسكرى .

ولقد كان من أسوأ ما أصاب المانيا الا يغتنم التحالف الثنائي وأعضاده الفرصة السانحة له في مفتتح الحرب و يتغلب على اعدائه بضربة قوية صادرة عن جرأة وخبره مستفيداً من تفوقه فى العلم والترتيب على أولئك الاعداء المتفوقين في الكثرة العدديه . فينبغى الآن الاعتماد فى سير القتال مع توقع طول الحرب على قوة السلاح وكثرة الذخائر ولو ظل العنصر الالماني حافظاً فى جيشه التفوق فى بعض الخصائص والمواهب المتأصلة فيه من قديم الزمن . وان فقد العدد العظيم من الضباط النظاميين فى الوغى لما يدعوا بلا شك الى الانزعاج . وعلى كل حال فيجب الاستفادة من كل

موارد المانيا الصناعية والطبيعية للاحتفاظ بتفوقنا من الوجهة العسكرية لاجل مواجهة التفوق العددي الآخذ في الازدياد والظهور لدى اعدائنا .

و وجب علينا ان نتوقع بنوع خاص ان تقوى انجلترا نفسها من الوجهة الحربية بايجادها جيشاً برياً قوياً لها الى جانب اسطولها . ولديها من موارد الرجال ما يفي بهذه الحاجة . وعلى كل حال فلا ينبغي لنا ان ندع اية وسيلة توصلنا الى كسب هذه الحرب على الرغم مما يعترضنا من الصعاب والاخطار . فيجب ان تتحول المانيا الى معسكر عظيم كامل التسلح . وهذه كانت الامنية التي بسطتها في احدى الصحف في اول يناير سنة ١٩١٥ بمناسبة حلول العام الجديد . فلقد حشد المعسكر العام الاكبر في خريف ١٩١٤ والشتاء الواقع ما بين ١٩١٤ وسنة ١٩١٥ من ١٨ الى ٢٠ فرقة . وأنشأنا نحن بالمثل فرقا اخرى مؤلفة من اللاندويهر واللاندستورم . وبدأنا في انقاص عدد طوابير الفرقة من ١٢ الى ٩ والقنا بالطوابير المنقصة والتي اصبحت مستعدة تحت تصرفنا فرقا اخرى متصلة بالمدفعية وبالاسلحة الفنية . لقد قمنا باعمال كثيرة الا انها ازاء المطالب المتعددة لاتكاد تكون وافية بالمقصود

لقد اصبح الجيش الثامن في هذه الاونة على تمام الاستعداد لان يتنازل عن عدة فيالق للميدان الغربي . ولست ادري اذا كان قد جرى البحث في هذه الفكرة في المعسكر العام الاكبر او اذا كانت حالة الجيش النمسوي لاتسمح بالبحث فيها . أن هذا الجيش على ما صرت أعلمه الآن كان قد مني اذ ذاك بهزيمة تامة وقد أخذ يقاتل وهو ناكص على اعقابه وخسائره متجاوزة حد التصور منسحبا الى ماوراء مجرى السان وأخذ الروسيون يقتافون آثاره . وصار من المحتمل اغارة المطاردين على مورافيا ثم على سيليزيا العليا . فوجب الاسراع باسعاف الجيش النمسوي

لانقاذه قبل فنائه . فتقدم الجيش الثامن الى مايلي الناريف كما كنت اريد فى سبتمبر ما كان يعتبر الاطمئنة فى الهواء . وذلك لان الجيش النمسوى انما يتطلب النجدة فى ساحته وهذه النجدة لايتحتم ان تكون عظيمة جدا . وعلى ذلك لم يعد فى وسعنا ارسال جنود الى الغرب

لقد ذكرني فى الامر الوارد الي فى مساء ١٤ فى انستربورج ان فيلقين من الجيش الثامن يكونان جيش الجنوب الذاهب الى سيليزيا العليا . فلم يتراءى لي هذا الترتيب الا من قبيل الدفاع ووسيلة من وسائل الوقاية وما كان هـذا العمل كافيا على اية حالة كانت لحماية غاليسـيا . فليس المطلوب لادراك مثل هذه الغاية الاقتصار على الدفاع بل يجب الشروع فى العمل الناجع . فاقترحت فى الحال على المعسكر الاكبر العام اثناء مخاطبتي القائد فون مولـتك شخصيا بالتليفون ارسال الجيش الثامن تحت قيادة القائد فون هندنبورج الى سيليزيا العليا و بولونيا . والاقتصار على عناصر ضئيلة لحماية بروسيا الشرقية حتى لوغدت عرضة بهذه الطريقة لغارة جديدة . على انني كنت ارى ان مثـل هـذه الغارة تستلزم وقتا طويلا قبل ان يتمكن الروسيون من شنها على هذه البلاد المحروبة .

ومع ذلك فقد صار تحصين لوتزن وتقويتها وتنظيم موقع دفاع البحيرات فى اثناء هذه المدة من قبيل الحيطة وتلافيا لكل خطر مفاجىء وقدشددنا فى عدم الاقتصار على اقرار هذه الخطة بل الشروع حالا فى القيام بالاعمال الحربية . وكذلك صار من الضرورى تقوية خط انجيراب . وهذه الوسائل التى انما اريد بها اتقاء ما ينجم عن اعمالنا فى حالة اخفاقها قد كانت لها فيما بعد فائدة عظيمة .

فقال لى القائد فون مولتك ان اقتراحى سيدرس . وفادني بكلمات وجيزة بتطور الحاله فى الغرب . ولم يكن عندنا من ابناء ذلك الميدان الا

ما تناقلته الاشاعات . وكان القائد فون مولتك شديد الاضطراب . وكانت هـذه محادثتي الاخيرة في الشؤون الرسمية مع هـذا الرجل الشهير . وهو ذو ادراك عسكري عظيم ، وله نظر واضح في المواقف الخطيرة . ولـكنه لم يكن متصفا بقوة المراس وعقله كان متجها دائما الى السلم اكثر من جنوحه الى الحرب ، ولا ازال اتذكر عـدداً جماً من احاديثـه . رقد اصيبت صحته بضعف شديد في بدء الحرب من جراء اقامته مرتين في كارلسباد قضى فيهما بضعة شهور .

ففي ذلك الوقت ابتـدأ القائد فون فالـكنهاين وزير الحرب يدير الشؤون الحربية .

وفي مساء ١٤ سبتمبر ودعت القائد فون هندنبورج وزملائي وشق على نفسي فراق القائد وهيأة اركان الحرب . فان القائد هندنبورج لبث بعد معركتين متوجتين بالنصر موافقاً على مقترحاتي التي كان يقررها بصفته رجلا يحب ان يتحمل تبعات قراراته . وقـد حدث تمازج بديع بين أفكارنا نحن الاثنين ، وبذلك اصبح الاتفاق سائداً في سائر المسائل العسكرية بين وجهة نظره ووجهة نظر اركان حرب جيشه

وفي صباح ١٥ سبتمبر غادرت انستربورج متبوأ اتوموبيلا ذاهباً في اتجاه برسلا وعن طريق جراودنزوتورن . وكنت على تمام الجهل بمهام وظيفتي الحديثة . وانما كنت احسبها اقل شانا من الاعمال التي تركتها . الا انني لم البث ان وجدت امامي ميدان عمل فسيحا .

الحملة البولونية فى خريف ١٩١٤

— ١ —

لم تكن الرحلة الى برسلاو داعية الى الابتهاج . فقد اجتزت باللنستاين وتناولت بها أكلة الغذاء فى نفس الفندق الذي كنت مقيما به وكانت الحياة قد عاودت فيها سيرتها الاولى قبل الحرب . وفي العصر كنت في جراودنتز وواصلنا سيرنا بين عصف الريح وهطول الغيث مارين ببرومبيرج حتى بلغنا بوزن التى دخلناها في ليل حالك الظلام و بت فيها . وكانت علائق عدة تربطني بمقاطعة بوزن ومدينتها . فأبي الذي ينتمي الى أسرة بوميرانية من التجار توطن بها الى حرب ١٨٧٠ الفرنسوية الالمانية . بل لقد اقمت انا بالمثل في بوزن وكنت اجدني سعيداً برؤيتها ومن سنة ١٩٠٢ الى ١٩٠٤ قمت بوظيفة أقدم ضابط بين اركان الحرب فى العرضى الخامس العامل . ففى هذه الوظيفة وفي وظيفتى التى تقدمتها وهي ضابط من اركان حرب الفرقة التاسعة من المشاة الخيمة فى جلوجاو ايتيح لي ان ارى الحالة العسيرة التى اجتازتها هذه المقاطعة . فقد ساقتنى مدة التمرينات العسكرية الى الجهة الواقعة ما بين جاروتشين و بليشن . ان البولونيين لم يعترفوا لنا بالجميل فيما فعلناه لاجلهم . وان أولئك الذين ما فتأوا يوالون انداراتهم الى المانيا بغير انقطاع لمصيبون فيما يفعلون . واني لانظر بتالم بالغ المستقبل المحزن الذي يتكون فى احشاء الغيب لهذه المقاطعة التى نشأت فيها .

ووصلت في صباح ١٦ سبتمبر الى برسلاو . و بعد قليل استلمت

تلغرافا ينبئني بقبول المعسكر العام الاكبر اقتراحي المعروض فى مساء ١٤ سبتمبر فالقائد فون هند بنورج وأهم عناصر الجيش الثامن ستنتقل الى سيليزيا العليا لانجاد الجيش النمسوي في موطن الكفاح . وهذه العناصر ستكون الجيش التاسع .

والعناصر المختلفة في بروسيا الشرقية ستبقى حافظة اسم الجيش الثامن وهي : الفرقة الاولى من الفرسان ، والعرضى الاول العامل ، والعرضى الاول الاحتياطى ، والفرقة الثالثة الاحتياطية ، وفرقة فون درجلتز اللاندويهريه ، وبعض الوية لاندويهرية ، واحتياطى كوينجسبيرج ، وكذلك حاميات معاقل الفيستول ، ما خلا الفرقة ٣٥ الاحتياطية التى تتألف غالباً من حامية تورن . وتولى القائد فون شوبيرت قيادة هذا الجيش .

وتكون الجيش التاسع من الفرقة الثامنه الخيالة والعرضيات الحادى عشر والسابع والعشرين العاملة ، وفيلق الحرس الاحتياطى ، والفرقة ٣٥ ، وفرقة الكونت فون بريدوف اللاندويهريه . فوجب اصدار الأوامر القاضية باحتشاده . وهذا الاحتشاد يمكن تغطيته باللانه ويهر الذى انتشر لاجل تغطية الحد الممتد مابين كاتوفيتز وتورن فى الارض البولونيه .

وارادت هيأة أركان حربنا حشد الجيش من باب التفضيل فى الجهة الكائنة مابين بوتن و بلشن ، الا ان المعسكر العام الاكبر ارتأى ان من الضرورى مراعاة للجيش النمسوى تقديم الاحتشاد الى جهة الجنوب الغربي لتكون النجدات الالمانية اظهر للنمسا وللجيش النمسوى فصار مركز الجناح الايمن للجيش التاسع وهو العرضى الحادي عشر فى كراكوفيا ، واما الجناح الايسر فامتد الى مدى سحيق فى اتجاه الجنوب . وكان لابد من أن ينتج التماس الشديد بالجيش النمسوى تحديد نطاق الجيش التاسع

فى حرية أعماله الحربية بطبيعة الحال . على انه لم تنجم عن هـذا الامر مضار جسيمه .

و فى ١٧ سبتمبر وصل القائد فون هنـد نبورج مع شطر من اركان الحرب الى برسلاو . و بهذة الطريقة عدنا الى التساند من جديد في العمل المشترك فى ساحة حربية عظيمة الشأن . و زرت فى يوم ١٨ المعسكر العام للجيش النمسوى في نوفوساندك . وهذه السفرة التى قمت بها فى وقت مكفهر ممطر تمت بغير حادث مكدر . وكنت الى ذلك الحين جاهلا سيليزيا العليا بلاد المـدنية العليا . وقد اكتشفت في غاليسيا اعظم بلد مهمل في اوروبا ووقفت فيها على العادات البولونيه . فاليهود البولونيون متأخرون هنا بدرجة شديدة عن اخوانهم في العقيدة الموجودين في بولونيا . وليس الذنب في هذا الانحطاط واقعاً عليهم وحدهم بل على مدبرى شؤونهم بالمثل .

وقد تعرفت في نوفوساندك بالارشيدوق فردريك وهو رجل يضم بين جوانحه قلب الماني صميم و ينطوى على عواطف جندى قح . فأصاب منى شعور الاحترام . وكان القائد فون كونراد عقل الجيش النمسوى ، وهو قائد قدير ذكى وذو مرونة عقلية على الاخص . وما هو لا رجل حربي ذو عقل شديد الخصب يكسب الجيش النمسوى في كل آونة نشاطـا جديدا . وستلبث هذه الميزة عنوان جدارته الخالده . بيدان الجيش النمسوى لم يكن في مستوى خططه الجرئيه . فان تنظيم هذا الجيش في زمن السلم لم تكن كافية فقد كان الجيش مهملا بتاتا ، فلم تكن له فى بلاده القيمة الادبية التى تحمل على العناية به كعنايتنا بجيشنا الالمانى . ان زهرة باقة الضباط العاملين بين الجنود الذين كانوا حافظين الجيش من الاختلافات الجنسية سقطوا صرعى في مواطن الذود عن الوطن والذين سدوا فراغهم في الصفوف لم يخلفوهم فى القيام بسائر اعمالهم الجليلة ولم تتكون منهم

مادة امتزاج الجيش . وكذلك خيرة الاجناد خروا مجندلين في بقعة الملتحم. وعلى كل حال فان تعليم الجيش النمسوي يخالف تثقيف جيشنا تمام المخالفة .

ولم يكن القائد فون كونراد راضياً عن نظام جيشنا في زمن السلم وهو الآن يعترف لي بانه كان محبذاً لتعاليمنا . وقال لي انهم لم يكونوا يعنون جد العناية بامر الطاعة المفروضة على الجندي ويحسبون لها شانا خطيرا . وكانت هيأة اركان الحرب النمسوية العامة تهتم اعظم الاهتمام بالمسائل النظرية فظلت في معزل عن الخدمة العاملة . فكانت الاوامر تصدر بكثرة من المراجع العليا اما مبدأ الابتكار الشخصي فقضوا عليه القضاء المبرم .

وتأدية الخدمة في المراحل كانت حسنة الترتيب الا انها كانت تشغل عدداً لا يمكن تصوره من الضباط

و بقيت علائقي مع القائد فون كونراد مرضية . وكان من المحمود ان نتلاقى من وقت الى آخر . وكنت غالباً ما اشعر بان ضابط الارتباط النمسوي الموجود في ادارة اركان حربي لا يقتصر على عدم تبليغ الاعمال الجارية ، بل لا ينقل بالمثل الاشاعات . ان ضابط الموصلات المنتدب من احد الجيوش المتحالفة يقوم بدور في غاية الخطارة . ومن السهل ان يصير مضرا . فلا بد من ان يكون رجلا قويم المبدأ كريم الخلق .

ودار البحث في الاعمال الحربية المنتهية والتي توشك ان تحدث . ولم يقتصر الجيش النمسوي في حركة انثنائه على عبور السان ثانية بل لقد عبر الفيسلوكا بالمثل . ولست أدري كيف يستطيع هذا الجيش ان يثبت في مثل هذه الحالة وهو الان محصور بفرقه الاربعين بين جبال الكاربات ونهر الفيستول على الشاطىء الغربي من مجرى الفيسلوكا . وقد ابان لي مقدار الخسائر الجسيمة من الاسرى فيما بعد حقيقة حالة الجيش النمسوي

بجلاء تام . فان هذا الجيش أصيب بافدح الارزاء . فكان من المجازفة ان يصمم القائد فون كونراد اعتمادا على العضد الالماني على اتخاذ خطة الهجوم مرة أخرى في مستهل اكتوبر مع ان الجيش النمسوي لايزال مضطرا الى استتباع التراجع تحت تأثير الضغط الروسي المتوالى .

ولقد غطى الجيش التاسع بتعبئته الجناح الشمالى من الجيش النمسوى فحاه بهذه التغطية من أي تطويق يخشى حدوثه وانتظر في بادىء الامر ان يتم تأهبه حتى اذا ما اتمه شرع في زحفه الى شمال الفيستول واخذ الجيشان المتحالفان يهاجمان الروسيين حينما التقيا بهم . ووجب على الجيش التاسع ان يتيقظ لجناحه الايسر المكشوف ولجانبه الايسر المفتوح

ولم يكن موجودا من الجانب الروسي في المنبسط الفسيح المفتوح في اتجاه غرب منعطفات الفيستول سوى بضع فرق من الخيالة وبعض الوية من المشاه . وهذه القوة لاتستطيع ان تمنع الجنود الالمانيين المخصصين للتغطية من التوطن في الارض البولونية . وفيلق فوايريش اللاندويهري من اختراق بولونيا عن طريق رادوم والتقدم الى الفيستول وعبوره من نقطة تلاقيه بمجرى السان . وقد اتم هذا الفيلق اتصاله شرق النهر بالجيش النمسوي قبل انهزام هذا الجيش .

وكان السواد الاعظم من الجيش الروسي لايزال في الجانب الشرقي من السان وقد تقدمت عناصر ضئيلة منه الى الجانب الغربي والعناصر المغلوبة منه في بروسيا الشرقية على الناريف الاعلى وعلى النييمن . ولم تصل بعد جميع الفيالق السيبيرية الى التخوم الروسية الغربية اذ لايزال شطر منها في الطريق . ولقد كانت لهذه الجنود قيمة خاصة ولا بد لنا من ان نعانى ضروب الشدائد في منازلتها .

ان اخفاق سياستنا في منع اليابان من الانضمام الى صف اعدائنا كان

اذا تأثير مؤلم فى نفوسنا : وانها لنتيجة سوء تصرفنا السياسى الذى جملنا بعد صلح شيمو نوزكى المبرم فى سنة ١٨٩٥ نحابى الروسيا و نمنع اليابان من الاستيلاء على بورت ارثر . و بالطبع ان اليابان لم تفقد الفائدة التي تعود علينا من العمل على اضعافها . والظاهر ان الانذار الذي وجهته الينا اليابان في سنة ١٩١٤ كان نصاً حرفياً لانذارنا الذي وجهناه اليها فى سنة ١٨٩٥ . فما كيا وتشيو والابديلا من بورت آرثر و بهذا العمل أخذت اليابان بثأرها

وكان استتباع الاعمال الحربية يستدعى انتظار تعقب الجيش الروسى آثار الجيش النمسوى على الرغم من كل الصعاب التى تعترض التقدم . اما هـذا الجيش فالبراح الكائن فى جنوب الفيسـتول بين ساندومير وكرا كوفيا ضيق عليه جدا ولا يزال بعيداً عن التفكير فى اكتساح المجر لما يتعرض له من خطر الانهزام فى شمال الـكار بات . فوجب اذن ان نرقب اقتراب الروسيين من مصب السان . وما هى الوسائل والقوى التى سيتقدمون بها ؟ هذا أمر مرجعه الى العلم بما اذا كانوا يعرفون طريقة توزع القوى الالمانية و يقدرون هزيمتهم في بروسيا الشرقية حق قدرها

على ان الروسيين لم يجتازوا السان الا بعناصر ضئيلة مغيرين على برزيميسيل . وكان المهم لديهم تقوية وحداتهم النازلة على ضفة النييمن . الا انهم بعد انتهائهم من هـذه [المهمة] حسبوا للزحف الالمـانى الجديد أعظم حساب وأخذوا يستجمعون كل قواهم بما فيها العرضيات السيبيرية الواصلة حديثاً ليشر عوافي زحف قوي وضغط شديد فيما وراء الفيستول ابتداء من فارسوفيا الى منشعب السان . وفى ابان مفاوضاتنا فى نوفوسا ندك كانت الحالة فى المستوى الاعلى . فكان لا بد من اتخاذ الوسائل اللازمة لمواجهة الضرورة القصوى وهى تقدم الروسيين فيما يلى السان بعناصر

من الموجودة فى شمال الفيستول الاعلى . وللقيام بهذه المهمة ولاتقاء ما يمكن توقعه من الهجوم على الجنب من جهة فارسوفيا رؤي من المستحسن نقل عناصر الجيش النمسوى الى ضفة الفيستول الشمالية وكذلك فيلقنا اللاندويهرى ومع ذلك فقـد بقي الجيش النمسوى الخيم فى جنوب الفيستول قوياً

وكانت لفيالقنا ومهماتنا عربات اغلبها ثقيلة جداً لا تكاد تصلح للجبهة البولونية وعددها غير كاف . فطلبت من القائد فون كونراد عربات نقل خفيفة واجاب سؤلى . وهذه العربات مؤلفة من صناديق خفيفة تجرها جياد سراع لا تتناول من العلف الا قليلا يقودها فلاحون . وقد تداولت الالسنة اسم هذه الوسائل النقلية « بابخ » في الحال . فالجياد بابخ والعربات البابخ ادت بالمثل عمالا نافعة فى الميـدان الغربى . واسمها آت من كلمة « بابخ » التى معناها « سيد » وهى الكلمة التي كان الحوذيون يتنادون بها فيا بينهم فتلقفها جنودنا منهم

وقد تم ابرام الاتفاقات الحربية في نوفوساندك بما يرضى الطرفين وباتحادنا فى الآراء ولم يتقرر توحيد القيادة لاننا القائد فون هندنبرج وانا آثرنا الاحتفاظ باستقلالنا فى اعمالنا الخاصة

وكانت مسألة تحديد مناطق المراحل بدقة داعية الى الاختلاف فقد كانت النمسا دائما غيورة على مصالحها وكانت مطالبها فى الغالب لاتتفق مع مقدرتها العسكرية على انها كانت محقة في عملها هذا من وجهة رأيهـا الخاص الا ان رجال السلطة فى برلين كانوا مخطئين في تركها حرة في عملها هذا . وما كان تساهلهم معها ناجماً الا عن تخوفهم من ابرامها صلحاً منفرداً مع دول الاتفاق . وهذا ما يتراءى لى من الوجهـة العمليـة غير قابل للتحقق . ومع ذلك ففى هذه المرة اي في سبتمبر سنة ١٩١٤ أخذت

مسألة تحديد مناطق المراحل شكلا ينطبق على ما تمس اليه حاجة المانيا تمام الانطباق بدون ان ترى القيادة النمسوية العليا نفسها مجبرة على هذا الاقرار .

- ٢ -

وأصبح الجيش التاسع في ٢٧ سبتمبر مستعدا . واستقر معسكره العام في باوتن . وصدر الامر بالدخول فى المعركة على النسق الآتي :

العرضى الحادي عشر العامل في الشمال الشرقى من كراكوفيا مباشرة . وفيلق الحرس الاحتياطى ، والعرضى العشرون العامل ، والعرضي السابع عشر العامل ، والفرقة ٣٥ الاحتياطية بين كاتوفيتز وكراوزبورج . والفرقة الثانيـة من الفرسان ، وفرقـة الكونت فون بريدوف اللاندويهرية بين (كامين وكاليش) .

وهذه الفرق الاخيرة تكون منها فيلق تحت امرة القائدفون فروميل . والتشكيلات اللاندستورمية المكلفة بحماية الحدود تألف منهالواءوزودت عدافع انتزعت من المعاقل فاصبحت بهذه الطريقة قابلة لتأدية اعمال نافعة في القتال .

وكانت اقرب الوحدات الالمانية الكائنة على الفيستول من الجيش الثامن مقيمة في ملاقا . وفرقة فون درجولتز اللاندويهرية تطلق مدافعها على اوسوفييتز . واندفعت بقية عناصر الجيش الثامن فى تقدمها حتى بلغت خط جرودنو ــ كوفنو . وقد أريد افهام العدو بهـذا الزحف اننا نريد الشروع فى هجوم جديد .

وفى ٢٩ سبتمبر كان رننكامف قد تقوي بما وصلته من النجـدات القوية فاتخذ خطة الهجوم ودفع الجيش الثامن خـلال الاسابيع التالية الي الحدود بل الى ليك فيما وراء الحدود .

ومع ان الجيش الثامن تحت امرة القائد فون هنديبورج الا اننا كنا

من شواغلنا الخاصة فيما يلهينا عن الاعمال الحربيـة التي يقوم بها جيشنا القديم فضلا عما سببه سوء المواصلات من فقدنا كل نفوذ على ذلك الجيش. ولم نستطع ان ندير شـؤون ذلك الجيش الا فى نوفمبر عنـد ماتولى قيادة الجيش التاسع رئيس خاص وتخلص القائد فون هندنبورج من تولي ازمة جيش مخصوص . على ان الحملة التي باشرها الجيش التاسع لم تصب باي تأثير مما اصاب الجيش الثامن .

فعلى جناحنا الايمن تحسنت حالة حلفائنا بدرجة عظيمة . ولم يتقدم الروسيون فيما يلى الفيسلوكا الا بتردد . فاستطاع الجيش النمسوي ان يستروح نسمة الراحة وان يبدأ بالزحف فى اوائل اكتوبر . واصبح الجيش الاول النمســوي الذى يقوده القائد فون دانكل والمتأهب للزحف الى شمال الفيستول الاعلى وفيلقنا اللاندويهري موجودين فى جنوب النهير بين مجري الدوناجيك تركا كوفيا على استعداد للاشتراك في حركة الزحف القائم بها الجيش التاسع .

ان هذا الفيلق اللاندويهري يستدعى ان يكون فى موضع خاص فهو يحتوي فرقة لاندويهرية سيليزية وفرقة لاندويهرية من مقاطعة بوزين. وهو مبدئيا لا يجوز استخدامه الا فى المحافظة على الحدود ولكن من المعتاد دائما استخدام كل ما يتفق وجوده فى ساعة القتال . وهـذا هو الذي دعا الى زحف الفيلق اللاندويهري فى شـهر اغسـطس فى بولونيـا وعبوره الفيستول . لقد اضطرت الفرق الى اتيان امور كثيرة ليست من اختصاصها . وبعد عبور الفيستول اندفع هذا الفيلق فى الوقائع الشاقة التي أنشبها الجيش النمسوي فى جنوب لوبلين . واضطر فيما بعد ان يشترك في حركة التراجع التي اجبر عليها الجيش النمسوى فى وسط جهة تانيف وهى جهة غاصة بالمستنقعات والاجمات وخالية من الطرق وموقعها فى شرق السان الاسفل.

وقد وضع الفيلق اللاندوبهري منذ شهر اغسطس تحت امرة القائد فون هندنبرج . ولقد اخطأنا فى تداخلنا فى شئون هذا الفيلق فى حين انه كان من الواجب علينا ترك الحرية الكاملة لاركان حربه ليفعلوا ما يشاؤن . وكان هذا من اسهل الامور علينا بالنظر لمعرفتنا كفاءة رئيسه البارع القائد فون فويرش ورئيس اركان حربه المقتدر الكولونيل هابى

وقبل مبارحتي انستربورج بعدة وجيزة كان قد وصل سائق سيارة ومعه مستندات ، فأعلن أنه يحمل سجلات وأوراق الفيلق اللاندوبهرى التي امكن انقاذها فالفيلق . اذن قد امحى برمته والقائد فون فويرش ورئيس اركان حربه قتلا . ولم نقف على الحقيقة الا بعد بضعة ايام اذ تبين لنا ان هذه الاشاعة لانصيب لها من الصحة

ولقد تمكن الفيلق من التخلص . واستطعنا ان نتخابر معه في برسلاه وبذلنا كل ما فى وسعنا لاكمال عدده ولتزويده بكل ما يلزمه وارسلنا اليه بناء على طلبه مدفعية ثقيلة وهذه المدفعية لم تعد طابوراً من اللاندوبهر مصحوباً بعدفعى هاون سهليين قديمين . وكانا ثقيلين جداً على الجر فى السبل الرديئة ولكن هذا شأن كل المدافع الغليظة التي لابد لاجل نقلها من التغلب على كل الصعاب . وفى اغلب الاوقات يحسب حساب انتقال المدفعيات ازاء الفوائد الناجمة عن مفعولها

ان الحملات التى قام بها الفيلق اللاندوبهرى ستلبث ذكرى مجد وفخار لكل الذين اشتركوا فيها . وانها لخير دليل على براعة جيشنا وسمو أنظمتنا العسكرية وكذلك على القيمة الجليلة الحاصل عليها تكوين جنودنا وتدريبهم وتربيتهم قبل الحرب . وهذا هو السبب الذى مكننا من ان نقاتل فى الشرق شيئاً فشيئاً بتشكيلات من اللاندوبهر ومن اللاندستورم .

- ٣ -

بدا الزحف فى شمال الفيستول يوم ٢٨ سبتمبر . فامتد الجيش الاول النمسوى بمنة فى اتجاه القسم الاسفل من مجرى النيدا واستمر فى امتداده نحو خط ساندومير — او بتافو . واتخذت فيالق الجيش التاسع الالمانى اتجاهات الزحف الآتية : فيلق اللاوندبهر فى اتجاه بروشفيتز — للتشوف — او باتوف والعرضى الحادي عشر العامل عن طريق اندرتشجيف ولاجوف فى نفس الاتجاه وفيلق الحرس الاحتياطى عن طريق خنزينى وكيليكل واوستروفتر ، والعرضى السابع عشر العامل عن طريق نوفوراد ومسك وكوسك رادوم . والفرقة ٣٥ الاحتياطية عن طريق بيتروكوف فى اتجاه توماشوف ، والفرقة الثامنة الخيالة ، وفرقة الكونت فون بريدوف اللاندوبهرية فى الطريق العامة الموصلة الى محطة كوليشكى شرق لودز

ولم تصلنا معلومات حديثة عن العدو . ولم يبد فى بادىء الامر اية مقاومة بل اخذ ينثنى امام تقدمنا

وانتقل المعسكر الالماني العام الى فوللبر و من ثم الى ميشوف فالى جاندرتشيف والاولى لم تكن سوى مصنع . والمدينتان الاخريان كانتا حافلتين بمظاهر الاقذار المأثورة عن البولونيين . وكانت الامراض المعدية منتشرة فيهما . وقد صرنا فى ميشوف متقدمين جداً حتي ان القوزاق كانوا يتقدمون الى جوار البلده . واراد القائدفون فويرش ان يتعرف بالقائدفون هندنبورج فقام بحركة استدارة ليفلت منهم

وحصلنا فى كييلس على معسكر حسن ومكاتب بديعه الترتيب فسهل علينا اداء العمل

واضطر جنودنا الى بذل مجهودات فرق العادة ليتيسر لهم الزحف وذلك لان الطرق غير قابلة للسير فيها والجو عبوساً ممطراً ومع هذا فقد كان لا بد من التقدم بسرعة مسافة ٣ كيلو مترات فاكثر لادراك العدو عند عبوره الفيستول . او للاشتباك به على الضفة الاخرى من ذلك النهر

وبدأت الفكرة العامة عن الاعمال الحربية تتضح شيئاً فشيئاً : فالواجب على الجيش النمسوى ان يلتحم فى الوقعة الفاصلة فى جنوب الفيستول وهذا تخلص من برزيميسل واجتاز السان ، بينما كانت مهمة العناصر المنتشرة فى شمال الفيستول مقصورة فى الواقع على مشاغلة العدو وهذا ما لم يكن ميسورا الا بادراك العدو على الفيستول واذا ما تمكن من التعرض بقوى جسيمة على ضفة الفيستول الغربية كما يحتمل ذلك فاننا نصبح اضعف من الثبات على مقاومته بنجاح الا ان المنظر بدأ يتغير بعد المصادقة على اتفاقات نوفوساندك . فوجب احداث تعديلات على المجموع وعلى التفصيلات ان هذه الجملة تتضمن عدة مناظر متضاربة فهى لاجل هذا السبب جديرة بان تشغل احد الاماكن الاولى فى صحائف التاريخ الحربى

واضطرت القيادة الى اصدار قرارات جديدة خطيرة فى كل يوم . ووجب على الرؤساء التابعين لها ان يفكروا فى مشروعات مبتكرة فما هى الا وثبة مقهورة فى موقف مجهول فمصارعة عاتية لم تلبث ان تحولت الى ارتداد مقرون بالحكمة . وذلك ان قوى الجيش الضعيفة تفرقت فى متسع عظيم . الا ان ارادة وحيدة جلية مقرونة بالثقة بالنفس اخذت منذ البدء فى العمل تنعش هذه القوى

وكانت حركات الجنود مرتبطة باعظم همة تبذل فى التموين . الا انه

حالات التموين كانت على غير ما يرام من جراء حزونة الطرق ورداءة الجو . بل لقد كانت الطريق الكبرى الموصلة من كراكوفيا الى فارسوفيا مفعمة بالوحول التي تصل الى الركب . واصلاح هذه الطرق الى حد ان تصير قابلة للسير فيها بسهولة أمر فوق المستطاع فى هذه الآونة العسيرة فضلا عن كون وسائل العمل قليلة الى درجة هائلة . ومع ذلك فان الجنود وفصائل العمال لم يتغلب عليها التعب وانجزت شيئا عظيما . وعند ماشرعنا في التراجع فى النصف الاخير من اكتوبر كانت الطرق قد اتخذت منظرا آخر . ولقد كنا نعمل ونحن متشبعون بروح الرقى المدني .

وكانت حالة السكك الحديدية صعبة بالمثل لان خط كييلس الحديدى وهو أهم الخطوط لدينا يمر من نفق ميشوف الذى تقوضت اركانه . فاقتضى الامر ترميمه ، واخذت اعمال الترميم تنجز بسرعة نسبية . وهـذا النفق له سيرة مأثورة فان جنودنا هى التى اتلفته وجنودنا نفسـها هى التى رممته فى هذه المرة . وهدمناه مرة اخري فى نوفمبر ثم اعاد الروسـيون ترميمه ليعيدوا تقويضـه فى صيف ١٩١٥ ، وفى هـذه المرة الاخيرة اصلحناه اصلاحا نهائيا . وحدثت كذلك اعمال اخري جسيمة كتحويل الخطوط الحديدية الروسية الواسعة الى خطوط عادية وانشاء عدة جسور وقناطر . ولقد قمنا عدا ذلك بعمل باهر . فان خط كييلس الحـديدي وما بعده كخط رادوم تمت اشغالها فى مدة اقصر بكثير مما كنت اقدره لها . وحدث بالمثل الشروع فى مد الخط الثانى الممتد من فينا الى فارسـوفيا فى طريق عادية مارة بتشنستوخوفو ونوفورادومسك فى اتجاه محطة كوليوشكى وانتهى بسرعة . وكذلك اسـتخدمت بعض الخطوط التى تجتاز المناطق الحافلة بالمياه الا اننـا لم نستطع اتمام جسر سـبيرادز الكائن فى خط كاليخ —

لودز وايجاد الوسيلة التي تصل الفرع البولوني بالفرع الالماني في الجهة الغربية .

وبفضل همم بعض الضباط من اركان حربي الذين لا يعرفون الكلل وهم القومندان درخسيل واليوزباشيان فون والدوف وسبير تمت مواصلات مؤخرة الجيش بسرعة . وصار تذليل كل العقبات بقدر المستطاع من العجلة حتى لا تتأثر الاعمال الحربية بما يعترض انتظامها ونجاحها .

وظل ايجاد وسائل الارتباط اعسر منه في بروسيا الشرقية . فقد اتلف الروسيون بضعة السلوك التليفونية الموجودة وخلعوا الاعمدة التي كانت تحملها . فمدت سلوك الميدان التي اكتفينا بها . ولم نكن في الحرج الذي لاقيناه فيما بعد اثناء حرب المواقع . وكانت اضمن وسائل مواصلاتنا السيارات وسعاة المسافات وقد ادت لنا بضعة المحطات التلغرافية الجوية مرة اخرى خدما جليلة . وهنا ايضا صرت قادرا على استجماع المعلومات اللازمة في كل وقت واتصال الاوامر في الوقت المرغوب .

ولم يتسبب الاهالي في اقامة العراقيل في وجوهنا . فقد كانوا حسني النوايا ونفذوا الاوامر الصادرة اليهم . ولكن الفكرة التي عنت بحشدهم لمقاتلة الروسيين كانت غير قابلة التنفيذ وما كان يطلق عليه اسم التشكيل البولوني في الجيش النمسوي لم يكن سوى مجموع مؤلف على الاخص من بولوني غاليسيا وهم رعايا نمسويون . ولم ادرك هذه الحقيقة الا بعد مضى مدة من الزمن .

— ٤ —

وفي ٤ اكتوبر بدأت قوى الجيوش النمسوية وهي الجيوش الثاني والثالث والرابع تزحف بالمثل ، فعبرت يوم ٥ مجرى الفيسلوكا . فلم يبد

الروسيون مقاومة عنيفة وتهيأ للجنود النمسويين بلوغ السان فى يوم ٩ ودخلوا برزيميسل

ونازل الجيش الاول النمسوي والجناح الايمن من الجيش التاسع الالمانى يوم ٤ اكتوبر فى كليمنتوفواو باتوف الوية المشاة الروسية والقت عليها درساً مفيداً . ومن هذا الحين اتخذ الجيش الاول النمسوى ساندومير كنقطة ارتكاز اساسية ، فى حين ان الجناح الايمن للجيش التاسع استمر على سيره نحو الفيستول

ووصل العرضى العشرون العامل الى الجهة الشمالية الغربية من كيلس وبلغ العرضى السابع عشر العامل رادوم بعد مكافحة خفيفة واستقربها ووصل فيلق فروميل الى توماشوف محطة كوليوشكى ، وفرقة الفرسان الثامنة صارت على مقربة من رافا وكانت تشكيلاتنا المحلية تتقدم بين كالبش وتورن تتقدم ببطء فى بولونيا ، واما بقية الجيش فقد استخدمت فى مواصلات المؤخرة

فى هذه الأثناء تضاعفت المعلومات القائلة بان العرضى السيبرى وصل الى فارسوفيا وان قوى جسيمة اندفعت الى ضفة الفيستول اليمنى عند منشعب السان فى اتجاه الشمال . وكنا نشعر بان العدو يعد عملا حربياً كبيراً يباغت به الجيش التاسع وقد جاءت آرائى فيما يختص بعملنا الحربى مطابقة لعمل العدو . اذ صار من اللازم ان نستولى على خط الفيستول وان نثبت فيه بينما ينشب الجيش النمسوى النازل على ضفة السان اهم وقعة حاسمة يهاجم فيها الروسيين ويتغلب عليهم

وفيما يختص بالشؤون الفرعية فقد كان من الواجب علينا قبل كل شيء ان نستولى على نقط المعابر الحصن العبور منها الركائنة ما بين مصب السان وايفانجورود والاحداق براس جسر هذا الحصن والاستيلاء عليه

اذا ساعدت الاحوال والوصول الى الضفة اليسرى . وقد كان من الواجب فضلا عما تقدم ان نراقب الفيستول من ايفانجورود الى فارسوفيا واخيراً كان من الضروري ان نضرب العرضيات السيبيرية التي كانت تحتشد في جنوب فارسوفيا والاحداق بعد ذلك بالحصن والاستيلاء عليه عند التيسر . والجيش التاسع بمفرده اضعف من القيام بكل هذه المهام العديدة . والجيش الاول النمسوى كان مقرراً توزيعه ومخصصاً بنوع اخص لمساعدة القوى الشمالية

وكان من الواجب على الجيش التاسع ان يبدأ بالزحف في اتجاه الشمال فصدر الامر للعرضي السابع عشر بالزحف في اتجاه فارسوفيا تحت امرة القائد ماكنزن . ووضعت مجموعة فروميل تحت قيادته

والعرضي العشرون مكلف بمراقبة ايفانجورود ومنع عبور الفيستول من شمال الحصن

وعهد الى فيلق الحرس الاحتياطي بمراقبة مجرى الفيستول من جنوب الحصن الى نوفو الكساندريا لمنع كل عبور

واختص فيلق اللاوندبهر بمنع العبور من جنوب هذه النقطة

وارسل العرضي الحادى عشر في اثر الجيش الاول النمسوى مدداً له وهذا الجيش مكلف بالاستيلاء على خط الفيستول من الجهة الجنوبية الى انو بول وعبور النهر من هذه الجهة اذا ما تم اجتياز السان من جانبه الجنوبي . وقد وضع القائد كونراد تحت تصرف فرقتين من الخيالة اسندت مقاليد احداهما وهى الفرقة الثالثة الى قيادة العرضي العشرين وعهدت اليها حراسة الفيستول ، والاخرى وهي الفرقة السابعة الحقت بفيلق فروميل

وادى تنفيذ هذه التعليمات الى حدوث وقائع حادة في بعض الجهات

وتقدم العرضى السابع عشر من رادوم عن طريق بجالو بر سهينجي فالتقي فى ٩ اكتو بر عندجروجيتز و فى الشرق بالجنود السيبيرية التي كانت محتشدة في هذين المكانين و بعد وقائع شديدة قذف بها الى فارسوفيا . وتعقبها القائد مكنزن بعنف واستقدم القائد فروميل الى ميسرته ومنذ يوم ١٢ اصبح في جنوب الحصن مباشرة

وقد اهتدينا الى اوامر روسية ذات معلومات فى منتهى الخطارة وجدت في ثياب ضابط روسي اسيرا و قتيل فى معركة ٩

واشترك لواء العرضى العشرين في شمال ايفانجورود عندكوسجينيتز ببعض عناصر معادية فلم يفز بصدها

وهاجم فيلق الحرس الاعتياطي عند نوفوالكزاندريا العدو الذى عبر من هذه النقطة والقاه في الضفة الاخري بعد معركة شديدة اشترك فيها فيلق اللاوندبهر ولم يكن الروسيون قد اجتازوا النهر من الجهة الجنوبية وتوطن معسكرنا العام فى رادوم

— ٥ —

ان المرسوم الذي وجد فى جروجيتز اوضح لنا مقاصد العدو . فقد كانت خطة الجراندوق من الطراز الاولى وذات خطر عظيم علينا . اذ كان اكثر من ثلاثين عرضة روسيا محتشدا على الميمنة لاجتياز الفيستول فيما بين فارسوفيا ومصب السان بينما تجتاز قوى أخرى السان من الجهة الجنوبية . وقد خصصت ١٥ فرقة لمكافحة الفرق الخمس المؤلفة منها مجموعة ماكنزن. فكان الجراندوق يريدان يطوق الجيش التاسع بقوي عظيمة من جهة الشمال ثم ينازله بمهاجمته من الجبهة ومهاجمة الجيش النمسوى بالمثل مع توجيه جناحه الايسر للاستيلاء على القمم الكائنة فى شرق زعيسل. وقد استخدم لهذه الاعمال الحربية الجراندوق كذلك عناصر من جيس

رنسكامف . فلونجح هذا المشروع اتم انتصار الروسيا الذي كانت تعول عليه دول الاتفاق فى حساباتها الخططية العسكرية

ولم اقنط من تغلب النمسويين على الروسيين فى شرق برزيميسل بجرى السان على الرغم من كون العساكر الموجودة في شمال مصب السان محتاجة الى تلقى نجدات ولو قليلة والي ان يعاد حشدها من جديد ما بين فارسوفيا وايفانجورود . وكذلك تقدمت العرضيات الخامس والثانى والسابع عشر اللاندويهرية فى الاتجاه الشمالى الغربى من بولونيا واستمر فى تقدمه نحو مجرى البزورا الاسفل

وقد درست المواصلات مع المؤخرة درساً خاصاً اذ كان من المنتظر حدوث تقهقر فاذا ما حدث تم بسهولة .واعدت وسائل نسف السكك الحديدية بوضع مقادير جسيمة من المواد المنفجرة فى الاماكن المهمة.

وبينما كان القائد ماكنزن يقاوم منذ ١٥ اكتوبر قوى معادية عظيمة تواتيه كان الروسيون يحاولون عبور الفستول مرة اخرى من جهة الجنوب.. فاضطررنا الى ارسال الفرقة ٣٧ من المشاة التابعة للعرضى العشرين الى الامام فى اتجاه كالافريا فحالت دون اجتياز النهرين من هذا المكان الا ان فيلق العدو الذي كان قد نقل بعض عناصره الى الضفة اليسرى امكنه ان يستردها وينسحب من هذا المكان بغير خسارة كبيرة . وبقيت الفرقه فى هذه النقطة ووضعت تحت امرة القائد ماكنزن.

واتجهت الفرقتان النمسويتان ٤١ من المشاة و ٣ من الخيالة الى مصب البيلنزا ثم انحدرنا فى اتجاه الجنوب الى كوسجينتز.

واتجهت الفرقتان النمسويتان ٤١ من المشاة و ٣ من الخياله الى مصب البيلنزا ثم انحدرتا فى اتجاه الجنوب الى كوسجينيتز .

وشرع فيلق الحرس الاحتياطي فى اكتساح ايفانجورود . واراد القاء ما تبقى من قوى الاعداء على الضفة اليسرى من الفيستول عند كوسجينيتز

فتطلب لاجل هذا الغرض لواء من العرضي الحادى عشر فسمح الجيش به له.

ولست انسى وقعة كوسجينيتز اذ سيرت اربعة الوية صوب المنعطف الضيق من الفيستول الذي حولته الامطار الغزيرة الى مستنقع . وقد ارتد اللواء المتقدم من امام ايفانجورود على اثر الهجوم الشديد الذى قام به الروسيون الذين تقدموا من هذه المدينة . وكنت أخشى ان يهاجم الروسيون هذة الالوية الاربعة من الجنب فيصبح موقفها فى منتهى الحرج بسبب ضيق المكان الذى يدافعون فيه . وقضيت الليل ساهرا ، وفي الصباح كان الموقف ازاء ايفانجورود اقل خطرا . واستمر القتال في بركة كوسجينيتز لان الروسيون دأبوا على الهجوم . ولا يزال الجنود الذين اشتركوا في هذه الملحمة يتذكرونه بارتياع . وعلى اثر زحف فيلق الحرس الاحتياطى فى اتجاه الشمال تكفل الفيلق اللاندويهرى بحراسة معبر نوفوا الكسندريا . وفى اثناء هذه الملحمة انباء طيار بان قوي عظيمة من الاعداء عبرت الفيستول من جنوب ايفانجورود فاذا صح هذا النبأ حرج مركزنا لان الجيش لم تبق لديه قوي احتياطية الا انه لحسن الحظ لم يكن حقيقيا فان الطيار عين مكان القتال حول كوسجينيتز الواقعة فى جنوب ايفانجورود .

ولقد تحقق الاستيلاء على خط الفيستول الا ان فارسوفيا وايفانجورود ظلتا فى قبضة العدو ، ولا يزال لديه معبر فى شمال ايفانجورود وان كان سيئا .

— ٦ —

لم يتمكن الجيش النمسوى الكائن فى القسم الجنوبي من الفيستول من عبور السان والاستيلاء على بقاع جديدة في شرق برزيميسل ، ومع ذلك

فلم ييأس القائد كونراد من احراز انتصارات .

وكلما امتد امد الكفاح في جنوب السان اشتدت الحاجة الى تقوية الجناح الايسر من الجيش التاسع بالنظر لازدياد حرج موقفه باطراد . وهذا الموقف شديد الارتباط بسلسلة الحوادث الجارية على ضفتي السان. واذا ما تقدمنا فى الزحف على السان كان من نصيب قواتنا مواجهة بعض الاخطار فى جهة فارسوفيا ولكننا اذا لم نتقدم كان نصيب قواتنا المحق فى هذه الجهة . واذا ما جاءت الامداد فانها تمكننا من المصابرة مدة ما . ولكننا لم نكن ننتظر شيئا من جانب المعسكر العام الاكبر لانه شغل القوى المؤلفة حديثا فى وقائع ايبر وارسل العرضي الخامس والعشرين الاحتياطى الي بروسيا الشرقية التى تحرجت الحالة فيها

وارتأى الجيش ان يستعيض عن فيلق الحرس الاحتياطي والفيلق اللاندويهري والعرضى الحادي عشر والمكلف بالدفاع عن الفيستول بجنود نمسوية ودفع هذه القوى الالمانية الى الشمال وامداد الجناح الايسر بها وهذا ما استصوبناه . والفيالق التى اعتادت على الفيستول بقيت بجانبه وبهذه الطريقة اصبح الفيستول منيعاً

وكذلك القائد كونراد ارتاي تقوية جبهة القتال من جهة بيليوتز الا انه لم يشأ امدادها بجنود نمسوية خلا فرقتين من الفرسان فخابرنا المعسكر العام الاكبر الذي خابر جلالة الامبراطور ففاوض الامبراطور فرانسوا يوسف الذي اجاب بالموافقة الا ان القياده النمسوية العليا صممت على رأيها فصدر الامر حينئذ برفع الفيالق الثلاثة من خط الفيستول وقد صار رفع عناصر الجيش الاول النمسوي من ايفانجورود بامر من القائد كونراد فبقيت نقط المعابر خالية من الحراسة . وكان لابد للجنود النمسويين ان يلقوا بالعساكر الروسية التي تجد خلفهم فى الفيستول،

وقد كررنا نصحنا للجيش النمسوى الا انه كان لابد من نفاذ المقدور . ولم تجيء الفرق النمسوية المخصصة من الجيش الاول لاخلاف الفيالق الالمانية اللازمة قبل ٢٠ اكتوبر . وفى خلال هذه المدة اشتدت الحالة امام فارسوفيا ، وفدح الخطب ، فان قبلنا الاشتباك بالعدو تعرضنا لاعظم الخطر . فلم يكن اوفق من استرجاع القائد ماكنزن الي الخلف . الا ان رجوعه لايكون مبكرا ولا بعد فوات الوقت. وانه لقرار عسير اذ ماعسى ان يقال فى داخل البلاد ؟ وفى ١٧ اكتوبر ارتأيت البدء بالتراجع . فطلبت من القائد هندنبورج ان يستقدم مجموعة القائد ماكنزن من فارسوفيا متيمما اتجاه غرب الجنوب الغربي فى خط رافا سكيرنيفيتس لوفيتخ . ورجونا ان نوصل فى الوقت المنشود الفيلق اللاندويهرى الذى سحب من مكانه الى موقع كائن مابين نوفى مياستو ورافا فى شمال البليتزا ، فتتألف بهذه الوسيلة جبهة جديدة تستجر الروسيين اليها . ومع ان جناح هذه الجبهة الايسر مغطى باللاندستورم و بالخيالة تغطية غير محكمة الا انه من الميسور اجتذابه الى الخلف . فاذا هاجم الروسيون بجموعهم فمن الممكن مهاجمتهم من الجنب بحشد العرضيين العشرين والحادى عشر وفيلق الحرس الاحتياطى في المكان المناسب اذا لم يكن المكان الموجودة فيه وعبور البيلتزا من شرق نوفى ميامستو و الالتحام معهم . وهذه الاعمال الحربية تكسب الوقت بينما تعرف نتيجة حركات الجيش النمسوي المحتشد فى الجنوب وما اذا كانت مقرونة بالظفر . الا ان هذا الظفر بدأ يدخل فى دور الشك. فقد اجتاز الروسيون السان نفسه في الليلة الواقعة بين ١٧ و ١٨ اكتوبر مقدمين على ما عجز عن اتيانه الجيش الرابع النمسوى .

وفي ليلة ١٩ اكتوبر غادر القائد ماكنزن فارسوفيا . فتمت الحركات المدبرة من مدة طويلة بنظام تام ولم يحصل العدو على غنيمة ما كما انه

لم يشتد فى المطاردة الا بعد التدرج فيها .

وفى ٢٥ و ٢٦ هوجم بشدة متناهيـة فى المواقع الجديدة الكائنة فى شمال نوفى مياستو القائد ما كنزن وفيلق اللاندويهري الواصـل فى وقعته وكذلك الفرقة ٣٧ من المشاه . فاضطر الجناح الايسر الى الانثناء فى اتجاه لودز وكذلك الفرقة ٣٧ من المشاة نقلت الى الضفة الجنوبية من البيليتزا . ومع هذا كله فقد ظللنا متحكمين فى الموقف على الرغم من الملاحم القاسية التى حدثت فى الايام التالية . ولم يقع هجوم على البيليتزا . اما النمسويون فقد أصيبوا بهزيمة فادحة فى ايفانجورود وارتدوا الى رادوم .

لقد وقع ما كان معسكرنا العام يخشاه ولم يقو الجيش الاول النمسوي الذى تولى الحراسة امام ايفانجورود منذ ١٢ اكتوبر على منع كثيرين من الروسيين من عبور الفيستول وبدلا من قذف العدو الى الضفة الاخرى انهزم هو

وحاولنا بكل مستطاعنا على ميسرة الجيش النمسوي ان نمنع بفيلق الحرس الاحتياطى هزيمة ذلك الجيش فلم نجد سبيلا الى ذلك ، فقد تقدم الروسيون من نوفوالكسا ندريا وايفانجورود وكذلك عبروا النهر من مصب البليتزا . ولم اعلم الا مصادفة بتصميم الجيش الاول النمسوى على الارتداد الى رادوم من احتجاج الليبتنان كولونيل هوفمان فى الحال على هذا العمل الذى يحرج مركز فيلق حرسنا الاحتياطى فتمهل الجيش الاول بضع ساعات تمكن فيلق الحرس الاحتياطى فى اثنائها من التخلص الا انه لم يستطع ان يهاجم من جهة البيليتزا منتحياً صوب الجنوب الشمالى نظراً لانكشاف الغطاء عن جنبه

وقد ارسل العرضى الحادى عشر بسرعة قوية الى جهة الشمال الشرقى من لودز لتعضيد جناح ما كنزن الايسر

وادى تراجع النمسويين الى رادم الى طروء تغيير تام على الموقف باسره ولا بد من حدوث ضغط شديد من الروسيين على جبهة الفيستول ومن المشكوك فيه ثبات النمسويين امام هذا الضغط. وكذلك بدأ موقفهم في جنوب الفيستول يشتد حرجاً فلم يبق امل فى الحصول على نتيجة حاسمة مرضية . واذا بقى الجيش التاسع فى هذا المستقر حصر وانهزم فكانما اصابه نصيب من حظ الجيش النمسوى . فلا مندوحة اذن من رد الجيش التاسع الى الخلف ليكون حراً فى اعماله الحربية ، وبالطبع ان هذه الحركة ستشمل الجنود النمسوية التي ستضطرها هجمات الروسيين على كل حال الى الانثناء .

ولقد اذيع فيما بعد في الجيش النمسوي ان النمسويين لم يتراجعوا الا من جراء ارتداد الجيش التاسع . وهذه الاشاعة تتضمن الصواب والخطأ . فلا يقال ان الجيش التاسع تراجع لمجرد عجز الجيش النمسوى الذى كافح بشجاعة فى مستهل الحرب ولكنه لم يكن قد تماسك بعد معركة لمبيرج

- ٧ -

ان فكرة التراجع كانت موجودة منذ عدة ايام وقد صدرت بها الاوامر فى ١٧ . لقد اصبحت الحالة حرجة جداً لان عمل اكتوبر الحربي وان كان اكسبنا فسحة من الوقت الا انه لم يتكلل بالفوز . والآن يمكن التخوف مما كان يحسب حسابه بما نحشد له فى آخر سبتمبر فى سيليزيا العليا وهو زحف الروسيين الى الامام للاغارة على بولونيا وسيليزيا ومورافيا اذ اصبح قابلا للتحقق .

وكانت التعليمات العامة الصادرة بشأن التراجع معلومة لدى الجنود

الالمانيين ، اذ امر واعدة مرار بارسال كل ما يمكن الاستغناء عنه الى الخلف وقد روعيت هذه الاوامر بوجه عام ، الا انه فى بعض الاحوال بقيت اشياء جمة فى المقدمة . ولقد شغلت فكري كثيراً قوافلنا ذات الاعباء الثقيلة التي تسلك طرقاً شاقة . وكان لابد من تحريك حركات الارتداد بقدر الامكان صوب الغرب للافلات من التطويق .

وقد تم « تراجعنا الفني » كما يلقبه جنودنا ، بطريقة فنية محكمة النظام. وسيظل هذا الارتداد على طول الازمان مثلاً للحرب المطابقة لمباديه الانسانية مع سلامة الاعمال الحربية.

وكان على فيلق الحرس الاحتياطي الكائن فى الميمنة ان يقوم باعمال عظيمة لان الجيش الأول النمسوى اخذ يفقد على التوالى قوة مقاومته ويتراجع امام كل هجوم .وتراجعت الجيوش النمسوية من جانبي الفيستول الى قمة كراكوفيا بل تراجعت بعض العناصر الى الكاربات فى الجنوب الغربي من برزيميسل

والعناصر المتراجعة من الجيش التاسع هى : فيلق الحرس الاحتياطى والعرضى العشرين وفيلق اللاندويهر عن طريق كيبلس توماشوف الى منتصف خط كراكوفيا ـ تشينستوخوفو الى شمال تشينستوخوفو وعلى الفيبلون وانطلق العرضى الحادى عشر فى الجهة الجنوبية من سيرادز . واجتمعت ما بين البروسنا والوارتا تحت امرة القائد فروميل الذى تخلى عن رئاسة الفرقة ٣٥ الاحتياطية فرقة لاندويهر الفون بريدوف والفرقة الخامسة من الفرسان القادمة من الجبهة الغربية والثامنة من الخيالة والسابعة من الفرسان النمسويين . وتراجعت التشكيلات اللاندستورية فى خط كالنج ـ فريشين ـ تورن . واخذ الروس يتتبعون آثارنا بكل قواهم كما انهم اندفعوا الى المواثبة فى بروسيا الغربية وفى مالافيا بقوى جسيمة ، فاصبح

الموقف شديد الحرج . فاخذنا نتلمس فرصة تجيز لنا الانتقال من التقهقر الى المواثبة ، الا ان مجاورة الجنود النمسوية كانت فى كل حركة حربية عاملاً داعياً الى التردد وعدم الاطمئنان الى الفوز ، وفضلاً عن ذلك فان كل حركة تؤدى من سوء الحظ الى اشتباك جبهى ، وهتان الحالتان لاتسمحان بالانتصار .

على انه كان لابد من اصدار قرارات اخرى حاسمة . ثم عن لى بعد التفكير انه لايمكن القيام بعمل مفيد الا اذا نقلنا قوات من جنودنا بواسطة السكة الحديد فى منطقة هوهنسالزاو تورن لتتقدم من هنالك على امتداد الفيستول فى اتجاه لودز ـ لوفيتخ ضد جناح العدو المتقدم ومنع تقدمه . ولكن ما هو مقدار القوى التى يمكن الحصول عليها لاجل هذا العمل الحربي ؟ هذه مسألة اخرى

وصار أهم أمر وقف زحف العدو باسرع ما يمكن والحيلولة دون استخدام السكك الحديدية الالمانية . وقداعد اتلاف طرق المواصلات باحكام عظيم . وقد دلتنا التجارب على ان الجيش المنظم على الطراز الحديث يستطيع ان يبتعد الى ١٢٠ كيلو مترا من نهاية خطوطه الحديدية . فاذا كان الأمر كذلك واذا تهيا لنا اتلاف الخطوط الحديدية كما آمل فن الممكن ان نعيق الروسيين مدة من الزمن قبل بلوغهم حدودنا بدل الاشتباك فى معركة شديدة . وعلى الرغم من كل الوسائل المعدة فلم يكن من السهل تدمير السكك الحديدية حسب المرغوب لان الجنود تريد دا عا الانتظار الى الساعة الاخيرة . وعلى كل حال فقد أصدرت التعليمات وراقبت تنفيذها. وكان الكابتن سبير خير مساعداً لي . فنسفت الجسور بغير تردد . وقام الجنود باعمال جسيمة . وسرنى ما رأيته من تلكؤ العدو في مطاردته ثم وقوفه نهائياً عند المكان المعين . على اننا كنا قد تركنا مقادير عظيمة من الازواد فى البلاد التى اخليناها ولم نشأ اعدامها .

- ٨ -

وفى آخر اكتوبر استقدمني القائد فالكنهاين الى برلين . وذلك لان القائد كونراد أشار عليه بنقل قوى عظيمة من الغرب الى الشرق وكان القائد فالكنهاين يتكلم باطمئنان عن الهجوم على الابير واراد ان لا يبدي حكمه القاطع قبل الوقوف على فكري . الا انني لم استطع ان اكون له فكرة عن حالة جيشنا ومقاصدنا لان الامور مرهونة باوقاتها وتراءى لي وانا فى برلين كاني فى عالم آخر . فان التناقض بين المجهود العظيم الذي عهدته منذ مفتتح الحرب والحياة البرلينية كان عظيما جداً . فاني لم ارسوى عيشة تلاه والتذاذ ولم يبد اثر لما كان يجب ابداؤه من الاهتمام بموقفنا العصيب فاستأت واستوحشت من هذه الحياة . وسررت عند عودتي الى تشينستوخوفو وتواجدي فى وسط من الزملاء

وفى ٣ نوفمبر صباحاً صممت على تنفيذ مشروعي . وكان لا بد من القيام بعمل جديد . وطلبت من القائد هندنبرج الموافقة على الفكرة التي تم البحث فيها من قبل وهي تقتضي حشد القوى فى اتجاه هوهنسالزا . فصدرت الاوامر فى الحال واحيط المعسكر العام الاكبر علماً بذلك . واخذ المعسكر العام الاكبر يراقب مجرى حوادث الشرق بقلق عظيم فان الموقف عند مالفا وعلى تخم بروهميا الشرقية اخذ يزداد تفاقما يوماً فيوماً . وقد ارسل العرضي الخامس والعشرون الاحتياطي المؤلف حديثا مددا لجبهة بروسيا الشرقية فقاتل بشجاعة . ولكن ظهر فيما بعد ان قيمة التشكيلات الحديثة أقل من قيمة الفيالق المؤلفة من جنود طال مرانهم يقودهم ضباط قويو الارادة عظيمو الاقدام . ورجال هذه الانظمة الحديثة اشداء الا انهم لم يصيروا بعد جنوداً . ولم تتغلب شجاعتهم واخلاصهم

على قلة خبرتهم العسكرية . والضباط العديدون الذين كانوا قد التزموا السكون مدة طويلة ثم عادوا فى هذه الآونة الى العمل بذلوا كل ما فى وسعهم الا ان الممارسة كانت مفقودة منهم . على انه كانت توجد حالات استثنائية • ان الجيش لا يمكن ان يخلق في بضعة اسابيع . اذ لا بد له من مران طويل ومن اعتياد على الحياة العسكرية وخير مثال على ذلك التشكيلات الانجليزية والامريكية المستحدثة التي بذلت ثمن عنادها واقدامها ضحايا عظيمة من الدماء .وعلى ذلك فلم يستطع العرضي الخامس والعشرون ان يغير حالة الجبهة البروسية الشرقية فكان لا بد للجراندوق ان يضرب المانيا والنمسا ضربة حاسمة بالانسياب من جهة منعطف الفيستول ومهاجمة الارض الالمانية الكائنة شرق الفيستول فى الوقت نفسه وهو ينشد النصر المبين هنالك ايضاً او على الاقل يمنعنا من تحريك جنودنا

وكان لابد من حدوث وقائع متسلسلة متضامة بعضها الى بعض على طول حد المملكة البروسية الشرقى . فلا بد لهذه الجبهة من قيادة وحيدة ذات عزم . وقد جري البحث فى هذا الصدد مع القائد فالكنهاين عند ما كنت فى برلين . وفى اول نوفمبر عين صاحب الجلالة الامبراطور القائد هندنبورج رئيسا عاما للقيادة الشرقية . واسندت قيادة الجيش التاسع كاقتراحنا الى القائد ما كنزن . وبقيت رئيس اركان حرب القائد هندنبورج• واغلب مساعدي تحولوا الى هيئات اركان حرب جديدة .

واصبحت سلطة القيادة العامة الشرقية ممتدة بشكل فعال على الجيش الثامن والتاسع وعلى هيئات اركان حرب الجيوش الاول والعاشر والسابع عشر والثانى والخامس والسادس الموجودة فى بروسيا الشرقية وبروسيا الغربية والبوميرانيا وبوزن وسيليزيا والمعاقل المنبثة فيها .

ثم فيما بعد انتقل فيلق زاستروف الموجود فى جهتى سولداو وملاوا الذى كان تحت امرة الجيش الثامن الى امرة رئاسة القيادة الشرقية العامة.

ولقد صار نظام القيادة على هذا النسق حسنا . وهو يرفع رئاسة القيادة من الاعمال التفصيلية التي يقوم بها كل جيش . اللهم الا اذا دعت بعض الاحوال تداخلي بشكل اصدار تعليمات تندمج فى اختصاص قيادات الجيوش .ولم يكن مثل هذا التداخل سهل علي . ولقد اهملته فى بادىء الامر ، الا اننى اخذت ارجى التوفق الى وضع قاعدة له .

-٩-

ولتأثرنا بالتبعة الهائلة كنا نعلم جميعنا فى المعسكر العام حرج موقفنا. ولقد صرنا ونحن فى ولاية بوزن نشعر اكثر مما كنا فى بولونيا بخفقان قلوبنا خوفا من اغارة العدو وما يتبعها من العواقب . وكان هذا الخوف يزداد من جراء الوسائل الحربية المتخذة لان نتائج الوقائع المنتظرة لم تكن مؤكدة . فالتفوق الروسي عظيم وجنودنا شديدو التعب وحلفاؤنا قليلو التأثير .

وقد اخليت مقاطعات الحدود من الشبان الذين فى سن الخدمة العسكرية ورؤى انشاء مواقع حربية فصدرت الاوامر بانشائها . وقد أتلفت المناجم فى بعض جهات بولونيا ، واتخذت التدابير اللازمة لاتلاف السكك الحديد الالمانية والمناجم الموجودة فى جهات التخوم . وقد خابر حاكم المنطقة العسكرية السادسة بناء على طلبي احدى سلطات المناجم فى سيليزيا العليا لاجل تدابير اتلاف المناجم في هذه الولاية واتفق معها على اقتراحات صودق عليها . فنجم عن ذلك استيلاء الرعب على الولاية . وكان من واجبي ان احول دون انتفاع الروسيين بهذه المناجم اطول مدة

ممكنة ، لان المصلحة العسكرية تتطلب ذلك . ولقد اتلف الانجليز فيما بعد بمنتهى الشدة آبار البترول الرومانيـة ، فالفحم ليس باقل خطارة فى فائدة الحرب من البـترول . على انه صار الاقتصار في الواقع على اتخاذ الوسائل التمهيدية بناء على رأى احدى سلطات المناجم العالية .

ولم يكن سكان ولايتنا التي على الحدود من العنصر البولوني مجاملين لنا . بل التزموا خطة التحفظ الشديد منتظرين مجري الحوادث . ولم يكن ليندهش من سلكهم هذا أي انسان بصير .

وبما ان قلتنا العددية واضـحة فقد كان من المهم ازاء المعارك القريبة الحاسمة اخراج كل الجنود والمواد الحربية القابلة للافادة في حرب العراء من حصون بروسيا الشرقية وحصون الجهات الخاضـعة لقيادتنا . وكنا بدأنا منـذ اغسطس ١٩١٤ نشـكل مع مرور الوقت من اللاندسـتورم واللاندوبهر وانظمة المعاقل المتنوعـة عددا من الفرق مساويا للفرق التي كان اعدها القائد مولتك لمعركة كونيجراتز وتممنا تشكيلها بالفعل . وقد اطلقت على هذه الفرق ارقام مماثلة لما يطلق على الفرق النظامية ، ولكن هذا العمل لم يغير جوهر نظامها . ولا يمكن على الخصوص مطالبتها من جهة السير ومن جهة القتال بما يطلب من الوحدات المكونة من الطبقات الحديثة ضنا . وغالبا ما كانت تقضي الساعات الحرجة بعدم التمييز . ولقد قامت هـذه الجنود باكثر مما كان ينتظر منها ، فهي جاءت بانفس مالديها في سبيل الذود من بلادها أي عن املاكها ومساكنها .

وضمت الى الجيش الثامن الرابض على تخم بروسيا فرقا من اللاوندبهر ونظم في سولداو فيلق لحراسة التخم بحاميات حصون الفيستول وباللاندستورم وهو فيلق زاستروف المؤلف من فرقتين والذى صار فيما بعد العرضي السابع عشر الاحتياطي . واخذ معقل ثورن الذى ذهب احتياطيه العام ـ الفرقة ٣٥ الاحتياطية الى تشنستوخوفو ينظم بالتدريج

احتياطيا عاما جديدا مطلقا عليه اسم فيلق فون ديكهوته . وقداستخدم فيما بعد على شاطيء الفيستول الايمن في اتجاه بلونزاك . واحتياطي تورن الآن هو لواء الفون وسترنهاجن اللاندستو رمي الذي كان متقدماً في اتجاه بزورا ثم ارتد اثناء تراجع الجيش التاسع الي فلوسلافك

وكذلك معقل بوزن قدم بالمثل احتياطيا عاما وقاده القائد الكونت بريدوف وابلى به بلاء حسنا مع فيلق فروميل في معترك بولونيا . ولم تكن لجنوده اللاوندبهر يةمطابخ سيارة. فهاجموا الروسيين للحصول على هذه المطابخ وحصلوا عليها بحد الحسام ... ويقدم معقل بوزن وولاية بوزن الآن قوى جديدة . وكان احتياطي بوزن الموجود في جهة كاليخ مؤلفاً من فرقة قوية جدا ومزودة بكل ما يلزمها . وقد استخدم حاكم بوزن القائد كوخ ورئيس اركان حربه الكولونيل ماكارد هذه الفرقة بنشاط عظيم

و وجب على المنطقة السادسة ان تكون فيلق بريسلاولاجل حماية التخم شرق كسين . وكان لا بد من مضي وقت على تنظيم هذا الفيلق واستعداده لاقتحام بهرة القتال . ولقد ساعدني القومندان بوكليمبرج مساعدة جليلة فى نظم هذه الوحدات الحديثة

- ١٠ -

كلما انعمت التفكير في حل المسألة الجدديدة التي تصدينا لها ازددت بصرا بحقيقة الموقف والخطر الهائل المحدق به وازداد تصميمي وضوحا فيما يختص بالعمل الحربي الذي تقرر في تشنستوخوفو وهوالقيام بضربة كبرى تؤدي الى انقاذنا نهائيا من الخطر الهائل . ولا يكفي وقف العدو فقط بل لا بد من افنائه . ولم تجيء هذه الفكرة دفعة واحدة وانما تكونت

بالتدريج . ولقد جمع كل ما استطاع رئيس قيادة الشرق جمعه للهجوم ما بين فر يشن وتورن . وبذل القائد كونراد كل ما في وسعه لاعانتنا . و بلغ من ضعف الجيش الثامن انه لم يعد اهلا لتغطية تخم بروسيا الشرقية وقد انشأ له خط ارتكاز مدعم بالموقع المستحدث بين بحيرة سبيردنج وبحيرة ماو ير و بالموقع المنظم في انجيراب . وقد تخلى هذا الجيش شيئا فشيئا عن العرضى الخامس والعشرين الاحتياطي الذي كانت خسارته عظيمة ولم نعلم بحقيقتها الا فيما بعد وعن العرضى الاول الاحتياطي والفرقتين الاولى و٣٦ من المشاة . وقد نقلت هذه الجنود الى تورن في اتجاه فلو زلافيك . فاضطر قائد الجيش الثامن منذ هذه الآونة الي ان يعتني بجنوده اشد العناية ليتسني له الاستيلاء على المواقع الملزم باحتلالها عند مسيس الحاجة . وهذه المواقع من الواجب الاستيلاء عليها بأي مجهود خارق العادة يتحمله الرؤساء والجنود . ومن الواجب ثبات فيلق زاستروف في سولداو لان حياة الجيش الثامن وحظ بروسيا الشرقية متوقفان على هذا الثبات

وكان من المهم جداً ايجاد قوى هائلة هنالك . واذا ما حدث تقدم عظيم من ملاقا في اتجاه خط الناريف روخان – بولتوسك فانه يؤيد تأييدا ناجعا الاعمال الحربية الجارية على ضفة الفيستول اليسرى . ولكن يجب علينا الوقوف عند حد معين لتأكيد نجاح الهجوم الجنبي الحادث على الضفة اليسرى . وبغير ذلك تتمزق القوى . ونكون قد توصلنا الي غرض مهم اذا امكن تقوية فيلق زاستروف الى حد يسمح له بالقيام بحركة ضغط تتمشى فى اتجاه بولونيا الشمالية وايهام العدو الى مدة ما على الاقل بانه سيوالى زحفه. وقد احتشدت قوى روسية عظيمة فى شمال نوفوجيور جييفسك . فمن المهم احتجاز هذه القوى فى مكانها

لنجاح معركة شاطىء الفيستول الايسر . وفى استطاعة معقل تورن ان يجود لتحقيق الزحف المنوى على ضفة الفيستول اليمنى بلواء وسترنها جن الذى صار فيما بعد قسما من الاحتياطي العام الجديد. وهذا اللواء يجب استخدامه فى اتجاه بلوسك بالاتصال مع فيلق زستروف في مشاغلة العدو. ومن الممكن استدعاؤه من بلوسك للاشتراك فى معركة ضفة الفيستول اليسرى .

واستقرت هيئة اركان حرب الجيش التاسع فى هوهنسلزا. وعناصر الجيش الثامن القادمة الى تورن ـ وهي العرضى الاول والعرضى الخامس والعشرون الاحتياطيان ـ تظل تابعة لقيادته . والعرضى العشرون العامل والفرقة الثالثـة من الحرس القادمـة من سليزيا العليا تستقران فى جنوب هو هنسالزا والعرضى السابع عشر العامل فى جنيزن . ويقوم العرضى الحادى عشر بحركة قدمية مابين اوستروفو وجهة فريشين فى البقاع الالمانية. ويشتبك فيلق فرسان فروميل بالخيالة الروسيين ما بين بروسيا وفارتي شرق كاليخ بينما يكون من خلفه فيلق بوزن مشتغلا باحتلال الموقع . وكان اللاندستورم الذى صار فيما بعد جزء من فيلق برسـلاو لا يزال محتلا البقاع الممتدة الى مقربة من فيلون ومن هناك الى منتصف طريق تشنستوخوفو وكرا كوفيا يوجد القائد فو يرش ومعه الفرقة ٣٥ الاحتياطية وفرقة الكونت بزيدوف اللاوندو يهرية والفيلق اللاندويهرى وفيلق الحرس الاحتياطى من غير الفرقة الثالثة من الحرس فانها كانت مرتبطة بالجيش الاول النمسوي الممتد الى الفيستول ، وفي جنوب النهر الى جبال الكربات محتشدة بعض الوحدات الالمانية بل متزاحمه مع العناصر الاخري من الجيش الحليف ، وفي الجبال انتشرت قوي جسيمة لحماية المجر .

فيرى مما تقدم ان مهاجمة العدو من الجنب لن تحدث الا بخمسة عرضيات

ونصف عرضي اي ان الجبهة الروسية الممتدة على مدخل الوارتا في الارض الالمانية ستهاجمها قوي غير كافية بالمرة . وكان القائد فويرش مكلف بالاشتراك في العمل مع الجيش النمسوي . واذ لم يكن من المعلوم اذا كان هذا الجيش مصمما على الهجوم لان حالته الادبية كانت قد ازدادت سوءه عن الاول فقد سئل الجيش الاول النمسوي عما اذا كان في استطاعته الثبات امام هجوم العدو المنتظر فأجاب بانه يثبت في مكانه بالتأكيد ٢٤ ساعة الا ان هذا الهجوم الذي كان متوقعا لم يحدث . والفضل في اصلاح حالة الجيش النمسوي الادبية واشباعه بروح الهجوم يرجع الى كفاءة القائد كونراد الذي كان في الحقيقة محتاجا الى النجدات الالمانية

ولجعل الهجوم الجنبي شديد الوطأة وتقوية الجبهة اردنا ان نجلب الى الشمال عناصر قوية من مجموعة جيوش فويرش الا ان القائد كونراد بالغ في الالحاح علينا بعدم الاقدام على ذلك . فاقتصرنا على استخدام الفرقة الثالثة من الحرس الى هوهنسالزا لتنضم الى مجموعة الجيش التاسع المعدة للتصادم

واقبل القائد كونراد من الكاربات بطريق السكة الحديد مخترقا سيليزيا العليا الي الجهة الشمالية من تشنستوخوفو ومعه القائد بوخم ارموللي على رأس اربع فرق من المشاة وفرقتين اوثلاث فرق من الفرسان

ولارضاء القائد كونراد عهدنا الى القائد فويرش ان يكون تحت امرة القيادة العليا النمسوية . .

وبعد قدوم الجنود النمسوية استطاع فيلق برسلاو الجاري تشكيله ان ينضم بعضه في بعض قليلا . وهذه الوسائل قوت الجبهة بعض التقوية الى منتصف نوفبر الا انها بقيت اضعف من الاقتدار على تحمل معركة عظيمة . ولقد قيل فيما بعد ان الجيش النمسوي دافع عن سليزيا العليا وفي الحقيقة

انه انما كان يدافع عن بلاده هو اثناء قتاله فى شمال تشنستوخوفو .

ومن الطبعى ان الانظار تتجه فى مثل هذا الموقف الى جهة الغرب ، فاخذت اسائل نفسي اذا كان حظنا في الغرب سيتيح لنا الظفر فى ايبر أو اذا كان الاوفق اتخاذ خطة الدفاع في الميـدان الغربى وتوجيه كل عزائمنا لفض اشكالنا مع الروس بتاتا . وقد اقترح هذا الشطر الاخير القائد كونراد فى نوفبر . واستصوبت اقتراحـه فطلبت من المعسكر العام الاكبر امدادا تستحجر من الميدان الغربى . فوعـدنا بارسال قوي تزيد على فرقتين من الفرسان ، الا انها وصلت متاخرة جدا وعلى اجزاء في منتهى الصغر . فالمهاجمة الجنبية لاتوصـل الى الغرض المقصـود الا بتاثير مفاجىء أي بسرعة وشدة وبجمع كثيف وبالتوفيق بينها وهجوم الجبهة . ولم يكن فى وسعنا ان نرجىء هجوم الشرق ولو اننا كنا لانزال حتى ١٠ نوفبر معتمدين على وصول النجدات . على ان الوحـدات القادمة من الغرب كانت فى حاله من الضعف جعلت اعدادها توازى اعداد الواحدات الشرقية . ومع ان الجبهة البولونية كانت تخالف فى حالتها الجبهة الغربيـة فقد صارت مثلها فى اوائل الهجوم .

ولم يكن فى استطاعتى ان احكم بناء على المعلومات التفصيلية اذا كنا مع وصول النجدات القادمة من الجبهة الغربية يمكننا ان نشرع فى حركات اخرى . فلا يسعنى اذن ان انتقد الحالة العامة . ولقد كان من رأيي دائماً فى المدرسة الحربية ان كل انتقاد لا يكون قائماً على الاعمال التى حدثت تقع تبعته على الناقد .

وبعد ان وصل فيلق فرسـان الفون ريختهوفين فى الوقت المناسب لزحفه الى الامام ، جاء فيلق خيالة الفون هوللن: وهو مؤلف من الفرقتين الثانية والرابعة من الفرسان فالحق بفيلق زاستروف . ثم وصل الينا بعد

الابتداء فى الزحف الى الامام العرضى الاحتياطى الثالث وقائده الفون بريلمبر، وهومؤلف من الفرقتين الخامسة والثالثة الاحتياطيتين، والعرضي الثالث عشر بقيادة الفون فابك وهو مؤلف من الفرقة السادسة والعشرين من المشاة والخامسة والعشرين الاحتياطية، والعرضي الثانى وقائده الفون لانسجن وهو يحتوى الفرقتين الثالثة والرابعة من المشاة، والعرضي الرابع والعشرون الاحتياطى وقائده الفون جيهروك وهو يحتوى الفرقتين ٤٧ و ٤٨ الاحتياطيتين . فارسلت الى الاماكن المقتضية الامداد حسب الاحوال . فالوسائل التى كنا حاصلين عليها فى مبتدإ الاعمال الحربية أى فى ١٠ نوفمبر كانت غير كافية وعلى الاقل فقد كان من الواجب عدم الاقتصار على وقف القوة الروسية الزاحفة فى منتصف الفيستول نهائياً بضربة فاصلة وحملهم على العدول عن متابعة تقدمهم بل منعهم عن العمل بتاتا . وتتم هذه النتيجة اذا اتيحت ازاحتهم من فارسوفيا . وفى حالة عدم القدرة على تحقيق هذه النتيجة فاننا نقنع بنتيجة اقل من تلك شأناً . وعلى كل حال نكون قد قمنا بمهمة جسيمة

- ١١ -

وقد تقدمت الاعمال الحربية فى نوفمبر بقدر ما كان منتظراً لها فتخطى الجيش الروسى اماكنه فى كل مكان منفذاً الخطط العظيمة التى وضعها الجراندوق

ورأى الجيش الثامن نفسه مهاجماً فحاول بعد تجرده من العرضيين الاول والخامس والعشرين الاحتياطيين ان يدافع بمفرده عن الحد الشرقى من بروسيا الشرقية ازاء هجمات الاعادى المتفوقين عليه تفوقاً عددياً عظيما . الا انه بعد استطالة مدة الدفاع اصبح ثباته فى مكانه مستحيلا .

واذ ذاك سحب من مركزه الى الموقع الكائن ما بين البحيرات المازورية والانجيراب حوالى منتصف نوفمبر

فصار التخلى للروسيين مرة اخرى عن شرق بروسيا الشرقية. ولقد كابدت غصصاً عظيمة من هذا التخلى وهذا أمر مفهوم الا انه كان ضروريا لما اصاب الجيش الثامن من الضعف. فاقتفى الروسيون آثاره بشدة بل لقد هاجموا الموقع الحديد ومع ذلك فلم يك بد من فصل الفرقة الاولى من المشاة والحاقها بالجيش التاسع لتشترك معه فى وقائع غرب الفيستول. فالمطلوب اذن ادراك الفرض المنشود فى اهم موقع وهذا تصميم جرىء

وهوجم فيلق زاستروف فى موقعه الكائن ما بين ملافاو يراسنيخ واضطر الى النكوص الى خط سولداو - نايدنبورج. وبعد معارك قاسية منع العدو من التقدم وتراءت حالة جميع البلاد الكائنة شرق الفيستول معرضة للخطر. وكانت بروسيا الغربية على كل حال فى احرج موقف بيد ان فيلق زاستروف قام بواجبه. وقد مرت بنا ونحن في بوزن ساعات قلق واضطراب. وتلافى الحالة وصول فيلق فرسان هوللن الى الجناحين فى منتصف نوفمبر ووصل لواء الفون وسترنهاجن اللاندستورمى الى بلوتزك. وقد نقل فيما بعد الى ضفة الفيستول اليسرى. وفى خلال هذه الحركات تمت تعبئة الجيش التاسع. وقامت السكك الحديدية بكل ماطلب منها. وفى مساء ١٠ نوفمبر كان هذا الجيش مستعدا للزحف فى الاتجاهات الآتية: العرضي الخامس والعشرون والعرضى الاول الاحتياطيان فى جنوب تورن فى اتجاه فلوزلافك - لوفيتش. فيلق فرسان الفون ريختهوفين والعرضي العشرون العامل والفرقة الثالثة من الحرس فى جنوب هوهنسالزا فى اتجاه كوفنو والعرضى السابع عشر فى الجنوب الشرقى من جنيزن في اتجاه لانتشيتزا. والعرضي الحادى عشر

في شرق فريشين في اتجاه كولو ر ـ دومب . وفيلق فرسان فروميل ما بين اونيياوف وسيرادز في اتجاه لودز . وفيلق بوزين ما بين كاليخ وسيرادز في اتجاه لاسك . ولم يكن ينتظر نفع كبير من جانب لاندستورم فيلق برسلاو ولا من الفرق الخيالة النمسوية . وكانت قلما توجد في هذه الآونة قوى ثابتة في اماكنها كما انه لم يكن من المنتظر توقع هجوم حالي في اتجاه الجنوب . فالاحتمال الوحيد هو الهجوم على قوة القائد فويرش التي ضغط عليها الروسيون بشدة لم تكن في الحسبان . وقد احتل الروسيون فلوسلافك في منعطف الفيستول . وكانت بقية المواقع لغاية الوارتا لاتزال في بهمة واختباط . وكان الجيش الاول الروسي منتشرا هنالك وقد غطى الضفة اليمنى من الفيستول كذلك . وكان مشتملا على ١٠ الى ١٤ فرقة . وكان من المؤكد وجود ٨ الى ١٠ فرق روسية ما بين الفيستول والوارتا . ومن شمال الوارتا مباشرة تمتد عناصر قوية من الفرسان الروسيين واصلة في زحفها الى الحدود . والسواد الاعظم من الجيش الروسي بلغ الوارتا وهو يكون جبهة متواصلة الامتداد في اتجاه شمال سيرادز ـ نوفو فجهة رادومسك الى الشمال الشرقي من كراكوفيا . وبلغت عناصر أخرى زاحفة في غاليسيا مجري الدوناجيك والتحمت بالقوى الكائنة في الكاربات . ثم حدث وقوف في حركات العدو لان اتلاف السكك الحديد ادى الى النتائج المرجوة . الا ان بعض الشواهد دلت على عزم العدو على موالاة الزحف .

فلم يشأ القائد ما كنزن ان يدع الوقت يذهب سدى بل شرع منذ ١١ نوفمبر في الاعمال الحربية ، ولم يسعنا سوى موافقته . وحدثت من الايام الاول وقائع في منتهى الشدة حافلة بالقتلى العديدين في جهات فلوزلافيك وكوفنو ودومب فأصيب الروسيون بذهول عظيم جعلهم ينكصون على اعقابهم في كل مكان . وبينما كانت اهم عناصر الجيش التاسع

تزحف بلاتلكؤ الى محطة لودز عن طريق كوليوشكي كان القائد مورجن يسترجنبها من جهة شمال لوفيتخ بالعرضى الاول الاحتياطي. وقدأصيب بضغط شديدفدافع عن نفسه في بادىء الامر باتخاذ خطة الهجوم، الا انه عدل عن الهجوم ازاء الفيالق الروسية المتدفقة عليه من اتجاه نوفوجيور جيفسك على ضفة الفيستول اليسرى. الا ان هذه الفيالق لم توال زحفها الا ببطىء من جراء الضغط الحادث من جهة ملافا.

واخيراً تغلب قلب الجيش التاسع المؤلف من فيلق فرسان ريختهوفن والفرقة الثالثة من الحرس والعرضى الخامس والعشرين الاحتياطى على مقاومة الروسيين واقتحم خط لوفيتخ — لودز واندفع من طريق برزيزيني الي الامام بسرعة فى اتجاه الجنوب. ولم يلتفت فى زحفه الا الى امامه وهو يجد فى طلاب النصر المبين. وقد صدر أمر من رئاسة الجيش التاسع الى القلب الجد فى زحفه. ولي علم بهذا الامر، بالتوطن فى سيكيرز نيفيتس الا انه لم يدركه: فلبثت بقية الجيش متاخرة جدا. فقدالتقت العرضيات العشرون والسابع عشر والحادى عشر فى يوم ١٧ بقوى عظيمة من الاعداء في شمال لودز واشتبكت معها فى القتال. ولم يتقدم فيلق فرسان نرومبل وفيلق بوزين الا ببطء على ضفة الوارتا الشرقية. وافادت اشارة مستجرة من التلغراف الاثيري ان الروسيين يفكرون فى مغادرة لودز فعظم سرورنا لهذا النبأ. الا ان اشارة جوية أخرى افادت تصميم الجراندوق ذو الارادة الحديدية على ابقاء فيالقه فى اماكنها. فاصابنا هم عظيم من تلاشي احلامنا.

وصدرت الاوامر الى الجنود الروسيين الرابطين على ضفة الفيستول اليمنى ماعدا العناصر المختلفة فى ملافا باجتياز النهر. ومن حسن الحظ ان

هذه الحركة لم تتم الا ببطء ولولا هـذا التباطؤ لكانت حالة القائد مورجن اشد خطرا .

وتجمعت القوى الروسية المهزومة المساقة عن طريق سكيير نيفيتس الي فارسوفيا عند مابلغت غرب هذه المدينة المحصنة مباشرة ، وشرعت في العودة الى الزحف مرة أخرى . واحتشد الجناح الروسى الايمن حول لودز ، واقبلت عناصر من الجبهة الروسـية الساكنة من الجيش الثانى والخامس الروسيين زاحفة فى اتجاه كوليوشكى بل الي غرب لودز بالمثل فالتقت فى اتجاه الشمال بعرضينا الحادى عشر الذي فجأه هـذا الزحف فاصيب بضغط شديد .

واستمر العرضى الحادي والعشرون الاحتياطى بعـد ان وصله مدد قوى في زحفه تحت امرة قائده الماهر الفون شافريو ياديل ورئيس اركان حربه الكولونيل ماسوف حتى تقـدم يوم ٢٢ الى مايلي برزيزينى بمسافة طويلة . واقتربت عناصر من فيلق فرسان الفون ريختهوفن من بيتروكوف ومن توماخوف . وانتشرت فرق المشاة الموجودة في جنوب لودز الشرقي نحو الغرب ، فعظمت الآمال . واذ ذاك تغـير منظر الموقف . فقـد زال الارتباط من بين العرضي الخامس والعشرين الاحتياطى والعرضى العشرين العامل ولم ينهزم العدو بجوار لودز . بل صد العرضي العشرين وانساب مابين جناحى العرضيين الداخليين . وتقدمت عن طريق سكيير نيفيتس فى اتجاه برزيزينى العناصر التى تجمعت ثانية غرب فارسوفيا من غير ان تجد ادني عائق في طريقها . فانفصل العرضى الخامس والعشرون والعناصر الاخري الملتحقة به عن بقيـة الجيش اذ هاجمتها من جهة الجنوب عناصر الجيش الخامس الروسي المتقدمة الى محطة كوليوشكى . وقد شغلت الوقائع الحادثة فى هذا الجانب الفرقة الثالثة من الحرس التى يرأسها القائد ليتزمان والعرضي

الخامس والعشرين الاحتياطي وفيلق فرسان الفون ريختهوفن وهي مشروحة بايضاح واف في كتاب وضعه اليوزباشي فون وولفين احيل القارىء اليه. وعلمنا من اشارة لاسلكية التقطناها من مخابرات العدو الجوية ونحن في بوزين على مقربة من المعترك ان العدو يعتبر القتال الدائرة رحاه الآن سينتهي في مصلحته وان استعداده عظيما جدا للوقائع الفاصلة وانه شديد الفخر بما يدور في خلده من اسره عدة عرضيات المانية ، بل لقد اعد القطارات اللازمة لحمل الاسرى ولا يسعني ان اذكر كل ما كنت اشعر به اذ ذاك . فاى شيء معرض للخطر ؟ ليس المهم الاستيلاء على عدد عظيم من الجنود الشجعان الذى سيقترن بافتخار العدو فقط بل المهم هو اخفاق حملة باسرها ! فلم يبق بعد هذه الهزيمة سوى رد الجيش التاسع الي الخلف. فكيف كانت تصير خاتمة ١٩١٤ ؟

الا ان حادثة برزيني انتهت بتأثير باهر للسلاح الالماني . وذلك لان الجنود الالمانيين المحصورين اخترقوا في الليلة الواقعة ما بين ٢٤ و٢٥ نوفمبر طريقا لهم في اتجاه الشمال، وأسروا اكثر من ١٠٠٠٠ أسير وعدداً عظيماً من المدافع . والعناصر التي تخلصت حصرت بين العرضيين العشرين العامل والأول الاحتياطي. فقد كانت ممتدة بينهما جبهة متصلة انكسرت امامها وثبات الروسيين الشديدة .

على اننا لم نصب الهدف الاعظم المقصود من هذه الحملة وهو سحق الجيش الروسي المحتشد في منعطف الفيستول ، وذلك لعدم توفر القوى لدينا .

وفي غضون ذلك أصدر القائد كونراد امره بهجوم جيش بوبم ارموللي وشطر الجيش الالماني الموضوع تحت امرة الفون دويرش والجيوش النمسوية الموجوة في الجنوب الي كراكوفيا . وقد تتوجت

الوقائع التى حدثت ببعض الانتصارات المحلية الاان حدتها لم تلبث ان تلاشت ، فلم تكن لها قيمة عسكرية مذكورة

وظل الروسيون الى آخر نوفمبر يضغطون بشدة عظيمة على الجيش التاسع كما انهم لبثوا يوالون هجومهم فى الجنوب بدون ان يحصلوا فى اية جهة على فوز عظيم .

وعنت لي الفرصة مرة اخرى فى آخر نوفمبر واول ديسمبر لاعادة التفكير في خطة الهجوم القديمة وذلك بمناسبة وصول الفرقة الاحتياطية الاولى من الجيش الثامن ووصول النجدات القادمة من الميدان الغربى اخيراً ، ولكنى عندما فكرت فيما سانيط بهذه القوى القيام به تبادر الى ذهنى وجوب دفع هجمات الاعداء ولا سيما ماهو موجه منها الى الفيلق الاولى الاحتياطي .

ونجح فيلق زاستروف فى الاستيلاء على زبيخانوف وبزاسينغ وذلك لان الروسيين كانوا قد نقلوا شطراً من قواهم الموجودة فى هذه الجهة الى ضفة الفيستول اليسرى ، الا ان فرق الخيالة لم تتماد في تقدمها لان الجو اصبح غير موافق ، والجياد لم تحد حدوة الشتاء . وبعد قليل بدأ العدو فى دور الكر ، فاضطررنا الى الانثناء الى مالافا . وتجددت فى منعطف الفيستول وقائع فى منتهى الشدة .

ووضع العرضيان الثالث الاحتياطى والثالث عشر العامل تحت امرة الجيش التاسع وارسلا الى اقصى جناحه الايسر . وخرج مركز العرضي الاول الاحتياطى اقتحمت هذه العناصر الهيجاء حال وصولها . ولم يكن ثمت عمل مشترك . ولقد كنت احسن اكثر مما فعلت لو انى عمدت الى تشكيل هيئة جيش جديد تحت امرة رئاسة القيادة الشرقية لما ينجم عن مثل هذا العمل من التاثير العظيم في سير الحركات العسكرية .

وبعد هذا المدد اصبح جناح الجيش التاسع الايسر قويا الى حد ان لم يعد مجال للخوف ، فاستطاع ان يتقدم بتؤدة خلال مواقع الاعداء في اتجاه بزورا ، غير ان القتال الناشب اذ ذاك لم يعد حد الوقائع الجبهية فلا يوجد التفاف من النوع المتسع . وكنا نستطيع فى الوقت نفسه ان نهاجم الجبهة المنحدرة الى قوة الفون فويرش . فقد ارسلت قوة العرضي الثانى العامل الى جنوب سييرادز وارسلت الفرقة ٤٨ الاحتياطية مدداً لجبهة فيلق برسلاو . وقد صحبت وثبة العرضى الثاني العامل بالنجاح الكامل في مستهل ديسمبر ، اذ تمكنت من التقدم السريع فى اتجاه لودز . ومن سوء الحظ ان هذا الزحف لم يجيء منذ خمسة عشر يوما من قبل .

واخلى الروسيون لودز فى ٦ ديسمبر واعتصموا خلف المياز جا. وكذلك استولينا على بقاع فى الجنوب لان الروسيين كانوا قد اضعفوا مركزهم هنالك منذ منتصف نوفبر رغبة منهم في الاحتفاظ بلودز وفي ١٥ ديسمبر استولى الجناح الشمالي على لوفيتخ ، وكذلك جرت جملة وقائع ظافرة فى الجبهة الا انها محلية .

ولقد تفاقمت الحالة فى جنوب كراكوفيا حول اواخر نوفبر . فالحفت القيادة النمسوية فى طلب فرقة تقوي بها جبهتها . فارسلنا اليها على غير رغبتنا الفرقة ٤٧ الاحتياطية . وهذا العمل يعتبر خطأ من الوجهة النظرية ، وقد دلت الحوادث على صدق حدسنا . على ان الفرقة وصلت في وقت القتال تماما . وكان القائد كونراد يريد الاحداق بجناح الروسيين الجنوبي من جهة الكاربات . ولوصوله الى هذا الغرض اضطر الى ترقيق جبهته بدرجة عظيمة . وتمكن بمعركة ليمانوف — لابانوف التى تراجحت فيها الكفتان مراراً ما بين ٣ ديسمبر و ١٤ منه من قهر الروسيين فى غرب دوناجيك ، فكان هذا التغلب نجاحا عظيما للجيوش النمسوية بعد الشدائد

التي منى بها منذ بدء القتال .

وقد ارتدت الجبهة الروسية من جراء تقدمنا المتوالي في بولونيا وغاليسيا الى ماوراء البزورا ـ قطاع رافسكا ـ وهو مجري البليتزا الاعلى والى ماوراء النيدا والدوناجيك .

واصطدمت حركة الالتفاف القائم بها القائد بورويفيك في الكاربات بين السان والدوناجيك بعد مدة وجيزة بقوى من الاعداء اغزر عددا ، وشرعت هذه القوى نفسها في اتخاذ خطة الهجوم . فنجمت حالة جديد اخذت تنمو لتكون ذات شأن عظيم في حوادث ١٩١٥

وحدثت في منعطف الفيستول ولا سيما امام جبهة الجيش التاسع وقائع محلية متعددة . وكنا في هذا الحين قليلي العلم بحرب الخنادق . فكانت معاركنا الميدانية كثيرة جدا . فرأيت ان انداخل في الامر بصراحة عظيمة كما اعتمدت على ذلك فيما بعد . فقد رايت الخسائر اخذت تفدح حتى لم تعد تتناسب مع الفوائد الناجمة عنها وهذا امر يجب ان تهتم به القيادة العامة .

واحتل الروسيون على ضفة الفيستول الشمالية بلوزك وتقدموا الى مرتقى فلوزلافيك[١]. الا اننا استطعنا المحافظة على قمم الضفة اليمنى الناهضة شرق المدينة والمشرفة على السكة الحديد. ومد الجيش التاسع جناحه فوق قطاع كبير فلم نر بدأ من الاهتمام بهذا الامر ، على ان مياه الفيستول لم تجمد فلم يتعرض الجيش التاسع للخطر . وبقيت الحالة على تخم بلادنا الجنوبي شرق الفيستول كما كانت . واستطاع الجيش الثامن ان يحتفظ بمواقعه المتدرجة بفضل المعارك الشديدة التي انشبها بغير انقطاع . وتقدم الروسيون قليلا في جزء من موقعنا الكائن بين البحيرات الازورية ولكنه تقدم محلى غير مهم . وتتابع العمل في كل مكان لتنظيم المواقع الجديدة . وفي غضون الاعمال

الحربية بذلنا الجهد في اعادة مد السكك الحديدية التي اتلفناها بطريقة علمية ، الا انها اقتضت مدة طويلة لان الجنود كابدوا مشقات عظيمة في مدها اوصلتهم الى حد الضعف . ومما يؤسف له ان هدايا راس السنة لم تصل الى الجنود في اوقاتها بسبب تعطل السكك الحديدية . واستغرق اصدار المنشورات اللازمة لادارة بولونيا التي احتللناها وقتا طويلا منا ، والخوض في صددها لاشان له اليوم . ولم تصب البلاد بما يدعو الى تبرمها بالرغم مما قمنا به من التفتيش عن المواد الثمينة الاولية اللازمة للحرب عملا بما يقضي به موقفنا الحربي .

وجرت المفاوضة مع النمسا في تحديد منطقتي المراحل . وقد استدعت الاتفاقات التي ابرمتها في هذا الصدد في شهر سبتمبر احداث تعديلات حديثة . الا ان المعسكر العام الاكبر و برلين تداخلا في المفاوضات الجارية بطلب من النمسا بلا ريب وهو تداخل قليل الجدوى لانهما لا يعرفان شيئا من حقيقة الحالة الجارية في الجبهة الشرقية . ولكنه امر لا فائدة له الآن بالمثل . واضطرني مركزي الى النظر في شؤون متنوعة ما بين حربية وسياسية فكان هذا الامر ادعى الى سأمي منه الى ارتياحي .

ولم يلبث الفخر الذي ادركناه بما آلت اليه الحوادث الاخيرة ان قلت قيمته على اثر ما حدث من التطور الفجائي . وذلك ان الجيش النمسوي لم يكن موفقاً في الصرب . فانه بعد ان تقدم في اواخر نوفمبر بسرعة عظيمة داخل البلاد وسقطت في قبضته بلغراد في ٢ ديسمبر وادى سقوطها الى تحمس النمسا عاد هذا الجيش الى مغادرة تلك البلاد على اثر الاستيلاء على لودز ومعركة ليمانوفا . فالعساكر النمسوية لم تكن آلة قتال يوثق بها . لقد استخفوا في بادئ الامر بخصومهم ثم اكبروهم فيما بعد الى ما فوق حقيقتهم .

لقد كانت حياة التمازج والوئام سائدة هيئـة اركان الحرب فى قصر بوزين . فاننا صرنا نشترك في القلق عند اضطراب الموقف وفي الفخر عند حدوث الفوز . واعتدنا على البقاء مجتمعين مدة وجيزة بعد الانتهاء من اكلة العشاء كل مساء . فنجلس حول مائدة مستديرة وضعت فوقها نخلة مهداة من جلالة امبراطورتنا وهى المـانية صادقة الوطنية اشعر بعاطفة الاحترام العظيم لها. وهذه الهنيهات عندي بمنزلة فرصـة للراحـة من عناء العمل الموصول فى غضون اشهر القتال التى تقضت الى هذا الحين .

لقد انتهت مكافحة عظيمـة وأخذت تتكون حوادث جديدة . فنجت المانيا والنمسا من خطر الاغارة الروسية ، وفشلت مشروعات الجراندوق برمتها. فذهبت معها احلام دول الاتفاق فى الانتصار المبين الذي كانت تمنى به نفسها في مختتم ١٩١٤ . ولم يكن التخلى عن شطر من شرق بروسـيا الشرقية وجزء كبير من غليسيا سوي امر تافه في جانب بنتيجة التى حصلنا عليها .

ان جنودنا الذين لبثوا من مستهل اغسطس يكافحون على التوالى او القومون باعمال عظيمة ازاء خصم متفوق عليهم تفوقا يعادل الضعف قد تخطوا حدود كل ثناء عليهم واعجاب بهم ، وكان لا بد من وجود أمثال هؤلاء الرؤساء وهؤلا الجنود للقيام بامثال هذه الاعمال المتناهية فى الجرأة: فالمجد وخلود الذكر لجيش المـانيا المجاهد فى ١٩١٤ !



معركة الشتاء المازورية

فى فبراير ومارس ١٩١٥

ان حملة ١٩١٤ لم تؤد الى انهاء الامر، ولست ادرى كيف يمكننا التوصل الى انهائه فى ١٩١٥ . وقد تألفت فى اواخر العام اربعة فيالق واعدت للاشتراك فى القتال فى فبراير وصار تدارك اوجه النقص التى اسفرت عنها تجارب التشكيلات التى تمت فى ١٩١٤ . وامكن الحصول على وحدات قوية الكيان بجعل اساسها قائماً على خيرة الضباط وضباط الصف الذين اشتهرت براعتهم فى المعارك السابقة . وكذلك صار انتقاء كبار موظفى هذه الوحدات من ذوى الجدارة والخبرة الواسعة . ومن الطبيعى ان رغبتى كانت تتجه الى توجيه هذه الفيالق الاربعة المستحدثة الى الشرق لمواصلة ازعاج الروسيين واضعاف قوة دفاعهم بقدر ما يسمح به مجهودنا . ولهذا كنا نريد ان نضرب ضربة جديدة فى بروسيا الشرقية. وكذلك كنا نريد ان نقوم بمثل هذا العمل فى الكاربات لو كانت النمسا قد عنيت بسككها الحديدية اثناء زمن السلم

واخذت القيادة النمسوية العليا منذ أواخر ١٩١٤ تتخوف من سقوط برزيمسل فى الربيع وتتوقع اغارة قوة معادية عظيمة على المجر. وكان الروسيون استتبعوا موائبتهم جيش القائد بورويفيك حتى بلغوا اعلى قمم الكاربات. فاراد القائد كونراد ان يتخذ خطة الكر فى نطاق واسع ينقذ به الكاربات وبرزيمسل فى آن واحد . ولاح لى وجوب تعضيد الجيش النمسوى فى الكاربات ولا سيما اذا لم يكن من المستطاع مهاجمة الجيش الروسى بشدة فى اية جهة اخرى . وكان من المشكوك فيه

مهاجمته في بروسـيا الشرقية لاننا لم نكن نعلم اذا كانت الفيالق الاربعة ستتيسر لنا وفق رغبتنا . فطلبت من القيادة الشرقية ارسال جنود الى النمسا . وبما ان الجيش التاسع يحتل قطاعاً ضيقاً نسبياً واعداد المواقع قد انتهى ، وهـذه الحملة قد افهمتنا ان حرب المواقع لا تتطلب من الجنود الا عدداً اقل بكثير مما تتطلبه حرب الميدان فقد صار من الميسور اخذ عدة فرق من الجيش التاسع واستخدامها فى جهة اخرى. ولم اعد راغباً فى مباشرة الهجوم فى بولونيـا او فى جنوب البيلتزا . وعلى ذلك امكن تخصيص الوحدات الآتية لتقوية الجبهة النمسوية وهى : العرضى الثانى العامل والفرقة الاولى من المشاة والفرقة ٤٨ الاحتياطية بلواء مؤلف من ثلاثة الايات صار تحويله فيما بعد الى فرقة الحرس وبالفرقة الخامسة من الفرسان. ثم تيسر سحب وحدات اخرى من جهات مختلفة ووضعت تحت امرة الرآسـة الشرقية العامة كاحتياط . فاذا توصل القائد كونراد بالقوى المذكورة ان ينفـذ خطة الهجوم المنوية يكون عمله هذا خيراً من اتخاذنا خطة الدفاع الهجومى .

وعمد القائد كونراد الى اضعاف القوى المحتشدة على حدود الصرب الى آخر ما تسمح به حالة الدفاع هنالك ناقلا كل ماامكن نقله الى الكاربات، وكان همه ان يوجه مجهوده الاعظم الى برزميسل يحشد قواه ما بين ملتوى اوخوك وملتوى دوكلاء بينما تكون الجنود الالمانية المحتشدة فى الشرق المعضدة بالتشكيلات النمسوية المستحدثة والمطلق عليها اسم جيش الجنوب الالماني والمتولى رآستها القائد لنسنجن وهو رئيس في غاية البراعة والشجاعة سائرة فى اثر القوى الاساسية الزاحفة على برزميسل ومنطية جنبه الايمن .

وكان جيش الجنوب الالمـانى أضعف من ان يقوم بحركة التفاف

فالواجب اذن تحركه من بيكوفينيا الا ان سكتها الحديد لم تساعد على اتمام هذه الحركة

وفى اثناء البحث فى هذه الاعمال الحربية اذا بي وقد فوجئت بتلغراف من المعسكر العام الاكبر يشعرني بتعييني رئيس اركان حرب لجيش الجنوب ولم يشأ القائد الفيلد مارشال هندنبورج التخلي عني . فكتب مراراً الى الامبراطور يرجو منه تركي فى وظيفتي التى اشغلها . على انني ودعت هياة أركان الحرب كما فعلت سابقا فى انستربورج وسافرت الى محل عملي الجديد وانا على اتم اعتقاد بعودتي قريبا الى مركزي الاول

و فى اثناء اجتيازي الكاربات تباحثت مع القائدين كونرادوفالكنهاين فى برسلاو . فتمت المصادقة على تفاصيل الاحتشاد والحركات العسكرية .

ولقد استقبلنا فى هنغاريا ، كما استقبلنا فيما بعد فى ترانسلفانيا عند تحريرها ، بمنتهى الحفاوة والحماسة . الا ان عاطفة الابتهاج بنا لم تلبث ان زالت عند ما اتممنا ما كان ينتظر من قدومنا . وعمد المجريون الى اتيان كل ما يبغض جنودنا فى البقاء بين ظهرانيهم . ولا مشاحة في ن المجريون شعب عظيم قوي الا انه لا يقوم بواجب المحافظة على المصالح المشتركة بينه والنمسا ولكونه يمثل اكبر عنصر فى مجموع الدولة النمسوية فقد انتهز هذه الميزة ليستخدم سياسة الدولة فى مقاصد عدائية ضد السربيين والرومانيين ومن سوء الحظ اننا تركناه يتبع هواه

وكان مقر المعسكر العام لجيش الجنوب فى مونكاكس . فانطلقنا القائد لنسنجن وانا من هنالك نطوف منطقة الاحتشاد ونختلط بهيئات اركان الحرب المجاورة لنا وبالجنود النمسوية الموجودة من قبل فى الجبل وصارت جزء من جيش الجنوب . وكانت الجنود غير معتنى بها

والمواقع غير منظمة وكذلك الثكنات والمستودعات . فأمامنا مجال فسيح للاعمال التحضيرية

وبينما انا اجتاز احد الايام الجبال المكسوة بالغابات اذا بي امام حارس فلما سألته عن نقطته اجابني بلغة اجنبية لا اعلم لها كنها وكذلك الضباط النمسويون الذين صحبوني لم يفقهوها . فتمثلت لي الصعاب التي يكابدها هذا الجيش المتبلبلة السنته ، وهي صعوبات يمكن ادراك شدتها اذا علم ان هذه العناصر زجت في الآلايات ليأمن مغبة انفراد بعضها عن بعض فقد سلمت آلايات كاملة من التشيك والرومانيين الى العدو . على ان هذه الوسيلة لم تكن ناجعة ولم ينجم عنها سوى اضعاف شأن الآلايات المجرية الجريئة والآلايات الالمانية المتناهية في التضامن والاحكام . ولاحظت هنا كما لاحظت من قبل في نوفوساندك في سبتمبر سنة ١٩١٤ ان الاهالي ما عدا الطبقة السائدة مجردين من التثقيف والتنوير . وزرت يوما قرى الهوزوليين فتأثرت من حقارة مساكنهم . فثمت فرق كبير بين دور هؤلاء المساكين وبيوت الفلاحين الالمانيين الذين بفضل عناية امرائهم بهم يقطنون مآوي حسنة جدا وقد غذيت عقولهم بالمعلومات اللازمة لهم في اعمالهم ، فما ابعد حضارة الارياف الالمانية عن ارياف النمسا والمجر ! فلا غرابة اذا كان الهوزوليون لا يدرون لماذا يحاربون . لقد اهملت النمسا في زمن عملها شؤوناً جمة . ولو كانت النمسا اعتنت بشعوبها وجنودها في زمن السلم نصف عناية المانيا لما احتاجت في مثل هذه الآونة الى الاستعانة بنا ، بل لقد كان في وسع الميدان الشرقي ان يوجه بكثير من وحداته الى الميدان الغربي . ولقد تبرمت النمسا من عدم انتصارنا في فرنسا اثناء ربيع سنة ١٩١٤ ومن تركها وحيدة امام تفوق الجيوش الروسية . وعلى كل حال لقد كان من شؤم طالعنا ان نحالف حكومات عجافا كالنمسا والدولة العثمانية . وقال أحد يهود رادوم لواحد من ضباطي انه لا يدري كيف

يعيش جسد ممتلىء بمثل هـذه الحياة وبمثل هـذه القوة لصق جيفه . وهذا الاسرائيلي على حق فى قوله الا اننا لم نجد لنا حلفاء اقوياء . ونحن لم نستطع بث الحياة والقوة ولو الى مدة وجيزة فى اجساد حلفائنا العجاف ولم اعلم حالة النمسا الا فى خلال الحرب ، فدهشت عند ما رأيتها فى مثل هذا البؤس والانحطاط . فولاة امورنا الذين تقع عليهم التبعة كانوا يعلمون ان النمسا هى الانسان المريض فى اوربا ، الا انهم لم يعرفوا كيف يتصرفون فى هذه المسألة . ولقد كان من الواجب مع التزامهم الاخلاص لهذه الحليفة ان يتولوا قيادها بدلا من الجرى وراء سياسة توسعها التى لها الغنم منها وعلينا العزم فيها .

ولم تطل اقامتى فى مونكاكس فقد عدت فى آخر يناير الى بوزين . وقد خلفت ورائى عهد اصلاح وتعليم ولم اقصر فى واجب اساسى .

١٢

وفى خلال هذه المدة علم رئيس قيادة الشرق العامة من المعسكر العام الاكبر ان ثلاثة فيالق حديثة التشكيل والعرضي الحادى والعشرين العامل ستكون تحت تصرفه فى النصف الاول من فبراير . وكان المعسكر العام الاكبر يريد ان يرسل فيلقا من التشكيلات الحديثة بدل العرضى الحادى والعشرين الا ان امتداد مدة الحرب جعلت الثقة تقل بالتدريج فى الميدان الغربى من شبان الالزاس واللورين ولهذا استصوب المعسكر العام الاكبر ارسال جنود الالزاس واللورين الى الميدان الشرقى . على انهم عند ما جاءوا الى هذه الجبهة لم تبدر منهم ادنى شائبة والعرضى الحادي والعشرون بالمثل اظهر استبسالا عظيما . وفى سـنة ١٩١٨ نقلت كل الطبقات الفتيـة الى الغرب للهجوم فى الميدان الفرنسوى . ولم يستثن الالزاسيون واللورينيون

من هذا النقل فادى مزجهم بسواهم الى تألم الوحدات من وجودهم .

ولقد وافق المعسكر العام الاكبر على ان تسير العرضيات الاربعة القادمة حال نزولها من القطارات الى اماكن العمل لمباغتة العدو المواجه للجيش الثامن بضربة مفاجئة قوية . ودلت تجارب تاننبرج ومعركة البحيرات المازورية على ان الفوز العظيم السريع لا يمكن ان يتاح الا بالهجوم من الجانبين في آن واحد . ومن الممكن فى هذا الموقف القيام بحركة التفاف في اتجاه تيلسيت — فلاديسلافو — كالفاريا بمجموعة مؤلفة من ثلاثة عرضيات تحشد بين النيمن والطريق الممتدة من انستربورج الي جومبينن وازجاء مجموعة اخرى مكونة من العرضي الاربعين الاحتياطى والفرقه الثانية من المشاة والفرقة الرابعة من الفرسان من بحيرة سبيردنج والحدود عن طريق بياللا وسوقها الى ايفانجورود بل الى ابعد منها أى الى اوجوستوف والى الجنوب . وفى الوقت نفسه يستبقى العدو فى مكانه بهجمات جبهية .

وكان الخصم ضعيفا فى جناحيه ، ففي وسعنا اكتساح بقاع واسعة قبل ان تتمكن القوي الاساسية من التخلص من الهجمات الجبهية الموجهة اليها . فمجموعتا حركة التطويق يجب عليهما ان تقبضا على العدو كأنهما قابضتا ملقاط وكلما ازدادا سراعهما فى قيامهما بهذا العمل كانت الفائدة اضمن .

فاذا امكن سحق الخصم يمكن على اثر ذلك مع متابعة عمل التغطية فى اتجاه كوفنو — جرودنو ، الهجوم من طريق خط اوسوفييتز — جرودنو والاستيلاء على معبر البوبر من خلف اوسوفييتز . ويتوقف النجاح على متانة الجناح الممتد ما بين فلوزلافك وملافا وبوهانيسبورج واوسوفييتز .

وفى الوقت الذى يصير فيه القيام بضربة على تخم بروسيا الشرقية الشرقى

كان من المفيد الاستيلاء على اراض فى خط فلوزلاوك يوهانيسبورج فى اتجاه الناريف وكذلك مهاجمة اسوفييزا. فنسبق الروس حينئذ من سائر الجهات . ثم نرى بعد ذلك اذا كان من الميسور القيام بحركة حربية وراء القوى الروسية الاساسية الموجودة غرب الفيستول

ان هذه الخطط تقضي القضاء التام على مقاصد الاعداء المعروفة لدينا. لقد كان الاتفاق لا يزالى راغباً الى عام ١٩١٥ ان يفوز فى الحرب بواسطة الروسيا. فأراد الجراندوق ان يهاجم الكربات بكل قواه وفي الوقت نفسه يقذف بقوات هائلة على جناح الجيش الثامن الذى صار ضعيفاً واختراقه ودفع هذا الجيش الى الوراء وطرحه على شاطىء الفيستول .وتقوم عناصر اخري اكثرها من كواكب الفرسان بغزو روسيا الغربية ما بين ملاوا والفيستول والتغلب على عناصرنا الضعيفة هنالك .فلا بد من الاستيلاء على البقاع الالمانية الكائنة شرق الفيستول وافناء الجنود الالمانية الموجودة فيها . وقد تأكدنا بالفعل من تقوية جنود العدو المواجهة الجناح الايمن من الجيش الثامن فى شهر يناير وربما كان اندفاع الروسيين الى الجهة الشرقية من الفيستول في ديسمبر سنة ١٩١٤ من تفاصيل هذه الخطط. وكذلك الحملة على الكاربات تعد منها . ولكن نجاح اعمالنا كلها كان متوقفاً على بقاء مشرعاتنا في طى الخفاء حتى لا يفطن العدو لها ويتخذ الحيطة اللازمة لدرء اخطارها.

ولم استطع التحقق مما اذا كان المعسكر العام الاكبر فى حالة تمكنه من الاستغناء عن قوة اخرى من الجبهة الغربية ليوجه بها الي الميدان الشرقى كما فعل من قبل فى شهر يناير . وبالطبع اننا كنا نتلقي كل مدد بالترحاب ولم يتقرر توجيه العناية العظمى بوجه قطعى الي مكافحة الروسيا الا بعد مدة طويلة .

— ٣ —

ولقد ظلت الوقائع المحلية ناشبة فيه هذه الاثناء عند ملتويات الفيستول فالى اى حد تستجر هذه الوقائع انظار الروسيين . لا علم لاحد بذلك . وعلى كل حال فلا ينبغى الاهتمام بهذا الامر مادام جنود الاعداء مطمئنين ثابتين فى مراكزهم . اما اذا تغيرت الاحوال بطوارىء غير منتظرة فهنالك تصبح القيادة فى قلق . وكان لا بد لنجاح مشروعاتنا من افهام العدو باننا سنوالى الهجوم بدفع الجيش التاسع بقوة فى اواخر يناير فى اتجاه بوليموف . وقد جعل المعسكر العام الاكبر تحت تصرفنا لاجل هذه الحركة ١٠٠٠٠ قنبلة من جملتها مقدار كبير من ذوات الغازات الخانقة على اننا لم نشك مطلقا فى الميدان الشرقى من قلة الذخائر الحربية لانها كانت وفيرة لدينا . اما فى الميدان الغربى فقد كانت الحال على عكس ذلك.

واني حينما كنت رئيس قسم التعبئة فى زمن السلم لبثت ارفع صوتى بوجوب الاكثار من ادخار الذخائر والاستمرار على صنعها حتى تأزف الساعة المناسبة ولكنى لم افز بسؤلى حتى فيما يختص بالارقام المدونة فقط . ولو اجيبت الى سؤلى لظللنا فى حاجة الى وفرة الذخائر وذلك لان الاستهلاك كان عظيما ولكن لعلنا نتغلب فيما بعد على هذه العقبة الكاداء ونتفوق على سوانا فى توفير الذخائر بدلا من بقائنا فى مؤخرة الدول المقتتلة .وقد اهتم منذ اكتوبر عام ١٩١٤ جد الاهتمام بهذه المسألة الضابط باور

وبدأ هجوم الجيش التاسع فى ٣١ يناير . الا ان درجة البرد كانت حائلا دون ان يكون مفعول الغازات الخانقة ناجعا ، وهذه حالة لم تكن معلومة الى ذلك الحين . وكذلك بقية اعمالنا الحربية لم تكن وفق المرام فى هذه الجهة . وكل ما حصلنا عليه هو اسر بضعة آلاف من جنود الاعداء

أما النتيجة الخططية فلا تكاد تذكر الا ان هذا الهجوم كان له تأثير عظيم فى نفوس الروسيين ، ومن هذه الوجهة نكون قد وصلنا الى مقصدنا العسكرى

ولقد اقبلت الينا الفيالق الاربعة المخصصة للهجوم فى الوقت المناسب اذ وصلت فى ٩ فبراير . ونقلنا معسكرنا العام الى اينستربورج فشقت علينا مفارقة بوزين

واخذنا نعد معدات الهجوم على اتم نسق واحكام . وسرنا ان امد الجيش الثامن بوحدات حولت ضعفه الى قوة عظيمة فاصبح الهجوم بفضل تعاضد الجيش الثامن والعاشر عبارة عن تنزه يقابله من الجهة الاخرى كر الجيوش الروسية بشدة متناهية . ولم نكن نعلم الى أى حد يصل مدى هجومنا فى شمال بولونيا .

وابتدأت معركة الشتاء فى ٧ فبراير . وكانت الجيوش تتمتع باعظم قسط من حرية العمل وضمنت وحدة الرأى الفوز بالامل بل لم يشترك اثناء المعركة فى ادارة حركات القتال قائد الميدان الشرقى العام الا قليلا جدا . واضطررت الى التفكير والتدبير فى استمرار الاعمال الحربية وحماية الجوانب .

ولقد كان من اشق الامور اصدار التعليمات اللازمة بشأن استمرار القتال فى مثل هذه الحالة العسيرة ، فقد ثار نوء من الجليد بشدة قلما يشاهد مثلها ابتداء من ٤ فبراير . واختفت الطرق وسكك الحديد تحت الجليد واصبح من المتعذر جدا التقدم الى الامام بغير السبل العامة . ولقد كان موقف الروسيين اشد حرجا لانهم كانوا فى اشد الحاجة الى ان تكون جميع مطالبهم امامهم . اما جنودنا فقد حصلت على كل حاجيات الشتاء

وكانت مجهودات الرجال والخيول خارجة عن دائرة الوصف وانها

لحملة خالدة المجد . فقد بدأت رؤس الصفوف تغوص فى الثلوج مخترقة لها طريقا فصادفت مشاقا هائلة ثم تبعها المشاة فمركبات المدافع فعربات الذخائر تسحبها جياد تتراوح بين ١٠ و ١٢ . ثم اخذت الصفوف تسير وحدات متلاحقة مصحوبة بالمدافع الخفيفة وصناديق الذخائر الصغيرة .

وبعد بضعة ايام تغيرت الحالة فانقطع تساقط الجليد ومع بقاء الاماكن المرتفعة مكسوة بالدثار الابيض فان المياه اخذت تلتمع في الوهاد . على ن تغير الحالة لم يضر قواتنا التى كانت قد خطت خطوات واسعة فى سبيل التطويق . وقد اصاب جنودنا من الاقوات فى عربات العدو وقطاراته التى استولوا عليها اثناء حركة الالتفاف مقادير كافية لسد رمقهم وهذا من لحظ الحسن الذى لولا تيسره لتعرقلت اعمال الاحداق من جراء قلة المؤن .

وكذلك منيت هيئات اركان حرب العرضيات بمشاق وعراقيل عديمة المثال فقد اكتسح النوء كل خطوط المخابرات التلغرافية والتليفونية وانقطت الصلات ما بين المقدمة والمؤخرة ولم تعد الاوامر تصل الى الوحدات ولا التقارير تبلغ اركان الحرب وتعذر اعداد الوحدات لخوض غمار الوغى . ومع كل هذه الصعوبات فقد امكن اتيان المستحيل . على ان المعركة لم تسلم كسائر المعارك من الاصطدام بحوادث مزعجة تركت لها اثاراً فى النتائج الفنية الحربيه .

وفى يوم ٧ فبراير كان تقدم جنود القائد ليتزمان حسنا . اذ بلغت في زحفها يوهانيسبورج واجتازت مجرى البيسا من الجهه الشمالية . وفى يوم ٨ استولت على يوهانيسبورج واستمرت زاحفة فى الايام التالية مع تحوطها من جهة آو سوفيتز على رايجرود حيث لاقت مقاومة عنيفة . وقوبل هؤلاء الجنود من او سوفيتز بهجوم قوي ردوه على الاثر . وفي

الوقت نفسه كان قلب الجيش الثامن يتعقب العدو المنهزم على سائر امتداد الجبهة وهو آخذ في الاقتراب من ليك .

ولقد بذل الرؤساء والعساكر جهودهم فى موالاة الزحف بأسرع ما يستطيعون . واما من جهة مجموع الترتيب العسكرى الفنى فقد كانت الحركة تعتبر فى منتهى البطء . واستمرت ليك محفوظة بدفاع الفيلق السيبيري الثالث عنها بشجاعة باهرة حتى يوم ١٤ الذي سقطت فى صبيحته . وافلت هذا الفيلق من المحو بتراجعه الى اوجوستوف خلف برك بوبر العليا .

وبعد سقوط ليك اسرع الجنود فى المضي الى الأمام، ففى الليلة الواقعة بين ١٦ و١٧ بلغ القائد لتزمان أوجوستوف بعد ملتحم جديد شديد . و بذلت جهدي أثناء هذه المدة فى دفع الجناح الأيمن من الجيش من رايجرود فى اتجاه الشرق عن طريق ناينو الى جنوب أوجوستوف ليهاجم الفيلق السيبيرى الثالث مرة أخرى من الجنب . الا ان الجيش الثامن اعتد هذا المقصد مستحيلا بالنظر لحالة الطرق .

ولاجل تغطية الجيوش من جهة أوسوفييتز — لومجا سحبت من بادىء الامر من صفوف الزحف على أوجستوف الفرقة الثالثة الاحتياطية واللواء الخامس والفرقة ١١ اللاندستورمية بالتدريج لازجائها الى تلك الجهة. فصار من الواجب شق أوسوفيتز والانقضاض عليها . وقد تحقق احتشاد القوى العظيمة حول لومجا . الا ان عناصر العرضى العشرين التى ارسلت الى الجهة المذكورة لم تعد كافية

وفي هذه الاثناء كانت حركة التفاف الجيش العاشر قد تمت بمنتهى الدقة . وفى يوم ١٤ عند ما آذنت ليك بالسقوط كانت صفوف هذا الجيش قد بلغت من شمال غابة أوجيستوف الكبيرة جهة سوفالكى — سايني .

واذ ذاك اخذ الجيش الروسي من جنبه وهو منهزم وارتد الى الجنوب ولقد ادت لنا ادارة الاستعلامات خدمات جليلة بما اذاعته قبل هذه المعركة من الاشاعات المكذوبة التي ضللت الروسيا ودول الاتفاق حتى ظهرت على الروسيا مظاهر الدهشة والذهول من حركات هذه المعركة التي لم يكن لها ادنى علم بتفاصيلها . وهذا سر من اسرار اكتساب الوقائع الكبيرة بقوى ضئيلة .

وحاولت عبثا بعض العناصر الروسية التي تراجعت الى كوفنو ان تهاجمنا من الجنب لتؤخر زحفنا فدفعناها بقوة الي كوفنو -- اوليتا .

وفي مساء ١٤ تراءت سهولة التمادي فى حركة الاحداق بالعدو من جانب أوجستوف الشرقي . وفى يومي ١٥ و١٦ اتسع نطاق التطويق وتقدمت طلائع العرضي الحادى والعشرين فى طريق ساينى أوجستوف فى صميم الغابة الكبرى ولكنها اصطدمت بجموع الروسيين المدفوعين من كل جانب والتي اصبحت فى حكم الاسار الا ان الجيش العاشر عجل بارسال عناصر من وحداته الى الطرف الشمالي من الاجمة فامتدت الى الجهة الشمالية الغربية من جرودنو . وهنالك اقامت لها جبهة في اتجاه الغرب فسدت بهذه الحركة الجريئة سبيل الافلات على العدو . واندفعت عناصر أخرى من الجنود الالمانيين في الغابة من الشمال ووصلت بعد الاستيلاء على أوجستوف الى ليبسك والبهر .. ازاء كراسنيبور و بذلك تم التئام الحلقة فى ليبسك .

ولقد ابدى الروسيون المدافعون عن جرودنو دفاعاً شديداً بما وصل اليهم من الامداد ولا سيما فى يومي ٢٠ و٢١ وكذلك وثب المحصورون فى الغابة عدة وثبات إلا انهم جميعاً لم يثبتوا امام حملات العرضي الحادى والعشرين الذي قاده ببراعة فائقة القائد فريترفون بيلوف الذى قاد فيما بعد

أحد جيوش الجبهة الغربية . وفى الايام التالية بدأت الجموع الكثيفة المحصورة فى غابة اوجستوف تسلم نفسها بعد ان دافعت دفاع المستميت وبذلك انتهت المعركة

-٤-

لقد كانت النتيجة التي اختتمت بها معركة الشتاء المازورية جسيمة وهي تتضمن : ١١٠٠٠٠ من الاسرى وعدة مئات من المدافع ومحو الجيش العاشر الروسى واضعاف مجموع القوى الروسية الى درجة عظيمة

وكان الغرض الاساسى من هذه الاعمال الحربية هو مهاجمة اوسوفييتز باعظم قوة فعالة من المدفعية . ولكن على الرغم مما بذله رجالنا من الجهود العظيمة ومن شدة نيران مدافعنا لم نصل الى الغرض الاساسى ، لانه كان لابد لنا من اجتياز قناة البوبر العليا واجتيازها غير ميسور الا اذا جمد ماؤها لشدة جريانه او من المعابر العامة ولا سبيل اليها لان الجسور كانت متلفة ، وفضلا عن ذلك فان وحداتنا لاقت من المتاعب ما اضعف قواها من جراء مقابلة القوى التى استكنت في الغابة الكبرى والفيلق السيبيرى الثالث الذي افلت من ليك ووجد براحاً من الوقت للم شعثه واكمال نقصه واعداد عدته والوقوف ضد قوانا الزاحفة . وبقيت نيران مدافعنا عاجزة عن الوصول الى الآكام المحدقة باوسوفييتز خلف شاطئ البوبر الآخر . وهذا ما شغل بال القيادة العليا وحملها على اصدار اوامرها بالعدول عن مهاجمة اوسوفييتز ومحاولة عبور البوبر

وصار من الضرورى ارجاع الجيش العاشر الالماني الى الخلف لاكمال نقصه واراحة رجاله ولتزويدهم بالمؤن لان الجهات التى تقدم اليها لم يعد فيها من الازواد ما يكفى لتموين هذا الجيش . ولقد صدرت الاوامر من

قبل القيادة الشرقية باقامة استحكامات تكون بمثابة دعامة يرتكز عليها الجيش العاشر اثناء ارتداده ، وشرعت طوابير العمال تقيم الاستحكامات بالفعل ، وتركت الحرية للجيش العاشر فى الطريقة التي يرد بها جناحه الايمن والوقت المناسب لهذا الارتداد لان العدو عندما يشعر بهذه الحركة لا يتأخر عن مهاجمة الجناح المذكور بشدة عظيمة

وفى هذه الاثناء سحبت وحدات من الجيش العاشر وارسلت الى الغرب لشدة الحاجة اليها . وما لبث الروسيون ان قاموا فى دورهم بالكر علينا فدارت رحى القتال على حدود بروسيا الشرقية وبروسيا الغربية واخذت اشكال هذه الكرة تزعجنا فى كل مكان واما من جهة النمسا فان هجوم الجيوش النمسوية لانقاذ برزيميسل لم يكلل بالنجاح لان الروسيين اتخذوا خطة الكر فى اقرب وقت. وعلى ذلك اصبحت جميع الجبهة الشرقية عرضة للهجمات الروسية العظيمة .

— ٥ —

بعد اخلاء اجمة اجوستوف من الاعداء ورفع الجرحي منها سحب القائد ايخهورن جناحى جيشه الى طرفي الاجمة في مستهل مارس ثم اراد ان ينازل الروسيين الذين شرعوا يتعقبونه بطريقة الاحداق بجناحه الايسر حولهم . وهذه الفكرة مستحسنة ولذا اجيز له تنفيذها واحرز فيها بين ٩ و ١١ مارس انتصارات باهرة . الا ان الاستمرار على انتزاع وحدات من هذا الجيش وضمها الى الجيش الثامن لم تمكن قائده الباسل من موالاة الهجوم بعد ان انهزم الجيش الروسى العاشر الجديد هزيمة شنعاء بل اقتصر على حرب الخنادق. فشرع الروسيون في الهجوم ابتداء من منتصف مارس الا ان الهدوء لم يلبث ان ساد على هذا القسم من الميدان الشرقى.

وازدادت هجمات الروسيين شدة على الجبهة الجنوبية الا ان القائدين

ليتزمان وشولز لبثا بنا ضلالاً و يدفعان جنود الـ د و عن الحدود البروسية .

واستمر القائدستالس يتقدم فيمابين البيسا والاورجيتز فى اتجاه الناريف. الا ان الامداد الهائلة التى وصلت الى الرسيين فى هذه الجهة مكنتهم من اتخاذ خطة الهجوم من نوفوجرود . ومع استقدام قوى المانية عديدة الى هذه الجبهة فان اتساعها جعل هذه القوة كلها غير كافية للحصول على النتيجة الحاسمة الا ان جنودنا ظلت متقدمة فيما يلى الحدود الالمانية حتى شهر ابريل .

وكذلك كان الصدام عاماً غرب الاو رجيتز من بعد منتصف فبراير واشتد القتال بين الطرفين في كل مكان ووصلت الامداد تباعاً الى الجيشين الملتحمين فاصبح الفوز سجالا بينهما وكانت جنودنا ترتد آونة بخسائر جسيمة ثم تقوم بكرات عظيمة عند ما تتحقق من وهن العدو وعظم خسائره فتكبده اتلافاً هائلة . وكان مدار هذه الحركات القائد جالويتز الذي ابلى في الميدان الشرقي بلاء حسنا لانه معتبر من خيرة العسكريين الالمانيين اقداما وعلما وخبرة وذكاء وعلى كل خطوة من خطاه المقرونة بالنجاح كان يتوقف قسط كبير من الانتصار

وابتداء من منتهى مارس ومستهل ابريل دخلت معارك الشتاء فى دور نهايتها لان الكرات التى اعدها الجراندوق والتى كانت دول الاتفاق تجعل لها اهمية عظيمة فى برامج اعمالها الحربية فى سنة ١٩١٥ قد ختمت بالفشل التام . واذ ذاك لاحت للجنود الالمانيين الفرصة التى يتمنونها وهي الاستراحة برهة من عناء الجهاد الهائل الموصوف الذى استمروا على مكابدته حوالى الشهرين . ولقد ادى الجنود واجبهم الوطنى والعسكرى فى هذه المعركة حق الاداء وتسابق الجدد منهم والقدم في احراز اكاليل المجد وقام الضباط والقواد بوظائفهم خير قيام واظهرت القيادة العامة من

الكفاءة والمهارة مالا مثيل له . فمعركة الشتاء عمل حربي بديع

-٦-

لقد حدثت بالمثل وقائع اخرى في جهات قصية عن ميادين الاعمال الحربية الكبرى الحاسمة . ومع انها لم تكن ذات شأن هام فقد شغلت افكارنا . وذلك ان الروسيين كانوا لا يزالون الى مفتتح فبراير محتلين قسما من البقاع البروسية في شمال شرق تيلسيت . فعهد الى القائد بابريتز حاكم كونيجسبيرج طرد الروسيين بوحدات اللاندستورم الموجودة فى جهته تعضدها قوة ضئيلة من المدفعية فاحتل تاوروججين فى ١٨ فبراير الا ان الروسيين شنوا الغارة مرة اخرى على هذه الجهات فى١٧مارس وابلغتنا احدى الاوانس نبأ استيلاء الروسيين على ميميل بالتلفون فطلبت لهذه الآنسة واسمها اريكاروستل الصليب الحديدي من الصنف الثاني ولما كان هذا الطلب مستحيل الانجاز فقد استعيض بمنحها ساعة ذهبية . وبما ان سائر المواقع الاخرى مشغولة بالمناوشات المتوالية فلم يكن في الوسع سوق بعض القوى الى هذه الجهة فامد قائد المنطقة الحادية عشرة القائد بابريتز بطابور واحد فلم يجيء ٢١ مارس حتى كانت ميميل خالصة من اغارة العدو وفى ٢٢ مارس تمكنت قواتنا من استرداد ٢٠٠٠ من أسرانا وارسلت الفرقة السادسة من الخيالة الى تلك البقاع فاحتفظت باستقلالها الى المنتهى

واصبح المعسكر العام من منتصف فبراير مستقراً في لوتزين . ولقد عدلت عن القيام بحملات جديدة على اثر انتهاء حملة الشتاء مباشرة . ان جميع البقاع الروسية نجت من اغارة العدو وصرنا نحن المغيرين على الاراضي الروسية وهذا أمر ينشرح له صدري الا اننا لم نكن بعد قد شرعنا في

تنفيذ خطتنا الكبرى التى ترمى الى سحق الجيوش الروسية وانزال الضربة الاخيرة بالروسيا . ولا شك فى الخسائر الهائلة التي تكبدتها الروسيا حتى الآن كانت تسهل لنا هذه الامنية السامية . فان الروسيا على غناها بالرجال لا تستطيع تحمل امثال هذه الجراح الدامية مدة طويلة

ان وضع الخطط وتنفيذها ومباشرة الاعمال الفنية استغرق معظم أوقاتي وحملني أوصابا جمة ولا يسعني ان اسرد تفاصيل هذه الامور هنا. على اني وجدت اوقات راحة وصفاء فى لوتزن .

وفى اثناء نشوب الوقائع الاخيرة كانت طوابير العمال والبنائين تشيد الاستحكامات اللازمة بهمة لاتعرف الكلل وطالما تعرض رجالها لنيران العدو وهم منهمكون فى اداء واجبهم الوطني . وعلى اثر انهائهم اعمالهم فى الميدان الشرقى انتقلوا الى الميدان الغربى لاقامة مايلزم هنالك من معالم الدفاع .

وصدر الينا أمر المعسكر العام الاكبر باستبدال نظام الفرق القديم بنظام جديد يقضي بتاليفها من ثلاثة الايات بدلا من اربعة فتكون الفرقة محتوية على تسعة طوابير بدلا من اثنى عشر طابورا . وقد دلت التجارب على ان اضعاف الفرق الى هذا الحد لم ينتج سوى الاكثار من عدد الفرق وهو شكل صوري فائدته المظهرية اكثر من فائدته العملية . واني الآن بعد اعتزال الاعمال الحربية لا ازال من انصار المذهب القديم القائل بتقوية الفرق ليكون تاثيرها اعظم فى مجرى القتال

ويرجع الفضل فى حفظ ارض الوطن سالما من الاعداء العديدين مع ضعف حلفائنا الى نظامنا العسكرى الذى يجب ان يحتفظ السبعون أو الثمانون مليونا من الالمانيين به. والآن ينبغى العلم بما تريد ان تختاره المانيا . فهل تقبل ان تحل جيشها وتنتحر بيدها ؟ اني لا اخال هذا الامر واقعاً

فالماضي يدل على ان الشعب الالماني سيعود الى نفسه و يتذكر ماضيه ويعلم ان الذى يحفظ مركزه الرفيع فى العالم انما هو الجيش العظيم القوى.

حملة صيف ١٩١٥ على الروسيا

لم تتكلل الحملة التى نواها القائد كونراد فى يناير بالنجاح . فبعد ان ادى الهجوم النمسوى الى اجتياح اراض فى الكربات كر الروسيون فضغطوا على الجيش النمسوى ولم يتمكن من موالاة الزحف سوى جيش الجنوب الالمانى الذى يقوده الفون لنسنجن ولولاه لتفاقم الخطب وساء المصير.

ولم تنج بريميسل من الخطر الروسي بل سقطت فى ١٩ مارس. واستمر الجراندوق يحمل على النمسا حتى بعد انتهاء هجمات الروسيين على شرق الفيستول فى اوائل ابريل قاصداً الانحدار من قمم الكاربات الى سهول هنغاريا لفصل النمسا والمجر من ميدان الصدام .

وفى هذه الاثناء بدت على ايطاليا امارات الجنوح الى دول الاتفاق على رغم تسليم النمسا بسائر المطالب الايطالية . وازدادت حالة القوى النمسوية الموجودة فى الصرب حرجا

وفي منتصف ابريل بلغ الحرج فى الكاربات اشده فقد قذف الروسيون جيش القائد بورويفيك الى ماوراء القمة فى حين ان الجيش الالمانى الجنوبي لايزال فى الجانب الجنوبى محتفظا بمركزه ، فلم يسعنا حينئذ سوى ارسال بعض القوى على جناح السرعة لمنع الكارثة الكبرى . وكذلك ارسلنا الامداد الى الجبهة النمسوية في الصرب ، وهذه الامداد ساعدت القائد لنسنجن على اتخاذ خطة الهجوم فى شهر مايو .

وقد اطلعنا المعسكر العام الاكبر على الحالة بتفاصيلها فوافقنا على رأينا وصمم على توجيه عنايته الكبرى الى البدء بالفصل في الميدان الشرقى ،

وهذه تبعة عظيمة تحملها المعسكر العام الاكبر على عاتقه لانه سيضعف قوة الميدان الغربي بالطبع في الوقت الذي اشتدت فيه سواعد البريطانيين والفرنسويين واخذ كتشنر يؤهب تشكيلاته الحديثة لخوض غمار الحرب.

ولقد كان الهجوم وقف في الميدان الغربي بعد وقائع الايبر التي حدثت في نوفمبر واتسعت دائره قتال الخنادق وانمشت الجبهة الالمانية الغربية الوثبة التي قام بها القائد لوخوف الجليل منتحيا وجهة سواسون بالعرض الثالث كما انمشتها هجمة اخرى قام بها السكسونيون في جهة كراون وامكن بمجهودات عظيمة وضحايا كبيرة منع الفرنسويين من احداث اختراق واسع النطاق في جهة شمبانيا في شهري فبراير ومارس . فلم يبق لدول الاتفاق من امل الا في نجاح الروسيين .

وابتدأ ارسال ١٢ فرقة من ٣٢ فرقة التي شرع كتشنر في حشدها وتدريبها في مستهل مايو . وكذلك شرعت دول الاتفاق تكثر من صنع الادوات الحربية على اختلاف انواعها ، واخذت الولايات المتحدة تصدر المواد الحربية بكثرة الى اعدائنا فكان عملها هذا مدعاة لتألمنا لأنه ممالأة لاعدائنا علينا .

وكان من المنتظر ان يضغط المتفوقون على الجبهة الغربية حينما يستشعرون شدة وطأة الهجوم في الجبهة الشرقية تخفيفاً عن الروسيين وقد دلت ملاحم الباسيه واراس التي حدثت في شهر مايو الى اي حد يموه المعسكر العام الاكبر بتبعة التصميم على الفصل في الميدان الشرقي قبل سواه

وقد اسندت الى القائد ماكنزن قيادة الجيش الحادي عشر المؤلف من جنود قادمة من الميدان الغربي وعهدت اليه مهاجمة الجيوش الروسية التي تهاجم الكاربات من الجنب ابتداء من مايو وتولى قيادة الجيش التاسع الفيلد مارشال الامير ليوبولد البافاري ذو الكفاءة الحربية

عظيمة . وصدرت الاوامر الى قيادة الشرق العامة ان تبذل كل ما فى وسعها لمشاغلة مقادير من الجنود الروسيين فى اماكن متفرقة من الميدان الشرقى

-٢-

يدأ الجيش التاسع عمله بعد راحة كافية فى شهر مارس بالهجوم فى شمال البليتزا فادرك فوزاً محليا الا انه لم يلبث ان تراجع في الاراضى التى اكتسحها . ثم عمد الى تنفيذ خطة المعسكر العام الاكبر بالهجوم على شكيرنيفيس . وكذلك الجيش العاشر هاجم سوفالكى حسب الامر الصادر اليه .وكانت قد وردت الينا مقادير وافية من الغازات ولم يكن الروسيون قد اتخذوا وسائل لاتقاء مفعولها . الا ان تأثير حرب الغازات لم يكن ناجعا على الرغم من استعمالها فى اوقات هبوب الارياح الموافقة وذلك لان الجنود لم يكونوا قد اعتادوا بعد على استعمالها ولان المشاة لم يحسنوا المحاربة بها وحدثت تقلبات جوية عكست الغازات فاصيب بها بعض اجنادنا وفضلا عن ذلك فان بقاء الغازات في الخنادق الى ان يصبح هبوب الرياح موافقا لاستعمالها اضجر الضباط والجنود . على ان كل هذه الصعاب زالت فيما بعد وصار استعمال الغازات ناجعا جدا

واحرز الجيش العاشر نجاحا خططيا في جهة سوفالكى الا انني لم اكن اعلم مقدار تاثير كل هذه الحركات المحلية فى خطة القائد ما كنزن وان كان الفن الحربي يقضي بها . ولقد كانت المساعدة التي يراد مساندة القائد ما كنزن بها تصير أعظم مفعولا مما تقوم به الآن لو امكن القيام بوقائع متحركة وهذه الوقائع لاتتيسر الا في شمال النيمن من جهة ليتوانيا وكورلاندا : فحشدنا عدة فرق من الفرسان وصلت الينا حديثا من الميدان الغربى

وبعض فرق من الجيوش المنتشرة على الجبهة الشرقيــة تحت قيادة القائد لاونستاين واطلق على هــذه القوة اسم جيش النيمن . وبدأت الحملة في ٢٧ ابريل .

وزحف القائد لاونستاين بجيشه الذي قسمه الى ثلاثة صــفوف . فتراجعت قوى العدو التي كانت مخيمة بجوار تاوروججين منذأواخرمارس ودارت المعارك بين الطرفين فكان الفوز متراجحا بينهما الا ان قواتنا على الرغم من ذلك استطاعت ان تتقدم ٧٥ كيلو مترا في يومين وان تحتل عدة مدن . فادركنا الغرض من هذه الحملة لان الروسيين جلبوا قوات كبيرة لتقوية مراكزهم المهــددة . وظلت رحى القتال دائرة مدة شــهري مايو ويونيه في جبهة واسعة النطاق اصــبحت قواتنا فيها لاتكاد تذكر ازاء قوات العدو الهائلة فاضطررنا الى استقدام وحدات أخرى من الجيوش الالمانية المختلفة للاحتفاظ بالبقاع والمدن التي صار الاستيلاء عليها ولما اتسع نطاق جيش النيمن بما انضم اليه من العناصر الجــديدة اسندت رئاسته الى القائد أوتون بيلوف . واخلفه فى زئاسة الجيش الثامن القائد شولتز . ولبثنا محتفظين بخط الدوبيسا بشمن باهظ من الملاحم المتلاحقة . واحتللنا شاولن الا اننا لم نستطع ان نحتفظ بها فغادرناها بعد ان نقلنا من محاسنها المخزون مقادير جسيمة ذات فائدة كبرى لنا .

واستولت جنودنا على ثغر ليباويوم ٧ مايو بمهاجمته براً وبحراً واسرنا حاميته المؤلفة من ١٥٠٠ جندى ووجدناهذا الثغرحافلاً بكثير من المصانع الهامة بينها مصانع لحبال الاسلاك الشائكة المشهورة بها البلاد الروسية

—٣—

لقد اخترق القائد ماكنزن فى صبيحة يوم ٩ مايو جبهــة دوناجيك

الروسية بهجمة مدبرة باحكام ومنفذة ببراعة باهرة ابداها الجنود اثناء الاقتحام . وفي الايام التالية صار الاستيلاء على الموقعين الثاني والثالث الروسيين فاضطر الروسيون الى التخلي عن البقاع المجرية والى الانحدار ثانية الى ماوراء الكاربات متراجعين الى جهة الشمال. فنجت البلاد المجرية وتخلص الجيش النمسوي نهائيا من الضغط الشديد الذي كان مصابا به. فازفت الساعة التي كانت تحتم على ايطاليا دخول الميدان في جانب دول الاتفاق وكان جيشها اذ ذاك يبلغ ٦٠٠٠٠٠ جندي ماعدا التشكيلات العديدة المؤلفة من جنود المراتب الاخرى التي لايمكن اعتبارها من خيرة المقاتلين. وفي سبتمبر بلغ مجموع الجنود الايطالية العاملة ٩٠٠٠٠٠ فهذه لدولة اكسبت الاتفاق عضدا قويا مفيدا

واندفع القائد ماكنزن في زحفه نحو السان قاصدا جاروسلاو فاستولى على مدخل الجسر . واقتفت الجيوش النمسوية الممتدة على الميمنة وعلى الميسرة خطوات الجنود الالمانيين في زحفهم ، وكذلك اندفع جيش الجنوب الالماني هاجما في اتجاه الشمال الى ماوراء ستريج . فامكن استرداد برزميسل من الروسيين في اوائل يونيه .

وتخلى الروسيون في شمال الفيستول الاعلى عن النيدا ليعودوا ادراجهم الى خط الفيستول . وتمكن القائد فويرش في منتصف مايو من ان يتقدم الى كييلس

فأدى هذا الزحف المتتابع من كل جانب الى تراجع جميع الجيوش الروسية الضاربة بين الكاربات والبيلتزا متحملة افدح الخسائر . ولكن جيوش الدول المتحالفة لم تستطع ان تهاجم الجيوش الروسية الا من الجبهة على الرغم من محاولتها الالتفاف حول جوانبها ولا سيما حول الجنب الغربي من جيش الكاربات . واخفق الروسيون كذلك في محاولتهم

الاستدارة حول جناح الجيش النمسوى الايمن فى بيكوفينا . فلم يبق للروسيين بعد ذلك سوى موالاة الارتداد امام ضغط اعدائهم المتوالى

ودعا سوء المواصلات الى وقف الزحف هنيهة عند مجرى السان وفى اوائل يوليه بدىء فى الزحف من جديد وظل الجنود الالمانيون هم المضطلعون باهم الاعباء والمشاق وفى ٢٢ يوليه استردت لمبرج وبعدها بقليل استردت رافاروسكا واضطر الروسيون الى الاستمرار على التقهقر حتى بلغوا البوج . ومن ثم امكن الانحدار بالمثل مع الفيستول الى لوبلن وايفانجورود .

ولقد صرنا نتبع فى معسكرنا العام بلوتزن حوادث غاليسيا باهتمام عظيم لنبني بمقتضاها حكمنا على الاعمال الحربية التي نريد القيام بها ضد الروسيا ولقد سرنا ماعلمناه من الضعف الطاريء على الجبهة المواجهة لنا من جراء سحب قوي عظيمة منها الي جهة النيمن اولا ثم الى ميدان غاليسيا ولبثنا نقتطع من جيوشنا اجزاء متوالية حتى اضطررنا بحكم امتداد الجبهة الى الامتناع عن ارسال أية قوة جديدة الى مكان آخر . وفى شهر يوليه ارسل الينا المعسكر العام الاكبر بعض الايات من التشكيلات اللاندستورمية الحديثة يسرت لنا اتخاذ قوة احتياطية لاعمالنا الهجومية .

ولم تؤد الوثبات الجبهية على الجيوش الروسية فى ميدان غاليسيا الى الانتصار الحاسم على هذه الجيوش على الرغم من الخسائر الفادحة التي تكبدتها لانها تتراجع بسرعة شديدة الى مسافات بعيدة عن خطوط مواصلاتنا ولانها كانت لاتزال تكافح فى غير ارضها وتستطيع ان تتخلى عن بقاع واسعة بمحض ارادتها قبل ان تصل الى حدود وطنها . ولم تكن خسائرنا نحن في هذه الهجمات الجبهية مما يستخف به .

ولقد عدنا الى التفكير في انزال الضربة القاضية على روسيا بالزحف على خط أوسوفيتز — جرودنو الذي فكرنا فيه بعد حملة الشتاء رالاندفاق

من هنالك الي لوبجا اذا تيسر . ولقد كان فى وسعنا ان نجمع من ٩ الى ١٠ فرق نضمها الى الجيش الثانى عشر الذى يتولى رئاسته القائد جالو يتزليزل بالروسيين ضربة قوية فى اتجاه التاريف بينما نكون نحن فى زحفنا المتقدم ذكره الذى اذا توفقنا فيه أصبنا الجيوش الروسية المتراجعة فى غاليسيا فى خاصرتها وظهرها .إلا ان هذا الحسبان يجب ان يواجه بما ينتظر من مقاومة معقلي أوسوفيتز وجرودنو المحصنين أعظم تحصين فهـذا الهجوم لا يؤدي الى الفصل فى الميدان الروسي وان صحب بانتصار عظيم ولذا لم احبـذه للمعسكر العام الا كبر والظاهر ان من الاوفق الاستيلاء على كوفنو من جهة الغرب بواسطة الجيش العاشر وتطويقها فى الوقت نفسه من جهة الشمال بجيش النييمن . واذا ماسقط هذا الحصن الذى يعتبر قاعدة الدفاع الروسي على خط النييمن فان طريق فلنا المؤدية الى مؤخرة القوى الاساسـية الروسية تصبح ممهدة سهلة الطروق . فتضطر حينئذ هذه القوى الى ان تطفر خطوة كبرى الى الخلف . واذا وصلت بعض الامداد الى الجيش العاشر وجيش النييمن فانهما ينحدران من فيلنا على الجيوش الروسـية و يطعنونها فى جنبها طعنة قاضية تؤدى الى الفصل فى هذا الميدان .واصبح انتقال الاعمال الحربية في ميـدان غاليسيا الى الجانب الشرقى من البوج موافقا لمشروعنا .

وارسلنا فرقتين من المشاة وفرقة من الفرسان من الجيش الثامن مدداً لجيش النييمن ليقوم بالمهمة الموكولة اليه .

ولقد سهل الهجوم على كوفنو تقدم بعض العناصر الروسية من الآجام القريبة لها فان هذا الزحف المفاجيء اخافنا فى باديء الامر الى ان تبادر هيأة اركان حرب الجيش العاشر الى حشد عناصر مختلفة من فرقه ووضعها تحت امرة القائد بكان الذى طارد العدو ثم عبر النييمن واذ ذاك الحق

مع قوته بجيش النيمن .

وما كانت التجهيزات اللازمة لحملة كوفنو تبـدأ الا وقد دعانا جلالة الامبراطور الى بوزن نحن الاثنين الفيلد مارشال هندنبورج وانا في اول يوليه.

و بعد وقوف الامبراطور على رأي الفيلد مارشال هندنبورج قرر جـلالته بناء على اقتراح رئيس هيأة اركان الحرب العامة متابعة الهجوم في بولونيا: وعلى الخصوص قيام الجيش الثاني عشر باختراق جبهة العـدو ومداومة التقدم الى الناريف بينما يكون الجيش التاسع والقائد فويرش زاحفين في اتجاه الفيستول وتكون الجيوش المتحالفة مستتبعة تقدمها فيما بين البوج والفيستول .

وكان المعسكر العام الاكبر يذهب الى ان هذه الحركات العسكرية ستؤدي الى طعن الجيش الروسي الذي لايزال موجودا عند منعطف الفيسـتول طعنة نجلاء . فاضـطررت الى ارجاء مشروعاتي الى ان يبلغ القائد جالويز الناريف و يتمكن من القيام بهجوم جبهي . واذ ذاك تكون الفرصة لاتزال سانحة لتنفيذ خطتي . و يساعد تقـدمنا في لتوانيا وكورلاندا على القيام بهذا المشروع وان كنا في الحقيقة لن نستطيع ان نوجه بقوى اخرى الى لنستولي على كوفنو

— ٤ —

طبقا لتعليمات المعسكر العام الاكبر اتخـذت سائر التـدابير المستطاعة لاجتياز الناريف ولم يكتف باعداد الجيش الثاني عشر وحده لهذا الغرض بل ضم اليه الجناح الايمن من الجيش الثامن. وجمعنا لهذا الهجوم مدفعية كانت تعتبر لذلك العهد كبيرة على الميـدان الشرقي ولا سيما على الجيش الثاني عشر .

و بدأ هجوم الجيش يوم ١٣ يوليه . . فاكتسحت فرق القائد جالويتز

أراضي واقعة بين استحكامات الاعداء ومضت في زحفها بغير تمهل . وفى يوم ١٥ استولت على معقل عظيم التحصين فى المؤخرة و بلغت الناريف يوم ١٧ فى حين ان الجناح الايمن كان قد وصل فى الحال الى الشمال الغربي من نوفوجيورجيفسك وحضرنا الفيلد مارشال وانا المعركة التى نشبت فى يومي ١٣ و ١٤ وسرنا ما رأيناه من رئاسة الجيش الثانى عشر ومن الجنود . وصار الاستيلاء على بولتوسك وروجان فى ٢٣ يوليه وعلى أوسترلنكا فى ٤ اغسطس ، فتم اجتياز الناريف فيما بين الشكفا والبيسا بعد وقائع حادة الا انه لم يستطع ان يحتل شاطىء الناريف الجنوبى الا بقوى ضئيلة على مقربة من مصب الشكفا .

ولقد قاوم الروسيون فى كل مكان اشد مقاومة فتحملوا خسائر فادحة وكذلك تقدم الجيش التاسع والقوة التى تحت امرة القائد فويرش عند منعطف الفيستول . واحتل هذا القائد رادوم يوم ١٩ يوليه واضطر الروسيين الي التراجع على امتداد الفيستول. وعلى اثر ذلك اضطر الروسيون الى التقهقر يوم ٢١ الى البليتزا فيما يلى الفيستول والاعتصام بموقع امام فارسوفيا . فعرضت عناصر الجيش التاسع نفسها للخطر بمهاجمة هذا الموقع الحصين

ولبثت الجيوش المتحالفة تزحف فيما بين البوج الاعلى والفيستول بهجمات جبهية متتابعة .

وكذلك اتخذ جيش النييمن خطة الهجوم فى منتصف يوليه وتقدم كثيراً فى اتجاه الشرق

فعرضت حينئذ على المعسكر العام رأيي فى الزحف على كوفنو بقوى جسيمة نقتطع من قوة القائد فويرش ومن الجيوش التاسع والثانى عشر والثامن لاصابة الروسيين من الخلف . فأصر المعسكر العام الاكبر على

وجهة نظره وامد الجيشين الثانى عشر والثامن بفرقتين مستقدمتين من الغرب فبقيت الجيوش التاسع والثانى عشر والثامن فى اماكن زحفها حافظة وحداتها واعدت وسائل الاستيلاء على نوفوجيور جيفسك وصمما فى الوقت نفسه على مهاجمة كوفنو تاركين جيش النيمن يوالى زحفه . وبهذه الطريقة تيسر تنفيذ الخطتين فى آن واحد

- ٥ -

استمرت حركات الجيوش المتحالفة فى بولونيا على ان تكون مجرد زحف الى الامام بملاحم جبهية مع محاولة الالتفاف على غير جدوى بالجيش الروسى الذى لبث يتفلت من حركات الالتفاف وصادفته فى ارتداده اودية ذات برك ومستنقعات مكنته من لم شمثه ومقاومة مهاجميه مدداً طويلة استغرقت شهراً أصاب الجنود فى خلالها تعب هائل ونفدت مؤنهم وتمزقت ملابسهم وحفيت أقدامهم وقلت ذخائرهم لان العدو اتلف الطرق وشرد الانعام فيها الطرق لتحول دون زحف جنودنا وأخرج الاهالى من مساكنهم وطردوهم الى منطقة المستنقعات ليضايقوا الجنود وليحولوا دون اشتباكهم بالقوى الروسية . على ان كل ذلك لم يحل دون استمرار جنودنا على التقدم ايضاً وان كان ببطء شديد لانهم ابتعدوا عن قواعد تموينهم وخطوط مواصلاتهم بمسافة تزيد على ١٢٠ كيلو متراً المقررة لابتعاد اي جيش عن خطوط مواصلاته . ولقد صلحت حال الجيش الثامن بعد الاستيلاء على لومجا ـ اوسوفييتز . ومددنا سكة حديدية بين فيلنبيرج واوستر ولنكا واصلحنا الخطوط الاخرى التى اتلفها الروسيون . ولكن كل هذه الوسائل لم تحسن حالة الجيوش الزاحفة فأصبحت الملاحم ضعيفة على الرغم من تضعضع الجيوش الروسية

واستمر التقدم الى الامام تنفيذا لخطة المعسكر العام الاكبر . فسقطت في قبضتنا خولم ولوبلن في أواخر يوليه ولكننا لم نندفع بسرعة فى اتجاه الشرق فوجد الروسيون متسعاً من الوقت لتخلصهم من قطاع التطويق وانحدارهم فى اتجاه الجنوب واقامتهم جبهة جديدة

واستولى القائد فويرش على رأس جسر ايفانجورود الغربى واجتاز الفيستول في يوم ٢٨ على مرأى من العدو

وتخلى الروسيون عن الموقع الحصين الكائن امام فرسوفيا وعن فرسوفيا نفسها فاحتلهما الجيش التاسع فى اوائل اغسطس

وعلى اثر دخول هذا الجيش فارسوفيا في يوم ٥ اغسطس صارت قيادته تابعة مباشرة للمعسكر العام الاكبر وضم المعسكر العام القوة التى يقودها القائد فويرش الى رئاسة الامير ليوبولد البافارى

ولقد افعم الاستيلاء على فارسوفيا قلوبنا بحبور عظيم . وفى الأيام التالية اجتازت جنود الامير ليوبولد نهر الفيستول فى جهة واسعة النطاق تمتد بين ايفانجورد وفارسوفيا . وسقطت اوسترلنكابين ايدينا فى ٥ اغسطس وفى هذه الاثناء استولينا بالمثل على سيرو تزك وسيجيرج ودومب . وبهذه الطريقة تم الاحداق بنوفوجيور جيفسك . فعهد الفيلد مارشال الى القائد بنسلر مهمة الاستيلاء على هذه القلعة المنيعة فاصبحت جنود الجيش التاسع والثانى عشر الضاربة حول هذه القلعة تحت امرته . وقد صار امداده بمدافع هونيه من ذوات العيار الاكبر من الطراز النمسوى .

ولقد شغلتنا محاصرة نوفوجيور جيفسك ومهاجمة كوفنو واقتضت أصدار تعليمات تفصيلية جمة على الرغم من اننا لم نكن حاصلين على استقلالنا الذي كنا نتمتع به فى اوائل ١٩١٤ وشتاء ١٩١٥. ومع اختلافنا فى وجه النظر مع القائد فالنكهاين فاننا لم نقصر فى تنفيذ اوامر المعسكر

العام الاكبر بل لقد كنت انظر اليها بنفس العناية التي كنت انظر بها الى تنفيذ مشروعاتي الخاصة .

—٦—

لم يستدع الاستيلاء على قلعة نوفوجيور جيفسك حصاراً طويلا وجهادا عظيما لان الوسائل التي اتخذناها كانت كافية للقضاء على كل مقاومة والتغلب على كل استحكام.

لقد تمت اعمال التطويق يوم ٩ اغسطس ورأى القائد بيسلران يبدأ باقتحام هذه القلعة من جهة حصونها الشمالية الشرقية مع شدة مناعة هذه الجهة لانها موصولة بالسكة الحديد الممتدة ما بين ملافاو زيخانوف وناجيلسك فان هذا الخط يسهل نقل المدافع الثقيلة والذخائر الوفيرة فيوازي هذا التسهيل مناعة الحصون . وفي يوم ١٥ اغسطس بدأ يسليط المدافع الضخمة على الاستحكامات بشدة متناهية ثم هجم المشاة عليها واحتلوها. وعلى أثر ذلك حدث هجوم عام من جهة الجبهة الكائنة في شمال الفيستول. وتم سقوط القلعة في يوم ١٩ فسلم الثمانون الف روسي الذين كانوا يدافعون عنها .

وزار جلالة الامبراطور هذه القلعة وهنأ الجنود على بسالتهم وكذلك زرناها نحن الفيلد مارشال وانا . ثم ارسلنا الجنود التي امكن الاستغناء عنها بعد هذا الفتح برضاء المعسكر العام الاكبر مدداً للجيش العاشر غير انها واأسفاه وصلت اليه بعد فوات الوقت . اما المدفعية الثقيلة فصار حجزها لمحاصرة جرودونو . وفي خلال هذه المدة سقطت كوفنو .

وفي اواخر اغسطس اصبحت حكومة بولونيا برمتها في قبضة الدولتين الحليفتين . فتقاسمت الحليفتان ادارتها فكان من نصيب المانيا فارسوفيا ومن نصيب النمسا لوبلن .

وربما تكون قلعـة نوفوجيورجيفسك هى آخر قلعة محصنة تحاصر وتكتسح فى اقرب وقت، وذلك لان دور المدن الحصينة قدفات ولم تعد تجدى وسائل التحصين امام المدافع للضخمة والدخائر الغزيرةوليس من الانسـانية ان تعرض المدن وسكانها لاهوال حصـار لافائده منه وانما يستعاض عن هذه القلاع بخطوط من الاستحكامات الترابية على طول الحدود.

— ٧ —

صار الاستيلاء على لوبجا يوم ٩ اغسطس من الجهة الجنوبية الغربية وكنا قد سلطنا عليها نيران بطارياتنا مدة طويلة وتقدمت الينـا التقارير العديدة بان اطلاق المدافع احدث تأثيراً ناجعاً الا انني بعدسقوطها لم أجد أثرللتدمير فيها . وسرني سقوطها لان جنودنا وجدوا لهم فيها معسكرات حسنة توفر لهم اسباب الراحة

ووصلت مجموعة جيوش ماكنزن امام برستليتوفسك يوم ١٨ اغسطس . واستولى الجيش الثامن على اوسوفيتز يوم ٢٢ منه. وكنا نريد اقتحامها من الشمال ومن الشرق فدخلناها من الجهة الجنوبيـة وهكذا يحدث فى الحرب اذ كثيراً ما تجري الامور على غيرما كان متوقعا

وسقطت بريست ليتوفسك فى يومى ٢٥و٢٥ اغسطس فاستمرت مجموعة جيوش ماكنزن وليوبولد زاحفين فى اتجاه بينسك و بارانوفيستخى

وفي اوائل سبتمبر وصل الجيشان الثامن والثاني عشر الى ناحيـة جرودنو و بعد خمسة عشر يوما وصلا الى ليدا فى شمال النيمن فاستغرقت هذه الرحلة شهرين من ابتداء حملة الصيف ولقد كان من الاوفق والاسهل بدلا من هذه الحركات الشاقة الهجوم من طريق لوبجاوجرودنو

وعلى اثر ذلك لاح لنا ان المعسكر العام الا كبر يريد وقف حملة الصيف عند هذا الحد اذا انتزع عناصر مهمـة من جيش القائد ماكنزن ثم من

الجيش الثاني عشر والثامن لينقلها الى الميدان الغربي والى جنوب هنفاريا. ولكنه ترك لنا الحرية في استتباع الاعمال الحربية التي بدئت بالاستيلاء على كوفنو والتقدم في لتوانيا وكورلاندا .

—٨—

ان محاولة الاستيلاء على كوفنو عمل عسير فلتسهيله عمد الجيش التاسع الى ترقيق خطوطه في الوسط وفي الجناح الايسر ليحشد في غرب كوفنو قوات كافية للهجوم . وعهد الى القائد ليتزمان اتخاذ خطة الهجوم بالعرض الاربعين . وصارت قلة المدافع الهونيـة عقبة كأداء في سبيل الاستيلاء بسرعة على كوفنو لان المدافع الغليظة التي ارسلها الينا المعسكر العام الاكبر في اوائل يوليه استغرقها حصار نوفوجيورجيفسك . فلم يعد لدينا لمواجهة كوفنو سوى بضع بطاريات من المدافع المرتكزة على قضبان ولكن هذا النقص لم يمنعنا من الاقدام فمددنا السكة الحديدية اللازمة لنقل المدافع والذخائر . وانتهي مد هذه السكة في اواخر اغسطس غير ان الذخائر لم تكن وفيرة لدينا فسمحت بما كان لدي احتياطيا منها

وفي ٨ اغسطس كانت سائر الوسائل قد اعـدت . ولم تهاجم قلعة ما من قبل بمثل هذه الوسائل الضعيفة ولكن شجاعة الجنود وذكاء القواد كانا خير عوض عن الاشياء الناقصة .

وابتدأ كفاح المدفعية يوم ٨ ولزم الاسـتيلاء على سلسلة من الاستحكامات بالهجوم المتوالي في الايام التالية . ويظهر ان قوة الهجوم اخذت تضعف لدى جنودنا غير ان القائد ليتزمان استطاع علي كل حال ان يقترب يوم ١٥ من خط الحصون . ومن حسن الحظ ان الروسيين الذين ادهشهم اطلاق المدافع بشدة لم يبدوا المقاومـة التي كنا ننتظرها منهم . ودخلت فصيلة من جنودنا يوم ١٦ خط الحصون ثم تبعتها وحدات أخرى . وفي

يوم ١٧ اجتاز القائد ليتزمان النييمن واستولى على المدينة وحصونها الشرقية. ولقد كانت غنائمنا هنا اقل مما غنمناه من نوفوجيور جيفسك وذلك لان هذه القلعة لم تحصر من سائر الجهات بل كانت متصلة من جهة جبهتها الشرقية بالجيش الروسي . وقد هدمت سائر الجسور بما فيها جسر السكة الحديدية وكذلك نفق الشاطيء الا ان هذا النفق امكن ترميمه فى اقرب وقت . واستطعنا ان نمد بعض خطوط المواصلات في اتجاه طريق فيلنا قبل اعادة جسر السكة الحديدية . ولم تصب كوفنو بشيء من التدمير سوى بعض مصانع التهمها الحريق . واما السكان فلاذوا باذيال الفرار .

ودفع القائد آيخهورن فى الحال على أثر سقوط كوفنو الجنرال ليتزمان وجنود الهجوم في طول امتداد السكة الحديد الذاهبة الى فيلنا ثم عبر بالجنود المجاورة للاولى الى الشاطيء الآخر من النييمن . وفى الوقت نفسه دفع بقية قوى الجيش العاشر والعرضى العشرين الذى يقوده القائد هوتيز الى اوليتا وارسل وحدات ضئيلة في اتجاه جرودنو متخللة اجمة اوجوستوف .

واخذ قلب الجيش العاشر يتقدم وهو ينشب الوقائع الحادة . على ان الروسيين لم يلبثوا ان تخلوا عن شاطيء النييمن باسره من شدة تأثيرهم بسقوط كوفنو ولكن بعد تدميرهم جسوره واستمروا فى تقهقرهم الى اوراتى واستولى العرضى الحادي والعشرون يوم ٢٦ اغسطس على اوليتا . وفى آخر اغسطس تم اجتياز الجيش العاشر نهر النييمن واخذ يتقدم ببطء وفي اتجاه سكة حديد جرودنو فيلنا فصادف في طريقه مقاومة شديدة لم يتمكن من تذليلها في باديء الامر لان الروسيين استقدموا الى الشمال قوات سحبوها من بولونيا الشرقية .

ولم يحدث زحف الجيش العاشر بسرعة على جرودونو بسبب الغابات الواسعة المنتشرة في الطريق . الا ان ضغط جناح الجيش العاشر الايمن

وعلى الاخص هجوم الجيش الثامن جعل الروسيون يفرون بسرعة مدهشة تاركين جرودنو فاستولى القائد شولتز بالفرقة الخامسة والسبعين الاحتياطية في اول سبتمبر على استحكامات المدينة الكائنة في الجهة الجنوبية الغربية ثم استولى على المدينة نفسها في اليوم الثاني بعد معركة شديدة في شوارعها.

وعلى أثر ذلك لم تعد لنا حاجة بمدفعية الحصار فجعلناها تحت تصرف المعسكر العام الاكبر.

وبلغ القائد جلويتز وهو يكافح السويسلوتش واخترقت مجموعة الامير ليوبولد غابة بيا كولوفيتز. وظلت الجنود زاحفة في الجنوب على بينسك.

— ٩ —

ان وقائع جيش النييمن التى أنشأها فى شهر يوليه واغسطس لم تكن لها صلة الى هذه المرحلة بالاعمال الحربية الكبيرة الجارية في جهات اخري من الجبهة الشرقيــة الا باعتبارها قوة تشغل مقادير جسيمة من جنود العدو ازاءها . ومع ذلك فلقد كان جناحا جيشي النييمن والعاشر يتعاونان فى الاعمال بحكم تجاورهما فى الداخل .حتى اذا ما قاربا كوفنو كان تعاونهما اعظم من الاول وعند الاستيلاء على هذه القلعة قاتلا معا فى ميدان واحد جنبا لجنب. وبعد الاستيلاء على القلعة تراخت روابطهما

وصدر امر القيادة الشرقيــة العليا الى القائد بيلوف بان يهاجم بحركة التفاف القوات المعادية الجسيمة الخيمة في شاولن وان يتقدم في شمالى النييمن الي اتجاه الشرق مع تغطية جناحه الايسر فى اتجاه ريما على ان مواصلات جيش النييمن الخلفيــة كانت عسيرة فلزم مد عدة خطوط واصلاح عدة خطوط اخرى اتلفها الروسيون وهذا استغرق وقتا حال دون تقدم الجيش بالسرعة المنشودة .

وقد تم اعداد جيش النييمن حوالي منتصف يوليه بوصول الوحدات التي ارسلت اليه في يونيه . وابتداء من ١٧ يوليه شرعت الفرق المشاة من الجناح الايسر تنازل الروسيين وتتغلب عليهم . وبعد ملاحم قاسية دامت الى ٢٣ يوليه واطلق عليها اسم « معركة شاولن » ارتد الجيش الروسى الخامس الى ماوراء شاولن نحو بونيفتز . واستطاع قسم منه ان يفلت لان نيران فرساننا الذين وصلوا الى ظهره لم تكن ساحقة . واحتللنا بونيفتز يوم ٢٩ . وزحف الفرسان في الجناح الايسر الى ريغا ثم تبعوا المشاة الى ميتاو التي صار الاستيلاء عليها في اول اغسطس

واستمر الجناح الايسر زاحفا حتى بلغ مجرى الدونا في أوائل سبتمبر وقذف القوى الروسية الضاربة على شاطئه الى الشاطيء الآخر .

وفي خلال هذا التقدم كان الروسيون قد استقدموا امداداً عظيمة الى هذا الجانب واصبح جيش النييمن المنتشر في متسع عظيم من الاراضى الروسية لايسعه التقدم ولا سيما لقلة وسائل النقل لديه .

وقد شرعنا في حملة بحرية على ريغا غير انها لم تؤثر في الاعمال البرية . وهذا التقدم العظيم الذي بدر من جانب جيش النييمن دل على انه لو كان اعظم عدداً أو اكثر استعداد لكان تأثيره عجيبا

—١٠—

لقد زادت الرغبة في تنفيذ فكرة الزحف الذي بدأه جيش النييمن ابتداء من منتصف اغسطس وذلك لان الجيش الروسى المرتد من بولونيا لايمكن اصابته اذا تيسرت هذه الاصابة الا بضربة تصل اليه من طريق كوفنو — فيلنا — منسك . ويقوم بهذه الطعنة الجيش العاشر بينما يكون الجيشان الثامن والثانى عشر وكذلك مجموعتا جيوش الجنوب منهمكة في مناوشة العدو .

ولقد بلغ من التصاق الجيش الثامن والثانى عشر ان صار من الممكن اقتطاع بعض فرق منهما وارسالها الى كوفنو، فضلا عما اخذ منهما الميدان الغربي . وهذه الفرق استخدمت بين جناح الجيش العاشر الايسر وجناح الجيش الثامن الايمن .

واستقدم العدو مددا من بولونيا لمهاجمة الجيش العاشر فدارت رحى القتال بينهما بشدة متناهية على شاطىء الفيليجا الشمالي . واذ ذاك مرت ايام شديدة جداً . واخيراً بدأ التقدم منذ ٩ سبتمبر . واما جيش النيمن فقد أخذ يزحف بسهولة في اتجاه دوتابورج — جاكوبستاد و بلغ جناحه الايسر أوزياني والطريق الممتدة بين كوفنو ودونابيرج وطرحت العدو الى مايلي نوفو الكساندروفسك . فثبت العدو على جانبي الجسر وجدثت هنالك وقائع حادة طويلة .

واستطاع جناح الجيش العاشر الايسر الموجود في جنوب فيلكومير ان يكتسح اراضي واسعة في اليومين الاولين ثم لم يلبث بعد ان بلغ الفيليجا في شمال فيلنا ان اصبح عاجزاً عن دفع العدو الا بمشقة هائلة الى ماوراء هذا النهر .

واخذت فرقة الخيالة المنتشرة بين جناحي الجيش الداخليين تتقدم بسهولة تامة فيا بين دونابورج وفيليجا . ودخلت هذه الفرق في مناطق السكك الحديد واحتلت بعض خطوطها فاصبح الروسيون الضاربون على شاطىء الفيليجا فى خطر شديد .

واراد الجيش العاشر ان يقوم بحركات التفاف تقتضي قتالا طويلا وسيرا شاقا يشتت جهود الجنود . ولم يسع المشاة ان يحتلوا اماكن الفرسان بسرعة ولم يتمكن الفرسان من الاحتفاظ بمقاطعة سمورجون على الرغم من الدفاع الجليل الذى قاموا به ضد الهجوم المندفع عليهم من جهة فيلنا .

ولقد أحسن الروسيون بحرج مركزهم فشرعوا بعدة حركات واسعة ينقلون جنودهم الى روسيا الغربية فلم يتمكن الجنود الالمانيون المنتشرون في الشمال من ادراك هذه الجيوش قبل افلاتها فاقتضى الحال اذا وقف حركة الالتفاف الالمانية . واراد الروسيون ان يتخذوا خطة الكر باجتيازهم الفيليجا من شمال مولود تشنو الا انهم لم يستطيعوا التقدم . وفي هذه الاثناء كان الهجوم الالماني الجبهي مصحوبا باكتساح اراض على مهل .

وبعد ان فقد الروسيون فيلنا لم يقووا على استردادها فاخذوا يتراجعون ببطء على سائر امتداد الجبهة وهم يواصلون الكفاح . ووجد الجيش الماني لديه من القوة ما يستطيع ان يستولي به على الجبهة المتاخمة لسمورجون من الغرب وعلى برزينا الغربية وجهة برانوفيتشي وعلى بينسك .

في خلال الزحف البطيء من فيلنا الي سمورجون عن لي وقف حركات القتال لان الخيالة الروسيون انتشروا بكثرة هائلة وشرعوا يجدون في حصر قواتنا المتقدمة ، وارتأيت من جهة اخرى وجوب الاستعداد فصل الشتاء فاعددنا خط استحكامات قوى ممتد بين بحيرات ويشنييف وناروتش ودريسوجاتي.

وحاولت اللجة الروسية ان تكتسح خطنا الجديد عبثا واخيراً انحسرت الى الخلف .

واراد الجيش النمسوي ان يقوم بحركة التفاف يحدث بها ثغرة في الشمال الشرقى من لوتزك الا ان كرة من الجيش الروسى ارجعته على اعقابه واستمرت الملاحم فى جهة دونابرج مدة طويلة . فأصدرت امرى بوقف رحى القتال على سائر امتداد الجبهة الشرقية فساد السكون حتى على الكاربات

فحملة الصيف الروسية انتهت بانهزام الروسيا بوقائع جبهية متوالية

ولم تنجح حملة كوفنو لجيشها متأخرة

ولم نستطع أن نحدث ثغرة عظيمة فى الميدانين الشرقي والغربي طول مدة الحرب . بل كان الاكبر اختراق حصلنا عليه هو الذى حدث بين فيلنا ودونابورج

لقد نجحنا في تقدم الخطوة الاولى نحو هزيمة الروسيا . وذلك ان الجرانDوق ذو الارادة القوية فصل من مركزه وتولى القيصر رآسة الجيش

ان جنودنا ورؤساءهم قاموا بواجباتهم فى كل مكان خير قيام فدلوا على تفوقهم العظيم على الروسيين

المعسكر العام لقيادة الشرق فى كوفنو

من اكتوبر سنة ١٩١٥ الى يوليه سنة ١٩١٦

— ١ —

فترة السكون

ما كادت تنتهى وقائع شهر مايو فى شمال اراس حتى ساد السكون فى الميدان الغربى طول صيف ١٩١٥ . وفي اواخر سبتمبر حدثت هجمات الاتفاق الكبرى فى لوز وشمبانيا . فوصلت الجنود التي استقدمت من الميدان الشرقى فى الوقت الموافق تماماً لمساندة الذائدين عن جبهتنا الغربية وحالت دون وقوع هزيمة كبيرة خطرة

وطفق الايطاليون يهجمون عدة مرار على غير جدوى لأن الجيش النمسوى ابلى بلاء حسناً في هذه الجبهة لاعتبار ايطاليا العدوة اللدودة أما الروسيا فلا عداوة بينها وبين عناصر الامبراطورية النمسوية من قبل

واتفق المعسكر العام الألماني والقيادة النمسوية العليا على اخضاع صرب . ونظراً لكراهة البلغاريين للصرب انضمت بلغاريا الى صفنا جهاراً وضمنت فرقها الاثنتي عشرة التوازن فى البلقان . و فى أوائل اكتوبر اجتاز المارشال ماكنزن نهر الدانوب . وأوصلتنا الحملة على الصرب الى الحدود اليونانية في أوائل ديسمبر . وهنالك وقفنا ولم نتقدم الى سلانيك ولو تقدمنا لخف عن عاتقنا حمل البلقان الثقيل الذي أبهظنا به الاتفاق باحتلال جنوده هذا الثغر الذي لم نحتله نحن . وقدنا نتقلت الجنود الصربية التى نجت من الهلاك من ثغر فالونا الى جزيرة كورفو حيث اعيد نظمها وتدريبها وتزويدها بالأسلحة والذخائر

واضطرت دول الاتفاق الى أن تقتطع وحدات كبيرة من جنوداتها المتعددة لترسلها الى مقدونيا . وكذلك عدلت عن مولاة حملتها على غليبولى التى بفضل شجاعة الالمانيين وفرقة البحر الابيض المتوسط اصيبت بخسائر فادحة . واعيدت الصلات مع الدولة العثمانية بانتصارنا على الصرب وبمحالفة بلغاريا . ولم نعد فى حاجة الى ارسال ادوات الحرب خفية عن طريق رومانيا . بل صرنا نستطيع امداد الدولة العثمانية مباشرة . وفي ١٦ يناير تم اصلاح الخط الحديدى الذاهب الى الاستانه . واخلت دول الاتفاق شبه جزيرة غليبولى من جنودها فى يومي ٨ و ٩ يناير . ولو اتيح للاساطيل المتحالفة أن تعبر المضيقين بعد الاستيلاء عليهما لاستطاعت الروسيا أن تتزود بما شاء من الذخائر والآلات الحربية ولصارت وقائع الجبهة الشرقية أشد هولا مما حدث ولتموّنت دول الاتفاق بالحبوب الجمة المختزنة فى جنوب الروسيا وفى رومانيا ولالجأت هذه الدول الحكومات البلقانية الى مما لأتهن في أقرب وقت مستطاع . فسد المضيقين أصبح محكما . ومن هذا البيان اتضح اهمية المضيقين وخطارة شأن الدولة العثمانية بالنسبة للجبهة الشرقية ولمركزنا العام معا

ان الحرب في الاراضي العثمانية شاقة جداً لان هذه الدولة ليست لديها وسائل مواصلات اخرى سوى الطرق في حين أن اساليب الحرب الحديثة تستدعي وجود السكك الحديدية والبواخر. فاما الخط الحديدي الممتد الى التخم القوقازي فكان لا يزال في دور الانشاء ما بين أنقره وسيواس. وخط بغداد اعترضت اتمام جبال طوروس واما نوس فهو لا يزال بعيداً عن الدجلة والعمل جار في اختراق النفق الموصل واتصال سكة حديد سوريا بخط بغداد كائن عند حلب أي فيما يلي الجهة الجبلية، وعدا ذلك فان تلك السكة تنتهي عند دمشق حيث يمتد خط الحجاز الضيق الذي يصبح من هنالك منفرداً ماراً بفلسطين ومنتهياً لدى بئر سبع في جنوب اورشليم.

وفضلا عن قلة الخطوط الحديدية فأن العدد القليل الموجود منها سيء الحال سواء أكان من جهة الادارة والعمال أم من جهة الاستعداد المادي، فالفوائد المنتظرة منه أقل من الحاجة الماسة اليه.

ولقد اجريت تجارب لاستخدام الدجلة في الملاحة فاسفرت عن بعض النجاح الا أن مجموع حالة المواصلات لا تنصلح بمثل هذه الوسيلة الفردية. فلم يبق سوى تلافي هذه الحالة على قدر الامكان بأرسال عربات نقل المانية.

وبسبب سوء المواصلات في المؤخرة كان من المنتظر اخفاق الحملات المعدة في آسيا الصغرى وسوريا والعراق وما دمنا لا نهتم قبل كل شيء بتذليل صعوبات المواصلات.

وكان عمل العثمانيين ضعيفاً محدوداً في ولاياتهم التي على الحدود بسبب مجافاة العناصر الكردية والارمنية والعربية حتى عدن للعنصر التركي. وذلك لان الاتراك كانوا ينهجون سياسة سيئة مع هذه العناصر فكانوا دائماً يأخذون منها ولا يعطونها. فاصبحت في هذا الموقف خصوماً الداء لهم.

والطرق التى عاملوا بها الارامنة حرمتهم من الايدى العاملة التي صار واثناء الحرب في أشد الحاجة اليها ولا سيما لاجل مد السكك الحديدية ولاجل الزراعة

ولم تصب المجهودات التي بذلها العثمانيون لاشعال جذوة الحرب الدينية سوى نجاح محدود في طرابلس الغرب وبني غازى . وقامت غواصاتنا بمهمة نقل الاسلحة والذخائر الى هتين الجهتين . وبتسهيل المواصلات بينهما وبين البلاد العثمانية

وأخفق مشروع الحملة على قناة السويس بعد ان بدىء في تنفيذه في شهرى يناير وفبراير سنة ١٩١٥ وذلك لان نجاحه لم يكن ميسوراً الا اذا أغار السنوسيون على القطر المصري وثار المصريون داخل هذا القطر في آن واحد. ولكن هذه التصورات كلها كانت من قصر النظر لان الانجليز كانوا متمكنين حق التمكن من هذه الانحاء التى اصبحت تحت سلطتهم التامة

وأخذ الانجليز يتقدمون الهوينا عند مصب الفرات وهم مرتكزون على البحر قاصدين بغداد . ولم يستطع العثمانيون أن يأتوا أمراً ما لمنع تقدمهم. وكان القتال دائرا في ديسمبر سنة ١٩١٥ حول كوت العارة على مقربة من بغداد التى أصبح جيش الحملة الانجليزية يقترب منها بشكل مزعج

وانهزم الجيش العثماني المحتشد على تخم القوقاز في شتاء سنة ١٩١٤ — ١٩١٥ والتزم بعد ذلك طور الجمود . ومع ذلك فقد ظل يتكبد خسائر فادحة ناجمة من التيفوس وعن البرد

ولم يكن لحوادث شبه جزيرة سينا والعراق تأثير في الميدان الشرقي أما الحملة على قناة السويس فقد كنا نتبعها باهتمام شديد وأمل عظيم . ولم أكن الى ذلك الحين عالماً بعشا كل المواصلات الخلفية التي أوجزت وصفها . ولكنت اعتقد أن خط بغداد متقدماً اكثر من النقطة التى وقف

لديها . بل لم أكن أستطيع الحكم على ما اذا كان فى الامكان مدها الى الامام .

ولم تخفف عنا وقائع القوقاز التخفيف الذي انتظرته من جهة الروسيا .

أما حركتنا الواسعة فى الميدان الشرقي واعادة المواصلات بيننا والبلاد العثمانية الى سابق عهدها فقد أفادتنا فوائد اقتصادية عظيمة وخففت عنا كثيراً من هواجسنا ، وأظهرت رومانيا قبولها الحسن لتزويدنا بمحصولاتها لانها لم تستطع ان تجد لها سوقاً أخرى .

على ان اعداءنا لبثوا يواصلون تأهبهم الحربي . فوصلت جموع كثيرة من جنود كتشنر الى الساحة الغربيــة ولا تزال جموع اخرى في دور التدرب فخفف هذا المدد عن الجيش الفرنسوي لانه شغل قسما كبيراً من الجبهة الغربية . واستبدلت انجلترا نظام التجنيد الاختياري بالتجنيــد الجبري وصادق البرلمان الانجليزى على هذا التغيير في يناير سنة ١٩١٦ولم تنفذ انجلترا هذا القانون على ايرلاندا . واتسع نطاق صناعة الادوات الحربية فى فرنسا وانجلترا واليـابان وامريكا فصار من المنتظر حـدوث وقائع هائلة فى سنة ١٩١٦

— ٢ —

بعد ان انتهت الحركات الحربية الـكبرى فى الجبهة الشرقية صار من الواجب النظر في تنظيم الشؤون الادارية فى البلاد المفتتحـة . ولكى نكون مشرفين على هذه الاعمال بأنفسنا وجب علينا ان ننقل معسكرنا العام الى كوفنو

وسكنا الفيلد مارشال وهيئة أركان الحرب وأنا دارين خلويتين من ملاك المسيو تيلمان وهو المانى شهير متوطن فى البلاد الروسية . ولا أزال

احفظ ذكرى الساعات العديدة التى قضيتها فى هذه البلدة

وتمثل كوفنو شكل المدن الروسية البحتة ببيوتها الخشبية المنخفضة ذات المنظر الوديع وحاراتها المتسعة اتساعا نسبياً وينهض فيما يلى نهر النيمن برج من قصر عتيق يرجع تشييده الى عهد النظام التيتونى فيعيد الى الذاكرة حضارة الالمانيين فى الشرق، وعلى مقربة من هذا الاثر أثر آخر يحيى ذكر الفتح الفرنسوى على عهد نابليون سنة ١٨١٢ حينما عبر جيشه الكبير نهر النيمن

فتواردت على بالى سلسلة من الذكريات التاريخية وعن لى ان اصل عمل الحضارة الذى شرع فيه الالمانيون منذ عدة اجيال فى هذه الارجاء وخامرتني عاطفة افتخار لاننا منذ اكثر من مائة عام نفضنا عن كواهلنا النير الاجنبى بعد عهود قضيناها في العجز الالمانى والضيق الأليم . فاليوم تناهض المانيا التى مزقها نابليون واعاد لم شعثها عظماء رجالنا جيوش اعظم دول العالم وتحرز فوزاً عظيما عليها . ولقد كان وثوقى عظيما بتكللنا بتاج النصر المبين . ولا يمكن ان يحدث شيء خلافه لان الشعب الالمانى قد لاقى من الأوصاب والهموم ما يحمله يعمل على التخلص منها بتاتا . فليس على الرجال الذين يتولون ازمة المانيا سوى ان ينظموا قواها ويديموا اشعال النار المقدسة المتقدة ـ وهذا ما كنت اعتقده اذ ذاك ـ فى قلوب كافة الالمانيين .

ولم يعطل انتقالنا من لوتزن الى كوفنو يوماً واحدا من اعمالنا . فوضعت حالا الجهازات التليفونية فى مكاتبنا التى صار تأثيثها باثاث اخذ من بيوت المهاجرين اذ لم تكن هنا لك وسيلة اخرى . وانها لوسيلة موجبة للأسف ولكن الحرب تتطلب امورا قاسية تجافى رغبة الانسان . على ان الاهالى لايابهون بهذه الضرورات بل يقولون ان العدو يقترف اعمالا وحشية

فى حربه .

وجعلنا مركز الحاكم العسكرى مقراً لمعسكرنا العام . وحينما نقلنا معسكرنا الى بريست ليتوفسك اضطررنا الى استقدام أثاث مكاتبنا من كوفنو ومن بعض البلاد الاخرى لاننا لم نجد فى بريست ليتوفسك مطلبنا .

وكنت اذهب لاداء الواجب البروتستانتى فى الكنيسة الارثذوكسية القديمة التى كان الواعظ فيسيل يحيى فيها الشعائر الدينية . وهنالك وانا فى البقاع الاجنبية سمعت لاول مرة انشاد هذه القطعة :

انى اجود بوجودى
نفسا وجسمانا
لك ياارض الحب والحياة
ياوطنى الالمانى .

ولقد تأثرت نفسى اشد تأثر عند سماعى هذه الانشودة التى يجب ان ترتل الآن فى سائر المعابد لتظل منقوشة فى سائر القلوب الالمانية .

— ٣ —

لقد حدث تغير جسيم فى اوضاع الجيوش وقياداتها واسمائها اقتضت منا اعمالا جمة . وكذلك كان من الضرورى ان ننظم حركة الملاحة فى ثغر ليباو وان نحل المشاه محل فرق الخياله وان نذلل مشا كل الاستعداد للحملة المقبلة بعد انتهاء فصل الشتاء . وهذه الفترة التى ساد فيها السكون واعتبرت راحة للجنود والقواد لم تكن سوى فصل عمل موصول يقوم به الجميع لنظم خطوط الدفاع . فحيثما امكن صد العدو بدىء باقامة لاستحكامات فيه . والاماكن التى لم يتيسر صد العدو فيها صار العدول عن تحصينها . واذ كان الروسيون قد اتلفوا الخطوط الحديدية واحرقوا

المحطات ونسفوا القناطر والجسور وقطعوا الاسلاك التلغرافية والتلفونية وابادوا اعمدتها فقد اصبح من المهم اعادة كل هذه الاشياء الى حالتها الأولى. فبذل الكولونل كيرستن رئيس سكك حديد حملة الشرق همة شماء في اعادة المواصلات واشترك سائر الجنود فى هذه الاعمال الضرورية

وبما ان جسر الخط الحديدي الواصل الى كوفنو ذو اهمية عظمى لتموين الجيش العاشر والثاني عشر فقد بودر بأعادة تشييده واصبح يمر فوقه كل يوم قطار من مملوءين بالمؤن الا انه حدثت ازمة شحن شديدة فى الداخلى اضرت كثيراً بطريقة التموين فمن ذلك ان الجيش الثاني عشر طلب بتشديد متناه قطارا شعيراً فوصل اليه قطار حافل بزجاجات ماء سلتز وهذا مثال واحد من هذه الازمة المستحكمة . ولم تنتظم سائر شؤون النقل والتموين الا بعد عيد الميلاد. وحدثت ازمة اخري اشدهولا فان شتداد البرد جعل ماء النيمن والفيندا ويجمد فاكتسح الجليد جسر موشكى القائم على الفيندا وفانقطع الخط الوحيد الذى يصلنا بالمانيا . وكذلك تراكمت الثلوج على جسر كوفنو وخلعت قضبانه من اماكنها الا انه كان اقوى من ان تنحدر به كتل الجليد .ولو اكتسح الجليد هذا الجسر بالمثل لاصبح الجنود فى احرج مركز . ولبثنا ننشيء جسورا وسككا حديدية جديدة فى سائر البلاد التى نحتلها الى اغسطس سنة ١٩١٦ وطفقنا نحتطب من الغابات ونصنع بأنفسنا الاسلاك الشائكة لنقيم الحواجز اللازمة للاستحكامات . ونهض في وجهنا تفجر المياه من الاماكن التى كنا نحتفر فيها الخنادق فذلل هذه الصعوبة علماء طبقات الارض الذين ادوا لنا خدمة عظمى فى هذه الحرب

وانشأنا خلف الجبهة معامل لصنع الادوات الحربية ومن جملتها مصنع خاص بتعديل الاسلحة لجعل المدافع السريعة الطلقات من

الانواع الاوربية التي نغنمها قابلة لاطلاق القذائف الالمانية ولم اكن بالطبع اتعرض لهذه الشؤون الامن الوجهة العامة . اما الذي كنت اهتم به جد الاهتمام فهوا سكان الجنود والخيول وتموينهما . فأما طعام الجنود فكان عاديا في الغالب ووفيراً لدى بعض الوحدات احيانا والبطاطس هو المادة الاكثر شيوعاً بين الاطعمة . واما تغذية الخيول فلم تجيء وفق المرام لان الشعير والتبن لم يكونا كافيين فاضطررنا الى اطعامها نشارة الاخشاب والحشائش . وكنت اوجه جل عنايتي الى صحة الجنود والخيول . وكانت العناية بالجرحى اثناء نشوب القتال غير وافية بالمقصود واما الآن فقد صار تلافى أوجه النقص وان كانت الحاجة لاتزال ماسة الى الاستكمال والذين اصيبوا بجراح خفيفة بقوا فى الاراضي المحتلة وعهدت اليهم اعمال سهلة . وانتظمت الشؤن الصحية الى الدرجه القصوى بعناية الطبيب القائد فود كيرن ، وهذا الطبيب فيلسوف فالفلاسفة اذن ادوا خدمة نافعة في هذه الحرب . ولم نقتصر على اتخاذ اما كن خاصة لعزل الخيول المصابة بهذه الاعراض . ولم تصل الملابس الشتوية ووسائل الوقايا من البرد فى الخنادق الا بمشقة هائلة . وقداضطررت الى التداخل فى هذه المسألة متخذا خطة الصرامة . وبذلت جهدي في جعل البريد ينتقل بسرعة بين الجيش والمانيا وكانت الاتوموبيلات المعدة لنقل البريد معدومة فاصبحت وفيرة . وحملني وجداني على ان اهتم بايجاد مآو لسكنى اسرات الجنود والضباط اللواتي يردن الشخوص الى رجالهن فوجدت هذه المآوي فى المدن والقري المجاورة للجبهة . واهدانا بعض الاصدقاء بوساطة الواعظ هوب مكاتب متنقلة فى عربات كبيرة للجنود فسررت بها لانها تغذي عقول الجنود . وقد اهتم الواعظ هوب بهذه المسألة فقدم لى عام ١٩١٧ ما جمعه لهذا الغرض بطريقة

الاكتتاب العام قائلا لي فى عيد ميلادي (ان العقل يخلق السلاح وييسر الانتصار) ولم نكتف بهذه المكاتب بل سمحنا لتجار الكتب بانشاء مكتبات خلوية ربحوا منها مكاسب جمة وجلبوا فيها الكتب كل انواع الصحف والمجلات . وانشأت الجيوش صحفا حربيـة فاوجدت لها ادارة استعلامات بديعة . وكذلك ساعدنا على الاكثار من دور الموسيقى والصور المتحركة والتمثيل واخيرا اعدنا تحصين قلاع النيمين وفى مقدمتها جرودنو وكوفنو وكذلك ليباو . ثم شرعنا نعمل لاستخراج خيرات البلاد المحتلة وامتاع سكان البلاد والالمانيين بها على حد سواء فاتحدت الجهود وتوفر الرخاء .

-٤-

لقد أصبحت هذه البلاد من جراء الحرب فى حالة مؤلمة فالنظام لا يوجد الا حيث تطول مدة اقامتنا . وقد هاجر فريق من أهاليها بمحض اختياره عند تقدمنا وفريق آخر ساقه الجيش الروسى قسراً أمامه اثناء تراجعه . وقد تمكن قسم من السكان من الايواء الى الآجام حتى اذا ما استقرت اقدامنا عاد الى مساكنه خفية واخذ يزاول اعمـاله كسابق عهده . ومع ذلك فقد بقيت حقول كثيرة من غير أصحابها ولم يفتتح الحصاد بعد ولا بدىء فى تهيئة الارض للزراعات المتنوعة وارتحل كل أعيان البلاد وموظفيها ورجال الشرطة ولم يبق سوى رجال الكهنوت الذين بقيت لهم بقية من النفوذ بين السكان الباقين

ولقد كان من الميسور لجيش الحملة أن يعيش فى المدن لانه يجد فيها المطالب الحيوية ولا سيما في فيلنا وكوفنو وجرودنو اما داخل البلاد فكانت الازمة مستحكمة فيها منذ ابتداء الاحتلال لتعسر التموين وعلى

الاخص لقلة مواد الحريق

وكانت توجد امامنها صعاب أخرى أهمها كثرة اللغات واختلاف العوائد والنزعات . وأغلب السكان الذين لم يكونوا فى الاصل من عنصر جرماني اخذوا ينظرون الينا بيرودومقت ماعدا الاسرائيليين الذين كانوا فى الغالب يعرفون اللغة الالمانية والذين لا يهمهم الا ان يكونوا مطمئنين على أرواحهم وأموالهم ومصالحهم الاقتصادية. واحتللنا هذه البلاد الفسيحة ونحن لاندري شيئاً من أخلاق وعوائد أهلها لندرة الكتب الالمانية الموضوعة فى هذا الصدد

وكان لا بد لنا من مجهود عظيم لايجاد النظام والامن فى هذا المتسع العظيم ولا سيما لمحاربة التجسس . وفضلا عن ذلك فقد صار من المحتم ان تعول هذه البلاد سكانها من تلقاء نفسها وان تعول الجيوش المخيمة فيها وان تسعف المانيا بالمثل بقسط وافر من خيراتها وان تقدم ايضاً كل ما تقتضيه الحرب من المطالب المتعدده . وكل هذا ناجم من حالتنا الاقتصادية المرتبكة بسبب الحصار المطوقة به الامبراطورية الالمانية

و بما أن هذه البلاد لا تزال خاضعة لنظام المراحل فانها تعد من مناطق القتال ولذا لا يجب اسناد وظائفها الادارية والقضائية الا الى رجال عسكريين وهذا ما زاد أعباءنا ثقلا . واذ كان المعسكر العام الاكبر منهمكا بادارة حركات الميدان الغربى فان مشاغل البلاد المحتلة عسكرية وادارية صارت من اختصاص قيادة الشرق العليا

— ٥ —

لا يسعني الا ان ابدي هنا فكرة وجيزة جداً عن العمل الاداري الذي قامت به رئاسة الجبهة الشرقية وفي هذا المقام اسدي أجمل الثناء

الى كل الرفاق الذين كانوا أعضادنا فى هذا المشروع الى أواخر يوليه سنة ١٩١٦ لانهم أدوا أجل خدمة للجيش وللوطن وللبلاد المحتلة نفسها لقد كنت فى اشد الحاجة الى العمال الاكفاء للقيام بهذا المشروع الجسيم وبما أن البلاد لاتزال تحت الحكم العسكري فلم يسعنا سوى اختيار الموظفين الاداريين من رجال العسكرية . واقتضى الامر أن تؤلف لهذا الغرض هيأة أركان حرب ادارية الى جانب هيأة اركان الحرب العسكرية وان نقسم المراحل الى منطقتين احداها التابعة للجبهة مباشرة وهذه تحت سلطة قواد الجيوش والاخرى اعتبرناها خارجة عن دائرة القتال فعهدنا بأزمتها الى رجال اداريين من الطائفة العسكرية . ولزمنا ان نتخير للزراعة والصناعة والتجارة والمعارف والمعابد رجالا فنيين وهؤلاء الرجال اصبحوا نادرى الوجود بسبب مطالب الجيوش نفسها الا انهم بعد مدة وجيزة كثروا لدينا بسبب ما أحرزته قيادة الشرق من السمعة الحسنة. ولم نستخدم أحداً من أهالى البلاد المحتلة الا فى كورلاندا مع الاحتياط الشديد ولم ندمج أحداً من الموظفين فى سلك التوظف الا بعد البحث الدقيق عن سابق تاريخه لانى أردت أن لا أجلب الى البلاد الاجنبية الا كل المانى شريف النفس طاهر السمعة يحفظ شرف المانيا وذكرها العبق في الخارج أما رجال الادارة فاقتصرت فى انتقائهم على طهارة ذممهم ومكارم أخلاقهم وعلى اسنارة عقولهم وذكائهم . وهكذا سارت الاعمال على اختلاف أنواعها في مجار حسنة وقام الموظفون باعباء وظائفهم خير قيام .

على أن أمثال هذه الاعمال الجسيمة لاتخلو من الاغلاط ومن الخطأ فى الحسبان ، فكنت كلما أزددت خبرة بشؤون البلاد واطوار أبنائها عرفت مواضع الغلط والخطأ فتلافيتها وأدركت أن هذا يجب أن يكون فى مكان ذاك . وبهذه الطريقة أخذ النظام يزداد احكاما على توالي الايام

قسمت المنطقة الادارية الى الاقاليم الآتية . كورلاندا وليتوانيا وسوفالكى وفيلنا وجرودنو وبيالستوك ثم صار تعديل هذا التقسيم فيما بعد .

ومدير أقليم كورلاندا القومندان جوسلر كان ذا عقل رزين نير وسبق له ان انتخب نائباً في الرايخستاج وهو من كبار ذوي الاملاك العقارية وتعين واليا فيما سلف . فعرف من كل جهة ان يهدىء جأش البلطيين الذين ظلوا هائجين على الليتونيين منذ سنة ١٩٠٥ ومن جهة أخرى استطاع ان يمتزج بهؤلاء الاخيرين ويستجرهم الى مساعدته فى اعماله ولا تزال له ذكرى حميدة حتى اليوم فى كورلاندا

والليوتنان كولونيل الامير ايسانبورج مدير ليتوانيا كان أكثر نشاطاً لانه شديد الشغف بالعمل وقد سبق له الاشتغال فى ادارة بولونيا المحتلة فخبرت كفاءته هنالك. وقد ذهب فيما بعد ضحية السياسة التى لم يكن لها شأن لدينا فى ذلك الحين . وقد اظهر مقدرة عظيمة فى ادارة سائر فروع الادارة فى أقليمه ومازج الاهالى والكهنوت

وكان مديرو الاقاليم مسؤلين عن سائر الامور التى تحدث فى اقاليمهم لدى مفتشي المراحل ولدى رئيس القيادة الشرقية وكان لكل منهم مصلحة خاصة متصلة بهيأة اركان الحرب الاقتصادية

وتنقسم الاقاليم الادارية الى مراكز ومأمورو المراكز يديرون الشؤون الادارية والاقتصادية معا . وتحت اشراف مأمور المراكز العمد وممثلو البلدان الصغيرة والمزارع وينضم الى المأمور ضباط مختصون بادارة الزراعة في اطيان الحكومة وتقويم المحصولات . وتوجد مصالح أخرى تحت

اشراف المأمير مكافئة بالحصول على سائر المواد الاولية اللازمة للحرب.

وكنت أود أن أستخدم أبناء البلاد فى وظائف الشرطة والعسس الا ان عدم الاطمئنان اليهم جعلنى أختير جنود رجال الجندرمة من رجال الطبقات المتقدمة فى السن فى الجبهة . وكنا مضطرين الى أن نزودهم فى الاول بالمعلومات اللازمة لتولى اعمالهم ومع ذلك فلا يخلو الامر من وقوع بعضهم فى الخطأ بسبب عدم الخبرة من جهة ولتشرب الاهالى بروح العداء من جهة أخرى ولقد لاقى كثيرون من هؤلاء الرجال حتفهم وهم يطاردون العصابات المدججة بالسلاح

ما الهيئة القضائية فكانت منفصلة عن الهيأة الادارية ولقد أنشأنا محاكم جزئية وابتدائية ومحكمة عليا فى كوفنو

واستغلال الغابات كان مستقلا عن اعمال المراكز اذ كان مقسما الى تفاتيش غابات حسب امتداد الجهات المشجرة وأكبرها تفتيش غابات بيالوفيتز

اذا اردنا ان نستنتج فائدة من هذا العمل الادارى وجب علينا ان نبث فيه الحياة اللازمة له فلا نسيره على الطريقة الديوانية المتبعة فى كل مكان بل نراعى فيه مقتضيات الاحوال . واهم ما عنينا به السهر على صحة الاهالى فكافحنا التيفوس الطفحى الذي انتشر في عدة جهات . ولكى نجتذب الينا ثقة الاهالى عمدنا الى دفع أثمان الاشياء التى استولى عليها الجنود اثناء الحركات الحربية . واردنا ان نستولى على المحصولات المتوفرة وان نزرع الاراضي الواسعة الصالحة للزراعة بطريقة نظامية تحقيقا لآمال داخلية المانيا . الا ان العدد الباقى من السكان لم يكن كافيا لهذا الغرض اذ بلغ فى بعض المراكز اربعة شخوص للكيلو متر المربع ، فلجأنا الى الشركات الزراعية الالمانية واستقدمنا بواسطتها العربات والالات

والبذور ولكن اهم ماكنا نعتمد عليه هو مجهود الاهالي أنفسهم فاخذنا ننقد الفلاحين اجورا حسنة تشجيعا لهم ومع انها كانت اقل مما تدفعه حكومة فرسوفيا الا انها كانت كافية لاعاشة الفلاحين على كل حال وزرعنا كل الاراضي الآيلة الى السلطة العامة واستعنا بخيول الجيش .

ولم تجيء المحصولات وفق آملنا لعدم وجود المصارف ولم يتم حرث الاراضي الا متأخرا ولم نكسب الارض طبقة من السماد الكيماوي ولم نراع حالة الجو عند بذر البذور . والاصناف التي حسن محصولها هي البرسيم والتبن والسلجم والكتان .

واصبح نقل المحصولات بالقطارات عسيراً جداً فاضطررنا الى استئجار عربات الاهالي ودفعنا لها اجورا مرتفعة جدا .

وعنينا بزرع البقول والخضروات والفواكه وانشأنا معامل لصنع المربيات وتحضير الخضروات في العلب . وكذلك اهتممنا بطريقة اعداد القش والخشب للتغذية . ونظمنا صيد الاسماك في ثغر ليباو وفي البحيرات الكبيرة الحافلة بالاسماك .

وعمدنا لاجل مساعدة الأهالي تشجيع الجمعيات الخيرية المشكلة في البلاد الاجنبية لاجل اسعاف العناصر المختلفة في البلاد المحتلة وكانت اهم هذه الجمعيات الخيرية الجمعية الاسرائيلية المشكلة في الولايات المتحدة فخففت هذه الاعانات الواردة تباعا آلام الاهالي ولطفت الازمة

وفي الحقيقة أن البلاد تألمت من الاستيلاء على كثير من الخيول والبهائم ذات القرون الا اننا لم يكن في وسعنا أن نفعل غير ذلك . وأما ما يقال من اننا استخدمنا كل عناصر الحياة في البلاد المحتلة لمصلحة القيادة الشرقية فهذا ضرب من ضروب التشويه والتسوىء المقصودة على اننا لم نأخذ شيئا من الاهالي الا مقابل ثمنه النقدي

وسولنا الى بعض المصارف المالية ان تفتح لها فروعاً في هذه الانحاء ففعلت وكابدنا اشد التعب فى ترتيب الميزانية حتى جعلنا النفقات لاتتعدى الدخل ولم نستمد ادنى اعانة من مالية الامبراطورية .

— ٨ —

ولم تكن عنايتنا بالتقاضي اقل من اهتمامنا بالشؤون الادارية والاقتصادية فاتبعنا ماتقضى به قواعد اتفاق لاهاى من وجوب تقاضي كل بلاد حسب شرائعها الخاصة . فلم نعمد الى مزج القوانين الروسية بل اخذنا نبحث عن شريعة كل بلد ونترجم احكامها الى اللغة الالمانية ونجعل القضاة من الالمانيين لاننا لم نجد من ابناء البلاد من يقوم بهذه الوظائف . ولكن اللغط اكثر فى هذا الصدد وهو لغط مقصود به التسوىء .

وانشأنا المدارس الا اننا اضطررنا الى استقدام اساتذة كهول لا يعرفون سوى اللغة الالمانية فاخذوا يلقنون الاحداث العلوم باللسان الالماني واهتممنا بالكتب المدرسية ولا يسعني هنا الا ان الفت الانظار الى الطريقة الوطنية المدهشة التي يتبعها البولونيون بالاشتراك مع الفرنسويين في تلقين الاحداث حدود بلادهم فيذكرون فى كتب المطالعة دانتزيج وجنيزن وبوزن وفيلنا كمدن بولونيه وهذا هو الذي غرس في نفوس البولونيين روح العداء لناوما وقعنا فى شره الآن .

وتركنا الحرية التامة لسائر الطوائف فى مباشرة عباداتها وفق اديانها بل لقد سهلنا للاسرائيليين احضار الدقيق الذي يصنعون منه خبز عيدهم فى عيدهم الاكبر .

والتزمت خطة الحيدة التامة بين سائر العنصر ولم اسر في طريق سياسة ترضي احدها بنوع خاص . وسمحت لكل عنصر ان يصدر صحيفة

وان كنا في اشد الحاجة الى الخامات فقد طفق الوسطاء من الاسرائيليين يبتاعون لنا من السكان جلوداً وفراء ونحاسا وخرقا بالية وحدائد قديمة ونحاسا اصفر لارسالها الى داخلية المانيا لاستخدامها في المطالب الحربية ومع ذلك فقد كانت لنا مصانعنا الخاصة في ليباو وكوفنو وبيالستوك ثم تألفت الشعبة التجارية على التوالي واخذ نطاقها يتسع حتى بلغ حداً عظيما .

وكذلك انشأت مصلحة السكك الحديدية مصنعاً لها في ليباو .

ولقد استغللنا الغابات الواسعة استغلالا في منتهى الفائدة فلم نقتطع منها سوى الاشجار الضخام العتيقة التي تنفع اخشابها في سائر الصناعات فاستولينا على مقادير جسيمة لاسياج الاستحكامات وقضبان السكك الحديدية وارسلنا بالمثل مقادير جسيمة للجبهة الغربية وللصرب وللصناعة الدقيقة في المانيا واعطينا اهالي البلاد مايكفيهم لتشييد المنازل اوترميمها

وانشا رئيس قوة الطيران في الت اوتز بكور لاندا معملا في غاية الابداع لصنع المطارات وادوات الطيران الخشبية . وقمنا باعمال جسيمة لاعداد خشب الحريق اللازم لشتاء سنة ١٩١٥ — ١٩١٦ . ووجهنا بمقادير جسيمة من لب الشجر الى المانيا لصنع البارود والورق . وقد صارت التجارة الخشبية حرة في البلاد المحتلة في اقرب وقت فعادت على السكان بالرخاء وافادتنا افادة كبرى : وصرت سعيداً بتوفيري الورق الكافي للصحافة الالمانية . ونظمنا تسيير الاخشاب في النيمن وفي سائر المجاري الاخرى . ولم نقصر في عمل الفحم الخشبي .

وشغلتنا مسألة النقود لاننا اردنا التعامل بالاوراق الالمانية واخيراً اتفقنا مع الرايخسبنك وذوي الشأن في برلين على اصدار اوراق مالية باسم رئاسة القيادة الشرقية وقد اخذ الاهالي يتقبلونها بالتدريج ثم عم تداولها

خاصة له تحت المراقبة وحظرت على الصحف جمعاء ان تعلق على الامور الجارية بغير ما يتفق مع وجهة نظر الحكومة . ولم يكن فى وسعى بالطبع ان اسمح للاهالى بالاشتغال بالسياسة ولهذا كانت الاجتماعات ممنوعة .

وعلى الرغم من التشديد فى مراقبة الرسائل المتداولة فانى نظمت شؤون البريد العامة وسهلتها في سائر اعمالها العادية واستعمل طابع البريد الالماني مع وضع اصطلاح خاص عليه .

والغاية اننا سهلنا كذلك اتصال الليتوانيين والاسرائيليين باخوانهم فى امريكا .

فبكل هذه الاصلاحات والتسهيلات اوجدت الرخاء وجعلت الاهالى يكسبون اكثر مما كانوا يجنون على عهد السلطات الروسيه .

ولقد منعت اجباراً لاهالى على اداء السلام العسكري لرجال العسكرية وهي العادة التى تتبعها غالباً الجيوش الفاتحة وادرنا شؤون البلاد بطريقة هادئة اوجبت لنا حسن السمعة الآن وستعرف هذه البلاد اننا خدمناها باستقامة وانصاف

— ٩ —

ان الذين قاموا بالشؤون الاقتصادية في منطقة الحرب هم الجنود انفسهم . وقد انشئت معامل عديدة لنشر الاخشاب فى المنطقة المتقدمة لا لان الحاجة ماسة الى الواح الخشب فقط بل لان الاحتياج كان شديداً للاخشاب اللازمة لغرف الضباط والجنود ولاصطبلات الخيول . وقد وجد الجنود اثناء حرب الخنادق نفوسهم شيقة الى الاشتغال . وكذلك وجدت نفسي جانحة الى العمل وكنت سعيداً بتوفقي الى خدمة وطني بطريقة حديثة غير التى اعتدتها من قبل . وتعرفت برجال اجلة وباحتكاكي بهم ولجت ميادين اعمال كانت لا تزال غريبة عني الى ذلك العهد . واصبحت مسرورا

عا لتقيته لدى السادة المضطلعين بالشؤون الادارية العسكرية من الثقـة التامة . وشعرنا جميعا باننا نعمل لمستقبل المـانيا في ارض اجنبية . واردنا ان نوجد لالمانيا ميدان استغلال فسيح فى كورلاندا فنمت مشترى الاراضى لتبقى بعيدة عن تلاعب المضاربات وبهذه الطريقـة وضعت اساس سياسية عقارية سالمـة من الشوائب وان ما آتته قيادة الشرق فى هذه المدة القصيرة التي قضيتها فى هذه البلاد وكان انتهاؤها فى اوائل اغطس سنه ١٩١٦ ليمثل عمـلا جليلا من الحضارة. فها انا ذا لان ابتهج بمقدرتى على الانشاء والابتكار حتى في وسط غمرة القتال .

ولم تذهب نتائج هذا العمل سدى بل لقد عمت بنفعها الوطن والجيش والبلاد المحتلة نفسها مدة الحرب على الاقل. فهل بقيت فى تلك البقـاع بذور لا تلبث ان تظهر ثمارها ؟ انى أوجه هذا السؤال الى القدر القاسي الذي يطاردنا ولا انتظر الاجابة عليه الا من المستقبل

— ١٠ —

الحرب وازمة الشرق

بينما تشتغل القيادة الشرقية بسكون لاجل الجيش ولاجل البـلاد المحتلة اذا بالحوادث الحربية مندفعة فى مجراها . فالفوز الذي احرزناه فى الصرب والجبل الاسود أدى الى حدوث أربع معارك على الايسنز واثناء شهري نوفمبر وديسمبر سنة ١٩١٥ والى هجوم الروس على القسم الجنوبى من الميدان النمسوى حوالي عيد الميلاد وهجومات ظل موصولا الى أواخر يناير سنة ١٩١٦ وانتهت هذه الوقائع كلها بفوز حلفائنـا النمسويين فى الميدانين

وقررت القيادة الالمانية العليا ان تهاجم فردان لانها كانت باب خطر وشر علينا كما تحقق ذلك فى سنة ١٩١٨ فاخذنا نرسل جنودا متتابعة من الجبهة الشرقية الى الميدان الغربي ونستعد فى الوقت نفسه لدفع كل هجوم ينتظر فى مثل هذه الفرصة من جانب الروسيين

وابتدأ الهجوم على فردان يوم ٢١ فبراير مصحوبا في الايام الاول على الاخص بنجاح عظيم ثم دخل في دور التراخي على توالى الايام. وفى اوائل مارس كان الناس لا يزالون يعتقدون ان الالمانيين أحرزوا فوزاً مبيناً أمام فردان

وشرعت النمسا فى مهاجمة ايطاليا من جهة التيرول فى أواخر ابريل ومستهل مايو

ولتقوية الهجوم على فردان أرسلت الجبهة الشرقية مدافعها ذات العيار الكبير الى الجبهة الغربية واستعاد المعسكر العام الاكبر عساكره من الصرب .

ولقد اضعف المعسكر العام الاكبر النمسوى من جبهته الشرقية الى درجة عظيمة ليقوى جبهته الايطالية غير عابىء بقوة الروسيا الهائلة كانه صار مستخفا بها على اثر الانتصارات التي احرزها الجيش النمسوي فى الجبهة الشرقية اخيراً

والتزمت الجيوش المتحدة فى ميدان مقدونيا الحربي وفي آسيا الصغرى خطة الدفاع الا في جنوب العراق حيث اعد الفيلد مارشال فون درجولتز حملة على الانجليز فى كوت العمارة وتحسن مركز الدولة العثمانيه على أثر تخلى الاتفاق عن غاليبولى

ولم يكن لزحف الروسيين في أرمينية الذى أدى الى احتلال طرابزون وارضروم فى ربيع سنة ١٩١٦ اهمية اذا نظر اليه من الوجهة الفنية

العسكرية لان الروسيا لم تكن فى حاجة لتكبد الخسائر فى هذه الجبهة. ولقد ساعد الروسيين على انتصارهم هنالك تفوقهم العددى العظيم على العثمانيين ومواقفهم المستحكمة

وأما الحملات الانجليزية المسوقة على فارس وأرض الجزيرة وسيناء فلم يكن المقصود بها محو الجيش العثمانى بل اخضاع هذه البقاع للسلطة الانجليزية لتضمن تسلطها على العالم

— ١١ —

لقد سببت الضربة الالمانية الموجهة الى فردان فى شهر مارس الوثبة الايطالية الخامسة على الايسترو وانتهت كسابقاتها بالاخفاق

وكذلك الروسيا قذفت بجيشها الى الهيجاء ، فوصلتنا الانباء باستعداد الروسيين لمهاجمة فيلنا . وتدل الاوامر التى التقطت من الميدان على أن المعركة ترمى الى الفصل فى الامر وان كانت قد ختمت بغير ذلك . فان هذه الاوامر تحتم على الجيش طرد العدو الى خارج حدود القيصرية الروسية بكثرة فائقة فاتخذ فى الحال وسائل احتياطية . وقد تراءى ان بوادر الهجوم لن تحدث قبل مضى مدة غير وجيزة فوطنت النفس لاسباب بيتية ولحضور اقتران اليوزباشى الامير يواكيم الروسى الذى لم يفارق مركز اركان حربنا منذ خريف سنة ١٩١٤ على أن أشخص الى برلين التى قضيت فيها يومي ١١ و١٢ مارس وعلمت فيها أموراً تدل على قرب الهجوم فلم تهدأ ثائرة نفسى الا بعد عودتى الى كوفنو

وبعد ١٦ مارس بدأ الروسيون اطلاق مدافعهم على الاراضى الضيقة الكائنة بين بحيرتي فيشنبيف ونارونش وظل قتال المدافع مستمرا بشدة لم يعهد لها مثيل في الميدان الشرقى حتى نهاية يوم ١٧ وفى صباح ١٨ بدات

وثبات المشاة التي ظلت متتابعة الى آخر مارس . وكذلك هجم الروسيون على مواقعنا الكائنة في شمال جهتنا الشرقية . ولقد حرج مركز الجيش العاشر فيما بين ١٨ و ٢١ مارس ازاء التفوق العددى الذي أخذ يزداد فى الجيش الروسى . وفى يوم ٢١ احرزوا نجاحاً مؤلماً لنا بين البحيرتين وكذلك لم نتغلب على وثبتهم فى الشمال الا بمشقة عظمى وكانت الطرق رديئة بسبب مياه الامطار والجليد الذائب فكابد جنودنا المرسلون مددا الى الجيش العاشر عناء شديدا ولم يستطيعوا الوصول الا بخوض مخاضات البحيرتين فكان سيرهم لهذا السبب بطيئا . الا ان الروسيين الذين كانوا يتقدمون في بقاع أردأ من التي ندافع فيها أو من التي خلفها لم يلبثوا ان ادركهم الاعياء ، فخارت قواهم ، وحينما بلغت الوثبة الروسية من جديد نهايتها القصوى يوم ٢٦ مارس كنا قد ذللنا كل الصعاب التي تعترضنا . وكذلك كان موقف مجموعة جيوش شولتز والجيش الثامن حرجا لان جنودهما التي كانت متفرقة فى مواقع منعزل بعضها عن بعض أخذت تناضل الجيوش الروسية المندفعة عليها بشجاعة باهرة . وكانت هجمات الاعداء فى شمال الدينابورج أشد صلابة وهولا . ان الفرق المؤلفة من رجال كبار في السن هنالك دافعت دفاعاً يكاد يكون خير مرشد للشبان .

وما كاد مارس ينتهي حتى كانت الوثبة الروسية الكبرى قد عراها الضعف والاضمحلال فهى كما قيل عنها غرقت فى المستنقعات وفى الدماء . وتخطت الخسائر الروسية حد كل تقدير وتصور . فتغلبت صفوفها الرقيقة المستنيرة على الجموع الروسية الكثيفة الجاهلة وأحرزت جبهة قيادة الشرق اول انتصار دفاعى عظيم

وما هل اول ابريل حتى ساد السكون . وفى ٢٨ ابريل استرد الجيش العاشر بهجوم أعدته من قبل مدفعية قوية الاراضي التي اكتسحها العدو

بين البحيرتين فى مفتتح هجومه . فكانت هذه أول دفعة في الميدان الشرقى استعملت فيها طريقة الاقتتال بالمدافع اجمة الشائعة من مدة طويلة فى الميدان الغربي

ولقد وصلتنا بناء على أوامر المعسكر العام الاكبر فرق مقتطعة من الجبهة النمسوية

وفى أواخر مايو زارنا جلالة الامبراطور الذى طاف سائر البقاع الداخلة فى منطقة قيادة الشرق فصحبناه فى جولته هذه الفيلد مارشال وانا

وفي اوائل يونيه احتفلنا بانتصار الاسطول الالماني فى سكاجر راك ذلك الانتصار الذى رفع من قدر البحرية الالمانية وكان له تأثير عظيم فى لدول المحايدة . الا ان السرور الذى استشعرناه بهذا الانتصار البحرى لم يلبث ان تخلله لسوء الحظ أسف شديد على الخسائر التى اعتبرت في بادىء الامر طفيفة ثم ظهرت فداحتها

— ١٢ —

لقد أخذنا نتبع باهتمام شديد حملاتنا البحرية . فان الاموال التى انفقت على بحريتنا فى زمن السلم هائلة . فهى مكلفة الآن بالاشتراك فى القتال المحتدم لمنع انجلترا من التوصل الى خنقنا . ان مبدأ انجلترا فى الحرب يجعلنا ننتظر منها حسب عادتها المألوفة الالتجاء الى كل الوسائل فى الصراع بدون التفات الى حقوق الاشخاص أو الى الشرائع البشرية . لقد اصبح اسطولنا محجوزا في بحر الشمال بعد ان ذهبت عمارتنا البحرية المختصة بالبحر الابيض المتوسط الى الاستانة و بعد ان فقدنا كياوتشو نقطة ارتكازنا فى آسيا الشرقية . وكانت واقعة كورونيل التى حدثت فى اول

نوفمبر ووقعة فالـكلاند التي حدثت في ٣ ديسمبر سنة ١٩١٤ شارتي الانتصار والخرج ونهاية عمارة طراداتنا التي ملات سائر القلوب الالمانية اباء وغما.

لقد نثرت طراداتنا وطراداتنا المساعدة الالغام في مياه الاعداء واخذت من وقت الى آخر تلقى الروع والفزع فى عرض البحر على الاعداء . وتمكنت من جعل الجرأة الالمانية في الدرجة الاولى الا انها لم تتوفق الى النتيجة الحاسمة

وقد اصبح اسطولنا في البحر الابيض المتوسط عاجزا عن القيام بالعمل بعد ان عدلت دول الاتفاق عن مهاجمة الاستانة لان تفوق العدو فى البحر الاسود والبحر الابيض المتوسط عظيما . واما البحرية النمسوية فلم تأت بامر يستحق الذكر

وقام اسطولنا فى بحر البلطيق بمهمة عظيمة لانه ضمن لنا حرية الملاحة بين ثغور كورلاندا والثغور الالمانية فاستطاعت رآسة الشرق ان تمون جيوشها بانتظام تام . وظل السواد الاعظم من اسطولنا فى بحر الشمال مستنداً على مصب الايلب وعلى هيلجولاند وويلمهسهافن ولقد كان من الواجب علينا أن نسعى بواسطته فى انشاب معركة بحرية فاصلة كما ذهب الى هذا الرأى أمير البحر العائد الكبير فون ترپيتز . وكانت الشواهد تدل منذ تمرينات سنتى ١٩١٠ و ١٩١١ على ان انجلترا تفكر في القيام بحصار واسع النطاق . ومثل هذا العمل لا يتفق مع حقوق الانسان ولا يمكن تنفيذه الا اذا وافقت الدول المحايدة و بالاخص الولايات المتحدة عليه

على أن الانجليز اجتنبوا الدخول فى معركة بحرية مع انهم لو فازوا فيها لشلوا تجارتنا المتبادلة مع السويد ولما استطاعت غواصاتنا ان تحمي هذه التجارة . ولكن الانجليز كانوا يعلمون أن اشتباكهم معنا فى البحر

يعرض سمعة اسطولهم لخطر جسيم امام حلفائهم وأمام مستعمراتهم بالمثل .

ولم تكن للموافقة البحرية التى حدثت يوم ٢٨ اغسطس سنة ١٩١٤ منزلة تذكر فى الفن الحربي فان اسطولنا اظهر من الجرأة امام هيلجولاندا مالم يظهره الاسطول الانجليزى . ومع ذلك فان اسطولنا اطلق القنابل عدة مرار على الشواطيء الانجليزية التي ظلت سليمة من كل اعتداء منذ قرون عديدة. وقد أدت اغارة من هذا القبيل فى ٢٤ يناير سنه ١٩١٥ الى حدوث وقعة دوججيرارك

وفى ٤ فبراير سنة ١٩١٥ أعلنت حرب الغواصات على البحرية التجارية المعادية على الرغم من اتجاه رأي الاميرال الكبير فون تر بيتز الى ان وقتها لم يحن بعد وضربت الغواصات نطاق الحصار حول الجزيرة البريطانية وكان عدد الغواصات اذ ذاك قليلا جدا . على ان هذه الحرب لم تجيء بالغرض المقصود لانها اقتصرت على بواخر الاعداء ثم وضعت لها حدود شلتها وأخيراً ادركها السبات العميق بعد حادثة لوزيتانيا . ثم تنبهت فى أواخر نوفمبر سنة ١٩١٥ وفى فبراير سنة ١٩١٦ لمدة قصيرة اذ ان المانيا أعلنت بعد اغراق الباخرة سوسكس فى ٢٤ مارس سنة ١٩١٦ انها ستتبع قواعد القوانين الدولية فى الحرب التجارية فتعطلت منذ ٤ مايو من تلك السنة حرب الغواصات

الا ان دول الاتفاق لم تراع قواعد القانون الدولى في حربها التجارية. ما نحن فرأينا ان لا نخرق حرمة القانون الدولى وان نحافظ على حقوق الانسان مع اتباع الخطة التي يعاملنا بها العدو في حربه البحرية وبحثنا عن تعليل لعملنا بالارتكاز على أقوال صادرة من دول الاتفاق وتوفقنا الى مقالة للاميرال السير بيرسي سكوت نشرها في عدد ١٦ يوليه سنة ١٩١٤

من جريدة التيمس فالحقناها بمذكرة قدمتها الولايات المتحدة الى انجلترا بتاريخ ٢٥ مارس سنة ١٩١٧ وهذا ما كتبه الاميرال المذكور «ان اشهار مثل هذه الحرب ـ أي حرب الحصار البحرى بالالغام وبالغواصات ـ رأى ينطبق تماماً على الحق واذا حاولت بعد اعلان الحصار بعض البواخر الانجليزية أو المحايدة ان لا تعبأ بهذه الوسائل وان تخرق الحصار فلا قال انها تعمل عملا سلميا كما يزعم ذلك اللورد سيدنهام، واذا ما غرقت اثناء هذه المحاولة فلا يمكن وصف غرقها بانه رجوع الى التوحش البشع . »

على ان انجلترا لم ترد بوضعها الحصار على النمسا والمانيا الاقتصار على منع المهربات الحربية بل ارادت احداث مجاعة كبرى تفضي الى خور العزائم والى ثوران الاهالى . بل تخطت الى مقصد ابعد منها وأعظم هولا وهو محاربة الاطفال الرضع وهم على أثداء امهاتهن ليخرج الجيل الآتى هزيلا عليلا ولم تقتصر انجلترا على محاربة الصادرات والواردات الالمانية وحدها لاجل تحقيق الغرض المذكور بل لقد أخذت تحارب صادرات الدول المحايدة ووارداتها بالمثل لتمنع استفادة المانيا منها

كل هذه الاعمال المناقضة لسائر القوانين والشرائع تدل على ان الانجليز لا يراعون حقوق الانسان ولا يعتمدون الا على القوة

ولقد شعرنا نحن بتأثير هذا الاعتداء العظيم فى الميدان الشرقي لان الولايات المتحدة رضيت به فعلا سواء أقبل دخولها فى المعمعان أم بعده ولان الدول المحايدة الاوروبية أصبحت خاضعة لنير التحكم البريطانى

- ١٣ -

لم تفض معركة فردان الى النتيجة الفاصلة بل تحولت الى حروب جموع ومدفعيات كثيرة . وساد السكون بقية الجبهة الغربية

وفي يوم ١٥ بدأالهجوم النمسوى في ايطاليا فكانت نتائجه حسنة فى المبتدأ ثم زالت حدته

وعم الهدوء الميدانين المقدونى والعثماني سوى الجبهـة الجنوبية التى استردت فيها كوت العمارة ولم يشهد استردادها الفيلد ما رشال فون درجولتز الذي مات بالحمى قبل الهجوم عليها .

وارادت دول الاتفاق ان تضرب خصمها اللدود ضربة ساحقة فانشبن في الميدان الغربي معركة السوم، واستعد الروسيون بحشد جماهير جسيمة من جنودهم لمهاجمة الميدان الشرقي باسره . وكان الروسيون كلما رأوا شدة ... ة اداروا وجوههم شطر عدوهم الاضعف وهو الجيش النمسوي . ... كان الهجوم الموجه الى النمسا واقع على القسم الكائن بين البريبت والكربات فقد شرعنا ننتزع فرقا من الجبهـة الشرقيـة الالمـانية نرسلها الى ذلك القسم على الرغم من القوى الجسيمة التى ارسلتها القيادة الشرقية الالمانية الى الميدان الغربي وعلى الرغم من الامـداد السابقة التى ارسـلت من ... يش النمسوي .

وابتدأ الهجوم الروسي بشدة متناهية على الجيش النمسوي فلم يثبت النمسويون بل تراجعوا فى كل مكان وحمل موجة هذا الارتداد العناصر الالمانية التى كانت تساعد هذا الجيش على الرغم من حسن دفاعها ومن احرازها الفوز فى اماكنها فى بادىء الأمر . فأخذنا نوالى ارسـال الامداد حتى رقت

جبهتنا الشرقية رقة شديدة ومع ذلك فلم يؤد هذا الاسعاف الى تحسين مركز النمسويين . وحينئذ رأينا أن نحل معضلة طال عليها الزمن ولم نصل الى حلها الان المعسكر العام الاكبر النمسوي كان يراها ماسة بكرامته وهى معضلة توحيد القيادة فى عموم الميدان الشرقي . ولقد شخصنا الفيلد مارشال وانا الى بليس مركز المعسكر العام الاكبر الالماني لحل هذه المعضلة والتقينا هنالك بالقائد كونراد فلم يقبل الا ينهار باوامر الرآسة الشرقية واصر المعسكر العام الاكبر على متابعة ارسال الفرق الى الميدان النمسوي وارسل هو بالمثل فرقا حديثة الى ذلك الميدان . غير أن كل هذه القوى لم تكن سوى رذاذ يتساقط في البحر .

وفي هذه الاثناء هجمت الجيوش الروسية على الجبهة الالمانية لتمنعها من مساندة النمسويين فرددناها فى منطقة البحيرات ولكنها استولت على بعض الاراضي فى جهة الشمال على مقربة من ريغا لضعف قوانا الموجودة هنالك .

وبينما الجيش النمسوي يعانى أشد الاهوال امام الروسيين اذا بالايطاليين يهجمون هجوماً شديداً تمكنوا به من ازاحة الجيش النمسوي الى الخلف .

فلم يسع المعسكر العام الاكبر النمسوي ازاء هذه الصعوبات المتراكمة وازاء دخول رومانيا الحرب سوى الرجوع عن اصراره القديم وقبوله توحيد القديمة فاصبحت رآسة القيادة الشرقية يمتد اشرافها على سائر امتداد الجبهة الشرقية من البلطيق الى الادرياتيك .

ولقد تمكنا على أثر ذلك من صد هجوم الجيوش الروسية فى كل مكان بهجمات محلية متفرقة الا ان الروسيين لم يشاؤا أن ينثنوا امام وثباتنا المتناثرة بل استقدموا امداداً جديدة وعادوا الى الهجوم بشدة متناهية فى كل الجهات واشتد في هذا الوقت نفسه هجوم الايطاليين . وكان الالمانيون يسبحون اذا ذاك في الجبهة الغربية فى لجة من الدماء الجارية

فى معركة السوم . فالموقف اذن حرج والاعصاب فى منتهى التهيج ولا بدمن تمالك الجأش وانتظار حوادث المستقبل .

وبعد ان قبل المعسكر العام الاكبر النمسوي فى ٢٧ يوليه اسناد رآسة الشرق العامة الى الفيلد مارشال هندنبورج على اثر سقوط برودي عدنا من بليس الى كوفنو حيث ودعت هذه الجهة التى قضيت فيها ايام راحة وهناء اديت اثناءها خدما جليلة ثم طرأت علي فيها أخيرا هذه الاوقات المتناهية فى الحرج وتركت رفاقا من اركان الحرب الامناء الاكفاء مقيمين فيها . وعزمت قبل كل شيء على زيارة رآسات الجيوش النمسوية لاتعرف احوالها والتى عليها احكمى. ولم نر من المناسب ابقاء القيادة العامة الشرقية فى كوفنو لانها بعيدة جدا فى الجهة الشمالية . فرأينا ان نقيم الى مدة ما فى القطار الذى يقلنا .

امتداد دراستنا

على الجبهة الشرقية فى اغسطس ١٩١٦

-١-

ذهبنا الى كوفيل فبلغناها في يوم ٣ او ٤ اغسطس حيث يوجد المعسكر الاكبر للقائد لنسجن ورئيس اركان حربه الكولونيل هيل

وكانت الجبهة الشرقية قد رأت مرة اخرى اياما سوداء على اثر اشتداد وطأة الهجوم الروسي . فالجنود في شدة التعب ولا يمكن الاستغناء عن القليل منهم فى احدى النقط الا بصعوبة . وقد غصت الجبهة الشرقية

بجنود من الطبقات القديمة الذين لانستطيع ان ندفعهم الى اماكن القتال الجوهرية الا مرغمين .

فبينما وقائع ريغا تكاد تنتهي اذا بالروسيون يهاجمون من جديد يوم ٢٥ يوليه فى شمال بارا نوفيتشي وفى نفس المكان الذى يعلمون ان الجنود النمسوية تشغله والذي سبق لهم الانتصار فيه. فوقفتهم كرة المانية. ولم تؤد هجماتهم فى ٢٥ و٢٧ الى نتيجه .

واستمرت الوقائع التى نشبت مع مجموعة جيوش القائد لنسجن الى نهاية النصف الاخير من يوليه فلاقت هذه المجموعة متاعب جمة .

وبدأ الهجوم الروسي العظيم على طول الستوكود فى ٢٨ يوليه واستمر بشدة متناهية و بجموع عظيمة الى أول اغسطس وتراجح فيه النصر بين الجانبين واخيرا عادت جبهتنا الى ما كانت عليه .

وامتدت الوقائع بالمثل فى اتجاه الشمال الى مجموعة جيوش جروناو والتى دافعت خير دفاع مع قله عدد جنودها وامتداد جبهتها . فالروسيون معتمدون على كثرة عددهم ، غير مبالين بالخطط الحربية ولهذا اصيبوا بالخسائر الجمة وبالاندحار امام خطوطنا الرقيقة .

ورأيت فى كوفيل القائد برنهاردي المتولى رآسة منطقة سكك حديد كوفيل ولوتسك وسارنى .

ووصلنا مساء الى فلادمير — فولينسكى وفيها المعسكر العام للجيش الرابع النمسوي الكائن تحت امرة القائد لنسجن . وهذا الجيش خاص بالالمانيين ورئيس اركان حرب هذا المعسكر الفون ترتزكزنسكى وهو عصبي مدله « بالكرامة النمسوية » وقد سبب للقائد لنسجن من هذا القبيل متاعب جمة . فاكلنا عنده الا ان هذا القائد ابدى رأيه بحرية مدهشة عن الجنود النمسويين في الوقائع الاخيرة فاستخلصنا من هذا الرأي شعورا

سيئا من جهة هؤلاء الجنود.

و في الصباح بلغنا ليمبرج وفيها المعسكر العام للجيش الثاني النمسوى. وسحر لبي منظر لمبرج الالمانى نقيض كراكوفيا ذات المنظر البولونى. وسمعنا من القائد بريهم ارموللى ورئيس حربه البصيرين حكما على الامور مقرونا بالصواب وانهما لخير مثال للقواد الذين تستطيع الرآسة الالمانية أن تتفاهم معهم وكان جيشهما قد انسحب الى ماوراء بروديي والسيريت الاعلى على اثر هجوم الروسيين فى اواخر يوليه فما كان اعظم سرورهما عند ما علما بعزمنا على موافاتهما بقوة ممتزجة بالعنصر الالماني.

وتحادثت فى لمبرج مع القائد سيكت الذى انبأنا بحرج مركز الجيوش التى يقودها الارشيدوق شارل وعلى الاخص فى حوض الدنيستر لان الروسيين كانوا يزيدون ضغطهم على الموقع الكائن غرب تلاء مانسك اوتبينا وتسلقوا قسما من ذروة الكاربات فيما بين مضيق التتر وحدود رمانيا. وكانت سلامتنا متوقفة على مجموعة هذه الجيوش لانها لو تقهقرت الى ما يلى الدنيستر لجرت معها جناحها الايسر فلا يلبث الجناح الايمن للجبهة الشرقية ان يزداد امتدادا. فلا بد من الاهتمام بهذه المجموعة ولو انها ليست تحت امرتنا! وطالما استنجدت بنا بالمعسكر العام النمسوي في تشن مخافة ان يغير الروسيون على هنغاريا.

وسار بنا القطار الخاص الى بريست ليتوفسك ونحن نسمع في كل مكان انباء الازمات الهائلة التى احدثتها هجمات الروسيين على مجموعة الجبهة الشرقية.

واخذت على عاتقي تبعة تقوية الجبهة الشرقية وتدريب الجيش النمسوى. فالى اى حد تصل بي مقدرتى فى هتين المسالتين؟ لست ادرى

— ٢ —

لم يكن معسكرنا العام فى قطارنا الخاص الواقف امام محطة بريست ليتوفسك حسنا. فقد كنا فى مكان ضيق، ولا محل للعمل ، وكان لا بد للخرط الكبيرة من محال واسعة ثم لابد لنا من اماكن للكتابة . وفضلا عن ذلك فقد اخذت تتراسل على سقوف المركبات اشعة الشمس المحترقة فتجعل الاقامة داخلها غير مطاقة . حينئذ صممت على مغادرة القطار وافهمت الفيلد مارشال ضرورة اقامة معسكرنا العام فى بريست ليتوفسك نفسها . فارتاع حضرات الضباط لهذا الاختيار لان البلدة لم تكن صالحة للاقامة بها ولا توجد اماكن لحلول هيأة اركان الحرب فيها سوى القلعة وهى احق بان تكون سجناً من ان تكون معسكرا عاما . ومع ذلك فقد اصدرنا اوامرنا باعداد القلعة للتوطن بها . وكان حاكم الموقع العسكري يتخذها مقراً له . ولا بد لاعداد القلعة لسكنى هيأة اركان الحرب من انقضاء مدة من الزمن نظل مقيمين اثناءها فى القطار .

واعجبت بالاقامة فى بريست ليتوفسك على الرغم من فتك النيران بمبانيها حينما عزم الروسيون على اخلائها . واخذت اعد اسباب الراحة فامرت بقطع الاشجار التى تحول دون سريان النسائم فخلصت اشعة الشمس وخطرات النسمات الينا ونجونا من رطوبة الجو .

وكان لابد لنا لاجل تقوية الجبهة النمسوية من جنود المانية فى حين ان الجبهة الالمانية جردت من احتياطها حتى لم يعد فى الامكان استمداد شيء يفيد منها . وكنا قد انشأنا بضعة الايات من الخيالة وفصيلة مختلطة مؤلفة من ثلاثة طوابير مزودة ببضع بطاريات تحت رآسة القائد ميليور .

فالحقنا هذه القوة مقدما بالجيش الثاني النمسوي . ولم يبق من الاحتياط على جبهة امتدادها نحو الف كيلو متر سوى لواء واحد من الفرسان معضداً بعدفعية ومدافع متراليوزات . وهذا دليل على مقدار مانضطلع به من المهام الجسام نحن الالمانيين . على ان لواء الفرسان لم يلبث ان سافر الى الجبهة النمسوية بالمثل والحق بقوة القائد ميليور .

واختص المسكر العام الاكبر الميدان الشرقي بقوة اخرى . واقبل العرضي العثماني الخامس عشر فان انور عند ما علم بحرج الحالة في الميدان الشرقي بادر بارسال عرضي من جهة الاستانة اليه . فاراد المسكر العام الاكبر ان يقوي بهذا العرضي مجموعة جيوش لنسجن . الا ان تحرج مركز مجموعة الارشيدوق شارل حمل المسكر العام الاكبر على توجيه العرضي العثماني الى غاليسيا الشرقية بعد ان لم يبق عليه سوى بضع مراحل للوصول الى القائد لنسجن . ولقد قاتل العثمانيون اشد قتال في مصاف الجيش الالماني الجنوبي على الرغم من اضطراره الى تعلم طرق المعارك الحديثة والتمرن عليها واستخدامها في الميدان.

وارسل الينا المسكر العام الاكبر من الغرب فرقتين من الفرق الثلاث اللواتي اعدهن لنا وارسل الثالثة الي الارشيدوق شارل

وعلم الروسيون ان لاسبيل لهم الى مقاتلة الالمانيين فعدلوا عن الهجوم على البريبيت . ووجهوا اشد ما في وسعهم من الضغط على فولهينيا وغاليشيا الشرقية

وهاجم الروسيون مرة اخرى في يومي ٨ و ٩ اغسطس مجموعة جيوش لنسنجن والجناح الايمن لمجموعة جيوش جروناو فدفعوا الى الخلف . الا انهم لم يتمكنوا من تجديد الوقائع على مجري الستوكود شرق كوفيل وفي شمالها الشرقي وتمكنوا من العبور في بعض النقط الى الشاطيء

الغربي . وهذا هو الذى دعانا الى ارسال احتياطنا من الفرسان الى كوفيل

وفى الوقت نفسه هجم الروسيون بالمثل على الجيش الثاني النمسوى وهاجم مجموعة جيوش الارشيدوق شارل فى غاليسيا فارتد الجناح الايمن من الجيش الثانى الى زالوش فحالت قوة القائد ميليور دون نزول الكارثة الا ان الجبهة أصيبت بعطب اضطرنا الى ارجاعها الى مجرى الزبوروف وأرسلنا الفرقتين القادمتين الينا الى هذه الجبهة حيث قاتلنا فيها تحت امرة القائد ايبين رئيس المرضى الأول الا انهما جاءا متأخرين عن الوقت المناسب للمدافعة عن قطاع السريت

وعند ما اضطر الجناح الايمن من الجيش الثاني أن يغادر هذا القطاع اضطر الجناح الايسر من جيش بوعر أن ينسحب الي الوراء وأغار الروسيون من جديد على النمسويين وقذفوا بهم على مقربة من تلوماتش واستولوا على ستانيسلاو ونادفورنا . أما الجنود الالمانيون فانهم تمكنوا في هذه الاثناء من صد الروسيين ومنعهم من احراز أي انتصار هنالك

وما كاد يتناصف اغسطس حتي ظهرت هزيمة الجيش النمسوي جهاراً فأخذ موقف رومانيا يزداد غموضا

ومنذ منتصف أغسطس أخذت جبهة الرئاسة الشرقية المتسعة تتقوى فمص الجيش الثاني بالجنود الالمانيين حتي أصبح فى منتهى المناعة على ان الجيوش النمسوية من الجهة العددية كافية للمحافظة على جبهتها الا أن سوء نظامها وتدريبها جعلها فى حالة عجز شديد

وازداد النشاط فى تحصين المواقع وارسلنا الى الجيش الثاني النمسوي كثيرا من الاسلاك الشائكة وصار الاعتناء باعداد طرق المواصلات الخلفية وانشأنا سككا حديدية حربية

وبدأ تدريب طوابير الزحف على الطريقة الالمانية . وعهد الى قواد المانيين مراقبة هذا التدريب . واهتم الامير اوسكار البروسي بتعليم طوابير الزحف النمسوية في جيش الجنوب الالماني فادرك نجاحا باهرا وكذلك دربت وحدات المدفعيات النمسوية علي طريقة قتال المدافع الالمانية . وصار تبادل الضباط الى حد محدود . واتخذت كل الوسائل التي تحفظ الجيش النمسوي من مثل ما الم به في يونيه .

وكثرت اعمالنا ومرت بنا الساعات سراعا في قلعة بريست ليتوفسك.

وفي ٢٨ اغسطس اعلنت رومانيا الحرب على النمسا .

وفي الساعة الاولى من بعد ظهر ٢٨ ابلغنا القائد فون لينكر رئيس الديوان العسكري ارادة جلالة الامبراطور المختصة بحضورنا الفيلدمارشال وانا في الحال الى بليس .

فغادرنا في الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم نفسه بريست ليتوفسك على ان لا نعود مرة اخرى الى الميدان الشرقي. وتركنا فيه خلفنا عامين قضيناهما في عمل عظيم مشترك ادى الى انتصارات هائلة .

رئيس المعسكر العام الاكبر

من ٢٩ اغسطس ١٩١٦ الى ٢٦ اكتوبر ١٩١٨

هجوم دول الاتفاق

فى خريف ١٩١٦

—١—

حالما وصلنا الى بليس فى الساعة العاشرة من صباح ٢٩ اغسطس استقبلنا القائد لينكر واعلمنا بان الفيلد مارشال تعين رئيساً لهيئة اركان الحرب العامة للجيش المقاتل وانني تعينت الرئيس الثانى لاركان الحرب.

فلاح لى ان خير لقب يتفق مع وظيفتي هو رئيس المعسكر العام الاكبر.

وقال لنا جلالة الامبراطور عند ما استقبلنا انه يأمل تذليل الأزمة المستحكمة في الجبهة . واعرب المستشار عن هذا الرجاء ولم يذهب الى امكان عقد الصلح

ان مهمتي عظيمة ويجب أن اعمل وانا افكر فيها لانهاء الحرب بالانتصار المنتظر . وهذا هو الذي دعا الى استقدامنا الفيلد مارشال وانا اتولى هذين المنصبين الخطيرين .وميدان عملى الذي ساجه اليوم هائل مفعم بالمشاكل ومخالف بالمرة لميدان عملى السابق فقبلت هذه التبعة وانا مطرق برأسي ومبتهل الى الله ان يمنحنى القوة اللازمة للاضطلاع بمثل هذه المهمة العظيمة .

لقد صارت الحرب فى الوقت الذي دعينا فيه الفيلد مارشال وانا الى المعسكر العام الاكبر فى منتهى الخطورة اذا نتقلت من حالة الهجوم الى قتال خنادق ومواقع . فدول الاتفاق ابرزت كل مواردها للتمكن منا بطعنة هائلة وربما تكون الطعنة القاتلة فالجأتنا الى اتخاذ خطة الدفاع وحملت رومانيا على ولوج بهرة الكفاح. فالاتفاق لا يلبث ان يحمل علينا حملات صادقات فى الجبهة الغربية وفي ايطاليا ومقدونيا وجنوب البريبت لتمكين رومانيا من الاندفاع الى جناحنا الايمن في ترانسلفانيا لتعضيد الجيش الروسي او الى بلغاريا لانسياب من الدوبروجه وفي كلتا الحالتين تصيبنا بطعنة مهلكة. كذلك لا بد من انتظار مجهود عظيم في الساحات الاسيوية، فنحن انما نصارع امة التيتان . ولكن لا بد لنا على كل حال من انقاذ الوطن من الخطر المحدق به كما انقذناه فى تاننبيرج ولودز

ان المانيا وحليفاتها يكافحن عظميات دول اوربا المتمتعة بموارد العالم اجمع وهن مقتصرات على مواردهن الخاصة فقط . وقد ظهرت هذه الحالة فى وضوح تام على اثر اول صدمة حدثت فى الميدان الفرنسوى سنة ١٩١٤ فوقع ما حذره الفيلد مارشال فون مولتك فى ١٤ مارس ١٨٩٠ اذ قال . « اذا ما اشتعلت نيران الحرب المعلقة فوق رؤسنا منذ اكثر من عشر سنوات فلا يمكن التنبوء بمدتها ولا بما ستؤول اليه. وذلك لان دول اوربا العظمى هي التي ستشتبك فى مقاتلة بعضها بعضا متدججة باسلحة لم تعرف لها امثال من قبل ، ولن تصير احداهن فى حرب واحدة او حربين مقهورة تماما بدرجة تجعلها تعترف بهزيمتها وتقبل الصلح المقرون بالشروط الفادحة التي تحول دون نهوضها فى بحر عام والالتجاء الى معاودة القتال. فهذه الحرب ربما استغرقت سبعة اعوام وربما امتدت الى ثلاثين حولا ...»

واخذ تفوق العدو من وجهتي الرجال وادوات الحرب يتضح بجلاء على توالي الايام . واما نحن فقد اضعفنا تحمل الصدام الدائم مدة العامين المنقضيين واختفت زهرة شبابنا المدافع عن الوطن تحت خضرة الاعشاب النامية في الميادين الا ان جيشنا كان لايزال متينا قادراً على اخفاء حدودنا عن انظار الاعداء المتطلعة اليها بل على حفظ حدود حلفائنا بالمثل

والذي يقلقلنا هو الميدان الشرقي الذي خسرت فيه النمسا رجالا كثيراً جعل موقفها مقرونا بالحرج الا أننا دافعنا عن حدودها ولانزال مستعدين لمناصرتها وان كان جيشنا هنالك يحتاج الى كثرة الجنود الالمانية. ولم تكن النمسا عبئا باهظاً علينا من وجهة الرجال فقط بل لقد استمدت منا الفحم اللازم لها وادوات السكك الحديدية . وكذلك الحالة في بلغاريا وفي البلاد العثمانية وان لم تكلفانا عبئا باهظاً من الرجال بل كان همهما الاكبر مطالبتنا بالاموال وبالادوات الحربية ووسائل النقل . فالمانيا مضطرة في كل مكان الى مساعدة حليفاتها وفي كثير من الاحوال بدون الحصول على ما يعوض عن هذه المساعدات .

ومع ذلك فان حليفاتنا خففن عنا اعباء القتال تخفيفا عظيما بطريقة غير مباشرة . وكلما طال امد الكفاح ازدادت مطالب حليفاتنا حتى اصبحت كلا لا يطاق على كاهلنا .

ولقد ظلت قوى الاعداء تزداد على التوالي من الوجهة العديدية منذ نشوب القتال . . فايطاليا انضمت الى صفوفهم واخذت جميع حكوماتهم تؤلف تشكيلات حديثة وتدعو حليفاتهن البعيدات الى اسعافهن . وهذه رومانيا قد انضمت اليهن وهاجمتنا بجيشها المؤلف من ٨٥٠٠٠٠ جندي فنحن امام هذه الاعداد الضخمة نشعر بقلتنا العديدية الهائلة على الرغم من انضمام بلغاريا والدولة العثمانية الى صف تحالفنا وعلى الرغم من كل التشكيلات

الحديثة التي ابتدعناها . فجموع جنودنا التي قدمناها الى الجبهة ستة ملايين جندي مقابل عشرة ملايين حشدها الاعداء

وكذلك بدأت موارد الاعداء من جهة الادوات الحربية تعظم على التوالي واكبر شاهد على ذلك ما انفقه الاعداء من الذخائر في معركة السوم واذا أضفنا الى هذه الميزات ما ينطوي عليه الاعداء من الغل القاتل والرغبة التي لا حد لها في مواصلة القتال والحصار الهائل المفضي الى المجاعة وطرق النشر التي تروج في بلادنا سائر ضروب الاشاعات الكاذبة المؤذية يتضح لنا جليا ان لاسبيل لنا الى اكتساب هذه الحرب الا اذا استخدم حلفاؤنا سائر مواردهم من الرجال والمواد المختلفة والا اذا تقدم كل جندي الى ساحة الوغى وهو ممتلىء بحماسته القومية ومعتقد اعتقاداً جازما انه سينتزع النصر اغتصابا من الاعداء ليحفظ به سلامة الوطن .

فلكل هذه الاعتبارات حملتنا الفيلد مارشال وانا على انماء قوانا الطبيعية والاقتصادية والادبية الى آخر ما يتحمله الوطن وخاطب المعسكر العام الاكبر الحكومة فى هذا الصدد .

وعمدنا بالمثل الى التأثير فى حلفائنا لاتباع خطواتنا فى هذا السبيل فاقدمت النمسا على استخدام سن الخامسة والخمسين واستخدمت الدولة العثمانية سن الخمسين فصار لديهما عدد وفير من الجنود الاحتياطية ولو بطريقة التدوين فى الاوراق فقط .

وصرح رئيس اركان حرب البحرية بموافقته على اشهار حرب الغواصات بلا قيد ولا شرط فى منطقة الحصار . وكنا الفيلد مارشال وانا نذهب الى وجوب استخدام كل قوانا البحرية الى جانب قوانا البرية فى هذه الحرب العالمية لاجل سلامة الوطن .. الا ان مستشار الامبراطورية لم يوافق على

حرب الغواصات المطلقة من القيد لانها تؤدي الى دخول هولاندا والدانمرك ضدنا فى القتال وليس لدينا رجل واحدا نضعه فى سبيل صدهما فلا تلبثان ان تلجا بلادنا وتطعنانا الطعنة القاضية . وحينئذ نغلب على امرنا قبل ان تحدث حرب الغواصات الفوائد التى وعدتنا بها امارة الحرب البحرية .

على ان البحث الذي دار فى هذا الصدد منذ ٣٠ اغسطس لفتنا الى وجوب تحصين حدودنا المواجهة للدانيمرك ولهولاندا فامرنا اركان حرب الجبهة الشمالية الموجودة فى هامبورج بان تشيد استحكامات على طول التخوم الدانيمركية والهولاندية .وكذلك امرنا حاكم البلجيك بان يعجل باتمام الاستحكامات التى كان قد بدىء باقامتها على طول الحد البلجيكى بالجنود الموجودة تحت امرته .

— ٣ —

كانت معركة فردان على وشك الانتهاء . ولم تؤد معركة السوم الى الغرض الذي اراده منها الانفاق فى اوائل يوليه وهو اختراق جبهتنا . ومنذ اخفاق هذه المعركة بدأت وقائع حامية على الجناحين بقية ١٩١٦.

لقد اسالت منا فردان دماء غزيرة. وأصبح مركز الجنود المهاجمة يزداد حرجاً كلما تقدموا الى الامام لانهم فى دائرة ضرب المدافع. وكذا التموين صار متعذراً جداً فى بقاع تحمل لنا روح العداء. ولم يعد قائد هذه الحملة قادراً على التحرك من مكانه الا بمشقة عظيمة . اما الفرنسويون فكانوا احسن منا حالاً لانهم محتمون باستحكامات القلعة ووسائل التموين اسهل لديهم مما هى لدينا .فهذه الحملة لابد لها من استغراق مدة

طويلة تنفذ فيها جهود الجنود . وكان وريث المانيا قد أبدى رأيه منذ مدة طويلة بوجوب وقف الهجوم .

ولقد شرع الاتفاق في انشاب معركة السوم وهو حاصل على تفوق هائل على الارض وفي الهواء . فغشى الدهول المعسكر العام الاكبر في بادىء الامر الا انه لم يلبث ان استقدم قوى متلاحقة بمنتهى السرعة . الا انه على كل حال لم يضارع العدو في التفوق المدفعي وفي كثرة الذخائر والطيارات . واستمر الاتفاق يتقدم فى المواقع الالمانية . ففقدنا مقادير عظيمة من الرجال والادوات الحربية ، واصبح الموقف عسيراً جداً وصار من الضروري استبدال الفرق المنهوكة قواها بفرق اخرى ، وادى هذ العمل الى تخبط جسيم . وكانت قلة الذخائر من اكبر العلل فاخذت وزارة الحربية توالى ارسال القطارات المشحونة بالذخائر وانا اتولى توزيعها على الاماكن المختلفة من الجبهة بحسب ما كنت اراه من احتياجها وانه لعمل شاق جدا بل مزهق للارواح .

وكانت الحالة في الجبهة الغربية فى منتهى الحرج الا انى لم ارشدة حرجها من اول نظرة وكان هذا خيرا لانه ساعد على اقتطاع عدة فرق من هذه الجبهة وارسالها الى الميدان الشرقى لتهدئة الحالة فيه بهجوم قوى على الروسيين ولفصل الامر مع رومانيا نهائيا .

وعزمنا الفيلد مارشال وانا على تفقد الساحة الغربية وتقوية الاماكن الضعيفة منها الا اننا ارجأنا هذا العمل الى مابعد الانتهاء من ارسال الفرق الذاهبة الى رومانيا . واصدر جلالة الامبراطور امره بوقف الهجوم على فردان لان الخسائر لم تعد متناسبة مع الارباح . ورأينا ان نقتصر على الاشتباك في معركة المواقع التى بدأنا العدو بها ملتزمين خطة الدفاع .

وساءت الحالة بالمثل على الجبهة الايطالية اذ تقهقر النمسويون الى القمم

الكائنة فى شمال اسـياجوارسيبرو في يوليه وتخلوا عن مواقع على الا يسنزو تبادلها الطرفان مرارا .

وتولى الفيلد مارشال الامير ليو بولد البافاررى رئاسة القيادة الالمانية فى الشرق فطلبت ان يخلفني في مركزي القائد هوفمان .وتولى قيادة مجموعة جيوش الامير ليوبولد القائد فويرش مع احتفاظه بقيادة جيشه .

وبعد اعلان رمانيا الحرب صارت جبال الكاربات ذات شأن هام فى الميدان الشرقى .وكان اهمال النمسا حدودها من جهة رومانيا مدهشا سوء أفى حالة السلام بعد نشوب الحرب لانها لا تريد ان تحرك هواجس الرومانيين مع ماقام به هؤلاء على حدود ترانسلفانيا من الاستحكامات الموجهة ضد الحدود النمسوية ·

واقتصرت النمسا على أن تبث عدة وحدات مؤلفة من طوابير العمال على تخم ترانسلفانيا وهذا الاحتياط . لم يكن كافيا لوقف زحف الجنود الرومانية الى أن تصـل النجدات ولهذا اقتحم الرومانيون ترانسلفانيا واستولوا على كرونستاد وبيتروسينى مع مناجمها الفنية بالفحم بلا عناء فى ٢٩ اغسطس . وظهرت فصائل رومانية بسرعة فى جهة هرمنستاد ولو استطاع الرمانيون ان يواصلوا زحفهم لبلغوا عاصمة المجر بل لقطعوا خط مواصلاتنا مع البلقان ولتم انهزامنا.

فمهمتنا عسيرة جداً لانها تتضمن المحافظة على موقفينا فى الجبهتين الغربية والشرقية مع تقوية جيش الارشيدوق شارل وتجريد حملة على رومانيا لاخضاعها والانتقال بعد ذلك كله من حالة الدفاع الى خطة الهجوم. ولم يكن لنا سبيل الى اتمام كل هذه المشروعات الا باختصار مدة الصراع مع رومانيا والاندفاع بقوة ساحقة

وكان الفيلد مارشال ماكنزن قد تخلى عن رئاسة جيش الحملة الصربية

بعد الانتهاء من تدويخ الصرب الى المعسكر العام الاكبر البلغاري الا انه بقى فى البلقان حتى اذا ما بدت امارات استعداد رومانيا لمحاربتنا أخذ بعد جيش الحملة عليها . وفى ٢٨ اغسطس تولى قيادة الجنود الالمانيين والنمسويين والبلغاريين والعثمانيين الموجودين على الدانوب وعلى تخم الدوبروجه . ولم تكن العمارة النمسوية النهرية المتجمعه فى الدانوب والعناصر اللاندويهرية النمسوية الضئيلة والجنود البلغاريين الكهول مما يعول عليه بل الذي افاد وصول بضع بطاريات المانيه ثقيلة وفرقه عثمانيه وقد وصلت هذه القوة بطريق السكة الحديد البلغارية التي لم يكن في وسعها ان تسير الا قطرين أو أربعة قطارات في اليوم

وظل موقف بلغاريا تجاه رومانيا في منتهى الغموض والشك . فبينما تظهر المانيا والدولة العثمانية عطفهما على النمسا بانضمامها الى صفها بلا تردد على أثر اعلان رومانيا الحرب عليها بقيت بلغاريا مترددة الى أول سبتمبر .

وطبقا للاتفاق المبرم فى هذا الصدد بين القائد فلكنهاين وحلفائنا كان لا بد للفيلد مارشال ماكنزن أن يعبر الدانوب ليصل الى بوخارست مع الجنود التى تحت امرته فأدى هذا العمل الى انهزام هذه القوة الضئيلة . فعدلنا الفيلد مارشال هندنبورج وانا عن هذه الخطه واقترحنا على الفلد مارشال مكنزن الزحف على الدبروجه فوافقت بلغاريا التى كانت قواها محتشدة هنا لك على هذه الخطة وكذا أنور وافق عليها بارتياح

-٣-

كان السواد الاعظم من الجيش البلغارى في مواقعه المنتشرة على الحد اليونانى مزودا بنفر من اركان الحرب الالمانيين وفرقة المانية من المشاة

وجنود اخرى المانية اكثرهم من المدفعيين ومن مدفعيي المتراليوزات وعمال التلفون والطيارين . وأخذت بلغاريا منا أموالا جمة ومن النمسويين نقودا قليلة وأدوات حربية وافرة . ولم تكن سكك حديد بلغاريا مستوفاة النظام وامددناها بكل ما يلزم لتسهيل مواصلاتها

وجلب الاتفاق الى سلانيك الجيش السربي بعد تدريبه كما جلب جزءا مختلطا من عساكره واسندت القيادة العامة في هذه الجبهة الجديدة الى القائد ساراي الا ان هذا الجيش المختلط التزم فى هذه الآونة خطة السكينة . وقد زحفت الى البانيا جيوش متعددة من البلغاريين والنمسويين والايطاليين واليونانيين

ومن الواضح ان بلغاريا لم تخض غمار الوغى الا لتحقيق مقاصدها القومية فى البلقان ولذا فهى لا تسمح بجندى واحد يقاتل فى جبهة أخرى . وعند ما انضمت الدولة العثمانية فى سنة ١٩١٤ الى المانيا اشترت حيدة بلغاريا بالاراضى العثمانية الكائنة على ضفة الماريتزا اليمني وشقة من الارض العثمانية عرضها عشرة كيلو مترات على الضفة اليسرى تمتد من أدرنه الى البحر وحصلت على اراض متسعة من أملاك الصرب، ثمناً لاعلانها الحرب على الصرب واشترطت ان تعاد اليها ولاية الدوبروجه البلغارية التي كانت قد تنازلت عنها لرومانيا سنة ١٩١٣ . وتركت اراضي الصرب المفتتحة للنمسا وبلغاريا تديرانها ولم يبق لنا شأن فى الصرب سوى ادارة سككها الحديدية

ولقد أرادت بلغاريا قبل هبوب العاصفة الرومانية أن تزحف فى اتجاه سالونيك ، وهذا الزحف مبرر من الوجهة العسكرية . وتم استيلاؤها على الاراضي الواقعة شرق الستروما فى ٢٧ اغسطس بدون قتال عنيف فقد تخلى العرضى السادس الاغريقى المرابط هنالك عن هذه البقعة للجيش

البلغاري الزاحف ازاءه . واذ كان جيش الاتفاق زاحفاً على الستروما فلم يمن البلغاريون فى زحفهم لان هجومهم الاساسى على فلورينا اخفق امام دفاع الصرب العنيف وكان قيصر بلغاريا و رئيس و زرائها رادسلافوف قد وصلا الى بليس اذ ذاك فأخذا يشكوان من افتقار جيشهما الى الجنود الالمانيين

وكان رئيس القيادة البلغارية القائد جيكوف وهو حليف صادق الود قويم الخلق الا انه لم يكن متصفاً بصفات الرآسة العصرية ولا تسمح له وداعته أن يصلح أغلاط جيشه . وقد شغلته الانقسامات الحزبية عن الانصراف الى الشؤون الحربية . ورئيس اركان حربه لوكوف وهو مظلم المخ دساس مصيبة على بلاده وعلى التحالف الرباعى

لقد انضم رادسلافوف الى المانيا لاعتقاد خاص قائم فى نفسه وكان متجها دائماً الى المطالبة بأمانيه القومية. وهكذا كان يجعل مفاوضاته دائما قابلة لمخابرات جديدة حتى اذا ما أراد الانقلاب علينا ارتكز على ارادة الشعب . وهذا هو السبب الاساسي لمثابرته على المفاوضات المتوالية ولم يوضح لشعبه الاسباب الحقيقية التى أوجبت نشوب الحرب العامة وربما كان هو نفسه يجهلها .وكان ملك بلغاريا حليفاً مخلصاً الا انه كان أشد شغفاً بالمفاوضات من العمل الجدي . وهو بهذه الصيغة حاكم قدير فى زمن السلم أما فى اثناء الحرب فلم يكن الرجل العسكري الذى يستطيع التأثير فى جيشه بموجب مكانته السامية وكان الامير بوريس وريث بلغاريا الذى عني والده بتأديبه وتثقيفه خير عناية جندياً بارعاً له نظر ثاقب فى المطالب العسكرية . على ان الشعب البلغارى لا يمكنه ان يجد له رئيساً خيراً من هذا الامير

- ٤ -

لقد تحسن مركز الدولة العثمانية على أثر انسحاب الجيوش المتفقة من شبه جزيرة غاليبولى . واستطاع انور باشا ان يمد المعسكر العام الاكبر الالمانى بالجنود اللازمة . وانما كان يفعل هذا لاعتقاده بحق بان الفصل فى المعارك القائمة على الاراضى العثمانيـة انما يكون فى ساحات اخرى

وكان من الواجب قبل كل شيء تدريب هؤلاء الجنود والباسهم الثياب الكافية وتزويدهم بكل ما يلزمهم من المطالب وهـذه الامور تستدعى حصة من الزمن . وفى اواخر يوليه سافر العرضى العثمانى الخامس عشر الى غاليسيا وانتقلت فى هذه الآونة فرقة عثمانية الى وارنه . واقتطع انور هذه الجنود من جيش المارشال ليمان باشا المختص بحماية الاستانة وسواحل آسيا الصغرى

وطرد الانجليز العثمانيين من شبه جزيرة سينا وهم منهمكون فى هذا الوقت بمد خط حديدى واجراء الماء اللازم . وحالما ينتهون من هذين المشروعين ينتظر تقدمهم للاستيلاء على فلسطين

ولم تعقب الفوز الذى احرزه العثمانيون فى كوت العمارة انتصارات اخرى . فأخذ الانجليز يعدون حملة جديدة للاستيلاء على بغداد وهم في هذه المرة صادقو العزم

وكان لا بد لهاتين الحملتين ان تكللا بالظفر اذا كان الانجليز كما يظهر من امرهم ممتنين حق العناية بالوسائل اللازمة لها غير انه كان من الضرورى أن يحشـدوا مقـادير عظيمـة من الجنود تتغلب على شـدة مراس العثمانيين

وهذا هو السبب في ان كفاءة الجيش العثماني كانت ذات قيمة ثمينة لنا فلقد كنا نشعر بتسرية عظيمة عنا في الساحة الغربية كلما اشتد دفاع العثمانيين عن فلسطين والعراق بشجاعة متناهية . وكلما تمادي الانجليز في في ارسال جنودهم الى هذين المعتركين لتحقيق اغراضهم فيهما . وكان لديهم عدا الجنود الهندية قوى اخرى لا يرغبون فى استخدامها في فرنسا واستخدامها فىقتال العثمانيين لا يعود علينا بأقل جدوي في الساحة الغربية. على ان هذا النضال كان يزيد ارتباك الشؤون العسكرية الانجليزية

ولم يكن للحملات العثمانية فى فارس المتجهة صوب همدان شأن مذكور فى سير الحرب من الوجهة العامة

وكان الروسيون والعثمانيون وقوفا بعضهم ازاء البعض في مواقعهم الكائنة شرق آسيا الصغرى وغربها وفي جنوب الخط الحديدي الممتد بين طرابزون وارزنجان وموش بدون ان يتواثبا. ولم أكن أعلم حقيقة ما فى هذه المواقع من الجنود العثمانيين ولم يكن من المنتظر قيام الروسيين بوثبات خطيرة فى هذه الجبهة لانها كانت محفوفة بالمكاره والاهوال

ولم يكن الجيش العثماني قد تمالك نفسه مما أصابه في الحرب البلقانية حينما تعرض للحرب مرة أخري . وكانت خسائره بسبب الامراض أومن جراء المعارك العظيمة ولهذا السبب قل العنصر الاناضولي الشجاع من الجيش وأخذ العنصر العربي الذى قلما يركن اليه يشغل محله فى القوى المكافحة فى ارض الجزيرة وفلسطين . ولم يكتمل عدد الجنود المعينين وكان غذاؤها رديئا واستعدادها الحربي أسوأ .وكانت قلة الضباط المعتمد عليهم عظيمة واجتهد ليمان بما له من الميزة الخاصة فى أن يستخلص من هذه الفرق

وحدات يمكن الاستفادة منها وهذه الجنود لو انتقلت من رئاسته الى رئاسة المانية بحتة لتحول عملها الى مفعول ايجابي بل لقامت بأعمال مجيدة كما حدث في غاليسيا وفي الميدان الروماني ، أما اذا انتقلت من اشرافه الى قيادة عثمانية محضة فانها تفقد بسرعة متناهية ثمرات ماالتقطته من التعاليم الالمانية ·

وتلقت منا الدولة العثمانية خلاف الاموال ضباطا وتشكيلات فنية وأدوات حربية بالمثل بقدر ما كانت تسمح به حالة القطارات المحدودة جدا الذاهبة الى القسطنطينية . فاما جنود سليمان باشا فكان من الميسور تجهيزها بمطالبها هناك وأما الجنود الضاربة فى جهات فلسطين وما بين النهرين وجنود القوقاز فكان تجهيزها عسيراً فأصبحت في حالة يرثي لها . وقد قلت اعدادها كما قلت قيمتها الحربية . وحاولنا ان نوسع دائرة النقل بالسكك الحديد العثمانية فأرسلنا اليها أدوات النقل وعمال الحركة الفنيين

وظلت الحكومة العثمانية متبعة سياسة الحذر والتوجس من العناصر الاخرى

وعلى الرغم من جهودى لم تعدل الدولة العثمانية عن السياسة المتبعة الى ذلك الحين تجاه العرب . وربما كان الوقت قد فات . ومن جهة أخرى فان الذهب الانجليزي أخذ يفعل مفعوله المعتاد . فأخذ العرب ينقلبون بشدة مع تتالي الايام على الاتراك . وان بقاء العثمانيين محتفظين بمراكزهم على امتداد السكة الحديدية الحجازية وفى المدينة المنورة الى نهاية الحرب لاحدى خوارق العادات

واقبل أنور نفسه فى أوائل سبتمبر الي بليس . وهو رجل نشيط جداً وله تأثير خارق العادة وهو صديق وفى لالمانيا . وكانت تجمع بيننا عاطفة ولاء متين وكان له فى مجرى الحرب اعتقاد عسكرى . الا ان القواعد

الحربية والمهنة العسكرية كانت تنقصه . كما انه لم يكن حاصلا على المعلومات العسكرية كانت تنقصه . التي يقتضيها مركزها الحربي العظيم ولا يتنظر نمو مواهبه العظيمة . وكان ارسال الجنود العثمانيين الى غاليسيا والى رومانيا يطابق عواطفه الجندية الحقيقية . الا انه في مقابل ذلك كان يتطلب من الادوات الحربية مقادير هائلة أعظم بكثير مما يمكن تحقيقه وأغلب القطارات الذاهبة الي البلاد العثمانية عن طريق صوفيا كانت مستعملة فى نقل الفحم المرسل من سيليزيا العليا الى القسطنطينية . وطالما رجوت من انور ومن طلعت ذي الشأن المهم جدا ومن ذوى المكانة السامية الذين كانوا يزورونا ان يستثمروا مناجم الفحم ليتيسر لهم المكان اللازم لنقل الادوات الحربية وبحثت معهم فى مقدار الفائدة العظمي التي ستفيدها مجرى الحرب من انتظام الخطوط الحديدية وابنت لهم ما كانت تستطيع القيام به الامة العثمانية فى حالة توفر السكك الحديدية وانتظامها على انني لم أجد تقبلا حسنا منهم أو على الاقل رغبة صادقة فى العمل بما كنت ادلي اليه. ولبثوا يعرضون علينا مطالب جديدة على الرغم من معرفتهم ان هذه المطالب لم تقابل بالعناية والاهتمام . وأما من جهة مناجم الفحم والسكك الحديد فلم تعمل الدوله العثمانيــة عمــلا مذكوراً لاستثمارها

وكان احرار العثمانيين قابضين بايد قوية على ازمة الحكم فى الاستانة وأما الاهالى فلم يكن لهم دخل فى ادارة البلاد. فحالة البلاد العثمانية عند ما شرعت فى دور العمل لم تكن مرضية فما كنت أفكر في مسألتى العراق وفلسطين الا بهم وقلق

— ٥ —

كانت العلائق متبادله بيننا وحلفائنا بمندوبين مكلفين بالامور الحربية اذ لم تكن المحادثات الشخصية متيسرة على الدوام. فكان مندوبنا العسكرى لدى المعسكر العام الاكبر النمسوى القائد الالمانى فون كرامون ومندوب النمسا القائد فون كليبش . ومندوبنا لدى بلغاريا الكولونيل ماسوف ومندوب بلغاريا القائد كانتشيف . ومندوب العثمانيين الفريق زكي باشا وممثل المانيا في القسطنطينية القائد لونسوف وهو صديق حميم لانور . على اننا كان لنا في الاستانة رئيس اركان حرب المانى وهو القائد برونسار رفون شيليندورف الذى أخلفه القائد فون سيكت

وحينما وصلنا الفيلد مارشال وانا الى بليس شرعنا في توحيد القيادة العليا لجيوش التحالف الرباعى وأصدر الامبراطور امرا بذلك . ولقد صار على اثر ذلك ان المعسكرات الكبرى العامة للدول حليفاتنا كلما حدث بينها سوء تفاهم رجعت الينا للفصل في اسباب الخلف الشاجر بينها كما وقع ذلك بين بلغاريا من جهة والنمسا والدولة العثمانية من جهة أخرى

والخلاصة اننا الفيلد مارشال وانا اضطلعنا بادارة دفة الحرب في الجبهة الغربية وفي الجبهة الشرقية الى الدوبروجه

ومع ان مجموعة جيوش الارشيدوق شارل والجنود الواصلة الى ترانسلفانيا كانت تحت امرة المعسكر العام الاكبر النمسوى في تيشين الا انها كانت خاضعة فى حركاتها للخطط التى كنا نرسمها لها فكانت فعلا تابعة للمعسكر العام الاكبر الالمانى

وقد تركت الجبهتان الايطالية والالبانيــة الى تصرف القائد كونراد بتاتا

وكانت الحالة فى الميدان المقدونى تستدعى توجيه عنايتنا الخاصة الى الجيش العثمانى والبلغاري المرابطين فيه الا اننا لم نتمكن من أن نكون العامل الفعال فى انهاضهما

— ٦ —

ولقد كان جلالة الامبراطور هو الرئيس الاعلى المفوضة اليه السلطات العليا فى القيادتين البرية والبحرية. فرؤساء قيادة الجيش البري والاسطول تابعون له مباشرة و يدير رئيس اركان الحرب العام للجيش المقاتل الاعمال الحربية طبق ارادة جلالته . الا انه على تمام الاستقلال في تنفيذ الخطط المقررة.

ولرئيس اركان حرب البحرية العام من الاختصاصات ما لزميله البري فهما متساندان فى العمل لتكون خطط الحرب العامة متفقة فى اجزائها. وكانت العلائق بين الهيأتين فى منتهى الاحكام.

وكان حاكما بروكسيل وفارسوفيا تابعين مباشرة للامبراطور الا انهما من الوجهة السياسية يتلقيان التعليمات اللازمة لهما من المستشار الامبراطوري. و يسيران فى الشؤن الحربية وفق رغائب المعسكر العام الاكبر. ومع ذلك فاقتضى الحال فى احد الايام استصدار أمر خاص الي حكومة فارسوفيا لارسال مقدار من الخيول . وأما بقية البقاع المحتلة فظلت تحت ادارة رئيس المعسكر العام الاكبر نفسه . وكل معسكر يتولى ازمة البقاع التى يحتلها

وكان وزراء حربيات بروسيا وبفاريا وساكس وورتمبورج متكاتفين معنا ولهم ممثلون لدينا يفيدوننا فوائد لا تقدر . ولقد تحققوا من عدم

محاباتي واحداً منهم انني انظر الى مصالح بلادهم بانصاف واخلاص. والفرق كل منهم محاسنها وعيوبها الافرق وورتمبورج فلم يكن لها سوي محاسن وكذلك يجب الثناء على الجنود البادنيين وان لم يؤلفوا قوة قائمة بذاتهـا . ويجب الاعتراف هنا بانه فى حالة اقتضاء التضحية العظمى لاجل سلامة الوطن فان الرجال الذين يستدعون من الداخل لاداء هذا الواجب لا يحضرون الى الجبهة الا وهم تحت التأثير السارى فى الدخل فلا يفيـدون الجيش الفائدة المنتظرة منهم

ولم تكن لى بالقواد حكام الجهات صلات الا فيما يختص بالتعليم الوطنى وقد صار هؤلاء تابعين مباشرة لوزارات حربياتهم على أثر اعلان الاحكام العرفية بقرار من الرايخستاج سنة ١٩١٦ وصار نفوذ وزراء الحربيات عظيما على أثر انتشار الاحكام العرفية

وكان لرئيس المكتب الحربي الامبراطورى من السلطة والنفوذ ماليس لسواه من الرؤساء حتى أن المعسكر العام الاكبر كان يخاطبه مخاطبة الند للند. ولم يكن هذا الرئيس مسؤلا الا أمام الامبراطور وحده. ويشتغل هذا الموظف الكبير بجد واخلاص جاعلا اساس حكمـه على الامور قائما على تقارير الرؤساء . ولم أكن مسؤلا أدبيا الا عن تبعات ما يحدث من ضباط أركان الحرب العامة وعن الاوسمة التي يمنحونها . وكان رئيس المكتب الحربي الامبراطورى مختصا بالفصل فى النظر فى منح الاوسمة للضباط ولهذه المسـألة شأن هام فى الجيش .ومن سوء الحظ أن منح الاوسمة كان يسـتغرق مـدداً طويلة وهـذا ما حمل المعسكر العـام الاكبر على أن يسـعى فى السماح له بمنح شـارات الشرف للجرحى فى الحال .

وتتبع ادارة شؤون القتال فى المستعمرات وزارة المستعمرات. وهذه

الوزارة لم تكن بينها وبين هيأة أركان الحرب العامة صلة متينة فى زمن السلم ولذا لم تفكر في ايجاد وسائل الدفاع القوية اللازمة عن مستعمراتنا ولم نستفد من هذه المستعمرات ما استفادته فرنسا من استخدامها جنود مستعمراتها السود في معركة السوم . كما أن فرنسا اعتمدت فى هجومها سنة ١٩١٨ على هؤلاء الزنوج وبالطبع اننا لم نكن نستطيع ان نشاغل بقوى مستعمراتنا الافريقية مقادير عظيمة جداً من جنود الاعداء في القارة الافريقية نفسها . ومع ذلك فان الجنود الالمانيين القلائل الموجودين في شرق افريقيا أبدوا من البطولة ما لامثيل له اذ استجروا قوات معادية جسيمة . الا أن مستعمرتنا الكائنة فى جنوب افريقيا الغربي لم تبد المقاومة التي قد كنت انتظرها منها فدهشت لتسليمها بسرعة . الا أن الفضل فى ثبات جنودنا في شرق افريقيا يرجع إلى شجاعة القائد فون ليتوف فوربك وقوة ارادته فقد ظل يقاتل حتى خريف سنة ١٩١٧ مابين الروفيجي والرودفونا ثم انتقل الى الاراضي البرتغالية ولبث يحارب فيها الى انتهاء الحرب

ويعتبر المعسكر العام الاكبر والمستشار الامبراطورى فى مستوى واحد والذي يجمع بينهما هو جلالة الامبراطور . وكثر اختلاطنا بالحكومة الامبراطورية ولكن على غير ما يرام . وما كنا نلاقي الاهتمام المرجو من جانب الحكومة عند ما كنا نعرض عليها مطالب الرؤساء العسكريين بخصوص جعل الشعب الالماني أهلا لاحراز النصر النهائى . وكان الجهاز الحكومي فى برلين بطيء الحركة جداً وكانت كل مصلحة تعمل بغير ارتباط بالمصالح الاخرى ولا سبيل الى الجمع بين اعمالها المتفرقة الا بمثل مواهب بسمارك وهذه المواهب استحالت على مستشارينا الجدد . الا أن العلائق تحسنت وانتظمت بين المعسكر العام الاكبر والمستشار على اثر ارسال هذا

الاخير ممثلين له يقيمون بجانب المعسكر العام الاكبر . واحدث قدوم الوزير فون شتاين تلطيفاً عظيما فى أوائل سنة ١٩١٧

وكانت مسألة توحيد الدستور الالمانى هى اهم ما يشغل الافكار فى ذلك العهد ولعلها تكون الخطوة الاولى في سبيل تنظيم وطننا وتقويته

—٧—

بدأنا الفيلد مارشال وانا أولى جولاتنا فى الساحة الغربية يوم ٥ سبتمبر واقبل وريث المانيا للسلام علينا بالقرب من شارلفيل وعلمنا انه سر بوقف الهجوم على فردان وأظهر رغبته فى ابرام الصلح

وقابل الفيلد مارشال فى شارلفيل ضباط قسم اركان الحرب العام الموجودون فى هذه المدينة . وان شطر هيأة أركان الحرب العامة الى قسمين احدهما هنا والآخر في بليس ووجود مثل هذه المسافة الشاسعة بينهما مما يعرقل سير الاعمال الى درجة عظيمة . فوسائل المخابرات التلغرافية والتليفونية البديعة لا تقوم مقام المحادثات الشفوية رأساً . وودت ان أيسر اجتماع هيأة أركان الحرب كلها فى مكان واحد فى الساحة الغربية ولكن في غير شارلفيل التى لم يكن موقعها موافقا . الا أنه كان من المستحسن فى هذه الآونة البقاء فى بليس لان الحملة الموجهة على رومانيا تستدعى وجودنا على مقربة من القائد كونراد المستقر فى تشين

وبينما كان البحث دائراً فى كمبريه يوم ٧ سبتمبر صباحاً اذا بوقعة حادة تجرى على شاطىء السوم . ولم تكن طرق الدفاع المتبعة الى الآن عن الجبهة الغربية حسنة موفقة . الا أن احداث تغيير فى نظام توزيع الجيوش لم يكن

ميسوراً الا بعد انتهاء المعركة الجارية

وأخذ القواد رؤساء اركان حرب القطاعات الدائر فيها التطاحن بين الفريقين يوضحون لنا التفاصيل . وكان فقد الاراضي أهون شيء لدى من شؤون المعركة وانما الذى كان يشغل بالى هو استنباط الوسيلة التى تخرج بها هذه المعركة من مجراها التى تسير فيه الى هذه الآونة والطريقة التي نتلافى بها النقص الفادح الآخذ فى التزايد من شدة وطأة القتال. وهمني جدا أن أعرف حقيقة قوانا المحتشدة فى الساحة الغربية الآن وكنه الخطة الموضوعة لادارة القتال فيها . فأما معرفة الاولى فكانت ميسورة وأما استكناه الثانية فكان في منتهى الصعوبة . وذلك لان وجهات النظر في الخطط تتعارض بشدة كتعارضها فى المسائل السياسية والاقتصادية

ان الصورة القاتمة التى تمثلت ازاء بصرى فى فردان وعلى السوم ازدادت قتمة بما طرق أذني من التفاصيل المكدرة . الا أن بصيصاً من الضوء كان يلتمع من خلال هذه القتمة وهو ضوء البطولة الالمانية التى تحمل كل الماني على استسهال الآلام بعامل الوطنية المشتعلة فى النفوس. ولا يسعنى أن آتي هنا بوصف دقيق لما سمعته من التفاصيل عن ضروب الشجاعة التى اظهرها الجنود الالمانيين فيهذه المعركة . وخير ما يقرأ عن هذه المعركة القصيدة الحماسية التى صاغها فى قالب نثرى ضابط شاب من آلاى هامبورج المتين

لقد جمع العدو مقداراً هائلا من المدافع وأمدها بأكوام لا تحصى من الذخائر وجعل احكام مرماها موكولا الى ارشاد الطيارين فمزقت مدفعيتنا شر ممزق ولم تكن قوة الدفاع لدى مشاتنا كافية لصد جموع العدو الكثيفة فخسرنا فضلا عن قواتنا الادبية وفضلا عن الدماء التي جرت انهاراً عدداً

عظيماً من الاسرى ومقادير جسيمة من الادوات الحربية

واخذ رؤساء الجيوش يلحفون فى مطالبتنا بالمدافع والذخائر والطيارات والفرق المنتعشة المستريحة . وأصبح في استطاعتنا اجابتهم الى سؤلهم على اثر وقف الهجوم في ساحة فردن ولو ان الوقائع المحلية هنالك لم تزل تستنفد مقادير جسيمة من الذخائر

وأخيراً طار المعسكر العام الاكبر بوصول عدة فرق منتعشة من التشكيلات الجديدة اليه . كان أن الادوات الحربية والطيارات اخذت ترد بكثرة من الداخل الا أن مسألة الذخائر هي التى بقيت تشغل بالنا لاننا نر يدمنها مقادير فوق كل حد ووصف

وصار من أول الواجبات اتخاذ الوسائل الكافية نحو بطاريات العدو الممهدة الهجوم ثم استئصال افواج المشاة المستعدة للزحف قبل ان تمادى فى زحفها على خطوطنا ، الا اننا عدلنا عن هذه الخطة لعدم توفر المدافع والذخائر اللازمة لها . وأصبح من اهم الشؤون الحربية نظم حساب الاطلاق لان هذه المسألة تفيد أمرين عظيمين ، أولهما توفير القذائف ، والآخر اصابة الهدف بسرعة . أما الطيارات فلم تعد سلاحاً ناجعاً فى مقاتلة الجيوش المتحركة الى هذه الآونة كما صارت فى أواخر سنة ١٩١٧ وفى سنة ١٩١٨ الا أن طيارى الاعداء الذين طاروا فى معركة السوم في مسافة قريبة من الارض استعملوا المدافع السريعة ضد جنودنا فأدركوا نتائج مهمة . والنتائج الحاسمة فى كل الوقائع تتوقف علي اعمال المشاة ولذا فانى كنت أميل دائماً الى المشاة وأوصيت أبنائى بان يلتحقوا بالمشاة ولقد التحقوا بها الا أن جو الطيران اجتذب انظارهم اليه فيما بعد كما اجتذب أنظار كثيرين من الشبان

ان هؤلاء المشاة هم الذين يتعرضون لاشد الاخطار ويلاقون

حتوفهم اكثر من زملائهم الآخرين وعلى مجهوداتهم ترتكز قوائم النصر ومع ذلك فانهم متى عادوا الى ديارهم كان حظهم من الفخار اقل من نصيب سواهم . ويندمج في مصافهم من يكابدون الاهوال مثلهم كالفرسان ووحدات الحفارين والهندسة وعمال التليفون والتلغراف .

واذا كان هذا شأن المشاة فمن الواجب العناية بهم وعدم تعريض دمائهم للجريان جزافا. لقد علم العدو بقيمة المشاة فاستعاض عنهم في كثير من الاحوال بآلات القتال . اما نحن فلقلة الآلات الحربية لدينا ظللنا نتبع خطتنا القديمة القاضية بالهجوم او بالكر بجموع كثيفة . فلا بد لنا من الاكثار بقدر الامكان من المدافع الرشاشة على شرط ان تكون خفيفة سهلة الاستعمال فلا تحتاج الى عدد كبير من الجنود كما لابد لنا من الاستكثار من قاذفات القنابل وقاذفات القذائف اليدوية .ومن الضروري تدريب مشاتنا المخصصين للهجوم على ما تقتضيه هذه الحرب من طرق الهجوم الحديثة ، وهذه الطرق محتاج الى وضع انظمة لها لم يكن لها وجود قبل الآن . ومن المحتم تغيير اقامة المواقع وشق الخنادق التي يكتشفها الطيارون بسهولة ويأخذون رسومها الفوتوغرافية بالتدقيق فتكون خير هدف لمدفعية العدو . والخلاصة ان معركة السوم استدعت حدوث تعديلات عظيمة في اكثر خطط الحرب وآلاتها بل كثيراً ما اقتضت قلب الشيء رأساً على عقب .

كل هذه الشؤن تدارسناها في مؤتمر كمبريه. وخرجت من ذلك المؤتمر وانا معتقد وجوب ادخال تعديل عظيم على نظام الجيش باسره .

لقد كنا نتبع في الميدان الشرقي نظامنا القديم وكنا ندرب وحداتنا الجديدة عليه اما في الساحة الغربية فنحن امام حالة جديدة تقتضي مقابلتها بما يلائمها .

وعلى اثر هذه المباحث الهامة اخذت افكر فى امور كثيرة تحفظ حياة جنودنا لاني أذا كنت مجبراً على قذف هذه الجموع المتماوجة في سعير الهيجاء فاني بالمثل مكلفا بالمحافظة على دم كل جندي الماني فلا يذهب بغير جدوى .

واثر فى نفسي مؤتمر كمبريه وما احتشد فيه من خيرة القواد الذين بثوا اكثر من عامين يتولون مهمة الدفاع امام أعظم جيوش العالم .

وجعلني هذا المؤتمر أشد رغبة من الاول في مطالبة الحكومة الامبراطورية بايفاد الجنود بكثرة وبارسال مقادير جسيمة جدا من الادوات الحربية والذخائر و ببذل منتهى الجهد في انعاش القوة النفسية فى الشعب الالمانى

و بعد الانتهاء من مؤتمر كمبريه العسكري تناولنا الطعام على مائدة و ريث بافاريا وهو غير مزود بالميول العسكرية الا أنه يؤدي واجب الجندية الذي يفرضه عليه الوطن. وهذا الامير كوريث المانيا يجنح الي ابرام صلح لاغبن فيه على احد الطرفين ولكنه كزميله لا يعلم اذا كانت دول الاتفاق تشاركهما فى هذا الحل . اما الدوق البيرت الورتمبورجي قائد الجيش الرابع الذي حضر هذا المؤتمر فكان شديد الميل الى الجندية على نقيض زميليه .

و بدأنا فى الاياب بعد الظهر مارين بالبلجيك فصحبنا حاكمها مسافة طويلة باحثناه اثناءها في خفض قوانا الموجودة فى بلجيكا كما اننا رجونا منه ان يجمع لنا كل ما طلبناه من الادوات الحربية .

وفى اليوم التالى استدعينا المسيو دو يسبرج والمسيو كروب الى قطارنا و بالبحث معهما فيما اذا كان من الميسور انماء محصول الذخائر أوضحا لنا انه ميسور اذا حلت مشكلة العمال.

و بلغنا بليس صباح ٩ سبتمبر . فاصبحت عارفاً بشؤون وظيفتي مدركاً

مقدار التبعة الواقعة على كاهلي . وابتدأت منذ هذا الوقت اؤدي واجبي بهمة عظيمه .

—٨—

ظل هجوم الاتفاق موصولاً في سبتمبر واكتوبر الى ما بعدهما . فاعاقنا عن استئناف الحملة على رومانيا وفي ترانسلفانيا . واستمرت معركة السوم الكبرى التي ابتدأت في اول يوليه حافظة هولها الى منتصف يوليه . ولبثت دول الاتفاق تتابع الوثوب في سائر ساحات القتال الى اواخر اغسطس بشدة متناهية . وعلى اثر اشهار رومانيا الحرب علينا عادت دول الاتفاق الى مواثبتنا بجرأة عظيمة وقد اسرف الاتفاق في دماء الرجال اسرافه في الذخائر وسائر الادوات الحربية . وفي ٣ سبتمبر ابتدأت سلسلة الوثبات المتعاقبة في شمال السوم وظلت متوالية الى يوم ٧ ودخل العدو مواقعنا في كل دفعة متغلغلا فيها . وهجم الفرنسويون يوم ٥ على جنوب السوم بالمثل فخسرنا عدة جهات . وعاد القتال في شمال السوم منذ ٩ واستمر بشدته الى ١٧ فطرحنا العدو الى الخلف . ولبث العدو يثب علينا في هذا القسم من الجبهة ويستولي على المواقع والبلاد الى يوم ٢٤ الذي بلغت فيه الازمة حدها الاقصى ومن ٢٦ الى ٢٨ بدأت وطأة الهجوم تخف .

وكانت المطالب التي تنهل علينا بشأن الضباط والجنود فوق حد التصور واضطررنا الى تخطي كل حساب في استجرار الوحدات من الجبهات الاخرى من الميدان . واختصرنا مدد الراحة والتدريب . اما نحن في بليس فبلغ توتر اعصابنا الى النهاية القصوى واخذنا نتوقع كارثة عظمى . وكان لا بد لنا من وجود امثال قوادنا واركان حربنا للثبات ازاء هذا الموقف العصيب وعلى الاخص من وجود مثل هؤلاء الجنود الالمانيين !

واستمر القتال بحدة خلال شهر اكتوبر في القسم الشمالي من ساحة الصدام . وعمد العدو الى وسائل اقوى من الأول في كفاحه الا ان شدة دفاعنا اخذت تتضح للعيان .

وهاجمنا الفرنسويون في منطقة فردان فالتزمنا الدفاع

وهجم الايطاليون في جبهة الاسيزو من ١٤ الى ١٧ سبتمبر هجمتهم السابعة ثم اردفوها بالهجمة الثامنة من ٩ الى ١٣ اكتوبر وخسروهما معا.

وقام الاتفاق بكرة في ساحة مقدونيا بعد منتصف سبتمبر على البلغاريين غرب بحيرة اوستروفو في اتجاه فلورينا فارجعهم الى المواقع التي بدأوا بالهجوم منه في شهر اغسطس ولم يكن البلغاريون قد حصنوا هذه المواقع من قبل فشكت الينا هيأة اركان حرب الجيش الحادي عشر هذا الخطأ الهائل الذي سيؤدي الى فقد موناستير وفقدها يحدث تأثيرا سيئا في بلغاريا. فلم يهمني أمر هذا التأثير الذي لا دخل لنا في سببه وانما اردت ادارة الجيش البلغاري بيد حازمة مخافة ان يستجرنا سوء تصرفه الى كارثة كبري فارسلت القائد اوتوبيلوف من كورلاندا الى الجبهة المقدونية ليكون رئيس قيادة مجموعة الجيوش المحتشدة هنالك على شرط ان يكون تابعا للمعسكر العام الاكبر البلغاري فقبلت بلغاريا هذا القرار واستقر القائد بيلوف في اسكوب . واصبح موقف البلغارين عصيبا في النصف الاول من اكتوبر.

وارسل المعسكر العام الاكبر الالماني جنودا المانيين من الساحة الشرقية الى ماروس لتقوية الدفاع النمسوي. ثم حدث تغيير في مجموعات الجيوش المحتشدة في الجبهة الشرقية النمسوية وفي قوادها . واستبدلت الفرق الالمانية اللواتي انهكهن طول تعرضهن للهجوم بفرق اخرى واستغرقت هذه الاعمال مدة طويلة . وكذلك اخذنا من الميدان الشرقي جنودا كثيرين الى الميدان الروماني .

ولبث الروسيون يثبون في اواخر اغسطس واوائل سبتمبر على الجبهة الروسية فأخذت الجيوش النمسوية والالمانية المنتشرة على امتدادها تتراجع تحت شدة الضغط الروسي فلم ار بدا من تدارك هذه الجبهة بثلاث فرق خارجة من اتون الجبهة الغربية في حالة يرثى لها . ولقد ارسلتها الى ترنسلفانيا وقلبي ينضح دما . وشد ما كان الاسى يتغلب على نفسي كلما فكرت في مصيبة ازمتنا المستحكمة في الساحة الشرقية وما يعانيه جنودنا من الاهوال التي لا تطاق ولكن الواجب كان يحملنا على مواصلة الدفاع لاجل سلامة المملكتين .

وبعد عدة تعديلات واستعدادات استغرقت مدة طويلة ومجهودات عظيمة أصبحت جبهتنا الشرقية متينة ازاء الروسيين في منتصف سبتمبر. فكان نصيب الروسيين من الحملات الهائلة التي حملوها على طول امتداد الجبهة وتكبدوا فيها خسائر فادحة من الارواح البشرية النكوص على الاعقاب بالفشل التام . الا ان الحالة لم تكن قد توضحت تماما الى اواسط اكتوبر ولم يضعف اندفاع الروسيين . وظل المعسكر العام الاكبر الروسي مهتما باحراز النصر النهائي في فولهينيا وغاليسيا والكربات .

وطال امد زحفنا على المارس الى آخر سبتمبر ولم يتعرض لنا الرومانيون في هذه الجبهة طول هذه المدة لان انقضاض الفيلد مارشال ماكنزن عليهم في الدبر وجه وانتظارهم انتصار الجيوش الروسية جعلاهم يسيرون الهوينا لمواجهتنا . ويظهر ان الرومانيين والروسيين ارادوا ان يكتسحوا الكاربات وينحدروا منها الى سهول هنغاريا الا ان جهلهم بالخطط الناجحة في مثل هذه الحالة صرفت افكارهم عن مهاجمة جناحنا المكشوف في مولدافيا واخذوا يتقدمون ببطء فكان كل يوم يمضي يعود علينا بفائدة عظيمة . فلم يعد دخول رومانيا الحرب بأدني فائدة على الروسيا

وفي خلال هذه الوثبات الروسية المتتالية على الجبهة الشرقية كنا نحن مشغولين بحشد القوي اللازمة لمقاومة الروسيين ومطاردة الرومانيين في آن واحد . وفي نصف سبتمبر الاخير بدأ احتشاد قواتنا في ترانسلفانيا يكتمل بالتدريج الا انه على كل حال بقى اقل من احتشاد الاعداء .

وفي ١٩ سبتمبر نجح الجنود الالمانيون في قذف الرومانيين الذين ارادوا اجتياز المارس الى ماوراء الآكام الموجودة هنالك . وحينما استدعيت هذه الجنود الى الاشتراك في الزحف على موهلباك عهد الى الجنود النمسويين الاحتفاظ بممرات هذه الآكام فانتزعها منهم الرومانيون يوم ٢٥ غير ان هذه الممرات فقدت جانبا من خطارة شأنها .

ودخل الرومانيون امام الجيش الاول اكمة جو رجيني الصخرية عند المنعطف الاعلى لنهر الماروس وطردوا مخافر النمسويين التي على الماروس . وكذلك اخذوا يتقدمون في الجنوب الى زيكيلي - ادوارهيلي وشرق فوجارا . وظلت القوة الضئيلة المخيمة حول هرمانستاذ وهى مؤلفة من ثلاث فرق ثابتة في مكانها . وتألفت قوى اخرى من جنود نمسويين تظاهرهم فصائل من الخيالة الالمانيين وانتشرت على طول الخط الممتد من شاسبورج الى هرمانستاذ .

وصار من الواجب أن يبدأ القائد فالكنهاين بمحو المجموعات المندفعة في اتجاه هرمانستاد وبعده يعبر البرج الاحمر ويزحف الجيشان في اتجاه الشرق .

ونجح مشروع هرمانستاد نجاحا باهراً فأحاطت فئة من جنودنا بالعدو من خلفه ثم هجم الجيش التاسع من جانبي هرمانستاد وظلت الوقائع محتدمة من ٢٦ الى ٣٠ سبتمبر فدافع الرومانيون الموجودون في هذه الجهة دفاعا شديداً بل عمدوا الى الهجوم في بعض الاماوقات الا أن قوتهم الكبرى

لم تصل الى الملتحم الا بعد ان تلاشت القوة التي كانت مصطلية نيران الوغى على مقربة من هرمانستاد .

واندفع القائد فلكنهاين الى اعلا قمة في الجبال ليزيد الضغط الواقع علي الرومانيين وساعدته عناصر اخري من الجيش الاول والجيش التاسع وكذلك زحف القائد آرز . وتلاقى الجيشان العدوان اثناء زحفهما . واحرز الرومانيون فى بادىء الامر فوزا فى القلب الا ان الجيش التاسع هزمهم شر هزيمة والفاهم الى ماوراء الاكمة الصخرية في مطاردة باهرة دامت الى عشرة اكتوبر و بلغ من تأثير انتصار الجيش التاسع ان توالى انهزام رومانيو الجبهة الشمالية بالمثل وان تمكن الجيش الاول النمسوى من الزحف من جهة منيعي الالات والماروس الى مولدافيا مخترقا الاكمة الصخرية الكائنة على التخم . وفى هذه الاثناء كان الفيلد مارشال ماكنزن قد احرز على الرومانيين نصراً مبيناً . فبينما كانت فصائل ضئيلة من جنوده تزحف على دوبريك فى امتداد سكة حديد الدوبروجه كان الفيلد مارشال ماكنزن يهاجم ببقية قواه مدينة توتراخان المحصنة وبفضل اشتراك فصيلة بود الالمانية الضعيفة ادرك نجاحا مدهشاً اذ اسر فرقتين رومانيتين يوم ٦ سبتمبر بعد استيلائه على هذه المدينة . وأدت هجمة معجلة الى سقوط سلبستره يوم ٩ . وكانت دوبريك قد اخذت في يوم ٤ . ولم يعد من المستطاع تخطى هذه الجهة لان فلول الجيش الروماني انجدت فى الحال بفرقة روسية وفرق اخريات من مجندى اسرى النمسويين . ولقد كان القوم يتعجبون في صوفيا من تعرض الجنود البلغاريين للروسيين الا ان هذا التعجب فى غير محله لان هؤلاء الجنود كانوا لا يفرقون بين الرومانيين والروسيين كما ان مقاتلتهم هذين العنصرين عديمة الجدوي وطالما حدث نفار ما بين المعسكر العام الالمانى والجيش الثالث البلغارى .

وجه القيادة مارشال ماكنزن جناحه الايسر الى الدانوب وجعل ضغطه الاشد هنالك واراد أن يحصر القوى المادية التى اخذت تحتشد على خط قره عمر (على بعد عشرة كيلو مترات من دوبريك) وبحيرة اولتينا عند البحر الاسود. فاقتحمت فصيلة بود الالمانيه هذا الموقع المنيع وانحدرت مع الدانوب . الا ان البلغار بن لم ينتهزوا هذه الفرصة و ينقضوا على العدو، واذا كانوا قد قاتلوه فان قتالهم كان ضعيفا الى حد ان تمكن العدو من الانسحاب بانتظام فى ١٥ سبتمبر. وتمكن العدو من التوطن في الموقع المحصن من قبل الحرب الممتد ما بين راسوفاوكوباديناو وطوزله . واردنا الاستيلاء على هذا الموقع الا اننا عدلنا عن هذه الرغبة لان قوة الهجوم هبطت من نفوس النمسويين الموجودين امامه ولا بد من نظم المواصلات اللازمة لنقل الذخائر وهذا يقتضي وقتاً .

وطلب القيادة ماكنزن فرقة ليواصل الهجوم فترددنا بادئا فى اجابة هذا الطلب. وفيما نحن نجهز قوة الهجوم اذا بالرومانيين يعبرون الدانوب امام زاهوفو بقوى كبيرة ، فجمع القيادة مارشال ماكنزن كل ما تيسرله جمعه على جناح السرعة واسرع بقذف الرومانيين الى شاطيء الدانوب الشمالى. ونجح اسطول الدانوب في هذا العمل الحربى نجاحا باهراً.

و فى اواسط اكتوبر كانت الحالة العامة متحسنة . ففى الساحة الغربية زالت الازمة العصبية على الرغم من توالى الوقائع. واخفق الايطاليون فى وثبتين قاموا بهما . وبخشى فى ميدان مقدونيا من قيام الاتفاق بكرة قوية . وأصيب الجيش الروماني بضربتين خطرتين في الدبروجه وترنسلفانيا . وشمل الهدوء الميدان الشرقى

لقد فشلت خطة الاتفاق القاضية بسحقنا فى خريف ١٩١٦ على الرغم من استمرار الوقائع الحادة فى اماكن متفرقة . فالمطلوب معرفته

الآن هو اي الجانبين يكون اثبت في المقارعة وأشد مراسا؟ لم يكن الجواب معلوماً لنا اذ ذاك كما هو معلوم لنا الآن . ان رومانيا لم تنهزم تماما الى هذه الآونة . فكيف يتيسر لنا البقاء على قيد الحياة بدون غلال رومانيا وبترولها حتى لو استطعنا انقاذ الجهة البترولية الغاليسية من عبث الروسيين

وأخذ الفيلد مارشال ما كنزن بالاستعانة بالفرقة الالمانية الواصلة اليه ببطء يقاتل العدو في دبروجه ويطارده بشطر من قواه ويسوق الشطر الآخر الى جنوب بوخارست فيما يلي الدانوب . وانحدر الجيش التاسع من مجموعة الارشيدوق شارل الى الجنوب منتحياً الافلاق من خلف جبال الالب الترانسفانية . وأخذ الجيشان المتحالفان يقاتلان العدو ويسعيان لاتصال بعضهما ببعض . الا أن الجيش الروماني كان لا يزال قوياً وقد أمده الروس بمساعدة فائقة

لقد خطونا نحن الاثنين الفيلد مارشال وأنا خطوة واسعة الى الامام منذ وصولنا الى المعسكر العام الاكبر الا اننا كنا ملزمين بان نعجل بالخطوة الثانية المؤدية الى تقوية سائر جبهات القتال واتمام الانتصار على الرومانيين لنحصل على مطالب الحياة . بيد أن هذا المقصد لم يتيسر لنا الا في أوائل سنة ١٩١٧ . ولم نكن نفكر في الخطر الذى كان محدقاً بنا اذ ذاك ثم تغلبنا عليه بل كنا نفكر في الاخطار الهائلة التي لا يزال يخبأها المستقبل

— ٩ —

ان الخطوة الثانية التي هممنا بها في أواسط اكتوبر شاقة جداً لان مهاجمة الجيش الروماني في موقعه الحصين عمل محفوف بالمكاره ولا توجد القوة الكافية لدينا للقيام به . على أننا ارسلنا الى الفيلد مارشال ما كنزن الفرقة التي كان يتطلبها . وأملنا ان يهجم الارشيدوق شارل بمجموعته من جهته لتطبق القوتان على الجيش الروماني في الافلاق الا أن زحف مجموعة

الارشيدوق والجيش التاسع الالمانى اصطدم فى عائق قوى من الاكمة الصخرية الكائنة على التخم فيما بين اورسوفا وبوكوفينا فرؤى العدول عن هذه الخطة الى سواها

واذ كان من الصعب اجتياز المنطقة الجبلية والانحدار الى الافلاق فلم يبق سوى اتحاد قوة الفيلد مارشال ما كنزن لتعبر الدانوب فتتوغل في الافلاق فتسهل للقائد فلكنهاين والارشيدوق شارل والجيش البلغاري اختراق المنطقة الصخرية . فبذلت جهدى لاقتطاع ثلاث فرق من المشاة وفرقتين من الفرسان من الميدان الغربى على الرغم من توالى الوقائع فيه واستقدمت فرقة من خيالة البلجيك . فتيسرت للفيلد مارشال ما كنزن القوة الضرورية للهجوم المقرر في منتصف نوفمبر

وقبل الشروع فى الهجوم على رومانيا تتابعت الوقائع في الجبهات الاخرى فاستمرت معركة السوم طول شهر اكتوبر بحدة عظيمة ومع احتفاظنا فى الغالب بمواقعنا فقد فاز الفرنسويون في كثير من الوقائع وكذلك دخل الانجليز فى موقعنا الكائن على مجري الانكر فكان دخولهم هذا ضربة قاسية أصبنا بها يوم ١٣ نوفمبر لان هذا الموقع كان منيعاً. وانتصر الانجليز كذلك فى ١٤ . وقاموا بهجمة عظيمة فى يوم ١٨ بذلوا فيها مجهودا عظيما الا انها كانت فى المجموع راجحة فى كفتنا. وحدثت معركة فى جنوب السوم بالمثل في ١٠ اكتوبر وانتصرنا فى ٢٩ على الفرنسويين فى معركة عزبة الدار الصغيرة وكان لهذا الانتصار الضئيل حبوط صدى فرح عظيم لانه أول فوز تكللنا به بعد الازمة الطويلة التى استحكمت حلقاتها في الميدان الغربى ولم تكد الحالة تهدأ فى جبهة السوم حتى تفاقمت من جديد فى جبهة فردان التى هاجمنا الفرنسويون فيها يوم ٢٤ اكتوبر واستولوا على دوامون وتخلينا يوم اول نوفمبر عن فو . وكانت خسائرنا مؤلمة ولا سيما من جراء

تلاشي بعض الفرق في الوقت الذي صممنا فيه على القيام بحملتنا الثانية على رومانيا . وفي منتصف نوفمبر عاود الاتفاق هجومه في الساحة الغربية بمناسبة هجومنا في الافلاق فازداد ارتياعنا الآن وطأة هذا الهجوم خفت بعد مدة قصيرة لقلة الرجال والذخائر لدى الاعداء

وتجدد الصراع بشدة متناهية في ساحة فردان اثناء أيام ١٤ و١٥ و ١٦ ديسمبر وأحرز الفرنسيون نصرا عظيما اكسبهم مواقع عديدة . فأصبحنا منهوكي القوى في الميدان الغربي من جراء الخسائر الفادحة التي أصبنا بها

وابتدأ الهجوم في الجبهة الايطالية على الايسنزو في أوائل نوفمبر فاخفقت الوثبة التاسعة في يوم ٧ فهدأت هذه الجبهة وقتيا . ولم يكن لدى ايطاليا من القوة ما يمكنها من معاضدة حليفتها رومانيا الا ان النمسا كانت ضعيفة بالمثل الي حد ان لم تقو على اقتطاع بعض من قوى هذه الجبهة وارسالها الى الميدان الروماني

واخذت الحالة في الجبهة المقدونية تسير في مجرى غير حسن فان خطوط المواصلات الخلفية في السهل المقدوني لم تنتظم ولم يبق للمعسكر الالماني العام امل في تثبيت الجيش البلغاري المتراجع في موقعه الذي تقدم ذكره . فشرع في اقامة موقع متأخر في شمال موناستير في وسط الوادي وفيما يلي الآكام الصخرية المنتشرة على شاطئ السيرنا فاجتاز جيش الاتفاق هذا النهير واستولى على قمم ذات شأن هام فلم يسع الجيش الحادي عشر سوى الارتداد الى ضواحي موناستير . على ان البلغاريين ارتدوا في الوقعة التي حدثت في منتصف نوفمبر الى الموقع الكائن في شمال هذه المدينة فاحتلها الصربيون يوم ١٨ . وإذ ذاك أصبح مركز الجيش البلغاري مزعزعا . فلم يسعنا الا ان نمده بثلاثة أو اربعة طوابير ولم نعد نفكر في

أخذ جنود بلغارية لتقاتل فى الميدان الرومانى وحينما شرعنا فى مهاجمة الافلاق فى أواخر نوفبر وأوائل ديسمبر ارتمى الاتفاقيون بحدة على موقعنا المقدونى الجديد فبذلنا منتهى الشجاعة فى مقاومتهم وانتصرنا عليهم. وتحسنت المواصلات الخلفية فامددنا الجنود بالمؤن والذخائر. وصلحت حالة الجبهة المقدونية ولكن على حساب الجبهة الرومانية التى تألمت لانتزاع الطوابير التى اخذت منها

وفى هذه الاثناء كان الاتفاقيون قد احتلوا بيريه وأثينا واستخدموا مواصلات اليونان واساعانوا بالتشكيلات الفنزيلوسية

وحدثت وقائع متفرقة فى جبهتنا الشرقية لم يلبث الروسيون ان عدلوا عن موالاتها لضعف مركزهم. الا انهم استمروا يهجمون فى الكاربات بحكم تعاضدهم مع الرومانيين. واستمر هجوم الروسيين والرومانيين موصولا فى ساحة الافلاق واصبنا من جرائه بازمات عصيبة فى شهر ديسمبر. وساءت حالة الجيش الاول النمسوى الى الدرجة القصوى ولم ينج من الخطر المحدق به الا عقب قدوم الجنود البافارية

— ١٠ —

شرعنا فى الحملة الثانية على رومانيا فى اواخر اكتوبر واوائل نوفمبر اثناء الوقائع المتعددة فى سائر الميادين. وفى ١٩ اكتوبر بدأ الهجوم فكان لا بد من جريان الدم الالمانى مرة أخرى فى هذه الجبهة لان حلفاءنا لم يكونوا أكفاء للقيام بمهمة الهجوم بل لقد بلغ من ضعف الحلفاء امام اعدائهم هنا ان كاد الرومانيون والروسيون يهزمون القوى الجرمانية البلغارية العثمانية الضاربة فى الدوبروجه فى أوائل اكتوبر ولم يحدث اختلاف فى ميعاد الهجوم المتفق عليه بين الجيشين العدوين بسبب افلات

الفرصة من ايديهما . على أن هجومنا الذى تولى ادارته الفيلد مارشال ماكنزن تكلل بالنجاح وأدى بعد ثلاثة ايام الى احداث ثغرة هائلة في صفوف الاعداء الذين انطرحوا على اعقابهم الى ما وراء خط قونسطنزا تزرنا فودا . فلم يمهلهم القائد ما كنزن بل احتل قونسطنزا يوم ٢٣ بمستودعاتها الحافلة بالبترول وعلى أثرها استولى على تزرنافودا ولم تقف المطاردة الا على بعد عشرين كيلو مترا من شمال السكة الحديد ولم يقدم هذا القائد على استتباع المطاردة لان مجموعة الارشيدوق شارل والجيش البلغارى لم يتغلغلا فى البقاع البلغارية الرومانية من جبهتيهما فاضطر الى الوقوف عند هذا الحد والاستعداد لاجتياز الدانوب من جنوب بوخارست فى منتصف نوفمبر باعظم قوة تتوفر لديه . واختار الفيلد مارشال ما كنزن نقطة العبور سفيستوف زيمتباسيا فاقترب جيش الدانوب بهذه الطريقة من فصائل الجيش التاسع التى اندفعت من الغرب الى الافلاق وكان لا بد للاغارة على الافلاق من الغرب ومن الشمال من اتخاذ جهة أورسوفا وممر فولكان وممر زوردق او ممر البرج الاحمر ابوابا للدخول فلما هم القائد كرانيت فون ديلمنسجن ان يقتحم ممر البرج الاحمر بفيلقه الالبي واللواء النمسوى الجبلى الثاني اصطدم بمقاومة عنيفة وذلك على أثر القتال الذي دار على مقربة من هرمانستاد واراد عقبه أن يحمى جنب الجيش التاسع اثناء زحف هذا الجيش على كرونستاد . ولكي يجتذب اليه قوى كبيرة تخفف الضغط عن الجيش التاسع اتخذت خطة الدفاع فى شكل هجوم فعمد الرومانيون الى القيام بكرات قوية فدفعها الفيلق الالبى الا انه لم يستول فى خلالها الا على أراض قليلة في جنوب الممر الى نهاية اكتوبر . فصار من الضروري الالتجاء الى الحرب الجبلية طول مدة الشتاء اذا اقتضى الامر . ولقد قاتلت سائر الجنود بما فيها جنود اللواء النمسوي الجبلى خير قتال الا ان هذا النوع من الحرب يستغرق وقتاً

طويلا . ولقد حاول الجيش التاسع فى اوائل اكتوبر ان يقتحم بعض الممرات الجبلية الأخر فلم ينجح لتيقظ العدو وارتفاع الآكام وشدة ضيق الممرات الا ان هذه التجارب اكسبتنا معلومات قيمة استخلصنا منها الطريقة المثلى لاقتحام الممرات فبعد ان اعددنا العدة الكاملة لهذا المشروع واوجدنا أوتومبيلات تسير على القضبان لاستخدامها فوق الخطوط الحديدية الرومانية عند دخول الافلاق ، اتم القائد كوهن استعداده يوم ١٠ نوفبر وعزم على الهجوم يوم ١١ . وكانت مجموعته المتأهبة لاقتحام ممرزردوق مؤلفة من أربعة فرق مشاة وفرقتين فرسان ولا بد لها من الاسراع فى التقدم الى الاولتو عن طريق كرايوفا ومن جهة اخرى يجب ان نزحف في اتجاه اورسوفا وكذلك نندفع شرقاً خلف المدافعين عن مضيق البرج الاحمر ونهجم بلواء واحد عند بلوغ أورسوفا على زيفو . ووجب على القائد كرافت الذي وصلته نجدات وعلى الجنود الموجودة فى جنوب كرونستاد أن يواصلوا هجومهم . وفى ١١ نوفبر نال القائد كوهن انتصارات باهرا فر من المضيق وتخطى منطقة الجبال وهزم الرمانيين الذين واجهوه واستولى على تارجوجيو يوم ١٧ نوفبر ثم احتل كرايوفا يوم ٢١ ووصلت الخيالة الى الاولتو يوم ٢٣ ثم ادركها المشاة واستولوا على الجسر العتيق وعلى الجسور الاخرى التى اصيب اغلبها باعطاب

وفي هذا اليوم نفسه اجتاز الفيلد مارشال ماكنزن الدانوب وبلغ الشاطىء الشمالى على مقربة من زيمنسيا بفضل الضباب الكثيف الذى انتشر اذ ذاك . وفى هذه الاثناء قاتل القائد كرافت قتالا موفقا فى الجبال الا انه لم يصل بعد الى راميكوفالاتشيا والى شمال كورتياوارجيس .

ومع استمرار الرومانيين الموجودين خلف نهر القائد كوهن على القتال

بشجاعة عظيمة فقد شرعوا يتراجعون من او رسوفا منحدرين مع مجرى الدانوب. ولم يلقوا اسلحتهم مع احداق القوى المتحالفة بهم من كل جانب الا فى اوائل ديسمبر بالقرب من المصب القديم.

وابتدأ جيش الدانوب بزحف يوم ٢٥ نوفمبر واجتاز الفيديا يوم ٢٦ وبعد أن تغلب على المقاومة الشديدة التى قوبل بها ع.دنيلوف فى الجنوب الشرقى من بوخارست وافتتح لجناحه الايسر ممرا ينساب منه بينما كان جناحه الايمن ينحدر مع مجري الدانوب.

واوجد الفيلق الالبي له منفذاً من مضيق البرج الاحمر فى يوم ٢٧ بالقوة فاندفع منه الى السهل وفى يوم ٢٩ دخل بيتستي وفى اليوم التالي استولى بتلبه الكائن فى شمال ارجيس على بقاع فى الجهة الجنوبية الشرقية. فمكن هذا الجناح الايسر مجموعة كرنستاد التى كانت مشتبكة فى وقائع حادة فى شمال كامبولونج بالخروج من الاكمة الصخرية. وكان القائد كوهن لايزال متخلفاً الى الوراء فلم يعبر الاولتو الا يوم ٢٧ وظل يوم ٣٠ بعيداً عن الاتصال بجيش الدانوب وكذلك عن الاتصال بمجموعة كرافت بثمانين كيلومتراً.

وعزمت القيادة الرومانية على استبقاء قوى كرافت وكوهن فى مكانهما ربما تتمكن من مواثبة جيش الدانوب وفى أول ديسمبر هوجم الجناح الايسر لجيش الدانوب بعنف فى الجهة الجنوبية الشرقية من بوخارست واضطر الى التقهقر. فاصبحت الجنود التى عبرت النايلوف مشطورة واشتد حرج الموقف والذي حال دون اتمام الرومانيين حركة التطويق هو زحف فرقة عثمانية كانت سائرة في الخط الخلفى. وفى الحال قذفنا على الجيش الرومانى الجناح الايمن للجيش التاسع. ووصلت خيالة الجيش التاسع يوم ٢ ديسمبر الى معترك جيش الدانوب ووصلت اليه يوم

٣ فصيلة عظيمة من المشاة فزالت الازمة . وفى ٤ قام جنودنا بالكرة فانهزم الرومانيون .

وفي خلال هذه المدة اتصل جناح كوهن الايسر بمجموعة كرافت ودفعا الجيش الاول الروماني الى ماوراء اربيس في اتجاه الشرق .

و بعد الانتهاء من هذه العقبة اخذنا نفكر فيما اذا كانت بوخارست محصنة ام غير محصنة . لقد توجسنا خيفة من هذه المدينة فى بادىء الامر ولا سيما اذ رأينا الشتاء مقبلا فلا بد من التجهز لاستقبال العام الجديد وعمدنا الى اتخاذ كل ضروب الاستعداد لاقتحام هذه المدينة . على انه قد سرى عني يوم ٦ ديسمبر حينما بلغني ان فرق خيالتنا رأت في ليلة ٥ و٦ استحكامات هذه القلعة الشمالية خالية من الجنود وقد نسفت . وفى يوم ٦ امتلكنا بوخارست و بلويستى وكامبينا . وقد اتلف الرومانيون فى البقاع البترولية بامر الانجليز وادارتهم سائر الوسائل المعدة لانتاج البترول .

ولم يكن الروسيون قد اسعفوا الرومانيين الى الآن . ولا ندري سبب تركهم حلفاءهم يقاتلون بمفردهم مع علمهم بان هذا التخلي هو الذى هيأ لنا التغلب على الرومانيين . أما الآن فادركهم الخوف على جنب جيوشهم فاستقدموا قوى كبيرة فاضعفوا مركزهم فى الدبروجه ليكونوا أقوياء فى الافلاق .

ولم يبق امامنا بعد الانتصارات السالفة سوى مطاردة فلول الجيش الروماني وسحق الجيش الروسى المتجمع فى رومانيا والوصول الى خط مصب الدانوب والسيريت والتروتوس . الا ان الوقائع التى حصلت شرق خط بوخارست بلويستى اخذت شكلاً آخر مخالفاً لسائر الوقائع التى جرت فى المعترك الرومانى حتى الآن . وذلك ان جنودنا ادركهم الكلال فلا يستطيعون ان يقاتلوا العدو الا مواجهة ولا سبيل للتطويق لان العدو

تقوى كثيراً ولا سيما في المنطقة الجبلية ،واخذ الروسيون يردون بكثرة عظيمة وهم يقاتلون أحسن من الرومانيين . واضحي استقدام الذخائر التي اشتدت الحاجة اليها الآن اكثر من كل وقت آخر عسيرا بسبب سوء المواصلات . وكثر تساقط الامطار وكثف الجليد فى اول العام الجديد .

وفى ١٠ ديسمبر التقينا بالروسيين والرومانيين المستحكمين على شاطىء الجالومنيستا فتغلبنا عليهم بالمثل وعبرنا هذا المجري بسرعة واستولينا يوم ١٥ على بوزيو . وفي يوم ١٧ صرنا فى فضاء السهل أمام موقع حصين ممتد ما بين الدانوب عند هضبة مصب الكالماتويو والجبل عند رامانيكوسارات ويتصل الرومانيون أقوى اتصال في منطقة الجبال بالجنود التى تواجه مجموعة الارشيدوق شارل . وفى هذا الوقت دفع الفيلد مارشال ماكنزن الجيش البلغاري الثالث الى الزحف على شاطىء الدانوب الايمن . فبلغ المضب يوم ٢٤ بدون مقاومة تذكر وهنالك وقف تجاه جسر برايلا . وبعد تزوده بالذخائر اللازمة اقتحم الموقع الروسى الروماني واضطر العدو أن يدافع عن نفسه وهو متراجع الي نهير السيريت الاعلى . الا اننا لم نتغلب على مقاومة العدو الشديدة فى جنوب السيريت. واستمرت الوقائع ناشبة فى الافلاق الى شهر يناير .وأصبحت جنودنا في حاجة الى الرحة ،فاردنا نقلهم الى ميادين القتال الكبرى واستخدمنا لهذا الغرض السكك الحديد الرومانية فلم تكف . فاستعنا بوسائل النقل النهرية في الدانوب . واستغرق هذا العمل مدة طويلة . وفى ٤ يناير استولى جيش الدانوب على برايلا بعد وقعة شديدة . وتقدم هذا الجيش وهو متصل بالجيش التاسع ومنهمك فى وقائع متلاحقة أظهر فيها الروسيون قوة شديدة ولا سيما يوم ٦ يناير وفي يوم ٨ دخل فوسكاني وما وليها من النواحى الكائنة في شمال المدينة الى بوتنا . ولم تتكلل وثبة مجموعة الارشيدوق شارل التى قامت بها في

عيد الميلاد بالفوز إذ لم تتقدم هذه المجوعة نحو الترتوس . وألجأتنا شدة انتهاك قوة الجنود وفداحة البرد الى انهاء هذه الحملة فتحصنت الجيوش فى الخطوط التى استولت عليها أخيرا . ومع إحرازنا النجاح النهائى في هذه الحملة الثانية على رومانيا فاننا لم نستأصل شأفة الجيش الروماني . واضطررنا لاجل هذا الامر إلى أن نبقى فى الدوبروجه وفى الافلاق قوات لايستهان بها من جنودنا نحن فى حاجة الى استخدامها في الميدانين الشرقي والغربى أو على الاقل فى مقدونيا

على أن مجموعة معاركنا حتى أوائل ١٩١٧ كانت مقرونة على وجه العموم بالنجاح فتغلبنا على جهود الاتفاقيين الموجهة الي سحقنا سواء أفى الساحة الغربية أم على الايسنزو ام فى الشرق أو فى الميادين الاخري ولم يبق امامنا سوى استجماع قوتنا لمواجهة المباغتات الحديثة فى العام الجديد

وقد أظهر القواد والجنود الالمانيون ثباتا عظيما وذكاء شديدا وعلمنا الخطاط النمسويين عن الروسيين وخابت ظنوننا فى البلغاريين أما العثمانيون فقاموا بما كنا ننتظره منهم

وبعد هذا الكفاح الهائل أصبحت جنودنا كلها فى أشد الحاجة الي الراحة حصة من الزمن . وكذلك بدت على الاعداء مظاهر الرغبة فى الراحة الا أن تفوقهم فى العدد جعلهم قادرين على القيام باعمال حربية فى جبهة فردان تكللت بالنجاح وهذا التفوق هو الذى يمكنهم دائما من اراحة قسم من جنودهم . ولهذا سنراهم قريباً متملكين قواهم ومستعدين لمعاودة العراك

الحالة العامة

في أواخر سنة ١٩١٦

— ١ —

ان الدلائل تدل على الرغم من الانتصارات الجليلة التي فزنا بها في سنة ١٩١٦ على أن الحالة تسير في طريق ادعى الى القلق . وما ذلك الا لان الاتفاقيين سيبذلون كل ما أوتوا من حول في سنة ١٩١٧ لا لتلافي خسائرهم فقط وهذا أمر ميسور لهم بل لاستمرارهم على احراز التفوق العددي العظيم

لقد جادت فرنسا بكل ابنائها ولكنها كانت لا تزال مالكة مستودعاً خارق العادة في مستعمراتها من الرجال الذين تستخدمهم في القتال ببراعة فائقة وانجلترا جادة في اكمال جيشها وتوسيع نطاقه وتسعى الروسيا في اعداد تشكيلات جديدة قوية جدا . فالجيش الروماني أعيد نظمه وتدريبه بمعرفة ضباط فرنسويين . وسيكون للتشكيلات المستحدثة من الوحدات النمسوية المأسورة ومن متطوعة القنز يلوسيين شأن كبير

اما نحن فلم تكن لنا من الموارد ما نراجح به تلك الزيادات التي سيمتاز بها الاتفاقيون لأن سائر التشكيلات المنتظر تكوينها والبطاريات المؤمل احداثها ليست سوى تبديلات مبتدعة في نظامنا القديم أو استخدام القوة الاحتياطية المتوفرة لدينا . فلم يبق أمامنا غير ايجاد جيش بولوني حديث الطراز وهذا الجيش يكون عضداً قوياً اذا تم انشاؤه الا اننا علمنا ان انشاءه غير ممكن . فلم يبق لدينا سبيل آخر لاستمداد

قوى جديدة الا الاعتماد على ينابيع الرجال الموجودة لدينا ولدى حلفائنا

لقد أصبحت الزيادة العددية في الجيوش المتفقة خطراً عظيماً علينا بجانب المستحدثات الحربية التي أخذت تزداد لدى تلك الدول . و بعد أن تفننت في طرق القتال وابتداع آلاته أخذت تكثر من الآلات والذخائر بدرجة لم يعهد لها مثيل وأصدرت لاجل هذا الغرض الاوامر والقرارات الصارمة التي وفرت الايدي العاملة وكثرت المواد الخام لان الاقيانوس مفتوح لبواخر تلك الدول وامريكا صارت تمدهن بكل مطالبهن جهاراً بل طفقت مصانعها تشتغل لهن بلا انقطاع ; وقد شوهد تطور عجيب في تسليح الروسيين وفي توفير ذخائرهم في أواخر سنة ١٩١٦ فقد أمدتهم اليابان بمقادير عظيمة من سائر الادوات و بآلة تمكن الاتفاق من استخدام كل ما في بلاده ومستعمراته من العناصر المادية لاحراز التفوق العددى والحربي وساعدته امريكا واليابان وظهرت بوادر هذا التفوق الذي احرجنا في معارك السوم وفردان الاخيرة

فأصبح من الواجب على صناعتنا ان تبتدع وتصنع كل ما ينتظر منها لانماء قوتنا . لانه كان لا بد من انقضاء زمن طويل قبل تحويل هذا القول الى عمل لان مصانعنا على ما بلغته من الاحسان والاتقان لا يمكنها ان تتفوق على مصانع الاعادى الكثيرة التي تجعلها الوسائل المتوفرة لها تشتغل كانها في زمن السلم . فصار من المستحيل تكافؤ القوى بين الفريقين وفي مثل هذه الحالة لم يبق لنا سوى تدريب جيشنا على الحرب الدفاعية واتخاذ الاسلحة اللازمة لمثل هذا الضرب من القتال. الا ان العدو لا يلبث ان يحاربنا في مثل هذا الضرب والصراع فلا يكون تفوقنا فيه الا وقتياً

اما المسكر العام الاكبر فأصبح ينتظر فى عام ١٩١٧ ، معارك تجرى من نوع معارك السوم التي التزمنا فيها الدفاع خلال سنة ١٩١٦ واصابتنا بأضرار فادحة جعلت مواقفنا حرجة جدا . ولذا أخذ يفكر في الطرق التي تمكنه من المصابرة اذا ما طال أمد الكفاح . وكان اهم ما يفكر فيه وسائل التموين ازاء حصر الاجاعة الذى أخذ يزداد تفاقماوتلافى انحطاط النفوس الذى يتولد من المجاعة ومن طول الحرب . ولم يعد المسكر العام الاكبر يشك في سوء العقبى كلما امتد امد الصراع . و بقى له من العزاء أمر واحد يشد عزمه وهو قوة الايمان وصدق العزيمة . وهذا الأمر هو الذي جعل المانيا متغلبة حتى الآن على تفوق اعدائها العددي و باقية فى أراضى اولئك الاعداء فيما يلى حدودها .

— ٢ —

لقد كنا الفيلد مارشال وانا متفقين تمام الاتفاق على هذه الآراء التي اخذت تتوضح لنا فى اجلى مظاهرها على توالى الايام منذ أن تولينا رآسة المسكر العام الاكبر فى اواخر اغسطس سنة ١٩١٦ . فرأينا ان نامر بتشييد استحكامات جديدة خلف البارزات الكائنة فى جبهتي السوم وفردان التي هاجمنا العدو لانتزاعها منا عدة مرار . وانما اردنا بالتخلى عنها تقصير هتين الجبهتين لتتوفر لدينا القوى الاحتياطية التي تستخدمها في المواقف التى تستدعى النجدات . وبما ان تشييد الاستحكامات الجديدة يقتضى ادوات بناء عظيمة وعدداً كبيراً من العمال فقد شخصت الى برلين لاطلب من الحكومة هذين الشيئين او حمل الشعب قاطبة على الاندماج فى سلك العسكرية اذا اريد الاحتفاظ بموقفنا الحالى فاستدعت هذه الحالة الجديدة التفكير فى احد امرين اما السعى في ابرام الصلح او الالتجاء الى حرب .

المفاوضات بلا قيد ولا شرط

فاخذ المستشار يفكر في سبتمبر سنة ١٩١٦ في توسيط الرئيس ولسن في مسألة الصلح الا أن هذه الوساطة اعتبرت سيئة التأثير في المانيا لان ظهور الولايات المتحدة في مظهر الانحياز الى الحكومات المتفقة سبب تذمراً شديداً منها . وعلى الرغم من هذا الشعور المنتشر في المانيا عرض المستشار على جلالة الامبراطور مشروعاً يقضي بتكليف سفيرنا الكونت برونستورف أن يرجو من الرئيس ويلسن دعوة الدول بوجه عام الى التفاوض في شأن الصلح باسرع ما يمكن اى قبل اعادة انتخابه للرئاسة في شهر نوفمبر . وقد ابتهجت بهذا المشروع ووافقت عليه مع علمي الاكيد بتصميم الاعداء على اهلاك المانيا . الا أن نوفمبر انقضى دون أن يتوسط ويلسن فادركني الياس حينئذ واذ ذاك اقترح الكونت بوريان أن يشرع التحالف الرباعي من تلقاء نفسه في دعوة الاعادي الى التصالح . فمع ارتيابي في نجاح هذا المشروع الجديد لم أر بدا من قبوله الا انني رأيت عدم الشروع فيه قبل سنوح الفرصة التي لاتجيز للاعداء الاعتقاد بضعف وحبوط آمالنا في الانتصار النهائي . وحينما سقطت بوخارست في قبضتنا يوم ٦ ديسمبر وجدت الفرصة مناسبة. واذ كان جلالة الامبراطور شديد الرغبة في اعادة السلام الى العالم فقد اهتم أخيرا بالمسعى الذي بدىء في اعلانه يوم ١٢ ديسمبر وبسطت شروطنا المختصة بالصلح في التقرير الذي نرسله الى الكونت برونستورف يوم ٢٩ يناير

فاستقبلت صحافة الاتفاق اقتراحنا السلمي شر استقبال . وظهر رد الحلفاء على اقتراحنا في ٣ يناير فلم يبق بعده ادنى شك في تصميم الاتفاق على سحقنا . ولو شاء الاتفاق ان يبرم الصلح لتقدم ازاءنا الى مائدة المفاوضات ولعرض شروطه طبق رغبته حتى اذا ما وجد من

مفوضينا اجحافا او اعنانا التى علينا التبعة فتنصرف عنا وجوه حلفائنا الذين امضهم طول القتال . بيد ان الاتفاق رفض التفاوض في هـذه المرات وفي سائر المرار التى حاولنا فيها التصافي لانه كان يخشى ان يتسرب الضعف الى نفوس جنوده ولانه كان عازما على عدم مصافاتنا قبل املاء شروطه الساحقة علينا

وكان الرئيس ويلسن قد خرج من دائرة صمته في ١٨ ديسمبر وعرض على سائر الدول المتحاربة مشروعا يقضي ببسط شروطهن المختصة بالصلح واراد بذلك أن يوجد جواً صالحاً لابرام صلح عادل لا يوجد فيه غالب ولا مغلوب

وطلب التحالف الرباعي اجتماع مندوبي الطرفين فى بلد محايد الا ان الاتفاق رفض قبول الاقتراح برمته. وظهرت ارادة لويد جورج في سحقنا فى مذكرة الاتفاق المعلنة فى ١٢ يناير . فبعد هذا الاخفاق لم يبق بدمن العودة الى الحرب للوصول الى الصلح بحد السيف . وحينئذ وجب علينا استخدام كل مواردنا فى مواصلة الحرب واشتدت عزيمتنا واتممنا استعدادنا

ــ ٣ ــ

وعلى أثر ابداء آرائنا الفيلد مارشال وانا في نتائج هـذه الحرب كان لا بد من الاعتماد على حرب الغواصات التى نراها خير جواب للحصار المضروب على المانيا

ولقد كنا الفيلد مارشال وانا في اغسطس وفي سبتمبر بالمثل لانرى الفرصة سانحة لاشهار حرب الغواصات بلا قيد ولا شرط وايدنا الاستشار اذ ذاك فى هذا الرأي وخطب به فى الرايخستاج يوم ٢٨ سبتمبر معتمدا

على وجهة نظر المعسكر العام الاكبر فانشطر الرأي حينئذ الى فريقين احدهما يحبذ هذه الحرب الى آخر حدودها والآخر يساند الحكومة في رأيها .

وفي اوائل اكتوبر تخابرنا مع امارة البحر في صدد هذه الحرب والوقت الذي يجب ابتداؤنا فيه ثم دارت المفاوضات في تبعتها بيننا ومستشار الامبراطورية . وأخيراً بدأت هذه الحرب في اكتوبر نفسه واخذت الغواصات تستوقف البواخر وتفتشها . فادت الى نتائج حسنة اذ ارتبكت حياة العدو الاقتصادية . فهذا العمل في حد نفسه مفيد الا انه لا بد من انتظار ادخال تحسينات هامة في طرق الدفاع التي يتقي بها العدو غائلة هذا السلاح القاطع

ولقد صرنا بعد الانتصار على الرومانيين لا نتوجس خيفة من اشهار هولاندا او الدانيمارك الحرب علينا من جراء حرب الغواصات . ولكننا مع ذلك استصوبنا بقاءها على حالتها الحاضرة الى أن يعود جنودنا من الساحة الرومانية الى اماكنها من الجبهتين الشرقية والغربية والى ان تظهر نتائج اقتراح ويلسن ومشروعنا المختص بابرام الصلح . ولذا أرجأنا اطلاق العنان لغواصاتنا الى أوائل فبراير . ولقد صارت الحكومة الامبراطورية في هذه الآونة غير خائفة من اشهار الدانيمارك وهولاندا وسويسرا واسبانيا الحرب علينا ولكنها صارت تتوقع دخول الولايات المتحدة بهرة القتال من جراء هذه الحرب البحرية ولم أخش مما يحدثه انضمام الولايات المتحدة الى صف الدول المتفقة من زيادة ارسال المواد الحربية فان هذه الولايات تفعل كل ما في وسعها من هذه الآونة ولكن الذى كنت أخشاه هو ارسالها جيشاً جراراً وعملها باغراء الدول المتفقة على التفنن في وسائل الاقتتال

وكان من رأي أمير البحر الذي مع صداقته الشديدة للمستشار فهو من اعظم أشياع حرب الغواصات بلا قيد ولا شرط ان هـذه الحرب توقع انجلترا فى ازمة اقتصادية عظيمة تجعلها عاجزة عن الاستمرار على القتال ، وانها تنقص الى درجة عظيمة مقادير الآلات الحربية والذخائر القادمة الى فرنسا بل تعرقل الى حد كبير نقل الجنود من انجلترا الى فرنسا واكد وزير البحرية ان في استطاعة للمصانع البحرية تعويض الغواصات التي يتمكن الاعداء من اغراقها بل فى استطاعتها بالمثل متابعة زيادة الغواصات ولاجـل ايجاد البحارة اللازمة للعدد الكبير من الغواصات التى ستباشر هذه الحرب كان لا بد من الالتجاء الى بحارة الاسطول الساعد اما الضباط والمهندسون فيؤخذون من الاسطول العامل ولكن مع مراعاة عدم اضعاف الاسطول الذى أصبحت الحاجـة اليه تجاه هذا الحرب امس من الاول لانه هو الذى سيفتح الطريق للغواصات بالتقاطه الالغام التي ينثرها العدو وفضلاً عن ذلك فان توقع دخول الولايات المتحدة الحرب يضـاعف الحاجة الى الاسـطول . وأصبح من الضررى الاهتمام بحركات العمارات البحرية المعادية فى بحر البلطيق لكى لا تعرقل سير النقل فى البلطيق . وكذلك توهمت إمارة البحران يكون لحرب الغواصات رعب فى قلوب المحايدين الذين ظل الاتفاق يستخدمهم فى مصلحته الى هذا الوقت.

وباحثنا امارة البحر فى نقـل الجنود الجدد الامريكيين وادواتهم واستنتجنا من البحث الفنى الذي ايدته فيما بعد خبرتنا في نقل حملتنـا على جزيرة اويسـيل فى خريف ١٩١٧ انه لابد لنقل مليون عسـكرى امريكى من نقالات تبلغ حمولتها خمسة ملايين طن ولا يوجد لدى الدول الغربيـة ولو على الاقل فى الوقت الحاضر هذا المقدار . ومع انى لم ادون لاحصاء الاقتصادى الذي قرره امير البحر كنتيجة مؤكدة لحرب الغواصات

لعلمي بان مثـل هذا الحساب لا يمكن ان يعتبر نهائياً الا بعد تحققه فأنى كنت اسلم بشيء واحد فقط من مجموع هذا الاحصاء وهو ارتباك حركة نقل الذخائر الى فرانسا ولومدة سـنة واحدة أي قبل الشروع في نقل التشكيلات الامريكية الجديدة الى اوربا ، وفى هذه الحالة استطيع ان احتفظ بموقفنا طول هذه المدة فى سائر الميادين .

وعلى اثر طواف واسع النطاق قمت به فى السـاحة الغربية ارسلت تلغرافاً مطولاً الى برلين اعرب فيه عن قنوطي من نجاح أى مسعى فى سبيل الصلح . وفى ٢٣ ديسمبر ارسل الفيلد مارشال مذكرة ايضاحية ابدى فيها اراءه المختصة بضرورة حرب الغواصات المطلقة من كل قيد. ودارت المخابرات بيننا والمستشار في هذا الصدد . واخيراً افاد المستشار ان مسألة حرب الغوصات تختص بالسياسة الخارجية التي يتحمل هو وحده تبعتها فأجاب الفيلد مارشال بما يلي : « تعلمون سعادتكم بصفتكم مستشارا بلامبراطورية تحملكم تبعة هذه المسألة وحدكم ، الا انني لاازال متشبثا لكل ما اوتيت من حول وقوة بتحمل تبعة كل عمل يؤدى الي الانتصار النهائي والى اعتقادى بان لا بد من الركون الى الوسائل التى اراها مستحسنة من الوجهة العسكرية » ولكل من الطرفين الحق فى وجهة نظره والحكم الاعلى فى مثل هذه الاختلافات هو جلالة الامبراطور.

ودارت مفاوضـة بين المستشار والمعسكر العام الاكبر فى بلبس فى أواخر ديسمبر بشأن الصلح ووساطة الرئيس ويلسن الا ان المداولة النهائية حدثت يوم ٩ يناير تحت رآسة جلالة الامبراطور . وبعد ان ورد الرد الذى صاغه الحلفاء دافع امير البحر عن وجهة النظر التي ذهبت اليها من قبل وهى تأثير حرب الغواصات فى سير الحرب العام في بحر عدة أشهر اوحينئذ الفيلد مارشال هذا الرأي وطالب بتنفيذه وبعدان أوضح المستشار

ما سيكون لحرب الغواصات المطلقة من التأثير في الحكومات المحايدة أوضح رأيه في عدم دخول احدى تلك الدول الحرب لهذا السبب سوي الولايات المتحدة . ثم ذكر أن مسعانا الخاص بالصلح قد اخفق وان مركزنا لم يتغير ولن يتغير في نظر الدول المتفقة حتى في حالة سقوط احداهن وهى الروسيا وخروجها من صف القتال . وفيما نحن ننتظر ان يختم بيانه هذا بالحض على اتخاذ كل الوسائل المؤدية الى انهاء الحرب بسرعة اذابه يختتمها بأمثال هذه الجمل المتفقة مع مزاجه المتردد :(فتقرير حرب الغواصات يتوقف اذن على النتائج السياسية التى لا نزال نترقبها) و (لكن اذا ارتأى كبار العسكريين ضرورة اشهار هذه الحرب فاني لا اعارضهم) و (اذا ما دعانا الظفر الى تتبع أثره فلابد لنا من اجابة دعائه) واخيراً انضم المستشار الى سائر المشيرين على الامبراطور باشهار حرب الغواصات . فامر الامبراطور بالشروع فى هذه الحرب المطلقة من أول فبراير مع استثناء البواخر التى تكون حينئذ شارعة فى دخول منطقة الحصار وفى الخروج منها . وارسل المستشار المذكرات المختصة بهذا الصدد الى الدول المحايدة في ٣١ يناير واصدر أمير البحر التعليمات اللازمة الى رجال الغواصات مع لفت انظارهم الى مراعاة ما يحول دون دخول امريكا الحرب وهذا ما يتفق مع وجهة نظرنا

وعمدت القيادة العامة الى اتخاذ وسائل التحفظ فى الشمال على الرغم من اطمئنان المستشار من جانبي هولانده والدانيمارك . فاقيمت فى شمال المانيا الاستحكامات وارسلت فرق الخيالة واتخذ معسكر عام لهذه الجبهة الجديدة فى مونستر . وأما على التخم البلجيكي الهولاندى فلم نشيد أي استحكام بل تركنا هذا العمل الى الجنود القادمة من رومانيا اذا مست الحاجة اليه فان لم نجد موجباً له نقلنا هذه الجنود الى الميدان الغربي

— ٤ —

فى أواسط يناير وصلت الى وزارة الخارجية مخابرة كتابية من الكونت برنستورف جاء فيها أن مذكرة البواخر التجارية المسلحة من « شأنها أن تفضي الى اخفاق مسعى الرئيس ويلسن » فادهشتني هذه المخابرة لانى لاعلم لى بتداخل ويلسن مرة أخرى . فالكونت برنستورف يشير اذن الى سعى الرئيس ويلسن فى ١٨ ديسمبر الذي رد عليه الائتلافيون فى ١٢ يناير . فرد المستشار فى ١٦ يناير بما يلى . « لقد عزمنا على التعرض (لقطع العلائق بل اذا اقتضي الحال لمحاربة الولايات المتحدة) » وبعد ارسال هذا التلغراف وهو لم يكد يصل الى الكونت برونستروف اذا به يرسل تلغرافاً يقول فيه . « اذا لم تكن هنالك أسباب حربية قهرية فان التأجيل (لحرب الغواصات المطلقة) يكون موافقاً جداً لان ويلسن يذهب الى أنه قادر على تحقيق الصلح على القاعدة التى اقترحناها وهى تساوى سائر الامم فى الحقوق » .

وعلى أثر ذلك خاطب وزير الخارجية امير البحر فى ارجاء هذه الحرب الى أن تتوضح الحالة تماماً منعاً لقطع العلائق مع الولايات المتحدة

وبما انى لم أكن مطلعاً على المخابرات المتبادلة بين الحكومة وسفيرنا فى الولايات المتحدة ولم اسمع من المستشار سوى ان المخابرات التلغرافية مضطربة مع الكونت برونستورف وان الحالة غامضة هنالك فقد دهشت عند ما وجدت المستشار بيتمان ووزير الخارجية زيمرمان حاضرين الى بليس وموجودين في حضرة الامبراطور يوم ٢٩ يناير للتداول في اقتراح جديد يرمي الى توسيط الرئيس ويلسن . وأخذ المستشار يتلو مذكرة اعدها ليرسلها الى الكونت برونستورف لتكون أساس المفاوضات على

قاعدة بقاء الحالة على أصلها وهى تتضمن ما يأتى : —

« رد قسم الالزاس العليا الذي يحتله الفرنسويون . الحصول على حد يضمن سلامة المانيا حربياً واقتصادياً وحداً آخر من جهة بولونيا تجاه الروسيا . اعادة المستعمرات باتفاق يضمن لالمانيا ممتلكات استعمارية تطابق عدد سكانها وقيمة مصالحها الاقتصادية. اعادة الاراضي الفرنسوية التي يحتلها الالمانيون مع ادخال تعديلات عسكرية واقتصادية من جهة الحدود وكذلك مع تعويض مالى . اعادة استقلال البلجيك مقابل بعض ضمانات تستدعيها طمأنينة المانيا وهى ضمانات يصير تعيينها فى اثناء المفاوضة مع الحكومة البلجيكية . وضع صك تحكيم فى المسائل الاقتصادية والمالية قائم على قاعدة تبادل الاراضي المفتتحة من الطرفين والتى سترد الى أصلها بموجب العدول عن سائر الاتفاقات والوسائل التى تعرقل التجارة والنقل بعد ابرام الصلح بابرام اتفاقات جديدة تقضى على الاولى . ضمانة حرية البحار »

ولم يشأ المستشار تعطيل حرب الغواصات الحرة بل كلف الكونت برونستورف أن يبلغ الرئيس ويلسن أن هذه الحرب البحرية تبطل اذا وجدت قاعدة لمفاوضات الصلح

وعلى اثر تقرير مقدم من امارة البحر النمسوية في فينا قررت الحكومة النمسوية اعلان حرب الغواصات الحرة فاستقبلت هذا التضامن بابتهاج واعتراف بالجميل . ولقد كنت اترقب هذا الامر لان حرب الغواصات لا تكون ناجعة الا اذا كان لها مفعول شديد فى البحر الابيض المتوسط بالمثل

ولقد أدركت بعد جلسة الرايخستاج التى عقدت فى ٢٧ فبراير ان الشعب الالمانى بأسره أصبح يظاهر الحكومة بعد تحققه من إخفاق مسعانا السلمى

اوليس ادل على هذا الشعور الاجماعي مما جاء في خطابة شايدمان الرئيس الاشتراكي التي القاها في الرايخستاج بمناسبة اشهار حرب الغواصات اذ قال : —

« سيعلم العالم أجمع مقدار ما تملكنا من الحبور العظيم عند ماعرضت الحكومة الصلح على العالم اجمع لاسباب وبواعث كالتي تقوم في نفوسنا واذا بخصومنا يحسرون القناع في ردهم الخجل على مذكرة ويلسن بغباوة عن مقاصدهم المنطوية على الفتح والاهلاك ، فهنالك انتفضت وتوطنت عزائمنا على الدفاع عن وطننا بشجاعة نادرة المثال . فلن يخرج من قلوب الشعب سوى صرخة واحدة هي : خبر لنا المحو التام من مثل هذا الصلح ! فكل انسان كان ينتظر بلا شك ان يتقبل خصومنا الدعوة الالمانية الى المؤتمر بالرضى مع احتفاظ كل امرىء بآرائه واصراره على جماحه وتصلبه ومناداته بقوته وعزيمته وموالاته دس الدسائس وجسه النبض في المفاوضات الاولى . وأما هذه الألفاظ المتناهية في الفظاظة وفي استفزاز النفوس الصادرة منهم وهذا البرنامج الصلحي الخالي عن كل معنى والذي البس الحقائق ثياب الشك والتردد فقلما كان ينتظرها الناس وهيهات ان يتملصوا من تبعة اعتدائهم الحديث على الانسانية التي تحملوا اصرها برفضهم بخشونة الصلح الذي عرضته المانيا عليهم . فلويد جورج هو الذي يحرض على ما يقرره الآن مديرو شؤون الامبراطورية الالمانية في حرب الغواصات . فحرب الغواصات قد صار تقريرها بصفة قاطعة في مؤتمر الاتفاقيين الذي التأم في روما . أما الآن وقد استقر القرار على نشوب هذه الحرب ، الآن وقد دخلت في دور التنفيذ فلا يسعنا الآن الا أن نأمل ان توصلنا هذه الحرب الى الصلح المنشود . اننا نعتمد على قوة شعبنا المدجج بالسلاح من أخمصه الى ذؤابته . فهو الذي سيحقق ما يحسبه الخصوم

مستحيلا . فشرف الامبراطورية وكيانها وحريتها لا بدلها ان تخرج من هذا الصراع الهائل سليمة من كل سوء »

ولم يك هذا التصريح سوى الافضاء بتباريح الضمير ازاء رغبة العدو الصادقة في سحقنا وما هو الااستدعاء الشعب الى موالاة الصراع حتى النهاية . فليجعله الله نداء مسموعا محققا !

— ٥ —

اغمض الامبراطور فرنسوا يوسف عينيه فى ٢١ نوفمبر أيفوز بالراحة الابدية . وكان وجوده الدعامة المكينة التي ترتكز عليها المملكة الثنائية المتحدة . على انه لم يستطع ان ينفث فى هذه المملكة روحاً جديداً ، وذلك لان مستشاريه لم يكونوا من عظماء الرجال القادرين على مزج العناصر المتعددة واخراج امة واحدة قوية الحياة منها . وكان صديقاً صدوقا لتحالفنا على الرغم من كونه لم ينس ساعة ما سنة ١٨٦٦ التي تنازعت فيها بروسيا والنمسا السيادة على المانيا .

وفى اوائل ابريل ١٩١٦ احتفل بمضى نصف قرن على اندماج الفيلد مارشال هندنبورج فى سلك العسكرية وجرى هذا الاحتفال في كوفنو فالقيت خطبة وجيزة في هذا الصدد ذكرت فيها ان الفيلد مارشال شهد حرب ١٨٦٦ . ولم تكد كلماتي تنشر لاادرى فى اية صحيفة حتى ارسل الي المستشار فون بيتمان هولويج يعلمنى أن خطابى استقبلت فى فينا أسوء استقبال لانى حركت فيها ذكرى حرب ١٨٦٦ ورجا مني ان احول دون نشرها . الا ان تحقيق هذا الرجاء كان مستحيلا . ولقد دهشت من الحمل الذى حمل خطابى عليه بلاط فينا كدهشتى من الخطاب الواصل الي فى هذا الصدد من برلين . ان حرب ١٨٦٦ احدثت تأثيرا دائماً بالغاً

في نفس الامبراطور فرنسوا يوسف وكانت سببا فى فقده ثقته بجيشه الذى لم يعتمد عليه فيما بعد بقلب مطمئن على الرغم من موالاته العمل لانهاضه وتقويته .

ولقد أصبح موته خسارة اصبنا بها ولا يمكن الاستعاضة عنها . ولم يكن ورِيثه الذي قتل الأرشيدوق فرنسوا فرديناند بالرجل المقدام كما قيل عنه . بل كان فى الحقيقة حاد المزاج متراوح الرأى لا ينطوي على شيء من الصداقة لالمانيا . وحاول جلالة امبراطورنا ان يؤثر فى نفسه ونفس قرينته ليمسحهما بالمسحة الالمانية . ولقد افضى قتله الى اوخم المواقب . وكان شؤما بالاخص على الروسيا لأنه ادى الى زوالها . ولو بقي الوريث المغتال لما صار كفؤا لاخلاف الامبراطور المتوفى لأن شؤن المملكة المزدوجة ارتبكت فى خلال الحرب وآلت الى اسوإ حال . فاصبحت الامبراطورية النمسوية على اثر وفاة فرنسوا يوسف فى عوز الى رجل يتخطى بنبوغه المستوي العادى ويوجد فى مجموعة الدولة المزدوجة الحماسة الغربية التي تمكنها من المضي في الحرب الحاضرة .

رايت الامبراطور شارل لاول مرة فى ديسمبر ١٩١٤ وكان لا يزال في نضارة الصبي وهو اذ ذاك ارشيدوق . ثم التقيت به فى اوائل نوفمبر ١٩١٦ فاذا به قد اكتمل عوده واصبح اقرب الى الرجولة منه الى اليفاع . فأخذ يعرض آراء واضحة في الشؤن العسكرية . الا ان العبء الذى القي على كاهله كان افدح من ان تنهض به مقدرته فلا مناص له من التململ تحته . وود أن يؤلف بين عناصر الامبراطورية الا انه لم يتغلب على سياسة المجر المشوبة بالأنانية ولم يتمكن من صرفها عن منع اصدار المواد الغذائية الى القسم النمسوي . ومن خصائصه جنوحه الى ولاة الامور التشكيين الذين كانوا يعملون جهارا ضد مصلحة المملكة . فنجم عن هذا الامر انتشار

النزعة الانفصالية وتخوف العنصر الالماني الذي لبث محافظا على ولائه للاسرة الامبراطورية العتيقة .

ولم يكن الامبراطور الحديث من انصار التحالف ، ومع ذلك فقد كان شديد التعلق بالمانيا . وكان جنوحاً الى ابرام الصلح الا انه تخطى حد هذه العاطفة في خطابه الذي بعث به الى زوج اخته الامير سيكست . وهو شديد الشغف بان يكون الرئيس الاعلى للجيش النمسوى . ولتحقيق رغبته هذه ادخلت تعديلات عديدة على الرآسة العليا للجيوش المتحالفة . وهو وان لم يكن جنديا فقد اراد ان يبذل منتهى ما في وسعه لترقية الجيش . ومن الاسف ان زوجة الامبراطور زيتا كانت منصرفة القلب عنا لانها مستسلمة الى رجال الكهنوت وهم ليسوا اصدقاءنا .

ووزير الخارجية الكونت كزرنين رجل ذكى العقل واسع الخبرة بشؤن العالم وهو اعظم اقتداراً من رجال الويلهمستراس . وهو يتبع الطرق التي ينتهجها مستشار برلين . ومع انه لم يكن موافقا على مشروع العفو الذى اصدره الامبرطور للتشكيين فقد بقى محتفظاً بوظيفته . وكنت اشعر بميل شديد اليه وارتاح كثيراً الى محادثته . الا انه لسوء الحظ اعتقد بسهولة متناهية مزاعم الويلهمستراس المختصة بتسلطي على ازمة الاحكام .

وكان القائد فون آرز رئيس اركان حرب القائد فون كونراد وهو الذى رأس مجموعة الجيوش المخيمة في جبهة التيرول . وكانت علائقي بالقائد كونراد قوية واساسها الثقة ، ولذا عظم اسفي عند ما غادر شؤن وظيفته .

وأصبحت أشد ارتباطا بالقائد آرز من سلفه لانه محب مخلص للامة الامبراطورية وللجيش الالمانية ، وقد اشتد حبه للجنود الالمانيين من كثرة احتكاكه بهم في سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦ واذا لم يكن متصفاً بمرونة

الذكاء التي يمتاز بها القائد كونراد فانه جندي ذو رأي صائب وارادة صادقة متجهة لرفع قيمة الجيش النمسوي

وكنا واثقين دائماً من وجود مساعدة بديعة على الدوام في المعسكر العام النمسوي .

قاعدة متابعة القتال

وآلة الحرب

فرضت علينا الحرب أن نستخدم آخر ما لدينا من القوى الانسانية. ولهذا اتفق المعسكر العام الاكبر مع ذوى الشان من الحكام على توزيع رجال الامبراطورية بين الجيش والبحرية والاعمال الداخلية .

ولقد كانت النجدات الواصلة الى الجيش المحارب الى هذه الآونة مستمدة من الجرحي الذين بفضل العناية الصحية العظمى صاروا يعودون بكثرة عظيمة الى الجبهة . وكذلك أخذنا نستقدم الشبان المقترعين الذين لم تتجاوز سنهم التاسعة عشرة . وكان لا بد لنا من توفير العدد اللازم لبناء الاستحكامات الخلفية ولصنع أدوات الحرب في الداخل . وكان يؤلمني اصطلاح (صالح للحامية) لأني لا أدري لماذا هذا الانسان (الصالح للحامية) لا يكون صالحاً للجيش العامل فيحمل بندقية كزميله ليشاركه في الدفاع عن الوطن .ولقد كانت الطبقات المخصصة للتجنيد تتمشي من سن السابعة عشرة الى الخامسة والاربعين وهذا التحديد لم يرضني لانه لا يتفق مع احتياج ميدان القتال . ففي سبتمبر سنة ١٩١٦ رسل المعسكر العام الاكبر أول اقتراح يرمي الى جعل الاقتراع ممتداً من الخامسة عشرة الى السنة

الستين والى فرض الخدمة الجبرية على النساء بشروط مخصوصة . وبهذا يصيب الجيش حاجتـه من الرجال وتجد الصناعة نصيبها من الايدى العاملة .

وكانت أجور العمال ومرتبات الجنود من أهم ما يشغل بالي . وأردت أن أحسن مرتبات الجنود الذين يجودون بارواحهم لحماية الوطن الا ان الحكام الداخليين لم يلبوا سائر مطالبي . ومع ان مرتبات الجنود لم ترتفع فان أجور العمال لم تخفض الا الى درجة الاعتدال . وكان من المظنون ان تخفيضها سيسبب اقتصاداً فى نفقات المطالب الحربية . الا اننا لم نلبث ان أصبحنا أمام أزمة اقتصادية هائلة من جراء الغلاء الذى أصاب المواد الاولية الذى حتم ارتفاع أجور العمال . ولم نتخلص من هـذه الازمة الا باصدار قانون العمل الجبري . ولكن هذا القانون لم يف بالغرض المقصود لان الحرب الجديدة اصبحت تستدعى استنفادسائرمواردالبلاد من الاناس ومن المواد الاولية وتستوجب التضحية على كل فرد يعيش فى حمى الوطن ومن خيرالوطن. فطلبنا من المستشار اصدار قانون جديد يفرض الخدمة العامة الاجبارية على كل انسان في البلاد الالمانيـة فبعد مطاولة استغرقت شهرين اصدر الرايخستاج قانوناً يفرض الخدمة المدنية . وهذا القانون لا يفى بالغرض المقصود ولكنني استقبلته على كل حال بالاستبشار والتهليل لا للفائدة المرجوة منه بل لما سيحدثه من التأثير في نفوس الاعداء بانضمامه الى انتصارنا المبين في رومانيا

ولقد سنحت لي الفرصة التى مكنتني من حضور جلسات الرايخستاج بصفتي الرئيس الاول للمعسكر العام الاكبر بمناسبة المناقشة فى هذا القانون فاسفت جد الاسف لتحققي من انه لا تزال توجد بعض احزاب فى الرايخستاج لا تريد أن تتناسى الانانية والمصالح الشخصية فى مثل هذا

الموقف العصيب . فالحرب الحالية دائرة حول بقاء الشعب الالماني أو فنائه ومن الواجب ازاء هذا الغرض ان نتناسى كل شيء خلاف القيام بالواجب الوطني

وبما أن قانون فرض الخدمة المدنية لم يؤد الى الغرض المقصود منه ولا سيما لبقاء عدد عظيم من النساء معفيات منه وظلت الحاجة شديدة الى الايدي العاملة لاجل موالاة الحرب فقد سعيت لانشاء نوط صليب الخدمة المساعدة وجعلته بين سائر أوسمتي العسكرية وأنا شديد الفخر املا أن يؤدي هذا العمل الحديث الى ظهور روح النشاط الاختياري فى نفوس الشعب

وبذل الاختصاصيون جهوداً عظيمة فى توفير سائر مطالب الجيش ولانجاح جهودهم اضطررنا الى اقتطاع ١٢٥٠٠٠ شخص من الجيش فى شتاء سنة ١٩١٦ — ١٩١٧ . وأدت كثرة الاعمال الى أن نوجد اختصاصيين يشتغلون بتعليم مشوهي الحرب والنساء كثيراً من الاعمال ونجحنا فى هذا المشروع نجاحاً باهراً . الا أن الهمة المبذولة لم تكن فى كل مكان بنسبة الحاجة الماسة

وأدى اتساع نطاق الصناعة وتعدد محصولاتها خدمات جليلة جداً للجيش اذ انه استجر منه عددا هائلا من السواعد القوية . على ان اشتداد وطأة القتال والتفنن فى اختراع آلات الاقتتال جعلت الحاجة الى الصناعة الحربية شديدة جداً . وحدثت عدة اضرابات لا يمكن اعتبارها الا من قبيل الخيانة الكبرى أدت الى تناقص المقادير المصنوعة . على ان الحكومة لم تبد شيئا من الحزم فى هذا الصدد . فاضطررنا الى نقل عدد كبير من العمال الالمانيين الى بلجيكا والى استقدام عدد عظيم من العمال البلجيكيين الى المانيا وكذلك استخدمنا عدداً لا يستخف به من العمال البولونيين

وكان لاسرى الحرب الروسيين الفضل الاعظم في توفيره طالبنا الاقتصادية ولا ننسى ان اسرانا أفادوا دول الاتفاق في الصناعة الحربية فائدة عظمى وصرنا كلما اسرنا عدداً كبيراً من الاسرى أخذنا نتداول فيما اذا كان الانسب استخدامهم في الجهات المحتلة أو ارسالهم الى داخل المانيا ، وبعد البحث الطويل نتبع ما هو أوفق للمصلحة العامة . وقد أخذت الصحافة الاتفاقية تنعى علينا هذه الوسائل وهي حرة في عملها هذا ولكن الذي يستحق التفكير وجود نغمات من هذا القبيل بين ظهرانينا مع العلم بما يقتضيه الواجب الوطني من التشدد في التماس الايدي العاملة

— ٣ —

في الوقت الذي سعينا فيه للحصول على موارد فياضة من الرجال شرعنا ننفذ برنامجنا المختص بالادوات الحربية . وكان أهم ما يلزمنا منها المدافع وذخائرها والمترايوزات ثم تجيء بعدها الاشياء الاخرى . وصنع المدافع لم يكن مقصوراً على تقديم المقادير اللازمة منها من الطراز الحديث بل كان يشمل اصلاح المدافع القديمة وتعديل المدافع المكتسبة من الاعداء وكنا في حاجة كل يوم الى احداث تغييرات عديدة تستدعيها تجارب الحرب ولهذا لم يسعنا ان نجدد المقادير اللازمة . على أن معارك السوم وفردان اقتضت همة عظمى في صنع المدافع لا لكثرة ما اتلفه العدو من مدافعنا بقذائفه التي لا تحصى فقط بل لاننا استعملنا فيها مدافعنا الى درجة لم تبق بعدها قابلة للاطلاق . واشتدت حاجتنا للمدافع ذات المرمى البعيد لان العدو باستعمال هذا النوع توصل الى ازعاج حركة التموين والتأهب في المؤخرة وجعل صلات القوات المتقدمة مع المؤخرة في منتهى المشقة وكذلك ضاعفنا مجهوداتنا للاكثار من المدافع البالغة في الضخامة والمترامية

قذائفها الى ابعاد سحيقة . وقد تداخل جلالة الامبراطور فى الامر فمكننا من الحصول على المدافع التى من هذا القبيل فى القطع البحرية الحربية المعتبرة خارجة عن دائرة الخدمة العاملة . وفى هذه الآونة صار الشروع فى صنع مدافع ميدان عادية وهونيسة من ذوات المرمى البعيد جدا . ولم نستطع أن نجعل طلباتنا محكمة الا فيما يختص بالمدافع الثقال . على اننا لم نتوفق الى اختيار مدفع خاص بالمشاة كما اتفق لنا هذا الاختيار فيما بعد وكننا نجحنا حينئذ في تخير المدفع عيار ٦ . لابادة عربات الهجوم ، وانما نحتاج الى العدد الكثير منه

ويتوقف ازدياد مقادير الذخائر على التوسع في صنع البارود وصنعه مرتبط بتوفر مواده الاولية والكبريت والازوت شأن هام فى تحضير الذخائر الحربية وبذلنا جهداً عظيما فى توفير البارود على الرغم من قحط الفحم وما كدنا نخلص من مشكلة البارود حتى اصطدمنا بعقبة الصلب فمازلنا نعالجها حتى تغلبنا عليها

ولم تنته مشكلة الذخائر عند حد صنعها بل ترحيلها وتوزيعها كان أهم شيء لانها متعددة الانواع بدرجة عظيمة ولا بد للقواد من خبرة فائقة بانواعها وحجومها ليستطيعوا ايصال المقادير المطلوبة بالدقة الى اماكنها واذا لم تتوفر هذه الخبرة فان الاضرار الناجمة عن عدم توفرها لا يمكن تقديرها فتفسد سير المعارك وتؤدي الى أوخم العواقب . واستعضنا عن الشرابنل بقذائف مركبة من مواد تنفجر من أقل مساس بالارض .

وأصبح من اهم الأمور لدينا ان تكون عنايتنا بتحضير الغازات معادلة على السواء اهتمامنا بصنع جميع الذخائر الاخرى . وقداخذ ارسال الغازات من الانابيب القاذفة يقل بالتدريج لكراهة الجنود استعمالهم هذه الانابيب ففضلت عليها القذائف الغازية . وأصبحت قنابلنا ذوات الصليب

الاصفر شر سلاح يرتاع منه الاعداء . وظل الخوف من تأثير غازاتنا متسلطاً مدة طويلة على نفوس جنودنا ولم تخف وطأته الاعلى تمادى الزمن. وقد ادى المستشار الخاص هابير خدمة جليلة بتنظيمه وسائل الكفاح بالغازات.

وكذلك استعملنا قنابل تنفجر عن سحائب من الدخان .

واختصصنا المشاة بعتر اليوز عظيم السهولة وخفيف جداً . على ان جنودنا كانوا لا يزالون شغوفين بعتراليوزاتنا القديمة الثقيلة وقد استبقوها لدفع اغارات العدو في هجماته ولتصيد الطيارات . وكذلك امددنا المشاة بمقادير عظيمة من القذائف ذوات النواة الصلبية ليقاوموا بها الطيارات وعربات الهجوم . وطفقت وزارة الحربية تمد ببندقية لمكافحة هذه العربات.

وعلى اثر فقد الخيول بكثرة وعدم التمكن من الاستعاضة عنها صرنا فى أشد الحاجة الى اتوموبيلات نقالة تنقل الجنود والمؤن والذخائر . بيد ان المواد الاولية التى تصنع منها هذه الاتوموبيلات غير متوفرة بكثرة ، وبصرنا بالعدو ينقل جنوده من معسكراتها الى الملاحم فى الاتوموبيلات التى تسع عددا كبيراً من الركاب ثم تعود بالجنود المتعبة من الميادين الى المعسكرات، فتمنينا ازاء هذه الميزة التى يتمتع بها العدو لو حصلنا على العدد الكافي من العربات السيارة التى تمون الجنود بالاطعمة والذخائر فى مختلف الساحات.

ولم تعن لنا الفرصة السانحة بصنع عربات الهجوم .

واخذت الجيوش المتمادية تتبارى فى استكثار المحلقات المتفوقة فى التحليق في الحال وفى سرعة السير وكنا نحن السابقين فى الغالب. وفى سنة ١٩١٨ توفرت لنا محلقات من ارقى الانواع وقد تمكن طياروها الذين لا نريد التعرض لوصف جرأتهم التى لا تبارى من احراز الفوز المبين على الاعداء فى الميادين الجوية .

ولو شئنا ان نذكر تفاصيل الاعمال التى قمنا بها لاعداد سائر

وسائل القتال المستحدثة لاستغرقنا وقتاً طويلا . فمن هذا القبيل مثلاً صنع الاسلاك الشائكة التي كانت الحاجة ماسة اليها بكثرة وهي معرضة للعطب بسرعة من تأثير القذائف التي لا تحصى . فقام الكولونيل باور بتنظيم هذه الاعمال في برنامج جرت المخابرات العديدة بشان تنفيذه مع برلين واطلق عليه اسم برنامج هندنبورج. على ان برنامج المعسكر الاكبر كان في الحقيقة احوج الى القوى الادبية والى الرجال منه الى الادوات الحربية.

واضطررنا الى صنع القاطرات الحديدية فاعدنا مصانعها التي كنا قد حولناها الى معامل اسلحة وذخائر وادخلنا تحسينات جمة على وسائل نقلنا.

وكل هذه الاعمال كانت تقتضي الاهتمام بتوفير بعض المواد الأولية والكف وقتياً عن توفير مواد اخرى . ولأجل عدم الشطط في تنفيذ هذه التصميمات صار من الضروري التداخل في جميع الشؤون الاقتصادية.

وصار من الحتم مرور اوقات طوال قبل تحقيق برنامج هندنبورج اذ لابد من جمع المواد الخام واعدادها لكن العمل وتوزيع العمال الاختصاصيين عليها . وبالنظر لاتساع نطاق هذا البرنامج واستغراقه مدة طويلة من الزمن رؤى من المستحسن اعادة البحث فيه ووضع حدود له . ولو استمررنا على تنفيذه على علاته لاحتجنا الى التعرض لموارد الجيش البري والبحرية الاحتياطية من الرجال . وقد ارتفعت اصوات منتقدة تحور تقدها دائر على انه من المستصوب ترك هذه الاعمال الى وزارة الحرب . ولكننا لم نلجأ الى هذا البرنامج الا بعد ان رأينا ضرورة مباشرتنا الاعمال اللازمة لنا بانفسنا . ونحن لا يعزب عن بالنا ان كل مشروع عرضة للمنتقدين وان بعضهم قد يكون محقاً في بعض ملاحظاته الا ان هذا البرنامج الذي بدىء في تنفيذه ببطء وكانت ثمراته ضعيفة في اول الأمر اخذ يتدرج في التحسن على توالي الأيام وهو أوفي وافيد برنامج وقعت عليه ابصارنا حتى الآن.

ودارت الحركة الصناعيـة بمنتهى السرعة والنظام بفضل « مصلحة صنع الاسلحة والذخائر وهي احدى فروع الادارة العامة لصنع أدوات الحرب » التي يرأسها القائد كوكيت ذو الاطلاع الواسع على المسائل الفنية والصناعية ويساعده على تنفيذ أوامره ركنا حربه الغيور ان القومندان ستاتلا بندر والكولونيل فوتزيا خير فالجيش مدين بالفضل فى الحصول على كل مطالبه لرؤساء هذه الادارة .

وأيدت الصناعة اولئك الذين يديرون شؤون القتال فاسعفتهم بكل مطالبهم وان كانت قد تقاضت اثمان ما قدمته وكيف لا تتقاضاها وهى لم تتم الا برؤوس اموال جسام وباجور عمال عديدين . وقد اخذ العمال يغالون فى رفع أجورهم فاوشكوا أن يحدثوا أزمة اقتصادية عظيمة ولهذا صار من الضروري تداخل الحكومة . وبفضل مصلحة الحرب انتظم سير الاعمال وتلاشت مشاكل العمال . وأملت أن تتوصل هذه المصلحة الى تحقيق أمنية يتمناها الجميع وهى التوفيق ما بين العمال واصحاب الاعمال

وعلقت الصناعة الحربية تنشط فى كل مكان حتى في البلاد المحتله . الا ان عمال مصانع الاسلحة فى بلجيكا صمموا على عدم العمل الا اذا تعهدنا لهم بعدم استعمال أسلحتهم فى الميدان الغربي . وهذا الشرط لم يكن في استطاعتنا أن نقبله . فلم يسعنا ازاء هذه الحالات الا ان ننقل آلات المعامل المشاكسة الى المصانع الالمانية لتضاعف مجهوداتها

— ٣ —

تولي امر تموين المانيا بالمواد الاولية الكولونيل كويت الذي جعل نصب عينيه حاجة المانيا الحربية . وكان له تأثير عظيم فى نقل الخامات من البلاد المحتلة . وأما استيراد المواد الاوليـة من البلاد المحالفـة لنا أو من

البلاد المحايدة فكان من اختصاص ادارة خاصة في وزارة الحرب البروسية ذات اتصال وثيق بالكولونيل كويت . وكل ما توصل اليه الكولونيل كويت هو تزويد الجيش بمطالبه الضرورية ولم يتمكن من الاستزادة بالنظر لموقفنا اتجاه البلاد الاجنبية . ومع التأكد من الحصول على المواد الاولية الضرورية مدة طويلة فان الاهالي أصبحوا في أشد الاحتياج الى أشياء كثيرة . فحرموا من الملابس ومن الاحذية . بل لقد أدى ارتفاع أثمان هذين الصنفين الى صعود سائر الاسعار فاصبحت المعيشة شاقة . وهذه الحالة استوجبت حزني ودعتني الى أن خاطب الحكومة في صددها ولكن الحكومة لم تأت بعمل حاسم . حتى ان ما صابنا به الآن انما هو جزاء وفاق لاعتمادنا في زمن السلم على الواردات الاجنبية . وللافاقة هذه الازمة الحادة عهدت الى الليوتنان كولونيل شميت ريدير الاهتمام بالاصناف التي أصبحت نادرة الوجود . فامتزج هذا الضابط بالادارة الامبراطورية او بالصناعات فاحدث تفريجا عظيماً . وتمنيت لو ان الشعب الالماني يتعظ بهذه العبرة ويصنع بنفسه كل ما يستورده من الخارج .

وانشئت عدة شركات حربية بقصد الحصول على كثير من المواد الاولية . ولست أدري مقدار ما ستؤديه من الخدم الجليلة الا ان انشاءها على كل حال خفف تذمر الجمهور .

ان مسألة وسائل النقل كانت اساس الاطمئنان على حياة البلاد الاقتصادية ويدور محور هذه المسألة حول القطارات والعربات وعمال الحركة والفحم على الاخص . وقد اصيبت القاطرات التي لدينا باضرار جمة فاضطررنا لاجل تلافي اضرارها الى اعادة مصانعها التي تحولت الى معامل أسلحة وذخائر . وتنازل المعسكر العام الاكبر عن عدد كثير من الجنود اللازمين لهذا العمل فتألم الجيش من هذا النقص العظيم .

ولم تكن الحاجة الى القاطرات والعربات مقصورة على المانيا بل لقد امددنا النمسا بمئات من القاطرات و بضع عشرات من الوف المركبات وكذلك امددنا تركيا و بلغاريا بالقاطرات والعربات وعمال الحركة. ولقد اضطررنا الى عدد هائل من القاطرات في البلاد المحتلة الواسعة التي لم تكن فيها ادارة مواصلاة منتظمة . ومع اننا قد استولينا على مقادير كبيرة من القاطرات والمركبات في الروسيا و رومانيا وشمال فرنسا و بلجيكا فانها لم تفِ بالحاجة وكان لا بد من اعدادها على خطوط السكك الحديدية الالمانية وكان اكثرها متلفاً . وقد تمكنت رومانيا من تهريب بضعة آلاف مركبة المانية الى البغدان (مولدافيا) لاستخدامها في شؤونها العسكرية .وكانت توجد عقبة اخرى داخل المانيا وهي اختلاف قاطرات السكك الحديد في ولايات الاتحاد الالماني . وهذه العقبة كان من الواجب تذليلها قبل الحرب اما الآن فمن الصعب ايجاد حل لها .

وفي الحقيقة ان المانيا لم تكن متأهبة الا لحرب قصيرة الاجل فبعد ان ولجنا بهرة الوغى رأينا أن نسرع بالتأهب لكفاح طويل المدى .

ومع أن الفحم كان الزم الاشياء للسكك الحديدية فان القطارات الموجودة لم تستطع ان تنقل المقادير الضرورية منه مع وجوده جاهزاً بكثرة في اماكن استخراجه .

ولكي نقوم بجميع النقليات العسكرية اضطررنا الى تضييق دائرة النقل التجاري فاحدث هذا ازمة اقتصادية .

ومن الاسف ان وسائل النقل النهرية كانت ضعيفة بالمثل لاننا لم نعد كل الاقنية والمجاري في زمن السلم للملاحة ولم نهيء لها وسائل النقل اللائقة بها . فاضطررنا الى انشاء ادارة ملاحة نهرية وامدتنا وزارة الحربية بالرجال اللازمين لاعمال هذه الادارة .

وتحسنت حالة النقل التي كانت سيئة في شتاء ١٩١٦ — ١٩١٧ ان الحديد والفحم قوتين فعالتين عظيمتين ! وقد أصيبت المانيا بازمة شديدة في شتاء سنة ١٩١٦ — ١٩١٧ لان تموين المانيا بالفحم كان جارياً على طريقة سيئة فطلبت من المستشار انتداب هيأة تتولى استخراج الفحم وتوزيعه ولم تخف الازمة الا عندما عهدت هذه المسألة الى مستشار المناجم الخاص ستوتز فانه زاد المقادير المستخرجة من المناجم وعرف كيف يوزعها بحساب دقيق على المنازل والمصانع وشركات النور ووسائل النقل والآلات الزراعية والسكك الحديدية والبحرية . ولقد كان من أشق الامور على نفسي أن أحقق ما اقترحه علي في مايو سنة ١٩١٧ من تسريح ٥٠٠٠٠ عامل لاستخدامهم في مناجم الفحم ، لان هذا الطلب كما لا يخفى صادف الهجوم الاكبر الذي قام به الاتفاق لدخول رومانيا حومة القتال. واكرر القول هنا أن المانيا لم تقدم من ابنائها الرجال الكافيين للجيش ومع ذلك فان الانتاج شرع يقل على التوالي وبالطبع ان مثل هذا الامر يعتبر ضربة شديدة على موقفنا ومستقبلنا

ولم يكن لدينا من الحديد ما يفي بمطالبنا الكثيرة منه فأخذنا نستورد مقادير وافية من حديد السويد . وقد أسعفتنا المقادير العظيمة التي وجدت من الحديد فيما وراء القوقاز ومكنتنا من ايفاء صناعاتنا الحديدية حقها . واحتياجنا الى الحديد شديد لصنع الفولاذ اللازم للمدافع والذخائر وللاسلاك الشائكة وللسكك الحديد

وكانت حاجتنا الى البنزين شديدة جداً وكذا للبترول واذ لم تكن لدينا المقادير اللازمة منهما فقد اعتمدنا في البترول خصوصاً على النمسا ورومانيا . وعلى الرغم من الجهود التي بذلت في النمسا لاستغلال آبارها فان محاصيلها لبثت غير كافية . أما رومانيا فقد حصلنا منها على الشيء

الكثير الا انه لا يفى بحاجتنا الشديدة . وفى سنة ١٩١٨ بلغنا ماهوفوق حاجتنا من مستودعات القوقاز الهائلة

واستمددنا من البقاع المحتلة الاشياء اللازمة للخنادق والاستحكامات وفى مقدمتها الاخشاب والحصى

وبما ان الحرب اخذت تتطلب بتطورانها الغريبة كثيراً من الخامات لإدخالها فى الصناعات الحربية المتنوعة فقد وجه المعسكر العام الاكبر دعوة خاصة الى الحاكمين العامين فى بولونيا وبلجيكا ببذل كل مافى وسعهما للحصول على الخامات ولم نقتصر على هذه الدعوة بل عمدنا احياناً الى التنقيب وراء المواد المطلوبة التى كانت تخفى عن الانظار بمهارة فائقة. ومن ذلك اننا احتجنا الى أجراس الكنائس فسلمتها الينا المانيا وأما بلجيكا فامتنعت ، ووسطت المستشار هرتلينج لدى الامبراطور

ومن المؤكد ان البقاع المحتلة أفادتنا أعظم فائدة لا من وجهة توفير الخامات اللازمة للصناعات الحربية فقط بل من جهة تموين المانيا بالمثل وان كانت قد تقاضت منا ثمناً باهظاً من الايدى العاملة . ولم يشأ المعسكر العام الاكبر ان يتداخل الا حينما اشتد مسيس الحاجة الى تداخله كتأخر بلغاريا أو تركيا فى تسليم تعهداتهما أو مساعدتهما على سرعة العمل وتوسيع نطاقه . أما الاعمال الاخرى فقد تركت الى وزارة الحربية وفى مقدمة هذه الاعمال استغلال مناجم الصرب النحاسية التى بلغ نفعها الدرجة القصوى . ولا ننسى فضل العلم فى تنويع العمل وتسهيل الاعمال فى تموين الجيش بالمثل فله الشكر والاعتراف بالجميل .

ان أهم ما يشغلنا هو تموين الشعب والجيش . فانهما اذا لم يتغذيا جيداً هزلت أجسادهما وضعفت قواهما وساورتهما الوساوس والافكار السوداء ولقد بذلنا جهوداً عظيمة لتوفر الاغذية غير ان استحكام الغلاء جعل قسما

عظما من الشعب وعلى الاخص من الطبقة الوسطى أي التي تعيش بمرتبات شهرية محدودة وفي جملتها الضباط والمستخدمين بكابدون اشق العناء في تموين اسراتهم

وكان من رأيي محاربة الاحتكار والبيع الخفي كما كنت أذهب الى وجوب تحرير الاثمان من القيود فانها اذا ارتفعت جعلت الفلاحين يطمعون في ارتفاعها فلا يبيعونها للمحتكرين

ولكي نوفر سائر المحاصيل الزراعية عمدنا الى الاكثار من الاسمدة الصناعية بدلا من الاسمدة الطبيعية التي قلت فبحثنا عن الفوسفات في البقاع المحتلة من فرنسا والبلجيك وبالوسائل العلمية انتجنا مقادير عظيمة من المواد الازوتية . وبفضل الآلات المخترعة والطرق المبتكرة كثرت محصولاتنا حتى أصبحت على توالي الايام كافية لسد عوز الشعب والجيش في آن واحد . وزرعنا كل ماهو صالح للانبات في البقاع المحتلة بواسطة الجنود الا ان كثرة تنقل هؤلاء لم تؤد الى بلوغ النتيجة العظمى

وخوفاً من حدوث ازمة زراعية أخذنا نجفف البطاطس وندخره على ان تحسن الزراعة ازال هذا الخوف فاخذنا نسهل طرق نقل المحصولات ببث الاوتومبيلات العديدة التي طفقت توزع البطاطس بكثرة على سائر الجهات .

وعندما استولينا على الافلاق في رومانيا فاضت علينا نحن والنمسويين والعثمانيين موارد الارزاق وفي الحقيقة اننا لم نكن نعول انفسنا فقط بل كنا نعول النمسويين بالمثل ونمد العثمانيين ببعض المطالب الحيوية التي لم تتوفر لديهم وكان العنصر الالماني في النمسا ولا سيما سكان فينا يتضورون جوعا من امتناع المجريين والتشكيين عن امدادهم بالاغذية

اما بلغاريا فكانت أحسن حالة من النمسا لتوفر المأكل لديها على

الرغم من اتباعها طرق الفلاحة العتيقة التي لاتنتج الفوائد الجمة من الارض

وأما تركيا فكانت وسائل الزراعة متأخرة فيها جداً . وقد أخذنا نحث حكومتها على اتباع الطرق الفنية الحديثة . وأردنا أن نرسل اليها محاريث ميكانيكية ضخمة لحرث مساحات واسعة من أراضيها الخصبة للحصول على خيراتها المكتنزة فى جوف أراضيها البكر . غير أن مساعينا لم تجد هنالك

ودار الكلام فى خريف سنة ١٩١٦ فى صدد ايجاد مصلحة عامة لتموين التحالف الرباعى . بيد ان هذه المصلحة التى استقبل انشاؤها بالسرور العظيم لم تؤد الفائدة المرجوة منها لان كل دولة لها مطالب خاصة .

ان استيلاءنا على رومانيا أو بالاحرى على الدبروجا و والافلاق كان له أهم تأثير فى مجرى الحرب ، لان هتين المقاطعتين عادت على التحالف الرباعى باعظم الفوائد اذ انقذناه من سائر الازمات التى كانت تهدد حياته الاقتصادية .

ولم يكن البترول هو المنبع الفياض الوحيد الذى در علينا اخلافه بل لقد أصبنا من غلال الولايتين المذكورتين مقادير جسيمة . فاما تركيا فاعطيناها كل ما كان مخزوناً من القمح قبل دخولنا رومانيا ، واما بلغاريا فاختصصناها بمحصول الخريف ، ولم يبق سوى النمسا والمانيا لاقتسام المحاصيل المستغلة من مواسم الزراعات التاليه من قمح الى ذره . غير أن مطامع النمسا كانت متجاوزة كل حد .

ورأينا أن نشرع فى تنظيم وترقية الزراعة الرومانية لتكون محصولاتها اوفر من الأولى بكثير ، ففاضت خيراتها واستفدنا منها عدا القمح والاذرة كثيراً من البقول والفواكه والبيض . ولاستخدامنا البهائم التى

وجدناها فى رومانيا . فى اول فصل زراعي لم نستجر مقداراً عظيما من اللحوم الرومانية فى باديء الامر .

وانلف الائتلافيون آبار البترول وادوات استخراجه وتنقيته الى حد ضايقتنا جد المضايقة غير ان هذا الائتلاف لم يقف حجر عثرة فى سبيل همتنا التى تغلبت على أشد الصعاب فشققنا آباراً حديثة واحتفرنا أغلب الآبار المردومة وصنعنا ادوات حديثة واصلحنا ما امكن اصلاحه من الادوات القديمة واخيراً أنشأنا مجاري طويلة لتحويل البترول من اماكن استخراجه الى محطات نقله سواء بالسكة الحديد ام بالبواخر، ولم تتم هذه المجاري عند عقد الصلح . وانشأنا لنقل البترول اتوموبيلات ومركبات سكك حديدية وبواخر ذوات احواض كبيرة. ونظمنا طرق الملاحة في الدانوب كما نظمنا سكك حديد رومانيا لاجل هذا الغرض .

وكل هذه الاعمال الهائلة اقتضت انشاء ادارة خاصة لاستثمار رومانيا اقتصاديا وعهد بهذه الادارة الى قائد الماني وهيأة اقتصادية المانية . أما ادارة شؤون البلاد فقد تركت الى رجال الادارة والقضاة والموظفين الآخرين الرومانيين الذين ظلوا في مراكزهم والمراكز التي هاجر موظفوها اسندناها الى موظفين جدد من الرومانيين بالفعل . فخفت [illegible] القيادة الالمانية امر الاشراف على ادارة هذه البلاد .

وعانينا أشد العناء من [illegible] النمسويين في الاقاليم والبلغاريين في الدبروجة اما الاتراك فكانوا يتولون مناطق اعمالهم بحسن المعاملة والموالاة لنا.

ولما سلمنا الاشراف على منطقة المراحل الى النمسويين والجنرال ماكنزن وتركنا الدبروجة البلغارية ارسلنا الى بافاريا [illegible] من منطقة المراحل في الاقاليم الى النمسا . ومع شدة اشتغالنا [illegible] فقد كنا

يتفق اخيراً.

لقد أصيب الشعب الالماني بازمات عظيمة من جراء الحصار البحري الذي اراد به الاتفاق اضعاف قوتنا الجسدية والعقلية ومحو قوة ارادتنا وتصميمنا على مواصلة القتال لاجل سلامة وطننا وشعبنا . ولكن الذي أصيب به الشعب الالماني اكثر من ازمة الاجاعة والاضعاف هو سلاح الدعوة الجوابة الذي انفق عليه الاتفاق معظم النقود التي اقترضها من الولايات المتحده . بل لقد اهتمت الولايات المتحدة نفسها في بادىء الأمر بهذا السلاح القاتل فتحملت نصف ما كان ينفقه الاتفاق عليه ثم زادت رغبتها في العناية بترويج الدعوة ضدنا الى حد ان لم يعد لما تنفقه على ترويج الدعوة حد محدود . وما ترك الاتفاق وسيلة من وسائل النشر الا عمد اليها . فبينما نحن ملتزمون خطة واحدة في جبهة القتال لانتعداها ولا نحاول ابتكار سواها وهي عزمنا القاطع على الانتصار بالحسام اذا بالاعداء وقد عجزوا عن مغالبتنا بالسيف يعمدون الى اضعاف ثقتنا بقوتنا من انفسنا . وفي الحقيقة ان الالمانيين لا بصر لهم بالدهاء السياسي، ولذا لم يقاوموا خصومهم في ميدان السياسة كما قاوموهم في ساحة الجلاد . فانصرافنا بعد العصر البسماركي الى الاعمال الاقتصادية البحتة والى نشر متاجرنا وصناعاتنا في سائر انحاء العالم وجرينا وراء مشروع السكة الحديد البغدادية لنفوز بالتفوق الاقتصادي على العالم اجمع صرفانا عن الاطلاع الى ما تضمره لنا الدول الكبرى من حقد التنافس والى ما تعده في الخفاء وفي العلن لاتقاء شر مزاحمتنا وتفوقنا .

أن انجلترا التي اشتهرت من قديم الزمان بانها منبعث الدسائس ومحرك الثورات والتي أقر كبار رجالاتها بانهم يستطيعون ان يخلقوا الفتن كلما شاءوا ادركت ان التغلب على المانيا بالسيف مستحيل وان لابد الدو

الاتفاق من ايجاد ثورة داخلية في البلاد الالمانية لهدم بناء الامبراطورية الالمانية بما فيها ركنها المتين وهو الجيش الالماني . فنظمت لهذا الغرض مصلحة خاصة واسعة النطاق يرأسها اللورد بيفربروك ويدير قسمها المختص ببلاد الاعداء اللورد نورثكليف ويدير كيبلنج القسم المختص بوطنه انجلترا ومستعمراتها ويدير اللورد برذرمير قسم البلاد المحايدة. ويدل على مقدار الخدم الجليلة التي اداها اللورد نورثكليف تهنئة المستر لويد جورج اياه بعد الحرب لتأثيره بدعوته الجوابة فى عقول الجماهير الالمانيه .

وكانت هذه الدعوى ترمي الى زعزعة الصلة المتينة التي تصل الامبراطورية الالمانية بالبيت الامبراطورى وبعض الاسرات المالكة الالمانية لتتوصل من هذا الأمر الى فصم عري الاتحاد الوثيق بين عناصر الشعب الالماني. وللوصول الى هذا الغرض اخذوا ينشرون آراءهم الوهمية عن صلح التصافي وحكم الشعوب انفسها بانفسها وتحرير الشعوب الصغيرة المستضعفة واحكام روابط الاخاء بين امم العالم . وينعون على العسكرية البروسية جفوتها ورغبتها فى التسلط على العالم وحبها الاشعبى للاستعمار وتحكمها فى رقاب العمال وارهاقها اسرى الحرب واستبدادها فى بلجيكا رفى بولونيا وليتوانيا .

ومن سوء الحظ ان هذه الدعوات المؤذية تهاطلت علينا من سائر الجهات فمن هولاندا الى سويسرا الى الدينمارك فالنمسا حليفتنا بالمثل واخيراً تساقطت علينا من اعلى الجو . والفت لدينا تربة خصيبة لاعداد الافكار للثورة المدمرة بما كان ينشره الحزب الاشتراكى المستقل قبل الحرب وفى خلالها من الآراء التى لا تتفق مع مصلحة المانيا . وجاءت الثورة الروسية ضغثاً على اباله . فنجحت انجلترا فى تلويثها افكار الالمانيين

بادارات اليأس والتذمر والهياج . وكان الاتفـاق واثقاً من نجاح دعوته ومنتظراً نشوب الثورة في المانيا لادراك الفوز النهائي وصرح احد كبار ساسته بان لا سبيل لتغلب الاتفاق على التحالف الرباعي الا بنشوب الثورة في المـانيا وأن نشوبها محقق في الربيع . وكان تصريحه هذا في اوائل ١٩١٨ .

ولم يخطيء بسمارك في قوله منذ ثمانين سنة : « أن مهنة انجلترا التي احترفتها منذ اعوام طوال هي استخدام الثورة ضد كل الدول الاجنبية اللواتي يعاديتها . » وهو انمـا يردد ماجاهر به الوزير كاينغ في مجلس العموم يوم ١٢ ديسمبر ١٨٢٦ اذ قال : « اذا انسقنا الى حرب فاننا نضم تحت راياتنا كل الماقتين والساخطين بحق أو بغير حق على البلاد التي نحاربها . »

فالاتفاق لم يتغلب علينا ولم يقهرنا ونحن في الحقيقـة كنا ننازل العالم اجمع وكانت قوانا كافيـة لادراك النصر النهائي الا أن انتشار دعـوات الاعداء الجوابة فتت في عضدنا واذا كان الحصر البحري قد كسر نطاقه بسيفنا الذي استطال على رومانيا فاننا في الواقع عجزنا عن التغلب على شر الدعوة المعادية .

— ٧ —

أن المستشار هو المسؤول عن تقوية الحالة الأدبية لدى الشعب الألماني على أن المعسكر العام الأكبر لم يتأخر عن تنوير الشعب [illegible] على حقيقة واجبه وان كان لم ينجح بالفعل من مطالبة المستشار رسميا ليقوم بالعمل اللازم لهذا الامر . ومن واجب المستشار أن يستأصل أسباب التبرم ولا سيما ابتزاز الأموال بالطرق المستنكرة في الشعب بالأثمان [illegible] والتي أصبحت [illegible] تسمم كثيرا من حياتنا الاجتماعية

فبعد إن كان الجندى المرابط فى خط القتال شديد القلق من جهة حلول غيره محله ذهبت من بين جوانحه تلك الرغبة الصادقة فى الذود عن الوطن . فلمتلافى هذا التطور المحزن كان من الواجب على المستشار بعد ضربه على أيدى المحتكرين أن يفهم الشعب ان الصلح الذى يرغبه لا يمكن الحصول عليه الا من عدو مقهور .

ان عدم حنكتنا السياسية هى التى أوقعتنا فى أشراك الألفاظ الجوفاء التى تسبى العقول . على انى ظللت اعلل النفس بعودة الشعب الالماني الى رشده وادراكه ما يراد به من وراء تلك الالفاظ الجوفاء والجمل المنمقة التى تلقى على اسماعه . ولكني كنت فى الحقيقة مخدوعاً لان الاحزاب السياسية استخدمت سذاجة الشعب الالماني فى مصالحها الخاصة التي آثرتها على الوطن . ولم يجد فقد العاطفة الوطنية من نفوس الاشتراكيين المستقلين ما يراجحه من تلهب الوطنية في نفوس ذوى اليسار . فطائفة الاغنياء مسؤولة عن انحطاط بلادنا . فالينبوع الذى تستورد منه جنديتنا قد كان معينه فبعد أن انحطت قيمة مستشارينا الذين تولوا أزمة الحرب عن قيمة اقرانهم المتسلطين كليمانسو ولويد جورج وشيلسون [illegible] وسائل المعسكر العام الاكبر التى اتخذنا لمحاربة دعوة العدو [illegible] فى داخل بلاد وفى البلاد المحايدة وافية بالمرام وصارت الصحافة أصدق مرآة للشعور العام بتمثيلها اختلاف الآراء [illegible] فى مظهر [illegible] الذين [illegible] مع حالة الحرب . فبعد الحماسة الشديدة التى استولت [illegible] ١٩١٤ الى الارتخاء فى غمرة الوطنى [illegible] تأسف [illegible] ذلك العام [illegible] الى [illegible] الشعب [illegible] السلطة الحكومية [illegible] بتحويلنا فكرة [illegible] الزائف [illegible] الشعب [illegible] امران لا يزالان [illegible] الحدوث . وأخذ [illegible]

للعقول السابحة فى لجج الاحلام راسمين لها المستقبل على شكل قمم ملتهمة من النضار ولم تكن الصحافة الالمانية متشبعة بروح الاتحاد المتشبعة به الصحافة المعادية لانها كانت بلا دليل ولا رقيب ففوضاها أضر على سير الحرب من عدم وجودها . على انني كنت كالمارجوت الصحافة ان تكتب عن الشؤون العسكرية ما تقتضيه الحالة حققت سؤلى وهذا يدل على انها كانت تحتاج الى مشرف عليها واني لاشكرها فى هذا المقام. وقد استفاد العدو فى نشر دعوته من الانباء الحربية التي كانت صحفنا تنقلها عن الجرائد المعادية والمحايدة رغبة منها فى اطلاع قرائها على كل نبأ نادر غريب

وفى ديسمبر سنة ١٩١٦ رأيت أن أتلافى عواقب هذا الاهمال بالرجاء من المستشار ان ينشيء ادارة تحت اشرافه ترسم للصحف الخطة المثلى . ووفقاً لطلب المستشار وجهت اليه باحد الضباط ليشترك مع مندوب من الاستشارة فى ادارة خطة الصحافة الالمانية الا ان هذا المشروع لم يؤد الى الغرض المنشود ومع ذلك فان قلم المطبوعات أدى فوائد لا بأس بها فى خلال الحرب وكان خير وسيط بين الصحفيين وبيني ولطالما لاقيتهم بالترحاب واعرتهم اذنا صاغية . انما يرجع عدم ادراكنا جميع مقصدنا الي تعدد اجزاء الصحافة من ساكسية الى وورتمبرجية الى بافارية واهتمام كل منها بمصلحة بلدها قبل كل شيء ويرجع بالمثل الى وقوع منازعات جمة بين محررى الصحف وناشريها ، والى تخلى وزارة الحربية عن رقابة الصحافة فى سنة ١٩١٧ .

وقد ادت الصحف العسكرية التى انشأناها فوائد جمة واشتهرت بعضها لدى الاعداء بصدق انبائها وصواب آرائها. وعلى كل حال راقبنا الصحف المراقبة التى مكنتنا من موالاة الحرب الى خريف ١٩١٨ .

ولكن حليفاتنا لم تقتد بنا ولا سيما النمسا وصار اسم المانيا يذكر

بما لا يليق به فى تلك البلدان التى اريق لاجلها الدم الالمانى الزكى .
واخيرا نظمت دعوتنا العسكرية فى البلاد الاجنبية فروعاً لها فى الدول الحليفات .

—٨—

يجب ان تتقدم الدعوة المحكمة تنفيذ المشروعات السياسية وتكون رائدها فى انتشارها . فقبل أن تبرز الآراء السياسية الى حيز الوجود ينبغى التمهيد بافهام العالم ضرورتها وفائدتها الادبية . الا اننا لم نكن نتبع هذه الطريقة قبل الحرب حتى اننا لم نسع فى ايجاد صحف كبرى لنا تكون موضع اهتمام العالم كالتيمس فى انجلترا والطان فى فرنسا والنوفوجى فريمجا فى الروسيا . وعلى ذلك أصبحنا فى مؤخر الدول الكبرى من هذه الوجهة . وحينما وصلت الى المعسكر العام الاكبر لم اجد سوى ادارة صغيرة لاتستحق ان يطلق عليها اسم نظام الدعوة الجوابة .

وفى صيف ١٩١٦ طلب المعسكر العام الاكبر من المستشار تنظيم ادارة حقيقية لنشر الدعوة . وبعد التغلب على بعض المعارضات ولاسيما ما كان مصدره وزارة الخارجية انشئت تلك الادارة . ومع انها كانت تابعة للوزارة المذكورة التى تتولى الانفاق عليها فان المعسكر العام الاكبر تولى اعمال هذه الادارة من غير ان تبدي وزارة الخارجية تبرماً أو احتجاجا .

وقد اهتم الكولونيل فون هايفتن بأمر نشر الدعوة في البلاد المحايدة وابتكر لانجاح عمله عدة وسائل ومشروعات فى غاية النفع . وعلى الرغم من محاذرة الاعداء البالغة فقد امكن نشر الدعوة فى فرنسا وايطاليا من هولاندا وسويسرا واسبانيا . غير أن حكومات الاعداء كانت شديدة الحذر فلم تدع دعوتنا تصيب حظها من الانتشار بل شرعت تخنق كل فكرة وكل صيحة بمجرد ظهورها . وكذلك اخذنا ننشر دعوتنا فى جبهات

القتال . فاما فى الجبهـة الروسية فكانت الحالة من تلقاء نفسـها غير داعية الي ترويج الدعوة لسقوط الروسيا من تلقاء نفسها . واما في الجبهة الايطالية فقد نجحت بعض النجاح ، ولكنها لم تنجح فى الجبهة الفرنسوية.

وكان اهم ما جنح اليه الكولونيل فون هايفـتن نشر الدعوة بطريقة المحادثة فتتناقل الافواه الموضوع المرغوب اذاعته بدون أن يعرف مصدره ونجحت هذه الطريقة نجاحاً باهرا . ثم نشرت الدعوة بواسطة الصور وبواسطة اشرطة السينماتوغراف. ثم انتشرت بطريقة اعـلانات مكتوبة بايجاز و باحرف كبيرة وبلصق اعلانات من هذا القبيل . وأخيرا اذيعت الدعوة بواسـطة الصحف والنشرات والخطب والمحاضرات . على أن تأخرنا فى نشر دعوتنا ومبالغة اعدائنا فى الحذر لم يمكنانا من ادراك كل مقاصدنا بواسطة ترويج دعوتنا

-٩-

لقد ظل الجيش حتى انتهاء خريف سنة ١٩١٦ وهو فى حالة حسنة وقوته عظيمة لان الجيش يستمد دائما عزيمته من مجموع الشعب . ولبثت الامداد تصل اليه تباعا فلم نقتصر على استخدامها فى سد ابواب النقص بل لقد الفنا منها وحدات جديدة بالمثل . واستمر ورود البريد والصحف بانتظام الى الجيش ولم تمنع من الجرائد عنه الا [illegible] منها الى الحزب ا الاشتراكي الديمقراطي المستقل .

وادخلنا تغييرات كثيرة فى انظمة الطيارات والآلات والطرق واقتضت الحاجة الى ايجاد وحدات جديدة .

[illegible] سلاح الطيران بعد الانتظام فتمكنا من [illegible] الحلقات [illegible] حتى تم لنا التفوق على العدو فى ميدان الجو واضطررنا

الى الاكثار من اسلحة مقاومة الطيارات ونشرناها في الجبهات وداخل بلادنا فدعانا هذا التحوط الى اختصاص عدد كبير من مقاتلتنا بمشروع مقاومة الطيارات المغيرة

وارغمتنا حرب الخنادق الى الاستغناء عن اكثر فرساننا فألفنا منهم وحدات من الرماة وأوقعنا طول الحرب في أزمة خيول شديدة لان ما استقدمناه من جياد الاقطار المحايدة والبقاع المحتلة لم يكد يسد أبواب النقص المتوالى

واتبعنا في احتفار الخنادق وانشائها فى الغرب طرقاً حديثة ، اما في الشرق فبقينا محتفظين بخنادقنا القديمة . وأخذنا نعد الجيش للمعارك الدفاعية المقبلة بابتكار خطط حديثة لم تكن معروفة من قبل، واتخذنا من التجارب التى استخلصناها من معارك السوم قواعد لهذه الخطط . وكان القائد ارينرفون بيلوف أول من شرع فى تنظيم الجيش وتدريبه على الخطط المبتكرة . وعممنا هذا النظام الجديد فى جيوش حلفائنا بالمثل . الا ان تدريب الجيش النمسوى سار ببطء شديد . فأما الجيش البلغارى فكان نافراً منا ومع ذلك فقد نظمناه بقدر المستطاع . واما الجنود العثمانيون الموجودون فى غاليسيا ورومانيا فقد نجحنا فى تثقيفهم وتعليمهم الانظمة والتدابير العسكرية الحديثة أعظم نجاح . وكذلك نجح ليمان باشا فى ترقية الجنود الذين تحت قيادته ، اما الفرق العثمانية الموجودة فى الميادين الشرقية النتائية فكان حظها بقاؤها على ماهي فيه من الانحطاط .

ولم يكن التطور الذى أصاب نظام الجيش الالماني مقصوراً على خططه وانظمته فقط بل أدخلنا تعديلاً كبيرا فى ترتيب الوحدات وتقدير جنودها ليكون كل رئيس وكل ضابط قادراً على ادارة القوة الموكولة اليه .

وكان أشد مالقيناه من المصائب في هذه الحرب فقد الضباط

بكثرة تدعو الى الحزن الشديد والى القلق العظيم ، فان معظم اولئك الابطال متخرجون قبل نشوب الحرب وكانت العادة تقضى اذ ذاك بان لا يتولى رآسة البلوكات الا الضابط الذى يقضى فى خدمة الجيش من ١٢ الى ١٥ سنه. فاغلب اولئك الذين توسدوا الثري وتغطوا بالحشائش والاعشاب كانوا من التجارب والمراس بدرجة تجعل فقدهم خسارة لا يمكن تعو يضها. وهذا ما الجأنا الى اسناد رآسة البلوكات الى ضباط أحداث قريبي التخرج من المدارس الحربية ، فكثرت الشكاوى من الكثيرين منهم فى بادىء الأمر الا أنهم لم يلبثوا أن تدربوا على وظائفهم.

ولا انسي أن اذكر هنا ضباط الصف الذين ادوا في الملاحم الكبرى وظائف الضباط وابدوا من الكفاءة لقياده الجنود في أحرج المواقف ما يستحق الاعجاب به والثناء عليه .

أما الجنود فقد تخطوا نصف مدة الحرب وهم قائمون بواجبهم الوطنى خير قيام . فكان من الواجب مضاعفة العناية بهم لتجديد قواهم الطبيعية التي انهكتها كثرت الاعمال وموالات القتال . وللوصول الى هذا الغرض شرعنا نلتمس لهم اوقاتاً يرتاحون فيها وان كانت الراحة في الحرب عزيزة المنال . وعنينا بتوفير مآ كلهم وتنويعها وتحسينها كما اهتممنا بسكناهم واخذنا نبحث لهم عن الاثاث اللازم لهم فلم نجد المقادير الكافيه في البقاع المحتلة فادرنا ابصارنا الى داخل بلادنا ، ولذا كان الجنود ينقلون اثاثهم معهم حيثما ذهبوا . واخذنا نوفر لهم أسباب الانشراح والسرور بجعل الموسيقات العسكرية تطرب اسماعهم كل يوم باطيب الانغام واكثرنا لهم دور الصور المتحركه . وان هذا لأقل ما يستحقه الجندى الباسل من عنايتنا به جزاء سخائه بدمه وروحه بشجاعة متناهية في سبيل الذود عن الوطن المقدس .

—١٠—

ان اهتمام التحالف الرباعي باستخدام كل العناصر القابلة للاقادة فى الحرب الكبري جعله يفكر فى استخدام قوى بولونيا المحررة بفضل هذا التحالف من نير التحكم الروسى . وبالطبع انني استقبلت هذه الفكرة بالتحبيذ والسرور فى باديء الامر لان الحالة التى وصلنا اليها فى خريف سنة ١٩١٦ فى الميدانين الشرقي والغربي كانت تجعلنا نفكر فى الاستعداد لحرب طويلة المدى باهظة العبء

وحينما قدمت الى المعسكر العام الاكبر علمت بوجود اتفاق مبرم بين الفون بيتمان هولويج والبارون فون بوريان وزير خارجية النمسا تاريخه ١١ اغسطس سنة ١٩١٦ وهو مبرم فى فينا ومقتضاه تحرير بولونيا وجعلها مملكة مستقلة دستورية ذات حكومة قائمة على حدة ولكن قيادة جيشها العليا موكولة الى المانيا

وكان القائد بيزلر حاكم بولونيا انعام المحتك يسبح به الخيال فى لجة من التصور فيعتقد ان مجرد اعلان استقلال بولونيا وتأليف جيش وطني لها يساعدنا أعظم مساعدة على استخدام هذا الجيش في سبيل التفوق العددى . وكان يذهب الى امكان حشد أربع فرق أو خمس فى أول الامر وهذا القدر كاف لان يكون نواة للقوة العظيمة التى يمكن استدرارها من بولونيا . ولكن الايام اظهرت للقائد بيزلر ان الاعتماد على البولونيين خطا وان حلمه بعيد عن التحقيق

وفي الحقيقة ان المسألة البولونية اخذت تتعقد من خريف سنة ١٩١٦ فمن جهة بدأت مطالب النمسويين فى بولونيا تتضح بجلاء . ومن جهة أخرى أخذ البولونيون يغيرون وجهة نظرهم باعتقادهم انهم لن ينالوا استقلالهم الا

بواسطة دول الاتفاق ، وهذا التطور الذي طرأ على بولونيا جعلني اعارض في تكوين الجيش البولوني وفي تنفيذ ماتضمنه منشور التحالف الرباعي المعلن استقلال بولونيا . بل لقد أصبح المعسكر العام الاكبر يرى في تحقيق هذين الأمرين خطرا كبيراً على المانيا . واهتاج الرأى العام الالماني لنبأ تحرير بولونيا وتأليف جيش خاص لها وظن انني المحرض على هذين الأمرين فطلبت من الحكومة أن توضح الحقيقة الا أنها لم تفعل .

على أن الانصراف عن تأليف الجيش البولوني الوطني لم يحل دون استخدام العناصر القابلة للافادة في بولونيا فقد جندنا العمال البولونيين واستخدمناهم في الجبهة وفي الاعمال اللازمة لاستثمار بولونيا أو في الاعمال التي تتطلب الايدي العاملة في داخل المانيا فبولونيا افادتنا كثيراً على الرغم من عدم ثقتنا بابنائها وعلى الرغم من تعقد مسألتها ومن الدسائس المحدقة بها .

انتهى الجزء الاول ويليه الجزء الثاني

تحت الطبع | يظهر قريباً

الشعراء الثلاثة

شوقي مطران حافظ

للكاتب البليغ والاديب الشهير

حسن افندى السندوبى صاحب جريدة الثمرات

غرائب الغرب

كتاب تاريخي اجتماعي أدبي

تأليف محمد كرد علي صاحب المقتبس

الانتقام

معربة بقلم الكاتب الشهير السيد مصطفى لطفي المنفلوطي

تطلب هذه الكتب من المكتبة التجارية بأول شارع محمد على بمصر

وبأول شارع الجداوى باسكندرية

طبعت قائمة الكتب التجارية لسنة ١٩٢٣ وترسل مجاناً لكل من يطلبها

مذكرات لودندورف

الجزء الثاني

تاريخ حياة الفيلد مارشال لودندورف وأعماله في الحرب الكبرى



وضع الفيلد مارشال الفون اريخ لودندورف

عربها — احمد رفعت — الجزء الثاني

تطلب من المكتبة التجارية بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها مصطفى محمد

مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر لصاحبها حسين علي

مذكرات لودندورف

تاريخ حياة القائد مارشال لودندورف وأعماله في الحرب الكبرى

SOUVENÌRS DE GUERRE

وضعها

اريخ لودندورف

رئيس المعسكر العام للجيوش الألمانية

وعربها

أحمد رفعت

تطلب من المكتبة التجارية بأول شارع محمد علي

لصاحبها : مصطفى محمد

الجزء الثاني

مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر

— ٢ —

هجوم الجيوش المتفقة في أول سبتمبر سنة ١٩١٧

— ١ —

كيفما ضاعف العدو مجهوده في ساحة الأعمال الحربية الشرقية فقد كان من الواضح أننا سنقوم في الميدان الغربي في سنة ١٩١٧ بأقصى الوقائع الدفاعية . ولقد صار نظام القيادة في الجبهة الشرقية بسيطاً ، ولم تعد لنا حاجة الى مطالبة القيادة العليا النمسوية المساعدة الوقتية التي كانت الحاجة ماسة اليها أثناء الحملة على رومانيا . وأصبح من اللازم الآن ارسال فرقة س . أ . الى الجبهة الغربية ، واقترحت أن يتوطن معسكرنا العام الجديد في سبا أو في كروزناخ : فصار العدول عن سبا ، وبدت ميزة كراوزناخ في وجودها عند ملتقى خطوط تليفونية وتلغرافية عديدة متجهة نحو الجبهة وضمنت لنا الفنادق والغرف المأجورة في بيوت الأمراء خيرة المأوى المنشودة ، فصدر الأمر باعداد الشؤون اللازمة في كراوزناخ لحلول المعسكر العام الأكبر بها في النصف الثاني من فبراير على وجه الاحتمال . وفرضنا من قبيل الاحتياط امكان عودتنا الى بليس .

وقد انتقلت هيأة أركان حرب النمسا الى باد على مقربة من فينا .

وقد ابتدأت في أول فبراير ١٩١٧ حملة طراداتنا الغائصة ، وظهر لنا بعد مدة وجيزة أن لا حاجة لنا الى اتخاذ وسائل خاصة تجاه هولاندا والدانيمارك . فأركان الحرب والجنود الذين كانوا مخصصين لهذا الأمر

صاروا على استعداد للذهاب الى الجبهة الغربية .

وكان لابد من توقع استمرار هجوم السوم الانجليزي في هذه الجبهة ، وربما شوهد ممتداً نحو الشمال ومن الممكن إكماله بوثبة فرنسوية مابين رواي ونوايون ، إلا أن الذي هو أكثر احتمالاً هجوم الجيش الفرنسوي على طريقة خريف ١٩١٥ في جبهة سواسون ، ريمس ، أرجون ، فان ميزتها من الجهة العملية الحربية واضحة : فان قوى الدول المتفقة تحدث بهذا الهجوم في أحوال موافقة جداً ضغطاً على جانبي الثغرة التي تكون جبهتنا في خطوط الأعداء . على أنه من المستحيل تعيين نقط الجبهة التى سيتجه اليها أهم شطور الهجوم الفرنسوي ، ومن الواجب توقع وثوب ثانوي على رواي ، وقد استدعت بعض الأنباء أنظار النظر الى جبهة الالورين وجبهة سوندجاو اللتين لم يبد نظام مواقعنا فيهما تقدماً محسوساً . ولم نكن متمتعين بالراحة والهدوء في هذا القطاع الأخير ، ففي كل آونة تحدث أعمال حربية محلية ويلاقي ارسال التجدات الى تلك الجهة عقبات هائلة . وكذلك جرى الحديث عن فردان المتوقع وثوب الفرنسويين فيها . وأخيراً دار الكلام حول امتداد الهجوم الانجليزي الى الشمال . والخلاصة انه صار من المحتم علينا الاستعداد في سائر أنحاء الجبهة للقيام بمقاومة عنيفة ، فالموقف اذن في منتهى الغموض .

ولابد للوقائع من التتابع في جبهة الايسونزو ما دامت تريستا الغرض الذى تنشده ايطاليا . ومن المؤكد حدوث هجمات في مقدونيا وعلى نهر الفاردار ، وكذلك في تركيا سواء أفي فلسطين أم في بغداد . وأخذت أتوقع الآن من جهة الشرق هجوماً آخر في الجنوب على الجيوش النمسوية . فقد راعنا في آخر يناير وثوب الروسيين فجأة في اتجاه ميتاو ، وسرعان ما

تجمعت له قوانا الاحتياطية ومكنتنا من صده .

ولم يتيسر بعد تعيين الوقت الذي سيحدث فيه الهجوم العظيم . أما في الجبهة الشرقية فلم يكن من المتوقع حدوث الوثوب قبل ابريل . ففي ١٩١٦ ابتدأ الهجوم الروسي الكبير في مارس فأصيب بصدمة قاسية من اكفهرار الجو ومن سوء حالة الأرض . فمن المنتظر الا يعاود الروسيون أية محاولة في مثل هذا الوقت العبوس ، وكذلك ينتظر ان تترقب جيوش الائتلاف فرصة صفاء الجو للهجوم في الجبهة الغربية . إلا أن الحالة كانت من الحرج على السوم في درجة قد تحملنا على التفكير في الهجوم قبل الاوان

ان الحالة العامة كانت تضطرنا الى حمل العدو على ارجاء هجومه الذي ينوي القيام به على الجبهة الغربية الى أبعد ما يمكن من الزمن ليتسنى لحرب الغواصات انتاج مفعولها المنتظر . وتزيد هذا الرأي رجوحاً اعتبارات خططية وقلة المؤن والذخائر . وبتقصير جبهتنا سنحصل على خير مجموعة من قوانا وتتواجد لدينا قوات احتياطية جسيمة جداً . اننا نواجه بمائة وأربعة وخمسين فرقة من جنودنا في بلجيكا وفرنسا ١٩٠ فرقة من جنود الاعداء ، وشطر من هذه الفرق الاخيرة أعداد عساكرها أكثر من أعداد فرقنا ، فمثل هذا التفاوت في القوى مع اتساع الجبهة جعل موقفنا سيئاً جداً . ومن جهة أخرى يجب وقاية بعض أجزاء الجبهة بقدر ما يتيسر من الوقت الطويل من هجمات الاعداء العظيمة بتعجيزهم عن نقل الجنود بمقادير جسيمة في هذه القطاعات . والنتيجة ان هذه الحركة المقتضى القيام بها يجب أن تمكننا من احتلال مواقع تيسر للفرق الضعيفة التعبة من مواصلة القتال المحتم بشيء من الراحة . فهذه الاعتبارات (مضاف اليها ابتداء حرب الغواصات) هي التي حملتنا على التخلي عن الفجوة التي

— • —

تتكوّن منها جبهتنا في خطوط الاعداء ، وعلى الانثناء الى موقع سيجفريند وكان لابد لهذا الموقع أن يغدو مستعداً في مستهل مارس . وكذلك شرعنا في تنفيذ خطة التدمير المنوي في بقاع عديدة ممتدة امام المواقع الجديدة على اتساع ١٥ كيلومتراً

وقامت مجموعة جيوش الأمير الوريث روبرخت بأعمال الاخلاء والتدمير واتمتها في خمسة أسابيع وكنا على استعداد لان نبطل العمل في كل وقت يفاجئنا العدو بالهجوم علينا فيه ونواجه الهجوم بما يقتضيه من الدفاع : الا أن الأمر الجوهري لنا هو تجنب الدخول في معركة بقدر مانستطيع وكان من الواجب فضلا عما تقدم ذكره انقاذ كل المهمات التي لم نستطع اخفاءها في جوف الثرى والمواد الأولية الضرورية للحرب ، واتلاف خطوط المواصلات والاماكن والآبار ، وكل ذلك لاجل منع العدو من ارساخ أقدامه بسرعة شديدة في الموقع الجديد بقوات عظيمة . على اننا منعنا تسميم الينابيع

وكان هذا الارتداد مشروعاً خطراً ، لانه يتضمن اعترافاً بالضعف مؤدياً الى تقوى حالة العدو الادبية والى استيلاء الفتور على هممنا ، بيد أن الضرورة العسكرية قضت بهذا الحل . وقد أزفت ساعة العمل . ولم تنكف نحن الاثنين القائد فون كوهل وأنا عن مواصلة التخابر لانهاء هذه المسألة . ووافق القائد الفيلد مارشال وصاحب الجلالة على مشروعات الاعمال الحربية ، وفي ٤ فبراير صدر الأمر بالتنفيذ ، وكان يوم ٩ هو أول أيام البرنامج . وتحدد يوم ١٦ مارس لحركة التراجع ، الا أن أي ضغط من العدو في أية آونة قد يجعل هذا الانثناء يتقدم عن الوعد المضروب له ، وفي مثل هذه الحالة نفقد كثيراً من الادوات وتصبح أعمال التدمير

الجارية في طريق الحركة العسكرية عرضة للاخفاق . وكان الليتنان كولونيل نيقولاى مكلفاً في الوقت نفسه بتضليل العدو بواسطة نقل معلومات عديدة غير حقيقية اليه . وكان هو والكولونيل فون هابفتن ملزمين بالتأثير في صحافتنا وصحافة البلاد الملتزمة جانب الحيدة لمنعها من نشر ما قد يكشف للعدو مقاصدنا. وكنت مختصاً باطلاع المستشار على مجرى الاعمال الحربية المنوية

وتمت أعمال التأهب للانثناء وفق البرنامج بنجاح تام. ونقلنا من البقاع التي أخليناها كنوزاً عديدة من البدائع الفنية لجعلها في مأمن من التلف في البلاد المحتلة طبقاً لقواعد الاتفاق المبرم في الهاي بشأن الحرب البرية ومما يدعو الى الاسف الشديد تدمير أملاك السكان ، بيد ان هذا مما لا يمكن اتقاؤه .وقد انسحب القسم الاعظم من السكان الى الجهة الشرقية ، واجتمع شطر طفيف منهم في بعض الجهات كنويون وهام ونيل وتخلفوا في هذه الاماكن مع مواد غذائية تكفيهم لعدة أيام . ولقد كان من الواجب منع العدو من اعداء قواه بأقصاء كل الرجال الصالحين للخدمة العسكرية أو لأي عمل تقتضيه الحرب ، الا انه صار من المهارة موافاته بقدر المستطاع من بالافواه التي يجب ملء مواضعها بمختلف الاطعمة

ولم ينقطع العمل الموصول على ضفتي السوم تأهباً للقتال . وفي مفتتح مارس تضاعفت أدلة العزم على مباشرة النزال في شمال السوم . وكذلك أخذت تشتد في شمال رواى مظاهر رغبة الفرنسويين في اتخاذ خطة الهجوم ولم أبحث فى أى من الفريقين الناشطين الى القتال استجرته حركات ارتدادنا الى اغتنام هذه الفرصة . ولقد كان من أعسر الامور على نفوس القواد ان يوفقوا حركاتهم مع التاريخ المبدئي المحدد للشروع في حركة التقهقر العامة . ومن جهة أخرى فقد كان من المتعذر القيام بحركة عامة

في وقت واحد ، ولهذا بدأ الارتداد في نقط من القسم الشمالي من الجبهة منذ يوم ١١ ، وفي نقط من القسم الجنوبي منذ يوم ١٣ اتقاء لهجمات العدو إذا استشعر بحركة التراجع العام التي بدأ يزداد اعتقاده في قرب حدوثها

وبدأت حركة الانثناء الكبرى في يوم ١٦ وفاقاً للخطة المتفق عليها وحدثت دفعة واحدة على عدة قفزات متتالية

وحاولت الفرقة س ا بقدر ما في وسعها أن تتجنب الدخول في التحام إلا انها وقفت على قدم الاستعداد لتمكن الجنود المتراجعة من أعداد المراكز التي ستشغلها في سيجفريد قبل أن يتوصل العدو اليها بقوى متفوقة . وقد شغلت بعض قطاعات المواقع الجديدة بفرق أخذت من القوى الاحتياطية والبعض الآخر بالفرق التي أتمت من قبل حركة الارتداد ومع كل ذلك فقد تقرر من قبيل الاحتياط مهاجمة الجنود الفرنسويين في جنوب سان كنتان عند اجتياز السوم وقناة كروزا ، على ان هذه المهاجمة التي كانت مشوبة بالفتور لم تؤد الى نتيجة قيمة . ولقد بحثنا في المعسكر العام الاكبر مسألة الشروع في هجوم عام على الجبهة الفرنسوية الكائنة في موقع سيجفريد بجنود ولي العهد روبرخت وارتأينا من الاوفق الحصول على نجاح عسكري فني يزيل ما علق بالاذهان من جراء تراجعنا الذي حمل على محمل الضعف . الا أن جنودنا المتأهبة للقتال وحالة الجنود عامة جعلت هذا المرام صعب المنال بسبب عدم صلاح الارض لسير عدد عظيم من الجنود التعبة فيها واشتباكهم بعد ذلك في وقعة تكون مضمونة النجاح . وكذلك عدلت فرقة س . ا . عن القيام بكرة من الطراز العظيم سواء أكان عدولها في مصلحتنا أم كان مناقضاً لها

وتتبعت جنود الدول المتفقة جنودنا عن كثب اثناء حركة الانثناء

وكان يتمثل لها أن هذه الحركة فوز باهر ، الا اننا كنا قد أعددنا الصحافة بمهارة فائقة لهدم اقناعتهم هذه الفكرة . وفي الواقع ان دول الاتفاق لم تصب أقل فوز من جراء هذا التراجع . وأفلحت أنباؤنا التي نشرناها في منع جنود الأعداء من عرقلة أعمال الاخلاء والاتلاف . وعلى كل حال فقد كانت هذه الحركة عملا عسكرياً بديعاً يشهد بكفاءة أركان الحرب الالمانية وبصرها بالعواقب . وذلك لأن هذا الاختصار في الجبهة جعلها أمنع من الاول وأصلح للدفاع والهجوم ، وقضت هذه الخطة على مشروعات الخصم المدبرة من قبل . فوجهات الهجمات التي كان متخيرها لم تعد صالحة للعمل والبقاع التي تخلينا عنها لا تجديه أقل نفع . ولكي تصبح هذه الاراضي صالحة للاعمال الحربية كان لابد له من اصلاحها واعدادها لمشروعاته الحديثة بهمة عظيمة . ولهذا السبب لم تبد سوى مقادير طفيفة من جنود العدو امام جبهتنا الجديدة . فاستطعنا نحن بالمثل أن نقلل من جنودنا فنجعلها بنسبة القوي المائلة امامها ونسحب عدة فرق . فنجحنا في الغرض الذي انثنينا لاجله . وظل أثر هذا النجاح الباهر محسوساً مدة طويلة وحصلنا منه على فوائد عظيمة جداً . وكنا نود لو وجدنا كثيراً من أمثال موقع سيجفريد بما فيه من ميزة المناعة . وبهذا العمل سهلت مهمتنا في عام ١٩١٨ الى حد عظيم الا أن عمل اليد لم يكمل عمل الفكر والميزة التي جادت بها الطبيعة على هذا الموقع ، وزيادة على ذلك فان دخول سيارات التانكس التي تجتاز أعظم العوائق وأوسع الخنادق في دور العمل قللت من قيمة هذه المواقع الى حد عظيم

ومن سوء الطالع أن أعمال التدمير واخلاء الجهات من السكان جلبت علينا تهما شنعاء من جانب الدول المتفقة فوصمتنا بالهمجية وعرضتنا لمصنع

أقاويلها واختلاقاتها . وان هذا العمل لمن حقها . غير اننا لم نفعل سوى ما تقتضي به شريعة الحرب غير ذاهبين بعيداً الى المدى الذي ذهب اليه الطرفان المقتتلان في حرب الانشقاق (أمريكا ١٨٦٠) . وفي سنة ١٩١٤ اقتصرنا على اتلاف الخطوط الحديدية في البقاع البولونية عند تقهقرنا لاعتقادنا بأن هذا العمل كاف بالنظر لطول المسافة واتساع تلك البقاع . وأما هنا فلقصر المسافة بدرجة عظيمة كان لا بد من تعطيل وسائل التسهيل في الاراضي المتروكة . وكانت الحالة مساعدة في بولونيا على ترك الاهالي في أماكنهم ، أما هنا فلمقتضيات انسانية ولوسائل دفاعية شرعية اضطررنا الى أقصاء الاهالي عن أماكن القتال . وهل كنا نستطيع أن ندعهم يهلكون في الاماكن المدمرة ؟ فكل الطرق التي اتبعناها كانت من مقتضيات الحرب فقط . وفيما عدا هذه المقتضيات كان رائدنا في أعمالنا مبدأنا الانساني .

ان منزلتنا السامية تأبى علينا أن نزيد مصائب المحزونين بقسوة لا مبرر لها ووسائل جافية . وأن هذه لم تيره خلقنا الكريم . ولم يك يحملنا على اتخاذ بعض وسائل الشدة سوى المحافظة على سلامة اجراءاتنا العسكرية وبالاخص مكافحة التجسس

— ٢ —

ومن رأيي أن احدى نتائج انثنائنا تحويل الهجمة الانجليزية التي كانت منوية في أواخر مارس الى الجهة الشمالية من الجبهة البريطانية . ومن الصعب التنبؤ بمكان الهجوم ، إلا أن الظواهر دلت على انه ينتظر الوثوب من جانب آراس .

قمنا في أواسط فبراير ١٩١٧ بعمل حربي موضعي في ساحة وقائع

شامبانيا التي جرت في سبتمبر ١٩١٥ بقصد تحسين مركزنا فتكلل عملنا بالتوفيق . فوجدنا بين الغنائم أمراً موجهاً الى الفرقة الثانية من المشاة بتاريخ ٢٩ يناير يعلن بوضاحة العزم على القيام بهجوم فرنسوي عظيم في جهة الأين أثناء شهر ابريل . فكان هذا خير مرشد الى عدم الاهتمام بالأنباء القائلة بقرب حدوث هجمات في اللورين وفي سوندجاو

أن مصادر الاعمال اليدوية المتوفرة لدى دول الاتفاق فلم تكن كافية لتنظيم الشؤون العسكرية في فردان فقط بل كانت كافية بالمثل لتنظيم قسم كبير من الجبهة ، فقد أكمل ناهيب عدة قطاعات وأعدادها للهجوم (بخطوط المواصلات ومخازن الذخائر) . فصار من الميسور لها اتخاذ خطة الهجوم في أقصر وقت في أية نقطة من نقط الجبهة بدون الاحتياج الى أعمال جسيمة تنبه الخصم الى مقاصدها . ولم تكسبنا الصور الفوتوغرافية التي التقطها طيارونا من أعلى الجو مشتملة على مناظر استحكامات الاعداء واستعداداتهم سوى بيانات عادية جداً عن مقاصدهم .

وكانت الجبهة الفرنسوية الممتدة بين فايي على الأين والارجون في منتهى التنظيم والاحكام حتى أن الأعمال التمهيدية للهجوم لم تكن لازمة لها في خلال الهجوم الذي قمنا به في سنه ١٩١٨ أمكننا أن ندرك قيمة الاعمال التي تم اجراؤها في جنوب الشيمان دي دام ، اذ كان القيام بها على ما لاح لنا فيما بين ١٩١٥ — ١٩١٦ ، وربما كان الجيش الفرنسوي يريد الوثوب في هذا القطاع أثناء ١٩١٦ وحال دون تحقيقه هذا الغرض الهجوم الألماني على فردان .

وتحسن موقفنا في الساحة الغربية ، إلا أن ذكرى وقائع السوم وفردن كانت لا تزال مؤثرة في الأذهان . وكذلك تحسن نظام القيادة فأصبحت مجموعة

جيوش الامير الوريث روبريخت متضمنة الجيوش الرابع والسادس والأول والثاني منتشرة ما بين المانش والغرب ومجموعة ولي عهد المانيا المحتوية على الجيوش السابع والثالث والخامس تجيء من بعدها وتمتد الى الاورن غرب فردن . وتجيء آخر المجموعتين المتقدمتين مجموعة القائد القليد مارشال الدوق البيرت الورتمبرجي الذي نقل قيادة الجيش الرابع الى القائد سيكست فون أرنيم ورئيس أركان حربه القائد كرافت فون ديلمنسينجن . وظهر أن ترتيب هذه المجموعة اصلح مركزنا في جبهة الألزاس واللورين .

ولقد مكننا تقصير الجبهة ما بين أراس ولاون من رفع أركان حرب الجيش الأول من هذا القطاع وادماجه في مجموعة جيوش ولي عهد المانيا على جانبي ريمس بين الجيشين السابع والثالث وان هذا العمل لفي منتهى الخطارة لأن نقل أركان حرب من جهة الى أخرى مشروع جسيم ولا سيما لما يترتب عليه من التعديلات الواجب ادخالها على نظام المراحل القائم عليه الجيش . ولا يمكن احداث مثل هذا الأمر بالسرعة الضرورية من غير تعرض للخطر الشديد . وأملت أن تتوطن هيأة أركان الحرب المذكورة بمعسكرها العام في رتيل قبل اشتداد وطأة الهجوم الفرنسوي الموجهة الى مجموعة جيوش وريث التاج الالماني التي بدت طلائعها .

وبفضل هذا التراجع المطلق عليه اسم (تراجع البيريخ) تهيأت الجيوش مدة شهرين يستريحون وينمون تعلمهم وعومهم في خلالها ، وفي هذه المدة امكن تجهيز عدد وفير من الجنود ، الا أن عدة فرق من مجموعة جيوش الامير روبريخت كانت لا تزال تعبة . ولقد أحدثنا في تعليم الجنود نظاماً جديداً . ووضعنا التشكيلات المستجدة في قطاعات هادئة ، والتشكيلات الاخرى كانت على وشك اللحاق بها . ووصلت الى بلجيكا عدة فرق

مسحوبة من رومانيا : واستبدلت فرقة س . ا . والالايات التعبة المقيمة في الجبهة الغربيـة بالايات جديدة منتعشة قادمة من الجبهة الشرقيـة على الرغم من الضعف الذى نجم عن انتزاعها في تلك الجبهة .

واستمر العمل بجد في تشييع المواقع المستحكمة : وقد توفرت الايدى العاملة على أثر الانتقال الى موقع سيجفريد فصار توزيعها خلف الجهات المهددة بالهجوم من جميع الجبهة ، وعهد اليها الاسراع في انشاء مواقع الارتداد ، وتحسنت حالة تموين جيوشنا بالذخائر الحربيـة ، وبفضل الاقتصاد في استعمال الذخائر صارت لدينا منها مقادير عظيمة مخزونة في كل مكان . وقد ضمنت لنا عهد سـلامة وطمأنينة على شرط أن لاتطول مدة الوقائع التي ستحدث في الجبهتين الى حد تستنفد المتوفر لدينا من الذخائر وأخذ برنامج هندنبورج يتحقق شيئاً فشيئاً إذ صارت الجيوش على تمام الثقة من وصول الذخائر اللازمة اليها مقدماً قبل دخولها في المعارك .

وشملت السكينة الجبهة الايطالية . وردينا هجمات العدو في مقدونيا مكبدين خسائر جسيمة في موناستير وفي منعطفات سيرنا .

وأدى تحسن الجو في البـلاد الاسيوية العثمانية الى عودة النشاط الى الاعمال الحربية ، إذ ما كاد الانجليز ينتهون من التأهب حتى باشروا الهجوم وبفضل همة الكولونيل فون كرنش امكن ردهم على أعقابهم في فلسطين . أما فيما بين النهرين فقد ظهر في الحال أن الجنود العثمانيين المحتشدين في الطرق في العراق غير قادرين على المقاومة . فسقطت كوت العمارة يوم ٢٥ فبراير وفي ١١ مارس احتل الانجليز بغداد ، واعتبر هذا الاحتلال خسارة كبرى لحقت بالدولة العثمانية وأدى هذا الخسران الى اخـلائها الجهات التي كانت تشغلها من الحدود الفارسية . وعلى أثر هذه الحوادث رجا أنور باشا من

المعسكر العام الأكبر الالماني لن يضع تحت تصرفه هيأة أركان حرب مجموعة من الجيوش مصحوبة بفيلق الماني كمدد للجيش العثماني لأجل استرداد بغداد . وكان لا بد لاتمام هذا المشروع الحديث من قضاء بضعة أشهر في الاستعداد له ، وذلك لأن نظام المراحل كان ضروريا قبل وصول الجنود. وأدى انتهاء نفق أمانوس وخطه الحديدي العادي في يناير ١٩١٧ وقرب افتتاح الخط الحديدي الضيق المار من نفق طوروس في الخريف المقبل واستعداده لجميع أنواع النقل الى تحسن المواصلات في آسيا الصغرى .
وبناء على ذلك أصبح مطلوب أنورباشا بلا التنفيذ . ففي استطاعتنا ارسال عدد قليل من الطوابير الألمانية الى تركيا تمكن قوى عثمانية هائلة من الالتحام مع الانجليز في وقعة تضطرهم الى تكبد أعظم هزيمة أصيبت بها قواهم المحتشدة في العراق . فأجاب المعسكر العام الأكبر الالماني أنورباشا الى سؤله ولو على غير ارادته ، وتخير له القائد فون فالكنهاين ليتولى قيادة مجموعة الجيوش المهيأة للزحف . وبدأ وزير الحرب يعد الفيلق الصغير الذي سيوفده الى آسيا .

وكانت الحالة قد تحسنت في الشرق تحسناً عظيماً . ففي شهر مارس هبت ثورة أشعلت ضرامها دول الاتفاق فقلبت العرش القيصري . وانتقلت السلطة الى حكومة تتغلب عليها العناصر الاشتراكية بدرجة هائلة . ولا يعلم السبب الوجيه الذي حمل دول الاتفاق على ممالاة الثورة الروسية . فهل حسبت انها ازاء حركة عامة لا يمكنها تلافيها فأرادت أن تجتذب هذه الحركة اليها ؟ أم كان المقصود التخلص من القيصر الذي جعله خوفه من الانقلابات الداخلية اجنح الى المسالمة ؟ أم في طي الخفاء بواعث أخرى لم تزل مجهولة ؟ على أن هنالك أمر مؤكد وهو أن دول الاتفاق كانت تتوقع

أن تغنم فوائد عسكرية من وراء الثورة أو على الاقل اتفاق ما لا يزال الامل معقوداً بانعقاده . ولاجل هذا لم تحجم البتة عن مباشرة العمل على تشجيع الثوار . فضحت للقيصر الذى تسبب في اشهار الحرب ارضاء اصدقائه الدول المتفقة . لقد أظهر هذا العمل مقدار القوة التي لا حد لها المتشبعة بها الارادة التي لا تحجم أمام شيء ما في سبيل التصميم على احراز النصر . ولقد كانت هذه الدول تسلك نفس هذا المسلك لو أن ستورمر في ١٩١٦ كان حقيقة من أنصار ابرام الصلح .

لقد طلعت الثورة على الروسيا بيوم باهر الاشعة ، إذ كان لا بد لحدوثها من انحلال الشعب والجيش في آن واحد . لقد كان الجيش بحت كما هو الحال لدينا قسماً من الشعب ، أو بالاحرى لم يكن الجيش والشعب سوى شيء واحد . ولطالما تمنيت حدوث هذه الثورة التي تخفف عنا اعباءنا الحربية التي كانت تتمثل أمامنا في صورة مفزعة على الدوام أما الآن وقد تم ذلك الانقلاب فقد شعرت بارتفاع ذلك الضغط الشديد عن نفسى . إلا انني لم أكن أستطيع أن أحسبه سيكون قبراً لقوتنا .

وكان من المستحيل معرفة الانفجار الذى سيحدث في الشرق والى أى درجة من الشدة سيبلغ ، وعلى كل حال فقد كان لابد من توقع هجمات جديدة ، غير أن الثورة أدت لسوء حظ الدول المتفقة الى تضعضع القوى الروسية الحربية بدرجة أضعفت قوى دول الاتفاق وهونت بدرجة عظيمة أعباء مهمتنا ، فاستطاع معسكرنا العام الاكبر أن يوفر مقادير جسيمة من الجنود والذخائر كما أنه استطاع أن يحدث تنقلات عديدة بين الفرق المتناثرة في سائر الميادين ، وصار من الواجب اعداد دعوة قوية تنتشر بين فئات الجيش الروسى في الحال لاشرابها روح السلم واستمالتها الى عقد

الصلح . ان الثورة الروسيه من الحوادث التي لا يمكن أي رئيس جيش أن يعتبرها بصفة مؤكدة من الامور الداخلة في دائرة حسبانه ، أما اليوم فأمثال هذه الحوادث أصبحت ازاء بصري من جمله الامور القابلة للتحقق والتي يجب أن أجعل لها فرضاً في دائرة حسابي

لقد تحسنت حالتنا في مجموعها ، وغدوت قادراً على التطلع باطمئنان الى الجانب الغربي . وكذلك حرب الغواصات أحدثت نتائج محمودة تخطت حد ما كانت تأمله الامارة البحرية فقلت الحمولة وتوالت الخسائر في البضائع المغرقة ولابد أن ينتج أثرها الفعال . وأطلقت مجلة الاقتصاد الانجليزيه في عددها الصادر في ٧ سبتمبر سنة ١٩١٨ على ربيع سنة ١٩١٧ لقب أحرج عهد مر على انجلترا منذ نشوب الحرب الكبرى وأدعى الجنود الى هلاكها وقد اضطرت دول الائتلاف الى استخدام رجالها وأدوات حربية في المعارك البحريه كانت تستخدمها في الحروب البرية الى هذا الحين ، وهي ظاهرة بدأت تزداد وضوحاً يوماً بعد يوم

وفي ٥ ابريل أعلنت الولايات المتحدة دخولها في حالة حرب مع المانيا وكانت الاسباب الجوهرية لهذا القرار انحلال الروسيا والنجاح الباهر الذي تكللت به حرب الغواصات ، والرغبه في زيادة الوسائل المخصصة لمكافحة هذه الحرب البحريه . وكانت الولايات المتحدة قد قطعت صلاتها السياسيه معنا منذ ٣ فبراير . فهل كان من المستطاع في المدة الكائنة ما بين هذين التاريخين الوصول الى اتفاق مرض بدون مساس المبادىء الاساسية لحرب الغواصات لا فلك ما كنت أشك فيه . وقد حركت محاولة وزير شؤوننا الخارجيه ابرام اتفاق حربي بين المانيا والمكسيك سخط الرأى العام الامريكي علينا ، فان هذا الوزير على الرغم من نصائحي اعد قانوناً

سرياً على طريقة قديمة العهد ومن السهل حل رموزها .

ويعد اشهار الحرب علينا بمدة وجيزة من قبل الولايات المتحدة هب العالم بأمره ضدنا ماعدا بعض حكومات قليلة التزمت جانب الحيدة كالشيلي والارجنتين على الرغم من شدة الضغط عليها . وقد أعلنت دول التحالف الرباعي خلا بلغاريا انها في حالة حرب مع الولايات المتحدة وليث سفير الولايات المتحدة مقيما في صوفيا . وعلى الرغم من تشديدي في هذا الصدد ظلت حكومتنا مصممة على رضاها عن خطة الحكومة البلغاريه . وأدى هذا الاهمال الى أوخم العواقب

ولم يدهشني انضمام الولايات المتحدة الى صف أعدائنا في هذه الحرب فقد كنت أترقب هذا الامر حتى في حالة عدم السير في حرب غواصاتنا الى النهاية القصوى ، لان فوزنا في القتال كان لابد له من الافضاء الى هذه النتيجه . ففي ربيع ١٩١٥ صرح مكاتب أمريكي قدم الى الجبهة الشرقيه بضرورة اشتباك الولايات المتحدة معنا في القتال ولم يك تصريحه هذا رأياً فردياً ، وذلك لان الولايات المتحدة لم تكن تعرف المانيا في زمن السلم وأما كانت صلات قرابتها بانجلترا هي التي جعلها راها وان تنضم الى جانبها في كل الحوادث التي كانت تتتابع في أوروبا وتنظر بنظارها كل ماتحدثه مصنع الدعوة الجوابة الذي ابتدعته دول الاتفاق وما كان للاهالي المنتمين الى الارومة الالمانية في الولايات المتحدة سوى نفوذ ضئيل وما محاولة الاستفادة من هذا العامل كما فعلنا مدة من الزمن بتحريك اخواننا ضد وطنهم الجديد الا لعبة غير محكمة جاءت بأوخم العواقب . وأما موقف ايرلانديي امريكا في هذه المشكله الكبرى فلم أره واضحا الا أن الأمر الوحيد الذي لم يكن تحت شك فيه هو أن الولايات المتحدة ظلت غير قابلة

بالتحول عن الموقف الذى أجبرت تلك البلاد التعسة على الاندفاع بطريقة الضغط اليه

ولقد كان رد الرئيس ويلسن على كتاب الامبراطور المرسل في خريف ١٩١٤ بشأن الاضطهادات البلجيكيه مستوجباً للامعان في التفكير

على أن مصالح الولايات المتحده الاقتصادية أخذت تعدها على توالي الايام الى الاندماج في مصاف دول الاتفاق . فكانت انجلترا قد تنازلت للولايات المتحدة عن مركزها المالى العظيم . وبما أن ديونها على شعوب الاتفاق أصبحت باهظة فان هزيمة هذه الشعوب تصير كارثة مالية على الولايات المتحدة ولم يدع المسلك الذى انتهجته الولايات المتحدة في مسألة تموين دول الاتفاق بالذخائر أثراً للريب في نزوعها عن مبدء الحيده . فالاعمال المناقضة لحقوق الاشخاص ، والقطاعة التى تقترفها انجلترا في البحر لم تصبح جائزة الا برضا الولايات المتحدة عنها . ولقد صرحوا لى في وزارة الخارجية قبل نشوب هذه الحرب ببضع سنوات في خلال احدى المحادثات أن الولايات المتحدة لا ترضى البتة عن مثل هذه المناهج . وكنا نعتمد في استيراد مطالبنا بمقادير غير محدودة على هولانده

وفي الواقع ان الحكومة الامريكية أحتجت على الطريقة الاستبدادية التي اتبعتها الاتفاق في الحرب البحريه . واتخذت مذكرة احتجاج الحكومة المذكورة الموجهة في ٣٠ مارس سنة ١٩١٥ لهجة شديدة مؤكدة أن ما يطلق عليه اسم حصار (انجليزى هو انكار تام لحقوق سيادة الامم التي تعيش الآن في ظل السلام) وانتهت هذه المذكرة بالجملة الآتيه (إن تخفيف مسلك انجلترا ازاء أعدائها الحاليين يعتبر اتخاذ خطة مخالفة للحيدة ،

غير مطابق للواجبات التي يتحتم على حكومة الولايات المتحدة مراعاتها في الاوقات الحاضرة). فهذا التصريح واضح ، ولكن مذكرة أخرى صدرت من الولايات المتحدة في ٥ نوفبر سنة ١٩١٥ مؤكدة مرة أخرى ان ما يسمي بالحصر المضروب نطاقه منذ ١١ مارس من هذه السنة ينبغي وصفه بانه غير قانوني ، وغير مجد ، وبالجملة غير نظامي إلا أن انجلترا رفضت قبول هذين الاحتجاجين جهاراً فلم يكن من حكومة الولايات المتحدة إلا أن تخضع فتصبح محبذة لأعمال انجلترا . وبمقتضى اعترافها الخاص تكون قد قضت عليه تقريباً وهي متخذة تجاه المانيا خطة مناقضة للحيده .

وكان رأى السفير الكونت برونستروف في هذه الاعمال على الوجه الآتي الذى بسطه في مذكرة خاصة وجه بها الى الحكومة الامريكية وشعبها . (تيمس ١٣ ابريل سنة ١٩١٥)

« إذا ما أراد الشعب الامريكي أن يلتزم الحيدة الصحيحة فليضع حداً لتصدير الاشياء المحظورة بمقادير عظيمة أو إذا كان يريد أن ينهج منهجاً حراً فى تجارته فليتخذ في التصدير خطة عادلة ازاء المانيا ولو على الأقل فيما يختص بالمواد الغذائيه »

ولا توجد سوى مسافة خطوة واحدة مابين التحبيذ والانضمام . واست موردا سوى رأيين في هذا الصدد : أحدهما ما كتبه في ٧ ابريل سنة١٩١٧ السفير الامريكي السابق بلوندره تشوات ، الذى مات من عهد قريب ، الى الكونت جراى وهو : « كان رأيي منذ بدء الحرب كما تعلمون أننا نستطيع مدة انتظار الفرصة المناسبة للعمل لمصلحة المتفقين بالتزام الحيدة وبامدادهم بمنتهى المستطاع بالاسلحة والذخائر واستطيع لحسن

الحظ أن أقول بالمثل ببعض من الرجال، إلا أن واجبنا قائم على المساندة لاجل أنهاء الحرب بطريقة موافقة وهذا يتم بسحق العسكرية البروسية سحقاً تاماً وانتصار المدنية إذا امكننا ذلك بتداخلنا مباشرة بكل قوتنا وكل مواردنا التي لا تنضب . لقد أزفت الساعة الآن . »

وهذا ما قاله الاميرال الامريكي سيمس بلوندره فى ٣ يونيه سنة ١٩١٧ « حينما زارت العمارة البحرية الاميريكية انجلترا في ١٩١٠ القيت خطاباً موجزاً إلا أنه ربما تضمن شيئاً من السياسة . فعبرت فيه عن رأيي الذى صار اليــوم حقيقة واضحة . قلت إذ ذاك إذا ما أصبح كيان انجلترا مهدداً بخطر في يوم ما فلها أن تعتمد على سائر البواخر وسائر الدولارات وكافة الدماء التى يحتويها الجانب الآخر من الاطلانطيق . »

والحديث التالى الذي دار بين شخص ثقة وقنصل جنرال أمريكي وهو يتفق تمام الاتفاق مع التصريح السابق يعرض بوضوح تام الحالة الفكرية السائدة في الدوائر الرسمية الامريكية . فانه عند ما سئل إذا كانت مسألة الباخرة لوزيتانيا هي التي دفعت امريكا حقيقة الى الحرب أجاب : « كلا بل لم تكن هذه المسألة سوى عود الكبريت الذى يضرم النيران في القش وقد أفاد ذلك الدعوة المروجة فائدة عظمى . لقد كنا نجد من الاسباب غير هذا الحادث ما يجيز لنا التداخل فى هذه المشكلة فلو لم نكن حلفاء الدول المتفقه لما استطعنا أن نصير بعد نشوب الحرب ما أردناه وما سنكونه بالفعل أى : الرقم ١ . »

ولما سئل : وما هى مهمة أمريكا إذا صارت الرقم ١ ؟

أجاب : أن المانيا كانت قبل الحرب بدون أدني ريب أعظم البلاد الاوروبية نشاطاً . وكنا ننظر نحن أمريكا وانجلترا الى أية درجة من السمو

أخذت تحلق المانيا وأخذنا نشعر بأنها لابد أن تصير في مدة وجيزة أعظم دولة وانها ستملي ارادتها المطلقة لاعلى اوربا فقط بل على العالم. ولقد صار هذا الامر خطراً وأدركنا نحن (الامريكيين) مقدار هذا الخطر . فلاجل هذا السبب تداخلنا في الامر ونحن نعتقد أننا على بصيرة في عملنا . واننا على تمام الاعتقاد بان شعبنا سيحرز السيادة بعد الحرب . فنحن لن نسير المانيا فقط بل اوربا باسرها . فالامم تنتظر منا أعمالا كثيرة وفي مقدمتها الصلح . وسيدركونه ولكن طبقاً لشروطنا وبالثمن الذي سنقرره .

— وهل ستملي أمريكا ارادتها على حلفائها

— أجل ستفعل ذلك الا أنهم سيفوزون بشروط أرجح من شروط البلاد الاخري (الدول اوسطي) وسيحصلون (الحلفاء) بالمثل كما سنحصل (أمريكا) على خير الشروط . فلا يوجد سوي شيء واحد لم تكن الحرب شيء آخر سواه.» .

ومن جهة ما يخص مركز أمريكا بعد الحرب فقد كان ذلك القنصل الجنرال يسبح في لجة من الوهم ؛ لان حدوث الثورة في المانيا جردها من قوتها واكسب انجلترا التفوق على العالم . ولم تظفر أمريكا بالفصل في الشؤون الاوربية .

وكيفما كان الامر فان الحرب لم تكن في مصلحة المانيا وقد حملت على خوض غمارها لم نتأخر حرصاً على مستقبلنا الاقتصادي وعلى حريتنا ، فصارت الحرب بالنسبة لنا مسألة حياة أو موت

واني أدع جانباً مسألة البحث في مقدار ما تتفق الآراء التي أوردتها مع آراء الرئيس ويلسون وقسم عظيم من أهالى الولايات المتحدة . وعلى

كل حال كانت هذه الا راء شديدة في الانتشار . وأظهر دليل على ذلك أن أمريكا قد تتخذ حرب غواصاتنا ذريعة لاشهارها الحرب علينا في أحرج الاوقات على دول الاتفاق . وهل لو لم تكن حرب الغواصات كانت الولايات المتحدة تلجأ الى اصدار ذلك القرار المبكر لتحول دون انتصارنا في ١٩١٨؟ واذا لم تكن حرب الغواصات قد حدثت كيف كان يصير موقفنا في الحرب البرية حين آذنتنا أمريكا بالحرب ؟ هذا ما لا يمكن الخوض فيه بيقين .

وفي الواقع لانه لم يكن في الاستطاعة يوم ٩ فبراير سنة ١٩١٧ توقع انهيار أركان الروسيا بل لم يحسب أحد لهذا الحادث المفاجئ حسابا فكل ما كنا ننتظره أن تساعدنا حرب الغواصات على انهاء الحرب في مصلحتنا على أبعد تقدير قبل دخول التشكيلات الحربية الامريكية الجديدة في ميدان القتال . ولولا حرب الغواصات لتداعت جوانب التحالف الرباعي في ١٩١٧

وقد جرى تاريخ هذه الأحوال في مجرى آخر مخالف لما كان منتظر له : فالجبهة الغربية بقيت سالمة ولم تؤد حرب الغواصات الى الفصل في الأمر ، الا أن الروسيا تهاوت قوائمها . وصار مركزنا في الجبهة الشرقية معلقاً بين الصلح والحرب . وحينئذ عرض احتمال لم يكن يدور في خلد أحد قبل خريف ١٩١٧ وهو : محاولة البت في هذه الحرب براً في سنة ١٩١٨ بهجوم لابد له من التكلل بالفوز المبين ، اذا توصلت الحرب البحرية الى خفض حمولة الاعداء بدرجة مناسبة تكون سبباً في ابطاء نقل التشكيلات الامريكية الحديثة ، أو اذا تمكنت فقط من اغراق النقالات العادية ما بين آونة وأخرى . وكان هذا هو المنتظر حسب ما ارتأته إمارة البحر .

- ٣ —

وأخذ المعسكر العام الاكبر يترقب هجوم الدول المتفقة العظيم في منتصف ابريل على جبهاتنا في فرنسا والايسونزو ومقدونيا . وطفقت اذهب من كروزناخ التي انتقلنا اليها في آخر فبراير تباعاً الى الجبهة الغربية وعلقت اباخث قواد مجموعات الجيوش وقواد الجيوش وقواد الفيالق بالمثل عن حالات القطاعات المهددة بالخطر أكثر من سواها .

وأمدت مجموعتا جيوش الامير الوريث روبرخت وولي عهد المانيا بالفرق والمدفعيات والذخائر ، وكذلك أرسل اليهم كل مايتطلبه الدفاع المؤدى الى الانتصار . وبذلت كل مافي وسعي لاجابة سائر المطالب

وأراد الجيش السادس أن يعدل جبهته بوثبة محلية على مقربة من سوشيز مابين لانس وأراس . وتأهب للقيام بها في أوائل ابريل . واعتقدت في ٤ ابريل بقرب وثوب الانجليز بقوة عظيمة فيما حول أراس . وعلى ذلك صار العدول عن حركة سوشيز . ورجوت من مجموعة الجيوش الناهضة في هذا القسم من الجبهة أن يسوق قواه الاحتياطية الى المعترك من خلال الجيش السادس . وكانت آخر هجمة في ساحة فردن التي استمرت من اكتوبر الى ديسمبر قد علمتنا هذه الحقيقة العتيقة وهي ان مقام القوى الاحتياطيه يجب أن يكون على مقربة من الهيجاء . والخلاصة ان المعركة الدفاعية تتطلب وجود فرق منجدة في عدة نقط من الجبهات التي يهاجمها العدو وفي استدارة الموجة الثانية من الهجوم لصد تغلغل العدو في الخطوط المتقدمة وطرحه الى ماوراء الجبهة

وقد تقدمت فرق الموجتين الثانية والثالثة بالفعل من خلال الجيش

السادس الا انها لم تصل حتى يوم ٨ الى الاماكن المخصصة لها . وفي يوم ٩ بعد تمهيد قصير بالمدافع الا انه بالغ من الشدة مبلغاً فوق الوصف حدث هجوم قوى مسبوق بعربات التانكس وأصاب الجيش على ضفتي مجرى السكارب . فتراجعت بعض فرقنا القائمة على الخط الاول . وباشتباك الفرق المجاورة في الدفاع أصيبت بخسائر فادحة . فنجح العدو اثناء الساعات الاولى من النهار في دخول موقع مدفعيتنا ، وفي الاستيلاء على الهضاب المتحكمة في البقاع المنبسطة الى أمد بعيد في اتجاه الشرق . ولم تكن فرق الاتحاد قد وصلت الى المعترك لتلقي العدو خارج خطوطنا . ولم يتيسر سوى احضار قسم منها بالمركبات . فأصبح الموقف في منتهى الحرج ويوشك أن يصير في نهاية الخطر على مجموع هذه الجبهة في حالة استمرار العدو على موالاة عمله . إلا أن الانجليز اكتفوا بما أوتوه من النجح العظيم أو على الاقل لم يتابعوا هجومهم في بقية يوم ٩ ابريل .

وكنت أحتفل في هذا اليوم بعيد مولدي في كروزناخ . فنظرت الى حدوث هذا الوثوب بعيني الثقة والطمأنينة ، أما الآن فقد استغرقني الهم الشديد . فهل هذه هي النتيجة المرتقبة لكل ماكابدناه من الأوصاب والآلام في الاشهر الستة الأخيرة ؟ وهل غدت قواعد المعركة الدفاعية فاسده ؟ فاذا كانت غير صالحة للتطبيق فبماذا نستعيض عنها ؟ انى لا أزال غير قادر على درس تفاصيل المعركة

فاستدعيت ضباطاً حضروا المعركة في الخط الأول ، وباستماع أقوالهم شعرت وأيدت شعوري محادثات تليفونية اخرى بأن القواعد التى قررها المعسكر العام الاكبر لاغبار عليها ولكن تطبيقها تماماً كان يقتضي براعة

القيادة في هذا الفن ، فقد حدث ان فرقة كانت ظافرة في القتال لم تلبث أن تخلت عن مكانها .

إن معركة اراس التي نشبت في ٩ ابريل كانت فاتحة سوء للوقائع الفاصلة المنتظر حدوثها في هذا الحول

وكان يوم ١٠ والايام التالية محفوفة بالمكاره . اذ لم يتيسر سد الفتحة التي اتغرت في امتداد يتراوح ما بين ١٢ و ١٥ كيلو متراً وتغلغل يصل الى أكثر من ٦ كيلو مترات الا بمجهود شديد . وتقاضى هذا العمل نفقات باهظة تنضم الى الخسائر الفادحة من الرجال والمدافع والذخائر التي أدى اليها تغلغل العدو بمثل هذه الدرجة. فصار من واجب المعسكر العام الاكبر توجيه العناية الى القوى الاحتياطية . غير ان الحالة العسكرية والجنود الذين تحت تصرفنا لايسمحان لنا بايجاد فرقة مرتاحة خلف كل فرقة منهوكة القوى لتشغل مكانها في ساعة الحرج . فضحوة نهار كصبيحة ٩ ابريل تفسد سائر التدابير المتخذة من قبل . ولا بد من انقضاء أيام قبل انشاء جبهة جديدة وتقويتها . وهل لدينا الجنود الكافية للقيام بهذه الاعمال الهامة ؟ وعلى كل حال فان نهاية هـذه الازمة تتوقف كسائر الازمات الحربية التي تماثلها ، على ماسيفعله العدو : فهل سيواصل الهجوم بعد فوزه الاول ويجعل من الصعب علينا بظفره الجديد تكوين جبهة حديثة ؟ ان الضعف الذي حل بنا من هجومه الاول يسهل عليه بمقدار عظيم النجاح في الهجوم الآخر .

وطفق الانجليز ابتداء من ١٠ ابريل يثبون على الثلمة التي أحدثوها في جبهتنا بقوى عظيمة إلا أن شدة هجومهم على هذه الثلمة بدأت تخف وأخذوا يهاجمون جانبيها موسعين دائرة الهجوم ولا سيما في الجنوب حيث

عادوا في وثوبهم الى بولكور . وافتتحوا يوم ١١ مونشي بينما كنا نحن نخلي من تلقاء أنفسنا في ليلة ١٢ تلاع فيمي . وحدثت بالمثل في أيام ٢٣ و٢٨ ابريل و٣ مايو وقائع كبيرة ، وفي خلال هذه المدد لم ينقطع الكفاح بل ظل شديداً . ومع استمرار الوقائع فقد قمنا بعدة كرات ناجحة . إلا أننا خسرنا بالمثل في أماكن متفرقة أجزاء من الاراضى

وعمد قائد الجيش السادس الكولونيل جنرال فالكنهاوزن الذى الحق به الكولونيل فون لسبيرج كرئيس لاركان حربه الى اعداد وسائل الدفاع القوي على الخط الجديد بمساعدة مجموعة الجيوش التي ينتمي اليها وبمعونة المعسكر العام الاكبر . فلم تعد ثمت حاجة بتاتاً الى تراجع الجيش السادس دفعة أخرى كما رؤي ذلك فى بعض الاوقات ليستقر فى موقع ووتان الذى لم يكن قدتم انشاؤه

وقد بلغت معركة أراس أشدها في منتصف ابريل الاخير فبدأت تستدعي جنوداً احتياطية وأدوات حربية بمقادير جسيمة ، وإذا بالفرنسويين يشرعون يوم ١٦ ابريل في هجوم ذا شدة هائلة على الاين وفي شمبانيا .

وقد ظل الغرض الذى حدث لاجله الهجوم الانجليزى غامضاً عليّ والذى أراه انهم على الرغم من ضيق الجبهة المهاجمة أرادوا أن يحدثوا ثغرة عظيمة فيها لا أن يقتصروا على الالتحام في معركة من الطراز الذي تقضي به الضرورة ، وربما كان الجيش الانجليزى الذى لم تنته معركته التي انشبها على السوم أراد القيام بوثبة ثانوية بينما يكون الجيش الفرنسوى جاداً في ادراك الظفر الحاسم .

لقد كان القائد نيفيل يرمى الى غرض حربي عظيم وهو : التوصل في الايام الاولى من هجومه الى اختراق الجبهة الالمانيــة الممتدة ما بين فايه

ورعس . وتجئ على الأثر هجمة أخرى منتشرة من شرق رعس الى سوين موسعة ذلك الاختراق ومزغرعة جبهتنا على امتداد ٧٠ كيلومتراً تقريباً . وقد جعل مركز الفصل في الامر مواجهاً لمجموعة جيوش وريث التاج الالماني .

وكان لابد للضغط الممتد من أراس في اتجاه الشرق حتى يصل الى دواى والثغرة المكتنفة رعس من ريتيل الى مزيير من ان يحدقا بموقع سيجفريد الذى رسم طيارون عديدون معالم استحكامه فالاتفاق يريد اذن أن يزغرع جميع جبهتنا في امتدادها الى البحر .

وكانت مجموعة جيوش وريث المانيـا باشتراكها مع الجيشين السابع والثالث قد اتمت وسائل التحصين بهمة فوق العادة ، وأظهر ولي عهد المانيا ورئيس أركان حربه الكولونيـل الكونت شولنبورج نشاطاً لا يعرف الكلل . وكان رئيس الجيش السابع القائد فون بوين أحد أفراد القواد المشهورين في الجيش الالماني وهو ضابط من الطراز البروسى العتيق ومن خير من يهذبون الاجناد ويملكون قيادهم في أحرج ساعات الجلاد وشجاعته لا يداخلها أدنى فتور . ورئيس أركان حربه الكولونيل رانهاردت وهو رجل حازم يكمل بشغله الدقيق عمل رئيس جيشه . ورئيس الجيش الثالث القائد فون آينم كان قد تولى وزارة الحرب . وهو ضابط ذو أفكار سامية ونظرات بعيدة الترامي عالم بدقائق الجيش وحالة الجنود النفيسة ورئيس أركان حربه الكولونيل ثم فيما بعد القائد فون أولدرسهاوزن ذو نشاط لا يتغلب عليه التعب وذو قدورة عظيمة على العمل . وبعد امد قصير تقدم الجيش الثالث الى المعترك . وفي النصف الاول من ابريل لحق الجيش الاول تحت إمرة قائده فريتز فون بيلوف بالجيش السابق . والحق

بهذا القائد الليتنان كولونيل فون كولبير . وهذا الضابط اكتسب من معركة السوم خبرة عظيمة ، وهو كقائد ذو اختصاص متفوق في الخطط الحربية ، وقد قتله أخيراً في هال السبارتكيسيون أثناء تأديته أعماله .

ولم يشأ الجنود في بادئ الامر أن يعتقدوا بانهم يتقدمون للهجوم ، اذ لم يروا أقل أثر للتأهب والتمهيد . ثم أخذوا يشعرون بالتدريج انهم تقدمون على وقائع حاميه .

وبعد تمهيد بالمدفعية دام بضعة أيام هجم الفرنسويون يوم ١٦ ابريل صباحاً فيما بين فايي وحصن بريمون في الشمال الغربي من ريمس . ودخلوا عدة أماكن من جبهتنا في الشمان دى دام وحملونا على استرجاع جنودنا بخسائر كبيرة من بارزة فايي الى خط ربى الشمان دى دام . وبقي جنودنا في جانب بعيد من الجهة الشرقية متشبثين بالهضبة التي تنحدر باندفاع الى وادى الايليت وتقدم الفرنسويون فيما بين الدون ايفير والاين بعربات التانكس الى جيفنكور ، الا أن فرق التعضيد وقفت تقدمهم . وعلى أثر ذلك احتفظ الجنود المدافعون في شرق الاين بمراكزهم . الاّ أن العدو أفلح في الانتشار فيما يلي حصن بريمون ، ثم أسرعت اليه أحدى فرق الانجاد وردته على الاعقاب وأعادت الحالة الى ما كانت عليه . وجدد الهجوم في يومي ١٧ و١٨ ابريل بدون أن يحرز أى نجاح . وفي خلال هذه الحركات كان الهجوم قد بدأ بالمثل في ساحة شامبانيا على قمة مورونفيير فتراجعت فرقة وخسرنا هذه القمة . وعند ماحاول الفرنسويون الانحدار اصطلوا نيران جنودنا واضطروا الى ملازمة أماكنهم في العراء . ولم تتقدم جنودنا المعدة للنجدة ولهذا اخفقنا في محاولة أسترداد القمة يوم ١٩ . والى

هذا الحد انتهت حدة معركة ابريل . وقد حاربت فيها الجنود الفرنسوية في جموع كثيفة فنيت بخسائر فوق العادة

وحاول القائد نيفيل في أول مايو أن يحرز انتصاراً آخر في الاين كالذي أحرزه في شمبانيا فكان نصيبه الاخفاق في هذه المرة مع تحمل جنوده خسائر في منتهى الفداحة

وفي يوم ٧ استمرت نيران القتال على طول امتداد الجبهة الا أنها لم تلبث ان خمدت ولم يبق لها أثر في الاين . وكذلك انتهى أثر هجوم شمبانيا يوم ٩ ولكنه عاد هنا يوم ٢٠ بشدة متناهية

وقد رد الهجوم الفرنسوي بخسائر هائلة جداً وعلى الرغم من احتفال فرنسا به كنصر أحرزته فان الرأي العام فيها كان مثقلا بالهموم . واضطر وزير حربية فرنسا الى الاعتراف في يوليه بأن الهجوم ختم بالاخفاق والخسائر وعلت من الفداحة الى حد لايطاق حتى ان الجنود فقدوا الروح الأدبي وحدث اضطراب عظيم لم نشعر به الا بعد وقت طويل . وعلى أثر ذلك استبدل القائد نيفيل بالقائد بتان وكلاهما اشتهر في فردان . وهذا النصر الذي أحرزناه بحسن دفاعنا وبثبات مجموعة وريث المانيا تحولت الى هزيمة فرنسويه . ودل هذا على ان جنودنا أتم تدريباً

وقد جعلنا سكوت الجبهة الروسية مدة الربيع في مأمن من اجتياز أزمة كالتي اجتزناها في سبتمبر ١٩١٦ . ولو هاجمنا الروسيون في ربيع ١٩١٧ وأحرزوا أقل نجاح لصرنا في منتهى الحرج . فالثورة الروسية هي التي انقذتنا

وابتدأ الهجوم الروسي في يوليه أى متأخراً شهرين أو ثلاثة اشهر عن الهجوم الفرنسوى الانجليزى فلم يعد عمل الدول المتفقة متحداً كما كان في خريف ١٩١٦ وهذا ما اطلق يدنا في العمل في الميدانين .

وحدثت في الميدان الايطالي وقائع حادة في مايو فانتهت معركة الايسنزو العاشرة بلا فائدة لايطاليا وحدث هجوم شديد في ميدان مقدونيا أمام الخطوط البلغارية . وكان لحرب الغواصات تأثيراً حسناً في شهري ابريل ومايو تخفف عن جبهتنا الغربية

— ٤ —

على أثر اختفاء الروسيا من ميادين القتال واخفاق فرنسا وانجلترا في وثباتهما السالفة عزمت هتان الدولتان على القيام بعمل حاسم تحرزان به النصر المبين في سنة ١٩١٧ وعولتا على اتخاذ الوسائل التي تكفل لها الفوز النهائي في سنة ١٩١٨ اذا لم تنجحا في هجوم سنة ١٩١٧ ولاجل هذا الغرض جعلتا النقطة الوسطى لهجومهما الايبر لتستوليا على قاعدة غواصاتنا في الفلاندر وأرادتا أن تؤمنا النقالات التي تحمل التشكيلات الامريكية الجديدة من حرب الغواصات

وفي أوائل يونيه لوحظ ازدياد النشاط أمام بارزة ويتشاتيت التي تحتلها جنودنا في جنوب الايبر . ولقد كنا نريد التخلي عن هذه البارزة والتوطن على الدفاع في وتر قوسها لولا أن الجيش رأى أنه قادر على حمايتها ، وكان في استطاعته أن يحميها لو لم يستعمل الانجليز حرب الالغام الارضية بدرجة عظيمة مكنتهم من شق طريق للهجوم فهجموا بعد ذلك بجموع كثيفة من المشاة بعد تمهيد هائل بالمدفعية . وبفضل انفجار الالغام افلح العدو يوم ٧ يونيه في دخول خطوطنا . ولقد كانت هذه البارزة في السنوات السالفة مجالا لحرب الالغام بين الطرفين ثم انقطع هذا النوع من القتال مدة طويلة ولهذا جاء تجدده مفاجأة لانه مرأ كبير الاهمية ولكن تعتبر هذا

العمل عنايتها بعد انقطاعه لحدوث الانفجار فجأة في هذه المعركة أحدث تأثيراً شديداً في حالة الجنود الادبية واضطرارهم الى التنحي عن خطوطهم أمام هجمات الاعداء ولاسيما بعد ان اصلت مدفعية العدو جميع القوس ناراً حامية لتمنع وصول القوي الاحتياطية . على أن الانجليز لم يتمادوا في هجومهم إذ كان غرضهم الاساسي تعديل مركزهم .

وقد ابتدأت المعركة بهجوم شديد في ساحة أراس . وكذلك هجم الانجليز في لا باسيه ولانس . وماكانت هذه الوقائع الاتعمية لنا عن الغرض الحقيقي في الايبر .

وأدت معركة الاين وشمبانيا الى صيرورة جنودنا في خطوط رديئة فاراد الجنود ووافقهم المعسكر العام الاكبر أن يستولوا على خطوط امتن فانشبوا وقائع عديدة متتابعة أدت الى حصولهم على خطوط حسنة جداً . وعلى أثر ذلك تحسنت حالة الجنود الادبية . وكنا كلما قمنا بهجمات محلية من هذا القبيل تؤدي الى اكتساح بعض الاراضي نتوقع كرات على أثرها من العدو فنحسب حساب الذخائر اللازمة لصدها .

ونجح العدو أمام فردان في انتزاع أهم المراكز التي اكتسبها من أيدينا فسررت بانتهاء هذه المعركة لاني لم أكن موافقاً على المعارك المشتملة على وقائع منتشرة في سائر الانحاء لان فوائدها لا تعادل خسائرها

وكان الانجليز يحتلون منذ عام ١٩١٤ أمام الجيش الرابع رأس جسر ضيق على مجرى الايزر في الضفة الشرقية فأصدرنا الامر الى هذا الجيش بالاستيلاء على رأس هذا الجسر فقام بهجمة قوية مقرونة بالنجاح ولم يتمكن العدو من الكر لان النهير صار حائلا قوياً .

وساد السكون سائر الميدان الغربي فيما عدا مناوشات وتشاتيت فتمكنا من اراحة جنودنا وأعدادهم لكل مفاجأة فما ظهر الهجوم الروسي الجديد في شكله الحرج إلا ونحن على استعداد لدرئه

— ٥ —

على الرغم من أن الثورة الروسية قد اضعفت الروح الحربي في الجيش الروسي فان وزراء الحكومة الروسية الجديدة لم يزالوا مختلفين في هذه النقطة فوزير الخارجية ميليكوف طلب استمرار الكفاح وتغيير مصور اوربا الجغرافي على حساب دول التحالف الرباعي وذهب بعض الوزراء الآخرين الى استصواب الصلح بلا ضم ولا غرامة وأن تكون السلطة في أيدي سائر الشعوب ولكنهم جميعاً أرادوا مخالفة دول الاتفاق وأخذوا يقاومون كل تيار سلمي في البلاد فلم يبق لنا أمل في العدول عن الاعتقاد بأنهم يريدون محونا

وكان الجنود الروسيون يحاسنوننا في بعض نقط من الجبهة فنعاملهم بالمثل والبعض الآخر يشعل نيران القتال بشدة فلا نجيبهم .

ولم تكن الحالة في الميدان الشرقي أثناء شهري ابريل ومايو داعية الى اتخاذ أي تحوط . ومن جهة أخرى كانت حكومتنا ترى أن كل هجمة تؤدي الى تأجيل انحلال الروسيا . وفي أوائل ابريل بينما كان الاخاء سائداً بين جنود المعسكرين رأى القائد لنسنجن أن ينتزع رأس جسر في الشمال الشرقي من كوفل بقي في قبضة العدو منذ المعارك التي حدثت سنة ١٩١٦ على مجري الستوخود . والوقعة في حد نفسها لا شأن لها إلا أن عدد الاسرى بلغ من الكثرة حداً استوجب دهشتي . فرجاني المستشار ان لا

أجعل لهذه الوقعة صدى يتردد فيوافقته على غير ارادتي ومنع المعسكر العام الاكبر على أثر ذلك كل هجوم جديد في الميدان الشرقي .

وأخذ كيرينسكي في شهر مايو يعد أول خططه ورأينا الجيش الروسي يكبر ويتقوى . ولم تدخر انجلترا وفرنسا وأمريكا جهداً للوصول الى هذا الغرض ودارت بيننا في المعسكر العام الاكبر مناقشات متوالية في هذا الصدد . فكان الرأى السائد هو الاسراع في مهاجمة الجيش الروسي المتفكك وهو في حالة ضعفه الحالى قبل أن يعاد نظمه وبث الروح الحربي فيه . الاّ انني لم أشأ أن أنضم الى هذا الرأي مخافة أن أعكر صفاء الميل السلمي المنتشر في الدوائر السياسية ولاني لاأحب أن يكون الجيش آلة سوء بل آلة خير وسلام . ومع ذلك فان هجوم الروسيين أول يوليه في غاليسيا جعلني أفكر كثيراً فيما جنحت من قبل اليه . واذ لم تكن القيادة العليا قد تقيدت بما عنعها من العمل فلم يوجد امامها مايمنعها من الاتجاه الى حريتها التامة في العمل

وهجم الروسيون على طول الجبهة الروسية من ريغا الى نهاية الكاربات وجعلوا مركز حركاتهم في الجنوب ولقد أنبأ بعض الهاربين من الجيش الروسي في أواخر ابريل قيادة الشرق بالخطط المرسومة فاتخذت هذه القيادة الاحتياطات اللازمة للقيام بالكر ، وأرسل المعسكر العام الاكبر ست فرق من الجبهة الغربية . وحدث هذا الهجوم في غاليسيا الشرقية بالاعتماد على الاسراف في الذخائر وجموع عظيمة من الجنود فاصاب نجاحاً لزام النمسويين وأصيب بالفشل امام الالمانيين والعثمانيين . وفي أول يوليه دخلت جماهير كبيرة من الجنود الروسيين الجبهة النمسوية فسلمت الجنود النمسوية انفسها أفواجاً الى الروسيين . فأرسل قائد الشرق العام إمداداً

عظيمة في ٢ يوليه لوقف الصدمة . أما الهجمات الروسية الاخرى فتلاشت وابتدأ الهجوم على جيش الجنوب يوم ٤ يوليه ودام بشدة متناهية عدة أيام ثم انتهت بنجاح دفاعي باهر أحرزه جيش القائد بوتمر الذى كانت جنوده كلها المانية تقريباً . وتكلل هجوم الروسيين في ٦ و٧ يوليه على الجيش النمسوى الثالث الكائن في جنوب الدنيستر بالنجاح الباهر . فتخلى النمسويون عن مراكزهم واقبلت فرقة المانية واصلة حديثا الى هذه الجبهة لتصد الروسيين الا أن انهزام النمسويين اجتذبها معه ووصل الروسيون في تقدمهم الى لومنيتسا واحتلوا كالوش . فخرج مركز القيادة الشرقية العامة . فلم يسعها الا أن تجمع احتياطيها لتقوم بالكرة التي تنويها على زبوروف والسيريت في اتجاه تارنوبول . وقبل أن تشرع في هذا الهجوم أمدت الجيش الثالث النمسوى بقوة كبيرة . وعلى الرغم من الهجمات الحادثة فى الشمال بدأت بهجومها في شمال زبوروف بشجاعة متناهية . واسعف الحظ فى كالوش . وكان الجيش الروسى قد فقد روح شجاعته الهجومية ولم يقدم على عبور اللومنيتسا فاستطاعت الجنود الالمانية التي بلغت هذا المكان أن تحتفظ بالحالة الراهنة فيه بل لقد تمكنت من الاستيلاء على اراض يوم ١٥ يوليه . وحينئذ زالت الازمة

وكان الروسيون قد دخلوا استحكاماتنا فى بعض الجهات يوم ٢١ يوليه . الا اننا أخرجناهم بعد قليل وفى الحقيقة أن الروسيين لم يعودوا اليوم كما كانوا من قبل

وفى خلال هذه المدة كانت جنود الكرة المنوية قد احتشدوا عند زبورف والسيريت ولكن هجومهم تأخر لسوء الحظ بسبب رداءة الجو الى يوم ١٩ يوليه وهو الذي خصص لبحث الرايخستاج فى قرار الصلح . وكان نجاح الهجوم

باهراً اذ تقدم الجنود في اتساع ٤ كيلو مترات و١٥ كيلو مترا طولا . فأدى هذا الى تحسن الحالة الأدبية في سائر الجيش الشرقى . فقيل في الرايخستاج ان هذا الانتصار مقصود به التاثير في الرأى العام . واستمر الهجوم على تارنوبول في اليوم التالى فسقطت في أيدي الالمانيين يوم ٢٥ . وبدأ الروسيون يخلون جبهتهم الممتدة في جنوب سكة حديد زبوروف تارنوبول . ثم تحولت الكرة العسكرية الفنية الى مشروع هجومي من الطراز الكبير . وحينئذ أخذ تحلل الجيش الروسى يتمشى بازدياد جهة الجنوب . وشرع الجيشان الثالث والرابع النمسويان اللذان امتزجا بعناصر المانية قوية في العمل . فتحركت الجبهة باسرها الى بيكوفينا وأخذ الجيش الروسى يتقهقر بغير نظام، لأن الثورة كانت قد حلت روابطه تماماً . وبلغنا يومي ٢ و ٣ أغسطس بعد وقائع متتابعة مجرى الزبرخ واستولينا على كزرنو فيتس وكيمبولونج والى هنا انتهى استغلال الكرة التي ابتدأت يوم ١٩ بوليه . ولم نستطع التقدم الى ما وراء هذه النقطة لاننا كنا تقدمنا كثيراً والمواصلات في منتهى الصعوبة فلا بد من الانتظار عدة أسابيع الى أن يتم اعادة السكة الحديدية التي اتلفت بشدة عظيمة .

وفي خلال هذا الهجوم العظيم كانت وقائع أخرى تحدث في أنحاء شتي من الميدان الشرقى ومع أن الروسيين والرومانيين بذلوا فيها جهوداً عظيمة وكانوا يستولون أحيانا على بعض استحكاماتنا إلا أن كراتنا كانت تختم دائماً باسترداد ما فقدناه واكتساح أراض جديدة .

وفيما كنا نفكر في ارسال حملة تطارد الجيش الروماني إذا بالجيشين الروسى والروماني يناوئاننا الهجوم ، فشرع حينئذ القائد ماكنزن بالزحف في اتجاه الشمال على الشاطىء الغربي من مجري السيريت وكذلك زحف

القسم الجنوبي من مجموعة الارشيدوق يوسف في اتجاه أو ترنا بالذهاب مع ملتوى أو يتوز . وابتدأت المعارك في أواخر النصف الاول من أغسطس واستمرت بقيـة النصف الآخر من هذا الشهر وانتهت بفوز الجيشين المذكورين فوزاً محلياً مؤدياً الى طرد الاعداء من الاراضى التي كانوا قد اكتسبوها فى ٣١ يوليه .

وكان الجيش الروماني معضداً فى هذه الجبهة بالفرنسويين تعضيداً جعل التغلب عليه مستحيلا إذا لم يجر الهجوم الذى بدئ فى بيكوفينا فى مجراه الاول . وهذا الامر كان غير ممكن فى الوقت الحاضر . فصاروقف هجوم الجيشين اللذين يراسهما ماكنزن والارشيـدوق يوسف . ولبث الرومانيـون يوالون هجماتهم بدون أدنى جـدوى . ثم زالت حدة الهجوم بالتدريج

* * *

لقد انتهى الهجوم العظيم الذى أرادت دول الاتفاق سحقنا به فى مفتتح صيف ١٩١٧ وكانت الثورة الروسية أعظم حائل دون قيام هذه الدول بعمل مشترك في آن واحد . وقد خرجنا من الميدان الروسى بربح عظيم وظهر انحلال الروسيا جهاراً للعالمين.

ومرت ستة أشهر على اشهار حرب الغواصات فكان تأثيرها من الوجهة الرقمية أعظم مما كنا نقدره لها إلا أنها لم تصل في النهاية الى النتائج المرجوة منها . ومع ذلك فقد لبثت انتظر تحقيق الأمل إلا انى كنت أفكر فيما اذا كان من الممكن الاستمرار على تشييد الغواصات التي تتطلبها امارة البحر ، ولتحقيق غرضها كان لابد للمعسكر العام الاكبر أن يستغني عن عدد كبير جداً من الجنود الاختصاصيين ببناء هذه الغواصات لتنتقل الى العمل

في دور الصناعات البحرية وهذا أمر يدعو الى حدوث فراغ في بعض أماكن القتال . فلا بد اذن من أحد امرين : العدول عن حرب الغواصات أوالعدول عن برنامج هندنبورج

— ٦ —

لقد أفلحنا حتى الآن في احراز النجاح في كل أعمالنا الحربية وساعدنا على احراز مركزنا الأخير تداعي أركان الروسيا . إلا أن الدعوة الصادرة من جانب الاعداء والتراخي الذي تراءى من جانب المستشارين جعلا البلاد تتمشى في دور لم يكن معهوداً فيها من قبل إذ أخذت قوة الرغبة في استمرار الحرب تضعف في نفوس أهالي الدول المتحالفة بشكل يجعل النجاح الذي أدركته الجيوش المتحالفة عرضة لأشد الاخطار . فالغرض الذي تصبو اليه دول الاتفاق أصبح وشيك التحقق وهذا يدعو طبعاً الى استحالة حدوث الصلح والى ابتعاد نهاية الحرب . أما السبب في هذا كله فهو أن المستشارين فون بيتمان والكونت كزرنين كانا تحت تأثير الثورة الروسية ومتخوفين من طروء أعراضها على امبراطوريتهما. فلاتقاء أعراضها كانا يفكران في ابرام الصلح الذي لسوء الحظ كان ابرامه لا يزال بعيداً . على أن واجبهما كان يقضي عليهما أن يشعلا الحماسة في نفوس الشعبين ليبذلا اقصى جهودهما لانهاء الحرب التي طال امدها فيقتديان بالقيادة العليا التي بذلت اقصى جهدها في رفع مستوى الجنود الأدبي الى حد مكنها من مكافحة أعداء اشداء صلاب الاعواد . غير أن سياستهما لم تكن تتجه الا الى منح شعبيهما حقوقاً دستورية جديدة . فلم تتجه عزيمتاهما لقيادة الشعبين ومواجهة الدول المعادية وذلك لأنهما لم يكونا الرجلين

اللازمين لمثل هذا الوقت العصيب . على أن الكونت كزرنن كان أخف تبعة من زميله لأنه ازاء كفاح دائم مع المشاكل الداخليـة المتعددة التي لا تعرف لها نهاية . أما الفون بتمان فكان واجبه يدعوه الى انهاض الشعب وافهامه حقيقة الغرض من موالاة الحرب الى أن يتمكن من عقد صلح شريف كما كان الحال كذلك في مبـدأ الحرب ودحض مفتريات الاعداء وفضح دعوتهم المؤذية . ولا نقول أن هذه الاقوال تزيل الغشاوة عن جميع العقول ، فهنا لك اناس لا يريدون أن يفقهوا الحقائق وان يتنحوا عن اعتقاداتهم الباطلة . وهل يمكن الارتياب في سوء مقاصد الأعداء نحونا بعد ردهم على اقتراح السلم الذى قدمناه في ١٢ ديسمبر ومذكرة ويلسن المقدمة في ١٨ ديسمبر ؟ أن تخلينا عن حرب الغواصات وتراجعنا عن موقع سيجفريد افهم كل انسان بطريقة واضحة حقيقة مركزنا كما كانت تفهمها القيادة العليا . فلم يكن في الاستطاعة انقاذنا من مثل هذا الموقف الحرج الا بوقوف الحكومة موقف الشجاعة والعزم .

وفي أوائل ابريل سنة ١٩١٧ زار الامبراطور شارل امبراطورنا في هومبورج . وكان الكونت كزرنين يصحب امبراطور النمسا وكذلك القائد فون آرز . ودعانا امبراطورنا المستشار بتمان والفيلد مارشال هندنبورج وأنا الى موافاته في ذلك الثغر

وكان الفون بتمان قد التقى بالكونت كزرنين من قبل في ٢٧ مارس ووضعا اتفاقا مثبتا في (مستند فينا) في نفس ذلك اليوم . وهو يتضمن أقصى الشروط التي يقبل الصلح بموجبها وهي تقتضي عودة الحالة الى ما كانت عليه وبرنامج يرجع اليه في حالة تكلل الحرب بالنصر النهائي . ولم

يصل الى علم بقيـة الوزراء ولا الى علم المعسكر العام الاكبر أمر هذا المستند الا في ٥ فبراير ١٩١٨ .

وبينما كان رؤساء الحكومتين يتباحثان في هومبورج كنا نحن القائد آرز والفيلد مارشال هندنبورج وأنا نؤلف مجلساً عسكريا . وكنا في هذا الوقت احتللنا موقع سيجفرييد وأصبحنا نرى هجوم أبريل الكبير مشرفاً علينا . فارتأيت ان الانجليز سيهجمون قريباً . وكانت نتائج حرب الغواصات في شهر مارس حسنة . وأخذ وزير الداخلية يطري نتائجها الجليلة على رؤوس الاشهاد . وقدرت قيمة المساعدة الامريكية لدول الاتفاق حقيقة قدرها . فصرنا نرى أنفسنا في مركز دقيق إلا انه يسمح بالطمأنينة لاننا لازلنا نأمل دفع هجمات الاتفاق ولابد لنا من انتظار نتائج حرب الغواصات ونهاية الحالة الجارية في الروسيا .

وكان القائد آرز يرى في الجبهة النمسوية رأينا في الجبهة الالمانية إلا أنه كان يذهب الى أن الجيش النمسوى لا يستطيع الثبات إلا الى الشتاء لقلة المواد الاولية ولشدة تعب الجنود . فلم يبق مجال للشك فى وجوب استتباع الحرب في الوقت الحاضر باقصى ما يمكن من الشدة . أما في الشتاء فليس في استطاعتنا الحكم الان إذا كان سيتيسر استمرار القتال أم لا .

وحدثت مداولة حوالى الظهر بين المستشار والكونت كزرنين و القائد آرز والفيلد مارشال وأنا . وسألنى المستشار قبل انعقاد الجلسة إذا كنت أرى الوقت قد حان لبذل مسعى سلمى . فلم يسعنى إلا أن أجيبه باننا مقبلين على وقت ستقوم فيه دول الاتفاق بجهود عظيم وانى لا أرى من الوجهة العسكرية ان الفرصة التي أختيرت حسنة الاختيار ولم نطل البحث بعد ذلك فاقترح علينا الكونت كزرنين أن نتنازل لفرنسا عن الالزاس واللورين

لنصل الى صلح سريع وان تضم النمساغاليسيا الى بولنيا وان تلحق بولونيا بالمانيا . وفي هذه الآونة انقطع بحثنا مع رئيسي الحكومتين وكان قد استغرق عشر دقائق لان الامبراطور استدعاهما. والى هنا انتهى قسطى الرسمي من مقابلة الامبراطورين . وقابلت بعد الظهر الامبراطور شارل. وبعد طعام الغذاء أوضح لى الكونت كزرنين آراءه فى محادثة خاصة . وقاعدة رأيه في طلب الصلح حالة النمسا الداخلية فلم يسعني سوى ابداء رأيي بالمثل فما أنا الا ابن وطني فذكرت للكونت وجوب سيره بشعوب الامبراطورية النمسوية بالعزم والحزم وانعاش حالتهم الادبية . فأجابنى بأن هذا مستحيل فلم يسعنى حينئذ سوى الانثناء الى اقتراحاته . ان مشروعه البولوني حائر مضطرب جدا ولا يوجد فيه شيء واضح معقول أما منح فرنسا الالزاس واللورين فمسألة واضحة مرتبة ازاءنا ولا يمكننا قبولها مادمنا لم نغلب على أمرنا لانها مسالة تختص بشرفنا الوطني اذ هتان الولايتان أرض المانية نحارب لاجلها الى آخر ما في الاستطاعة وكل الالمانيين على أتم اتحاد ازاء هذه المسألة كيفما كان اختلافهم فى السياسة الداخلية والخارجية بما فيهم الاشترا كيون المستقلون وكل حكومة بما فيها المعسكر العام الاكبر تتجاهل هذه الحقيقة تسقط فى الحال بسبب هياج الرأى العام الوطنى عليها . حقيقة ان مركزنا حرج الا اننا لانزال قادرين على بذل مجهودات عظيمة فلا ينقصنا الا أن نكون ذوى رغبة صادقة ولن يرى الاتفاق فى عملنا هذا الا ضعفا أو خداعاً وفى الحالة الاولى تتضاعف مطالبه . ومع ذلك فانى حينما سألت الكونت كزرنين اذا كانت دول الاتفاق تقتصر على الالزاس واللورين اذا سمحنا بهما لم يجب جواباً قاطعاً

وأخذ الكونت كزرنين يتكلم عن حالة المانيا الداخلية بعبارات خطيرة فلا بد أن يكون متصلا بمخابرات هامة جداً . ثم انتهى حديثنا

وكان من رأى الكونت كزرنين ادخال رومانيا فى دائرة النفوذ النمسوى ووضع بولونيا الشرقية في دائرة النفوذ الالماني . إلا أن مقاصد النمسا الحقيقية بدأت فيما بعد تتوضح شيئاً فشيئاً فان ميول النمسا نحو بولونيا هي نفس ميولها نحو رومانيا . فالحل النمسوى البولوني يتضمن خطراً شديداً علينا حتى لقد خشينا الفيلد مارشال وانا أن يكون التحالف الالماني النمسوى آذن بالزوال وأن تكون ولايتنا الشرقية صارت عرضة للخطر : فالبولونيون مستمرون على المطالبة بأراض المانية وبولونيو بروسيا يعملون لهذا الغرض بالاتحاد مع أبناء عنصرهم ، فالنمسا ستصبح ترجمان أفكارهم والمدافعة عنهم .

ان المسألة البولونية مادامت محصورة بين المانيا وبولونيا على انفراد ففى الاستطاعة حلها بسهولة أما اذا كانت النمسا الى جانب بولونيا فان الاشكال يزداد تعقداً ويأخذ شكلا خطراً وتصبح المانيا فى مركز حرج من الوجهتين السياسية والحربية فان ولاية سيليزيا تصبح مطوقة وتصبح صلاتنا ببروسيا الشرقية وليتوانيا وكورلاندا مهددة. واني لم أخض عباب المسألة الاقتصادية ولم اتعرض لما سينجم عن هذه المعضلة من انقطاع صلاتنا بالاسواق الروسية ولقد علمتنا التجارب مقدار الصعوبات التى خلقتها لنا النمسا فى نقل تجاراتنا الى البلاد البلقانية

وأخذت النمسا تلحف فى طلب عقد الصلح وارتأى الامبراطور شارل فى احدى رسالاته الى امبراطورنا ضرورة عقد الصلح ولو بتضحيات عظيمة . وذكر له فى خلال السطور احتمال حدوث ثورة عامة من جميع

الشعوب مبرراً بذلك عقد الصلح بأي ثمن كان . فعهد الامبراطور الى المستشار أن يرد على هذه الرسالات وعلى أخريات مثيلاتها. فأخذ المستشار رأينا الفيلد مارشال وأنا من الوجهة العسكرية وكذلك أبدى أمير البحر رأيه فيما يختص بالحرب البحرية

وكانت حالة الروسيا الى ذلك الحين موافقة لنا إذ أخذت رغبتها في عقد الصلح معنا تزداد على التوالى وكان أول واجباتنا أن نرقب سير الثورة الروسية ونشجعها على تفكيك الروابط الوطنية الداخلية وعند ما نرى زعماء الثورة يحاولون جس نبضنا للصلح نقلب هذا الامر الى مباشرة الصلح فعلا في الحال . وربما تصير مخابرات هذا الصلح مقدمات لصلح عام .

على هذا الرأى قامت دعائم الرد على خطاب الامبراطور شارل المرسل فى أوائل مايو .

واستمر الكونت كزرنين يلحف فى طلب عقد الصلح على قاعدة اقطاع فرنسا أراضى المانية ولكنه لم يصرح مرة ما اذا كانت دول الاتفاق تميل حقيقة الى الصلح أو اذا كانت هنالك طريق ما توصلنا الى تحقيق هذه الامنية . ولو وجد الطريق لما تأخر عن اعلامنا بها . واني أعود في هذا الصدد الى التصريح الذى فاه به الكونت كزرنين في ١١ ديسمبر سنة ١٩١٨ اذ جاء فيه :

« لقد حدث في عدة مرات احتكاك بين ممثلينا وممثلي دول الاتفاق إلا أنه لم يؤد مطلقاً الى تحديد مطالب معينة . وكنا نشعر في أغلب الاحيان باستطاعتنا عقد صلح منفرد من غير المانيا ، إلا انهم لم يفضوا الينا مطلقاً بالشروط التى لو قبلتها المانيا يمكن عقد الصلح معها . ولم يصرحوا لنا مطلقاً بان المانيا ستظل محتفظة باراضيها التي كانت لها قبل الحرب . »

والواقع هو ان الاتفاق لايريد البتة التصريح بقبوله التفاوض مع دولة المانية ليس لها أدنى مطمع فى الفتح والتوسع وان الاتفاق كرر رغبته في افناء المانيا وهذا هو الذي دفع بنا الى الاستمرار على مباشرة حرب دفاعية عن المانيا وزاد مصاعبنا فى القيام بمهمتنا فى برلين . »

ولو قيلت أمثال هذه الألفاظ في وقتها لقضت على سائر الأشاعات المتداولة فى صدد صلح تراض وتصاف ولأدت الى الرغبة في سلامة الوطن إلا أن الـكونت كزرنن التزم جانب الصمت فرزحت على كاهله تبعة هائلة . ألعله اوضح هذا كله للمستشار الذى أهمل أن يطلع عليه البلاد ؟ ان الشعب الألماني ذو حق في استكناه الحقيقة ،

ان المستشارين لم يعتقدا البتة فى الانتصار ولم يجدا سبيلا الى الصلح ومع ذلك لبثا يشغلان مركزيهما .

— ٧ —

أخذت أنمي الحوادث الداخلية التي تعددت فى ربيع وصيف ١٩١٧ وكان هذا أحد مظاهر الاحتجاج التى لا تصدر إلا عند الشعور بالعجز عن تنفيذ الرغائب ولم يكن تبرمي من تلك الحوادث إلا لأجل الاستمرار على الحرب أملا فى التوصل الى صلح عاجل شريف . وأقول أن ابتداء انحطاطنا وافق اشتعال نيران الثورة الروسية . ومن أهم العوامل على هذا هـذا الانحطاط النفسى عدم تحقق الآمال التي كانت معقودة بحرب الغواصات واستمرار الحرب البرية في سائر الميادين بدون الانتهاء الى نتيجة حاسمة في وقت قريب . على أن مركزنا في صيف ١٩١٧ على أثر سقوط الروسيا كان أحسن بكثير من مركز دول الاتفاق إذ فى استطاعتنا

ان نتشبث بأذيال الرجاء . إلا أن ضعف الحكومة كان من أكبر العوامل على أزدياد انحطاط حالتنا الادبية . وكذلك الرايخستاج لم يكن ذا عزم ماض ، ولا ننكر انه كان ينظر بأخلاص عظيم غالباً فى مستقبلنا إلاّ أنه فى الغالب كان يهتم بالا ستئثار بالسلطة مدفوعاً بعامل الانانية .

وفي ٧ ابريل صدر أمر امبراطورى يختص بمسألة الانتخاب النيابي فى روسيا وما علمت بهذا الامر الا بعد نشره وما عهدت الامبراطور يحادثني فى المسائل الداخلية التى كنت أراني غريباً عنها . وكانت علاقة الاصلاح بالثورة الروسية واضحة جدا . وهذه هي نقطة الخطر الجسيم .فلو أريد التمشى مع سنن الرقي الدستورى فى مسألة الانتخاب لكان من الاصوب توسيع حقوق الانتخاب قبل نشوب الحرب وعدم التأخر به الى أكثر من أغسطس ١٩١٤ والحكومة لا تزال قوية فكانت تحفظ بهذا العمل العرش من ا لمجادلات الحزبية بدلا من تعريضه لهذه المجادلات . وادي هذا العمل الى ابتهاج الاعداء الذين شعروا ببواعثه الحقيقية ومروا به جداً . أن حكومة الشعب المحارب يجب عليها أن تراعى في مشروعاتها اتجاه ميول الخصوم لتتقيها . ومما لا شك فيه أن الشعب المحارب إذاقويت لديه الميول السياسية ضعفت فيه قوة الكفاح . فالعدو الواقف لنابالمرصاد لا يسعه أمام مظاهر الضعف التي بدت منا إلا أن يقول (لا يوجد دخان بغير نار) ثم ينتظر أن يؤول ضعفنا هـذا الى انشقاق فسقوط . وهذا ما يحدث وما أخذ يتوقعه العدو ويعمل لتحقيقه حتي تم سقوطنا بقيام الثورة الالمانية .

ولقد كانت اولى نتائج الامر الامبراطورى المتقدم ذكره حدوث الاضراب الكبير الذي وقع في النصف الاخير من ابريل . ولم يهم توسيع

حقوق الانتخابات عامة الشعب في روسيا خلا بعض الصحف والدوائر الخاصة التي كانت مهتمة به جد الاهتمام . وكل ما أنتجته هذه المسألة هو احداث الشغب والتمرد بين العمال ، أما في الجيش فلم يكن له صدي بتاتاً ، وأما البحرية فلقربها من داخلية البلاد ولالتزامها جانب السكون أكثر من العمل فقد كان لهذه المسألة تأثير فيها . وكنت أري الكفاح الانتخابي يضعف كثيراً من قوة الكفاح في ساحة القتال . وكانت هذه المسألة مجحفة بحقوق الجيش الذي حرم من التمتع بميزة الانتخاب . وقد باحثت الوزراء كثيراً وأظهرت لهم ضرر الانتخابات القائمة على الدعامة الحزبية وحبذت الانتخابات المرتكزة على قاعدة المهن والطوائف كما قرر بسمارك لان هذه الطريقة تنعش البلاد وأما الطريقة الاولى فتجعل احدي الطبقات تتحكم في شؤون الشعب وتحرم بقية العناصر من حقوقها الطبيعية .

وحدث قبل شبوب الثورة الروسية عامل آخر مؤد الى ضعفنا ، وذلك أن صار التصريح في الرايخستاج بان الشعب الالماني يستنكر رغبة العدو في سحق الشعب الالماني ولذا يجب المبادرة الى السعي لعقد صلح تراض وتصاف بدعوة تنشر في البلاد المحايدة . فلم أوافق على هذا الرأي وشايعتني رآسة القيادة العليا إلا أن الامبراطور وافق على مباشرة السعي فلم يسع المعسكر العام الاكبر سوى اصدار جوازات السفر لاعضاء الرايخستاج العازمين على الشخوص الى ستوكهلم . وكذلك أرسل الكونت كزرنين اناساً من زعماء الاشتراكيين النمسويين وأخذ الفريقان ينشران الدعوة بين الاحزاب الاشتراكية في البلاد المعادية ولم يكن لهذا العمل نتيجة سوى تأكد الدول المتفقة من اننا بدأنا نضعف . فالذين قاموا بهذا العمل لم يدرسوا الحالة النفسية لدي الدول المعادية

والدول المتحاربة بل جروا وراء الاوهام ذاهبين الى وجوب « تصافى الانسانية » .

وعمدت دول الاتفاق التي كانت دارسة أحوال الشعوب النفسية حق الدراسة الى منع وفود أحزابها الاشتراكية من السفر الى الخارج . وقد اتضحت مقاصد فرنسا الحقيقية من تصريح رئيس وزارتها ريبو في صيف ١٩١٧ بان لا سبيل الى عقد الصلح قبل سحق المانيا تماماً . ألا أن مستشارنا لبث ضعيف الارادة أمام هذا التصريح ولم يستنهض همة الرايخستاج والامة الالمانية بامرها لمقاومة تلك المقاصد الهائلة . فشكونا الفيلد مارشال وانا الى الامبراطور اهمال المستشار طرق تحميس الشعب واعداد البلاد لمساعدة الجيش على اداء مهمته المفروضة عليه لانقاذ الوطن من خطر المحو والذل .

وفي يونيه ١٩١٧ كتب الفيلد مارشال هندنبورج الى المستشار خطابا يحذره فيه من الاعتقاد بامكان انتهاء الحرب قبل فصل الخريف . والم في سطور الخطاب بالتأثير الذي أحدثته حرب الغواصات واعترف به الاعداء انفسهم . ثم ذكر له أن الاعداء إذا ظلوا يقاومون فما ذاك إلا لاعتقادهم أن المانيا وحليفاتها سيسقطن قبل سقوطهم ؛ وانهم ربما يأملون احراز نصر في ساحات القتال يضع حداً للحرب . إلا أن أملهم في انتهاء الحرب من الوجهتين الاقتصادية والسياسية الداخلية في بلاد الدول المتحالفة اعظم فالامل الوحيد لافهام خصومنا عدم الفائدة من اطالة الحرب هو انهاض الحالة الادبية في داخل البلاد ليستطيع الجيش أن يواصل أعماله الحربية المتوجة بالظفر .

فكان جواب المستشار الواصل في ٢٥ يونيه على نقيض هذه الآراء

إذ أظهر فيه عجزه عن حل المسائل الاقتصادية والسياسية الداخلية وعن انهاض الحالة الادبية وأشار الى امكان ابرام صلح تراض وتصاف بواسطة انجلترا لو تقدمت خطوة واحدة في هذا السبيل غير انه كان يشك فى اقتداره على اجتذاب لويد جورج الى هذا المقصد .

فلم يسع الفيلد مارشال سوى أن يوجه برسالة الى الامبراطور فى ٢٧ يونيه يشكو اليه فيه عجز المستشار عن حل المسائل الداخلية وفى مقدمتها المسألة الاقتصادية التي يتوقف عليها الفوز النهائي .

وفى ٦ يوليه ألقي ارزبرجر خطبة فى الرايخستاج ادهشتنا جد الدهش بما تضمنته من أن حرب الغواصات لم يكن لها أدني نصيب من النجاح وانكاره احتمال فوزنا النهائي في الحرب البرية .

فهذا التصريح وأمثاله تظهر الى اي حد وصلنا والى أين نحن ذاهبون فاذا لم تتخذ الاحتياطات اللازمة لمنع هـذه الافـكار من الانتشار بين الجمهور وإذا لم تضرم نيران الحماسة فى نفوس الشعب فاننا بلا شك نسير باقدام سريعة الى الانهزام .

ووافقنا وزير الحربيـة على أرائنا وأرتأي ضرورة تقديم تقرير الى الامبراطور من الفيلد مارشال وذهبنا الفيلد مارشال وأنا يوم ٦ يوليه مساء الى برلين . وكان رأى الامبراطور أن حوادث برلين داخلية محضة لاشأن لرجال العسكرية فيها على ان لهم ممثلا فى الداخل هو وزير الحربية . فلم يكن لوجودنا فى برلين يوم ٧ أدني فائدة . فسافرنا مساء الى كروزناخ .

ولـكن الحالة ازدادت تفاقماً في برلين فان المستشار على الرغم من علمه رغبة العدو الاكيدة فى محونا صادق يوم ٨ على القرار الذي أصدرته أحزاب الغالبية بشأن الصلح . وأدى هذا الامر الى ازدياد رغبة الاعـداء في

مواصلة الكفاح . ورأى المستشار أن يقدم استقالته يوم ١٠ إلا انها رفضت يوم ١١ صباحاً .

وكنا نعتقد فى كروزناخ بان البرنس بيلوف سيخلف الفون بيتمان في الاستشارة إلا أن النمسا كانت نصيرة لبقاء الفون بيتمان فى منصبه ومجانية لتولى البرنس بيلوف زمام الاستشارة وذهب وريث المسانيا الى برلين فلم يلبث ان وافق على هذه الخطة .

ولقد اعتقدت بعد قضاء عدة أعوام في ادارة الحرب أن المعسكر العام الأكبر لا يمكن أن يقوم بما ينتظر منه إلا اذا اشترك في العمل مع وزارة قوية الارادة تمده بكل مطالبه وتبعث الحماسة في نفوس الشعب وتحارب الآراء السيئة التى تتسرب بين الجماهير الالمانية ، والمستشار الحالى لا يرأس مثل هذه الوزارة المنشودة فهو رجل خائر العزم لاهم له إلا أن يعلن الرغبة في ابرام صلح تراض وتصاف لاصلح غبن وتحكم ، ولكن هذا الصلح مستحيل ما دام الجيش لا يلجئ الاعداء الى قبوله ، وهيهات أن يصل الجيش الى هذه النهاية إلا إذا ساعدته الأمة بكل مواردها الحيوية عليها وهذه المساعدة انما تتيسر بوجود رجل حازم قدير صارم على رأس الحكومة يستخدم سائر عناصر البلاد في مصلحة الجيش لقد كانت البلاد في عام ١٩١٤ لا تشعر إلا بعاطفة واحدة وهى الرغبة في الانتصار واملاء شروط الصلح .

ومن الغريب أن المستشار لم يفكر في الحصار النائل الذى ضربته انجلترا على الامة الالمانية مخالفة به كل حقوق الانسان والقوانين الدولية وعاطفة الرحمة والانسانية ، ولا فكر بالمثل في اخوته الذين فى الاسر يذوقون كؤوس الذل والهوان وليس من العدل ولا من الانسانية أن ننتقم لهم من الوف الاسرى الذين بين أيدينا

وكذلك لم يدافع المستشار عن سيده الامبراطور الذى يؤيده والذى وضع ثقته فيه ولم يشأ ان ينزعه من مركز الاستشارة عندما أعلن ويلسن تصريحه حالة دخول الولايات المتحدة الحرب بشأن الشعب الالماني والامبراطوره وامرائه ، فلقد أحتج الرايخستاج إذ ذاك ولكن المستشار التزم السكوت التام

وبالاختصار اني لم أجد هذا المستشار الرجل الذى يمكنه أن يعمل باتحاد مع المعسكر العام الاكبر والذي يستطيع أن يهيئ للجيش أسباب الانتصار النهائى الذى يؤدي الى ابرام الصلح العادل فالمهمة التى أخذتها على عاتقى لا يمكن تحقيقها فى مثل هذه الحالة وإذن لا يسعنى إلا تقديم استقالتي

ولقد ابدى الفيلد مارشال هندنبورج وقدم استقالته بالمثل وارسلنا استقالتينا في مساء ١٢ الى برلين، وكنا اخطرنا قبل الظهر وزير الحربية بما عزمنا عليه، فاجاب الوزير بانه بالنظر لمركز الجيش الحالى يحسن بالفيلدمارشال ان يقدم تقريراً آخر الى الامبراطور ومن جهة اخرى فان الامبراطور ابدى رغبته في محادثتنا

وكان وريث المانيا قد حادث زعماء الاحزاب في الرايخستاج فلم يجد منهم من يؤيد المستشار وبناء على التقرير المقدم من ولى العهد فى هذا الصدد قرر الامبراطور أن يقبل من الفون بيتمان تقديم استقالته مرة أخرى

وعندما وصلنا الى برلين فى صباح ١٣ كان الامبراطور قد بت فى الامر فرجوت أن يتاح للاستشارة الرجل الحازم الذي يستطيع أن يحسن حالة الامة الادبية وينهض بالبلاد من العثار الذي أصيبت به.

وكنا قد عزمنا الفيلدمارشال وانا فى زيارتنا برلين يوم ٧ على أن نطلع

أعضاء الرايخستاج بصراحة على حقيقة الحالة الحربية إلا أننا لم نفعل ذلك إلا يوم ١٣ وتناقشنا مع النواب في مواقفنا في سائر الساحات وحرب الغواصات والحالة الاقتصادية فكانوا يرددون دائماً ذكر الصلح فأفهمتهم أن الحالة لا تدعو الى اليأس وختمت قولي بهذه الجملة (اننا سنظفر إذا ظل الشعب محتفظاً بالاتحاد خلف الجيش . ويجب على ممثلي البلاد أن يعضدونا) .

ثم طلب الوزير هيلفريخ من النواب أن يتمهلوا في نشر قرارهم المختص بالصلح الى أن يتفاوضوا مع المستشار الجديد غداً أو بعد غد فوافقوا إلا انني رأيت هذا القرار منشوراً في الصباح في جريدة الفورفارتس وحاولت كثيراً أن أحول دون نشره فلم أوفق لان غالبية المجلس كانت موافقة على ابرام الصلح .

وتعين الدكتور ميخايليس مستشاراً وكنا قد طلبنا من الامبراطور أن يسمح لنا بزيارة الرجل الذى ستسند الاستشارة اليه قبيل تعيينه إلا أن هذا المطلب كان عسير التحقيق لأن اختيار هـــذا الرجل صادف عناء فالظاهر أن الجيش أنبت رؤوساً كبيرة وأما الادارة فأصيبت بالعقم وهذا أمر يستوجب الأسف . والح علينا المستشار الجديد بحضور المناقشات التي ستحدث في وزارة الداخليــة في صدد قرار الصلح مع أعضاء الرايخستاج فبعد الامتناع في بادئ الامر لاننا كنا أتممنا مهمتنا منذ مساء الأمس ولا حاجة لنا بالتعرض لجو الفوضى السياسية رأينا أن نجامل المستشار بتسهيل تحمل هذا الميراث الثقيل عليه قبقينا . وأخذنا نظهر للدكتور ميخائيليس مقدار الفائدة العظيمة المترتبة على تساند المعسكر العام الأكبر والحكومة . وكتب اليه الفيلد مارشال عدة رسائل في هذا الصدد .

ودارت المناقشات حول ابرام الصلح فأظهرنا مضار القرار الذى يصدره الرايخستاج في هذا الصدد فكان الجواب أن الاغلبية البرلمانية تعتمد في اصدار هذا القرار على الرأى العام حتي إذا لم يتيسر هذا الامل حمل الجمهور على موالاة الكفاح ضد أعداء لا يقبلون الاتفاق معه . وأن هذه لصورة محزنة تمثل حالة الجمهور في اسوإ مظهر . على أن الأمل في سقوط الاعداء كان قريباً الى الذهن إذ ذاك لأن الاشتراكيين الروسيين أرادوا أن يلجئوا حكومات الاتفاق على العدول عن مقاصدهن . فلم يسع الفيلد مارشال إلا أن يحتج بصفته أقدم ممثل للجيش في هيأة القيادة العليا على قرار الصلح. واقتصرت على أن أظهر لأعضاء الغالبية الموجودين بجانبي إن هذا القرار أهمل فيه رأي الجيش فأبدى هؤلاء النواب اعتراف الأمة بالجميل للجيش . وعند عزمنا على الرحيل رجوت من النائب أرزبرجر أن يعارض في اصدار هذا القرار . إلا أن هذا القرار انتشر من منبر الرايخستاج في سائر العالم . فلم يكن له أقل تأثير في نفوس أعدائنا سوى الاستدلال به على ضعفنا . وأخذ البلغاريون والعثمانيون يساورهم اليأس من اقتدارنا على الظفر . ولم يحدث الغرض المقصود في الداخل من امتناع العدو عن تقبل مقصدنا الحسن ، وبدلا من استبسال الامة واعتزامها على مقاومة الخصم الذى لا يريد التصافي معها أخذت تزداد جنوحاً بل تشبثاً بفكرة الصلح القائم على قاعدة التراضى والتصافي . هذه هى النتيجة التي أحدثها قرار الصلح ولقد أردنا الفيلد مارشال وأنا أن لا نحدث انقساماً فى الداخل بين الحكومة وغالبية الرايخستاج فسمحنا للمستشار بأن يذكر في المجلس اننا نعضده في آرائه وانتظرنا منه في مقابل ذلك أن يزيل على توالى الزمن تاثير هذا القرار واعداد الأمة للاستمرار على الدفاع عن سلامة الوطن حتي يقبل

اعداؤه ابرام صلح شريف عادل .

ولاحظت وانا في برلين أن حالة البلاد الأدبية ساءت . ولم يكن في استطاعتي أن أقف مكتوف اليدين أمام هذا الانحطاط الخلقي المؤدى الى انحطاط الجيش بالطبع . فرجوت من المستشار الحديث كما رجوت من سلفه في العام الماضى أن يتولى بنفسه ادارة مصلحة تتصرف في شؤون الصحافة وترويج النشر في البـلاد . فوعدني بالمناقشة في هذا الصدد في أواخر أغسطس .

— ٨ —

ان حالة البلاد العقلية كانت تدعو الى الحذر والعمل الموصول . وكانت مجاري الاحوال اذ ذاك تسمح كلها لنا باكتساب الحرب . الا ان الحرب كانت لاتزال دائرة ومن الواجب ان نحتفظ بما اكتسبناه الى ذلك الحين . فصار من الضروري التنبه الى الحالة العقليه السارية في داخل البلاد لان الاضطراب لم يعد مقصوراً على الأهالى بل لقد تخطاهم الى الجيش . وقد كتب رئيس المعسكر العام الاكبر يوم ٢٥ يوليه في هذا الصدد : « من المؤكد ان الحزب الاشتراكي الديموقراطي المستقل يسعى لاحداث اضطراب في الجيش مضر الى الدرجة القصوى بطاعة الجيش » وقد أكد ليد يبور رئيس الاشتراكيين المستقلين هذا البيان اذ قال في احد اجتماعات الجنود والعمال بخصوص الحوادث التى وقعت ما بين ٥ و ٩ نوفمبر ١٩١٨ : « ان هذه الأيام الاربعة التي انتهت بيوم ٩ نوفمبر اتاحت لشايدمان ورفاقه ان يجنوا ثمرات ما غرسه وتعهده المستقلون في عامين تقريبا » . وكذا

صرح بالبيان الآتي الزعيم ريشار موللر : « لقد اعدت وسائل الثورة في يونيه ١٩١٦ على الرغم من ان مقاصدها لم تكن اذ ذاك واضحة تماما » وهكذا اخذ الحزب الاشتراكي الديموقراطي المستقل يستعد للثورة وغالبية الرايخستاغ وقسم من الشعب ومن الصحافة تعضده على غير علم منها .

وعن لى في يوليه ١٩١٧ انه لايحسن بالقيادة العليا ان تلتزم جانب الجمود الى آخر اغسطس وان لابد لها من من اتخاذ وسائل خاصة لانهاض حالتنا الادبية الا اني كنت معتقداً ان كل عمل لا تتداخل فيه الحكومة لا يصادف نجاحا ولكن الحكومة بطيئة واعمالها مختبطة مرتبكة وعلى الرغم من وجود المستشار الجديد فانها لاتزال باقية على ما كانت عليه

ففكرت في ايجاد محاضرات لترويج الافكار الوطنية بين الجيش إلا أن هذا العمل لم يكن سوى مشروع ضعيف نقارع به ترويج الدعوة الفظيعة القائم بها الانفاق في الجيش الالماني . ثم لاح لى أن نتوسع في انهاض الشعور الوطني في مجموع الشعب ولكني لم أجد مساعداً على تنفيذ هذه الفكرة على الرغم من موافقة المستشار الدكتور ميخائيليس والوزير كوهلمان

ولكي يكون لهذا العمل تأثير ناجع في نفوس الجنود رأيت أن تكون المحاضرات قائمة على أساس الحالة الاقتصادية . فأردت أن يفهم الجندي أن الحالة الاقتصادية في المانيا تساعد على رخاء عيشة العامل وإن الحرب القائمة الآن انما يراد بها حرمان المانيا من أهم موارها الاقتصادية وافقارها والقضاء عليها فمن الواجب اذن الاستمرار على متابعة الحرب حتى يعدل الأعداء عدولا نهائياً عن فكرة اعدام المانيا وحتى يتيسر نمو الحالة الاقتصادية في المانيا بلا عائق .

ثم أفهمت الجيش أن انتصارنا النهائي محقق وهو متوقف على اتفاق الادارة والسلطة من جهة وعلى طاعة المرؤوسين من جهة أخرى . وأخيراً ذكرت للجنود أن الانانية يجب أن تمحى من النفوس امام المقصد الوحيد الاسمي، وإن الاضراب عن العمل يعرض سير الحرب للخطر ويؤدي الى اراقة دماء العساكر بكثرة ، وان المبدأ السلمي وكذلك تثبيط الهمم يطيلان أمد الكفاح ، وان الاتحاد الداخلي مدار القوة ، وإن كل العوامل الأخرى مضعفة .

وأخيراً جعلت المقصد من الحرب تأمين مستقبلنا ، وانتهيت بدعوة الشعب والجيش الى أن يسير امتكاتفين ثابتي الجأش خلف زعماء الامبراطورية الى ابرام الصلح .

وعرض مشروع التثقيف الوطني على الرايخستاج في اكتوبر إلا أن الرايخستاج لا يلذ له إلا الانتقاد .

ولقد كان يوجد في البلاد فريق من الالمانيين الملمين بحقيقة مقصد العدو فارادوا أن ينهضوا حالة البلاد الادبية وانشأوا لهذا الغرض « حزب الوطن » (فاترلاندس بارتاى) واني وان لم تكن لي أدنى صلة بهذا الحزب فقد استقبلت عمله بابتهاج عظيم لما سيكون له من الفائدة في سير الحرب . إلا أن هذا الحزب لم يلبث ان استجره تيار السياسة الداخليـة فقضت الحكومة وخصومه على حميته . فكانت مشيئة الله هكذا : لقد تخلى الله عن مساعدة الشعب الألماني لأن هذا الشعب تخلى عن مساعدة نفسه .

وشغلني مشروع التثقيف الوطني الى درجة عظيمة فرأيت خـير واسطة لتعليم الجيش أن أعهد بنشره الى ضباط الجبهة وضباط الصف بل الى من هم دونهم من ذوى الكفاءة و الأخلاص وأحياناً الى رجال مدنيين

وكان لا بد من مضى زمن كاف لنجاح هذا المشروع لانه صادف عقبات كأداء وقوبل في بادئ الامر بشئ من الارتياب .

ولم نكن نهتم برفع الحالة الادبية لدى الجنود فقط بل لقد كان من الواجب الاهتمام بمساعدتهم مساعدات تعوض عليهم ماتجشموه من المتاعب والاهوال في سبيل الذود عن الوطن ففكرنا في انه لاينبغى الاقتصار على العناية باسرات الجنود الصرعى في حومة الوغى بل ينبغى التدبر من الآن في منح الجنود الاحياء مساكن لايوائهم بعد عودتهم من الميادين المختلفة واقطاعهم اراضي زراعية باثمان منخفضة جداً تدفع على مدة طويلة مع منحهم حق تملكها ولكن كل هذه الاعمال الخيرية كان لا بد من السير فيها بتؤدة من غير الاعتداء على نظام الملكية القديم والغاء حقوقه . ولقد أثرت فيّ آراء المصلح العقارى المسيو داماشك أعظم تأثير لانه أثبت ضرورة خفض أجور المساكن وعلى الاخص لجمهور العمال واتقاء المضاربة بالأجور ، وكذلك أثرت فيّ خلاصته التاريخية . وظهرت لى المعلومات التي قررها عن أزمة المساكن بعد حرب ١٨٧٠ — ٧١ في منتهى الخطارة ولم يسع المعسكر العام الاكبر ازاء هـذه المسألة الاّ ان يخابر المستشار ليستصدر عدة أوامر امبراطورية ترتبط بهذه المسألة . وعهد المعسكر العام الاكبر الى الدكتور القائد فون شاريننج ومساعديه وعلى الأخص الدكتور هوخ هاينر القائمين بادارة الشؤون الصحية في ميادين القتال الاهتمام بكل ماله عـلاقة بمسألة انماء الاهالى . فأودع هؤلاء الاطباء آراءهم في مذكرة ارسلت الى المستشار .

وبهذه الطريقة أخذت أهتم بكل ما يؤدى الى ايجاد نسل قوى نرح بعد الحرب . وأردت أن أوجد في البلاد الممتدة على سواحل البلطيق أراضى واسعة يستعمرها الجنود وكذلك عدد كبير من الألمانيين تنتظر

عودتهم من الروسيا. وكانت هنالك بقاع واسعة خصبة إلا أنها غير مزروعة يمكن اقطاعها الألمانيين بدون مزاحمة السكان الاصليين والتضييق عليهم وكذلك مقاطعة الألزاس واللورين يجب أن تكون مجالا للاستعمار الذي سيؤدى بهذه الأرض الالمانية العتيقة الى استعادة طبيعتها الالمانية الاولى. وأنبرى القائد ها هو ندورف لدراسة هذه المشروعات الوطنية الواسعة بتعمق شديد وتألفت لهذا الغرض شركات استعمارية المانية لاقت تعضيداً كبيراً من أعظم الدوائر الالمانية ذات الشأن واهتم بها الجمهور الالماني اهتماما شديداً

وكانت عنايتنا بالطلبة الذين كانوا يؤدون إذ ذاك الخدمة الوطنية وبتلاميذ الفصول الراقية عظيما بالمثل لأننا رأينا مستقبلهم محفوفاً بالظلام فأردنا أن نحفظ لهم مستقبلا حسناً لأجل مصلحة الوطن نفسه. وبذل الدكتور شميد وزير المعارف البروسية مجهوداً عظيما في هذا الامر.

— ١١ —

لم تكن خطط الحرب وشؤونها الخاصة هي المسائل الوحيدة التى تشغلنى في كروزناخ بل كانت هنالك أمور أخرى تعرض لى وإن لم تكن في منزلة الشؤون الاولى. وكانت الحياة تنقضى هنا كما كانت تنقضى في المعسكر العام الشرقى. فكان كثيرون من الزوار يجيئون ويذهبون، وعلى الرغم من العمل الهائل الذى يثقل كاهلي كنت اجد من الوقت ومن القول ما استقبل بهما هؤلاء الزوار. وكنت موصول الاحاديث مع وزيري حرب بروسيا وبافاريا في صدد انهاض الحالة الأدبية لدي الجنود وفي داخل البلدين وفي صدد الاشخاص اللازمين للجيش. وكنا نخوض بالمثل في مسألة

أبطال التسلح مقدماً فقد كانت منتشرة إذ ذاك انتشار صلح التراضى والمساواه . وكنت أرى هذه الفكرة مستحيلة قبل تغير شؤون العالم جمعاء كما كانت تراها كذا حكومات انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الديموقراطية . وكنت أهتم أيضاً في أوقات كثيرة بمسألة المآكل وبما يماثلها من الامور المرتبطة براحة البلاد ورخائها .

وكنت مهتما من الوجهة العسكرية بمسألة الدوبروجه التى كانت مشكلة المراحل فيها تعرضنا لمجافاة بلغاريا لنا إذ كانت بلغاريا تريد أن تضم هذه المقاطعة اليها كلها بدون مبالاة بمراحل الجنود الألمانية . وقد حضر الملك فرديناندو معه رادسلافوف للفصل في هذه المعضلة . ولم تنجح الحكومة الألمانية في حمل بلغاريا على اقصاء سفير الولايات المتحدة من صوفيا حسب رغبة المعسكر العام الاكبر الالماني وقد ادت هذه المسالة فيما بعد الى اهتمام الحكومة الامبراطورية بها .

ومن أهم المسائل السياسية التى كانت تشغلنا مسألة الاراضى الروسية المحتلة وفي مقدمتها بولونيا التى كان من المنتظر أن يحدث اعلان صيرورتها مملكة اهتياج العنصر الليتوانى . ولا شك في أن ضم ولاياتنا البولونية المندمجة في بروسيا الشرقية وبروسيا الغربية الى بولونيا المحررة من شأنه أن يحدث ارتباكا شديداً في أعمالنا العسكرية ولا سيما على أثر ازدياد المطامع البولونيه . وأرادت بولونيا أن تصبح مملكة واسعة النطاق على حساب الولايات المجاورة لها فأدى طمعها هذا الى تخوف الليتوانيين . ومن جهة أخرى كنا نرى الليتوانيين أخف مطامع من البولونيين واجنح الينا وآمن عاقبة من مناظريهم فرأينا حينئذ لأجل مصلحة الحرب ومنعاً للمنازعات التي لا تنتهى بين العناصر المختلفة أن تقيم ثلاث حكومات مستقل

بعضها عن بعض أولاها بولونيا والثانية ليتوانيا والثالثة كورلاندا . وقد دارت مفاوضات عديدة طويلة في هذا الصدد بين المعسكر العام الاكبر الالماني ومستشار الامبراطورية ورآسة الجبهة الشرقية واسفرت عن بقاء الشؤون العسكرية في بولونيا كلها تحت تصرف المعسكر العام الاكبر طول مدة الحرب وهذا الحل سهل كثيراً مهمتنا في الميدان الشرقي .

وعدا هـذه المسألة كانت توجد مسألة ثالثة تشغل بالنا وهى مشكلة الالزاس واللورين. فهذه البقعة الالمانية أصلا لم يكن من المناسب جعلها في حكم المستعمرات بمنحها حكما ادارياً خاضعاً يجعل سكانها الذين من العنصر الفرنسوى دائماً نازعين الى فرنسا فلازالة هذه الحالة كان لابد من جعلها جزء غير قابل للانفصال من المملكة البروسية . وهذه الطريقة لا تتم الا بصبغ أهلها بالصبغة الجرمانية البحتة التي لا أميل في الحقيقة الى الالتجاء اليها الا لاسباب قهرية . وللوصول الى هذا الغرض كان لا بد من انتقاء الموظفين الاكفاء الذين يستطيعون بذكائهم وتصرفهم الحسن ان يزيلوا أسباب الاختلاف والنفور ويجعلوا هذه الولاية بقعة المانية بحتة . ولكن لا ينبغى انتقاء هؤلاء الموظفين من بروسيا لانهم وان كانوا لن يتأخروا عن تحقيق آمالنا تماماً وبسرعة مدهشة الا انهم مشهورون بالشدة بل من المستصوب انتقاؤهم من أهالى المقاطعة الرينية المشهورين بالدعة واللين .
وكانت أمامنا عقبة تحول دون الوصول الى مطلوبنا وهى امتلاك الاهالى الذين من العنصر الفرنسوي أملاكا جسيمة،ومن المعلوم ان الفرنسويين أثناء الحرب السبعينية طردوا الالمانيين الموجودين في بلادهم الا انهم لم يصادروا ملاكهم فلم يسعنا قبل الحرب ولا في بدء نشوبها التعرض لاملاك العنصر الفرنسوى ، الا ان انجلترا لم تلبث ان ابتدعت مبدأ جديداً اذ

صادرت أملاك الالمانيين المتوطنين في بلادها لتتخلص بهذه الطريقة من مزاحمتهم الفظيعة التي كانت تضايقها جداً فتبعتها سائر دول الاتفاق . فكان لا بد لنا حينئذ من اتباع الطريقة المثلى في المسألة الالزاسية وقد طلب منا الفيلد مارشال الدوق البيرت الوورتنبيرجي حاكم الزاس واللورين العسكرى تعليمات واضحة يسير بمقتضاها في شؤون هذه الولاية ، فطلبنا من المستشار عقد مؤتمر خاص لهذه المسألة فحدث الا انه لم يفض الى نتيجة جلية .

معركة الفلاندر وسقوط الروسيا

في صيف وخريف ١٩١٧

بعد الوقعة التى حدثت يوم ٧ يونيه عند مدخل وتشاثيت بدأت معركة الفلاندر يوم ٣١ يوليه بعد تمهيد بالمدفعية استغرق عدة أيام: وبهذه المعركة يحدث ثاني عمل حربي عظيم قام به المتفقون في ١٩١٧ ، وما هو الا كفاح نهائي لادراك النصر والاستيلاء على قاعدة غواصاتنا في الفلاندر . وانتشرت الوقائع على سائر الجبهة الغربية تقريباً . وعلى الجبهتين الايطالية والمقدونية ثم عشت فيما بعد الى الجبهة الفلسطينية .

ان المعارك الناشبة في هذه الآونة في الساحة الشرقية ندحت الى حد ان جاءت خسائرنا فيها بدرجة لم تصل الى مثلها فى سائر أدوار القتال التي حدثت حتي الآن وزاد الحرج ان عجز المعسكر العام الاكبر عن اسعاف هذه الساحة بمدد من الميدان الشرقى لاننا نريد ان نظل أقوياء هنالك ليتسنى لنا ادراك الفوز الفاصل على الروسيا ورومانيا ونستطيع بعد ذلك أن نتفرغ بكل قوانا لمهاجمة فرنسا أثناء ١٩١٨ مهاجمة حاسمة

بالاعتماد على حرب الغواصات اذا كانت هـذه الحرب لم توصلنا الى الغاية المنشودة في ذلك الحين . وكانت الحالة العسكرية تتطلب مني ان أتحمل على عاتقي تبعة ثقيلة أنوء تحتها متململا . وانما أتحملها لعلمي بأن هـذه الحالة ستصبح في ١٩١٨ في منتهى الخطورة . ومن البدهي ان المعسكر العـام الاكبر لم يعد في وسعه ان يحرك جندياً واحداً من أحد مواقع الساحة الغربية الى موقع آخر . وكنت أري ساعة الخطر تزداد اقتراباً كلما رأيت حربنا البحرية تتأخر عن تحقيق ما هو منتظر منها . والخلاصـة انني لم أكن من أولئك الاناس الذين ينكصون على أعقابهم أمام الخطر الداهم، فانما وجدت في مركزى هذا لتلافي الخطر ولاستخدام كل شيء في سبيل وقاية وطننا المقدس من أفدح مصيبة متجهة اليه

وكان من الواجب علينا ان نظل منقضـين في الشرق على الروسـيا بضربات ساحقات تؤدي الى تداعى أركان ذلك البناء المشمخر .

وأردت القيام بحركات مهمة في الروسـيا الا اني علمت بأن كل عمل هناك لا ينتج الغرض المقصود الا اذا تمت أعمال مد السكك الحديدية اللازمة لنقل الجنود والذخائر فأصدرت أوامرى بوقف كل هجوم حتى تتم هذه الاعمال . وفي أواخر سبتمبر كانت قد انتظمت السكك الحديدية في جنوب الدنيستر فلاح لى حينئذ ان وقت العمل النهائي في الروسيا قد حان. فأمرت بنقل الجنود اللازمة الى أماكن الهجوم الجديد .

وكانت كل الايام التي انقضت ما بين ٣١ يوليه وأواخر سبتمبر عصيبة جدا . ففي ٣١ يوليه هجم الانجليز على بقعة امتدادها ٢٥ كيلو متراً بدفعية وذخائر قلما عهدلها مثيل حتى في الميدان الغربي نفسه وتمكنوا من دخول هذه البقعة في عدة أماكن بالتا نبكس . وكانوا قد أعدوا فرقاً من الخيالة

المطاردة . إلا أن أركان حرب الجيش الرابع تمكن بواسطة فرق التداخل من وقف تقدم الانجليز وحصره في أماكنه . وكانت النتيجة استيلاء العدو على أماكن يختلف طولها في الدخول ما بين كيلومترين وأربعة كيلو مترات وخسائر عظيمة من الاسرى وأدوات الحرب وانفاق مقادير جسيمة من ذخائرنا الاحتياطية .

وفي آخر أغسطس هجم الفرنسويون في شمال سان كنتان بلا جدوى على موقع سيجفريد ، وكذلك قاموا بعدة وثبات أخرى على هضاب الشمان ديه دام لم تكلل بالنجاح .

على أن هجوم الفرنسويين الاساسي انما كان في فردان ابتـدأ من يومي ٢٠ و ٢١ أغسطس ولم يكن هذا الهجوم امراً فوجئ به الجيش الخامس بل كان ينتظره واخلى الاماكن التي يخشى من عدم الثبات فيها منذ بضعة اسابيع . وتمكن الهاجمون بغير التانكس من التغلغل الى اغوار عميقة في اماكن متعددة من جبهتنا هنالك . وكان هجومهم موفقاً على الضفة اليسرى من الموز واما على الضفة اليمنى فقد اخفقوا . ومع ذلك فقد بذلنا من الجهد هنا ما بذلنا مثله في الفلاندر لاتقاء شر الهزيمة . وكان يوما ٢١ و ٢٦ اغسطس حافلين بانتصارات العدو وبخسائرنا الجسيمة . واظهر الجيش الفرنسوي بسرعة استعداده للهجوم بعد ان عجل بتلافي ازمته الفادحة وفي هذه الايام عرض ساسة باريس شروط صلح لا يتفق مع موقف الدول المتفقة الحربي

وكان للخسائر الجسيمة الحادثة في اغسطس وقع شديد على جنود الجبهة الغربية . ولم يكن الجنود في حالة تتفق مع ما بذله قواد القطاعات وما بذلته انا نفسي من الجهود العظيمة . ولم يلجأ الفرنسويون الى الخطط التي اتبعها

القائد نيفيل من قبل بل تبعوا طرق هجومنا واتخذوا الحيطة التامة لاتقاء كراتنا وهذا بالطبع ما لم نتلقه بالاستبشار

ولقد صرت مهموماً جداً لان حالة الجبهة الغربية لابد من ان تعيقنا عن تنفيذ خططنا المرسومة للساحات الاخرى. وصار من الضروري ارجاء الهجوم المنوى على ضفة الدونا. وهل من المنتظر ان يستمر المعسكر العام الاكبر على ابقاء كل تلك الفرق في الميدان الشرقي؟ لم يكن وريث التاج وحده هو الذي يشك في هذه المسألة بل لقد كان عدة من كبار الرؤساء المفكرين يشاركونه في رأيه. إلاّ انني كنت أناجي نفسي لعلمي بحالة اعدائنا ان الذي يجب التفكير فيه فقط أثناء هذه الحرب انما هو الانتصار أو الانهزام، وانه ينبغي الاعتماد على وسيلة معينة ازاء رغبة الاعداء الصادقة في محونا. وكنت مقتنعاً بان الجبهة الشرقيـة قادرة على الثبات حتى فيما لو داهمتها أهوال أفدح بكثير مما أصابها في الهجمات الاخـيرة. إلا أن قضاء مبرماً عرض لها لاتقوى على مناهضته كفاءة الانسان.

ولم يعدل المعسكر العام الاكبر عن عزمه على الهجوم في منطقة الدونا لأن اقتراب هذه المنطقة من سانبطرسبورج جعلته يتوقع فوزاً عظيما.

وكنا نرى هجومنا في مولدافيا ثاني الأمور الواجب البت فيها. إلا أن هذا الهجوم الذي ارجئ الى الانتهاء من اتمام مد الخطوط الحديدية اللازمة له لم يدخل في دور التنفيذ بتاتاً. وذلك لأن هجوم الايطاليين في أواخر أغسطس للمرة الحادية عشرة في جبهة الايسنزو الذي قرن بالنجاح والذي استتبع هجوماً آخر في أوائل سبتمبر جعل الجيش النمسوي عاجزاً عن صـد الايطاليين حتي حسب ولاة الامور في النمسا عدم استطاعة الجيش النمسوي الدخول في معركة أخرى في هذا الملتحم مالم يمـد بجنود

المانيين ، ولم يكن من الموافق امداد هذا الجيش بجنود المانية تمكنه من الثبات على الدفاع فقط بل كان لابدمن امداده بالقوى الالمانية التي تتيح له القيام بهجوم عظيم وهذا الرأى هوالذى حال دون الهجوم في ميدان مولدافيا

إلا انني كنت اوثر الهجوم في مولدافيا على الهجوم في ايطاليا لأن الاول يؤدى الى انتهاء حالة الحرب مع الروسيا بتاتاً. ومع ذلك فان الهجوم على الايطاليين مؤد بلاشك الى تخفيف عظيم عن جهتنا الغربية . ولانعلم إذا كان تجاحنا فيه مع الازمة الفحمية المستحكمة في ايطاليا يخلقان ازمة عصبية داخل البلاد الايطالية . وعلى كل حال صار من الضرورى الهجوم في الميدان الإيطالى لمنع تدهور النمسا .

وأخذت أعد العدة لهـذه المشروعات الجسام وأتفقد مواقع الساحة الغربية ولم أعتمد على برلين التى اعتادت التلكؤ والجمود .وفي أثناء سياحتى هذه قلبت المركبة التى كنت فيها ونحن نأكل والقطار في مسـيره فحدث اضطراب وجزع شديدان مدة وجيزة . وتأثرت أعظم تأثر لموت ولدى الاكبر أو بالاحرى ولد زوجتي لانهـا لم تلد مني ذكوراً . وكنت أحب هـذا الولد حباً جماً بقدر ما كنت أحب أخواته البنات . ورأيته لآخر مرة منذ عهد قريب في مدينة ليل وهو يتوقد حمـاسة في فنه ولأجل وطنه. فأصيب في معركة جوية فوق المانش . ولم نهتد الى شلوه الا بعـد بضعة اسابيع وقد قذف به الموج الى ساحل هولاندا .

وبعد توتر الحالة هدأت واستقرت في الفلاندر منذ أواسط اغسطس وفي فردان وايطاليا منذ اول ومنتصف سبتمبر .ولم يعلم أحد مقدار الزمن الذى سيمضى في السكون .

وهجم الاتفاق بجنوده في الجبهة المقدونية ما بين ٣٠ أغسطس و ١٠

سبتمبر لانه لم يفز بطائل . وكذلك هجم بشدة على الهضاب المشرفة على اوخريده وهذا الهجوم له تأثير عظيم في مسالك الحرب العام لانه أدى الى اتساع الجبهة البلغارية .

ولم تقع في رومانيا والروسيا سوى هجمات محلية لا شأن لها من الوجهة الحربية .

وسمحت الحالة فيما بين الكاربات وتارنوبول بأخذ قوي لجعلها احتياطاً لاعمال حربية أخرى .

وفي أول سبتمبر تمكن الجيش الثامن من عبور الدونا بعد ان هاجم رأس الجسر الذى كان يحتله الروسيون وطردهم منه بغير عناء شديد.وعلى أثر ذلك منعنا هذا الجيش من موالاة زحفه وطلبنا منه ان يحصن موقفه بين الدونا وخليج ريغا وأخذنا منه عدة فرق للميدان الغربي وللجبهة الايطالية . ومع ذلك فقد ظل هذا الجيش قادراً على مطاردة الجيش الروسى وهو يلهث من شدة التعب . واذ ذاك سرى عنى بعض حرجى لانى بلغت سؤلى في الجبهة الشرقية .

— ٢ —

ان الطريقة التى اتبعتها النمسا في سنة ١٩١٦ لم تعد صالحة للهجوم على الايطاليين في عام ١٩١٧ واذ لم يكن فى استطاعتنا أن نسعف الجيش النمسوى بأكثر من ٦ الى ٨ فرق وهذه القوة الضئيلة لاتسمح باتخاذ خطة الهجوم في التيرول فقد صار من اللازم أن نتخير أضعف نقطة في الجبهة الايطالية لنقوم فيها بضربة قوية على غرة من العدو وقبل أن يتمكن من

بالدفاع عن نفسه في هذه النقطة فينجم عن هذا العمل اختلال واسع النطاق في سائر النقط الاخرى من هذه الجبهة .

ووجدت المجال الصالح لهـذا العمل بين فيلتش وكنال . وعلى الرغم من حزونة الارض ووعورة الجبال هنالك فانه كان خير مجـال لاحداث الخلل في جهة الايسونزو اذا أمكن نقل الجنود بمدافعهم وأدواتهم الى هذه الجبهة واستخدامهم لاحراز النصر فيها . ولاجل التأكد من صلاح هذه البقعة للهجوم المكلل بالظفر أرسلنا بعثة فنية جاست خلالها بموافقة المعسكر النمسوي العام وقررت هذه البعثة امكان العمل ووضعت التفاصيل اللازمة له

وبما ان هذه المنطقة الجبلية كانت تستلزم مدفعية جبلية والمانيا في عوز شديد الى هذا النوع من المدافع سواءاً كان ذلك قبل الحرب أم أثناءها فقد استمددنا بالنمسا ما مست اليه حاجتنا منه .

وشرعنا على الاثر في حشد وتجهيز الفرق المختارة ونقلها واخترنا الجنود المعتادين على قتال الجبال كما اننا انتخبنا الوحدات التي لم يتح لهـا دخول غمرات القتال ولا تزال متعطشة الى إحراز فوز يشرفها .

وأراد الامبراطور شارل ان يتولى هو نفسه ومعه المعسكر العـام الاكبر النمسوي ادارة الهجوم المنوى في السـاحة الايطالية . وانتدب المعسكر العام الاكبر الالماني لتولى قيادة الجنود الالمانيين المخصصين للهجوم خيرة القواد والضباط واستوثق من الاتصال بهم في كل أدوار العمل بمد التلغرافات والتليفونات في كل أماكن الهجوم . ولكن هذا العمل الحربي لم يكن منتظراً حدوثه قبل منتصف اكتوبر .

وفي هذه الاثناء ظلت الوقائع متتالية في الجبهة الروسية وأردنا أن

نستولى على جسر جاكو يستاد الحصين فأعددنا له حملة مكينة أدت الى انتزاعه من الروسيين في ٢١ سبتمبر وكذلك أردنا الاستيلاء على جزر اويسيل ومون وداجو فأعددنا لها عمارة بحرية صغيرة وعدة نقالات الا ان هبوب الرياح بشدة حال دون انزال الجنود في هذه الجزر قبل منتصف اكتوبر بالمثل .

وأدى تأجيل هاتين الحملتين الى منتصف اكتوبر الى تحملنا اعباء ثقالا . وذلك ان الهدوء العميق الذي استولى على الساحة الغربية واجتذب الافكار الى معركة الفلاندر التي انتهت لم يلبث ان تقوضت أركانه يوم ٢٠ سبتمبر اذ حدث هجوم جديد شديد على خطوطنا . وكان وسط الهجوم في المنطقة الكائنة بين باشندائيل وجيلوفيل . وأراد الانجليز به الاستيلاء على القمم الموجودة بين ايبروروليه ومنان . وهذه القمم كانت ذات شأن عظيم لنا لأنها محتوية على عدة نقط استطلاع أرضى مهمة ولأنها كانت تحجبنا عن أنظار الاعداء .

ولقد تكلل هجوم العدو في ٢٠ سبتمبر بالنجاح ولم يكن الفضل في نجاحه لعربات التانكس الضخمة لانها في هذه المرة غلبت على أمرها بل كان الفضل فيه لمدفعية العدو القوية ولعجز مدفعيتنا عن اصلاء الجنود المعادية ناراً ملتهبة أثناء الاحتشاد وفي خلال الهجوم . وعاود الانجليز هجومهم في ٢٢ بلا جدوى الا انهم أعادوا الهجوم بشدة متناهية يوم ٢٦ واضطر الجيش الرابع الى ان يعاني قتالا عنيفاً جداً لم يثبت فيه الا بخسائر في منتهى الفداحة . فلم يبق أمامنا اذن أمل في انتهاء سلسلة الملاحم المتلاحقة في هذه الجبهة .

وأقبل اكتوبر مصحوباً بعهد من أعصب العهود التي مرت في هذه الحرب . لقد كان العالم – وفي مقدمته كل المحيطين بي – يرى تارنو بول وكزارنوفيتز وريغاواو بسيل واونيد والتاجليامنتو والبيافا ولا يرى خفقان قلبي وهمومه ولا يشعر بدخيلة كمدى العظيم من جراء ما أصاب جنودنا في الغرب من الآلام . لقد كان عقلى في الشرق وإيطاليا وأما قلبي فلم يفارق الميدان الغربي ، فلا بد للعزيمة من ان توحد بين العقل والقلب . ولم يعد الابتهاج يغشى فؤادي منذ مدة من الزمن .

لقد انتهج العدو فى وقائع معركة الفلاندر الثالثة منوال المعركة الثانية ومعركة فردان الاخيرة : فقصر العدو مدي هجومه ليكون في مأمن من كرتنا التى أستعد للقضاء عليها باطلاق النيران الماحقة من مدافعه الكثيرة . وإذ كنت بعد كل معركة أناقش ضباطها فى تفاصيل الوقائع فقد لاح لنا أخيراً ان نعدل عن طريقتنا الحالية فى الكر أثر كل هجوم يباشره العدو بالرجوع الى احدى طرقنا العتيقة التي تتلخص فى تقوية خطوطنا الامامية أكثر من الاول والاستعاضة عن الكر بفرق التداخل التي تستجلب من الخلف بفرقة واحدة تكون مختبئة على مقربة من إحدى فرق الخط الاول فلا يكاد يهجم العدو حتى تباغته الفرقة المستترة خلف كل فرقة . لكننا اذا عمدنا الى اتباع هذه الطريقة وجب علينا ان نعممها فى سائر الأنحاء وهذا مالا يسعنا الاقدام عليه الا بعد التحقق من فائدته .

ولقد استصوبت أن أتفقد معترك الفلاندر بنفسى وأن أقيم دعائم التعديلات المراد احداثها على التجارب التي استخلصتها من مشاهداتي العينية ووضعت خطة فنية أخرى قوامها العناية بالاستكشاف الارضي قبيل اطلاق المدافع ، اذ لا توجد وسيلة أنجع من هذه الخطة لاصابة مشاة

العدو وسحقها أثناء هجومها ولا سيما حين دخولها خطوطنا وتوجيه مجموع النيران بسرعة الى النقط التي عليها مدار الفصل في حومة الوغى وأما من جهة التانكس فان ضباط الجبهة أظهروا عدم الاهتمام بها لانهم توفقوا الى دفع اخطارها

واقبلت الذخائر والطيارات والاسلحة على اختلاف أنواعها بكثرة عظيمة الى الجيش الرابع

وفي مفتتح اكتوبر عادت المدفعيات الى التناجز. ثم حدثت معركة مدفعية شديدة جداً في يومى ٢ و ٣ وفي صباح ٤ بدأ اقتتال المشاة ، ولبثنا مالكى ناصيته ولكن بثمن باهظ . ويظهر أن تقوية الخط الاول على النمط الذي قررناه أخيراً في سبتمبر لم يجىء بالنتيجة المرجوة فعن لى حينئذ أن انفذ ما استخلصته من التجارب بدون استشارة أحد وأمرت الجيش الرابع باعداد منطقة قتال متقدمة أي براح رقيق من الاراضى يقع بين خط العدو المتقدم والخط الذي يجب أن يستقر فيه الجنود المخصصون للدفاع المتحرك . فيضطر العدو أثناء هجومه الى اجتياز هذه المنطقة المتقدمة فتهيأ لمدفعيتنا الفرصة التي تمكنها من تسليط نيرانها الساحقة على جنود العدو قبل بلوغ خط مقاومتنا الاساسى . وصعوبة هذه الخطة منحصرة في اخلاء هذه المنطقة من جنودنا الذين يشغلونها وتوجيه نيران مدفعيتنا الى خطنا الخاص . فاخذ الجيش الرابع ينفذ هذه الخطة بفتور في باديء الامر ثم تعود عليها واعتقد فائدتها . وبذلت جهدي عدا ماتقدم في تدريب مدفعيتنا على حشد السنة نيرانها في مكان واحد لتكون افتك بالعدو المهاجم

وحدثت في يومي ٩ و ١٢ وقائع اخري تساندت فيها أجزاء الجبهة

اكثر من يوم ؛ على الرغم من احداث العدو فتكا ذريعاً في بعض الاماكن وسدت أماكن الفراغ من الجبهة الغربية والفرقتان اللتان كانتا قادمتين من الميدان الشرقي الى الساحة الايطالية حولتا وجهة سفرهما فجعلتاها الفلاندر . وتمت الحملة على اويسيل اما الحملة الايطالية فلم تتحقق قبل ٢٢ اكتوبر ثم أجلها سوء الجو الى ٢٤ وهو اليوم الذي وصلت فيه الازمة الى حدها الاقصى

— ٣ —

مثل الفصل الخامس من مأساة الفلاندر يوم ٥ اكتوبر . فبعد أن هطلت غيوث القذائف من سائر الانواع بدرجة لم تكن قابلة للتصور قبل الحرب ابتدأت جموع المشاة تزحف كالامواج الهائلة فحصدتها نيراننا ثم التقى الزحفان ودارت رحى المنون . وفي عام ١٩١٨ عند ما استرددنا هذه البقاع رأيناها مكسوة بربوات من الجثث تعد بالالوف وثلثا هذه الضحايا الانسانية من الاعداء والثلث الاخير من الالمانيين الذين ماتوا في هذه الساحة ميتة الابطال . وينبغي الاعتراف في هذا المقام بان بعض الوحدات لم تكن تحتمل بعد هذه الوقائع الحامية الاقامة في الحفر التي تؤثر أسوأ تأثير في الحالة الادبية والاقتصار على الحركة الدفاعية

وحدثت وقائع في منتهى القسوة في أيام ٢٦ و ٣٠ اكتوبر و ٦ و ١٠ نوفمبر فان العدو اندفع كالثور الهائج على السور الحديدي الذي يقصيه عن قاعدة غواصاتنا ثم أخذ يرتد هاجماً منقضاً على غابة هوتولست ثم على بويلكابيل وباشانداييل وجيلا ويلت وزاندفورت ، وتوصل في عدة اماكن من اجتياز خطنا . وحاول هذا الوحش الغضوب أن يخترق السور إلا أنه

لبث ثابتاً على الرغم من ارتجاجه . وعلى الرغم من صواب الخطة التي قررتها من الوجهة الخططية فانها لم تقض على جهود العدو . وكنا نعلم أن العدو يبذل في وثباته ضحايا عظيمة جداً من قواه الا اننا كنا نعلم بالمثل انه فى منتهى القوة وان قوة ارادته لا تقل عن قوته المادية . فلويدجورج يريد الانتصار وانجلترا في قبضته

وعمد الفرنسويون فى الوقت نفسه الى الهجوم . وكانوا قد بحثوا لهم عن بارزة تصلح للهجوم فوجدوها فى الجنوب الغربي من لاون وهى المعروفة ببارزة لافو . وكان قد لوحظ استعداد العدو منذ ١٥ اكتوبر للهجوم فاتخذ الجيش كل ما رآه لازماً له من ضروب التأهب والاحتياط للدفاع . وعلى الرغم من نصيحتي بتوفير قواه الى أن يحين وقت الانتصار المؤكد لم يشأ أن يتخلى عن هذه البارزة

ونجح وثوب العدو في ٢٢ اكتوبر إذ ادى الى زحفه على شافينيون واخترق قوس البارزة خرقاً ضيقاً إلا انه عميقاً فاضطررنا الى اخلاء القوس والتراجع بالجبهة الى ما وراء القناة الممتدة من الوازالى الاين . وبلغت الخسائر حداً مؤلماً جداً فقد تمزقت بعض الفرق . واجبرنا ارجاع جبهتنا الى التخلي عن هضاب الشمان دى دام التي بذلنا جهوداً هائلة في سبيل الاستيلاء عليها

وأحرز العدو يوم ٢٣ اكتوبر فوزاً آخر أثناء تقدمه الى جهة القناة إلا انه لم يلبث أن أخفق فى كل حركاته التى أراد بها الاحداق بنا أو اختراق خطنا وكان اعتماد الفرنسويون في هذا المكان على جمع مدافعه بكثرة هائلة واطلاقها بشدة متناهية كما فعل فى فردان.

وبينما كانت معارك الميدان الغربي تسقى بطاح فرنسا دماءنا كان جيشنا في الميدان الشرقى موفقاً فى الحملة التى وجهها الى اوسيل وجنودنا

الموجودة فى الساحة الايطالية متقدمة الى اقتحام الهيجاء لتنتقل من نصر الى آخر

ثم خفت الازمة الناجمة عن معركتى الفلاندر وبارزة لافو . فاخذنا نترقب عودة القتال في هاتين الجهتين إلا اننا فوجئنا في يوم ٢٠ نوفمبر بحادثة كمبريه ، ولم يكن موقع سيجفريد قوى الحماية لان الفرق التى تتولى حمايته اضطرت الى الانتشار برضاء المعسكر العام الاكبر . فنجم عن ضعف هذا الموقع خطر عجلنا بتلافيه بمجهودات كبيرة . واعمنا استبدال الفرق الغربية المنهوكة قواها بالفرق الشرقية المرتاحة القادمة حديثاً

واستفاد الانجليز من تكاثف الآجام العظيمة المنتشرة فى جهة هافر نكور فحشدوا فيها طائفة كبيرة من التانكس وعدة فرق من الخيالة بين الطريقين الموصلين من بابوم وبيرون الى كمبريه ، وفي صباح ٢٠ نوفمبر اتخذوا خطة الهجوم بعد تمهيد قصير إلا انه شديد بالمدفعية . واجتازت التانكس العوائق والخنادق وفتحت الطريق للمشاة الذين يتبعونها وكذلك لفرق الخيالة . وعلمت من محادثة تليفونية مع رئيس أركان حرب الجيش الثاني في الساعة الثامنة صباحاً ان العدو تدفق بافواجه على خطوطنا . فارسلت في الحال بضع فرق كانت فى فترة الارتياح وكذلك بضعة فرق أخرى خلف مجموعة وريث المانيا لم تذق الراحة بعد الى كمبريه . وكان القائد كوهل قد سار باتوموبيله الى الجيش الرابع قبل أن يفاجأ بنبأ المعركة التى يصطلى الجيش الثانى نيرانها المتواصلة الحامية . فاخذنا نستقدم قوي بوجه السرعة إلا أن قدومها المتفرق من أماكنها المختلفة كان يتقاضى من يومين الى ثلاثة ما بين سير الى محطات السفر ثم النزول من القطارات والسير ثانية على الاقدام الى أماكن القتال . ووصل أول قطار الى

محطة كمبريه صباح ٢١ ولم تكتمل لدينا النجدات التي تسمح بمقاومة هجوم العدو إلا في يوم ٢٢ . وحدث نألم شديد من نقص المركبات اللازمة لنقل الجنود

ولم اتبين مقدار عظم الثغرة الاحوالى الظهر فعراني اضطراب شديد. وكل ما كان يمكن عمله لتلافي هذا المصاب كان لا يزال فى طريق الاعداد . فلا سبيل سوى ترك الاقدار تجرى فى مجاريها .

ولم يستفد رؤساء الجيش الانجليزى من الفوز الباهر الذى ادركوه ولو انتهزوا الفرصة لما استطعنا سد هذه الثغرة . وأمكن حصر هجوم العدو بعد ظهر يوم ٢٢ ويوم ٢٣ فى الخط الممتدبين سيفر وبور لون وفونتان ونوابيل وما سنيير . وحينئذ رأيت ان احمل على قوة الهجوم الأنجليزى من الجنب . وهذا الرأي صواب من الوجهة الفنية الا انه عسير من الوجهة العملية لانه يقتضى مدة طويلة واعمالا تحضيرية شاقه .

وانتهى الهجوم الأنجليزي الفرنسوى دون ان يستنفد مقادير هائلة من قوانا . وفى ٢٩ نوفمبر كان الجيش الثاني قد صار مستعدا للكر . ففوجيء الانجليز وتكللت كرتنا التى حدثت في ٣٠ نوفمبر بالنجاح لاعتمادها على مفعول المدفعية الشديد الا انه لم يكن النجاح الذى كنت آمله بيد انه على كل حال يسرلنا الانتصار في الجبهة الغربية بالمثل . والذى يرفع من شأن هذا الظفر انه حدث على ايدى جنود لا يصلحون للهجوم لانهم خليط من فضلات الوقائع . وحدث شيء فى منتهى الخطارة جعل هذا الانتصار ناقصاً ، وذلك ان احدى الفرق المتينة التقت فى طريق هجومها بمستودع مؤن الهاها عن متابعة سيرها وراء العدو . وكر الأنجليز ثانية فدفعناهم وظل القتال ناشباً الى ٥ نوفمبر الذى استرددنا فيه البقاع المغتصبة

بل لقد تقدمنا في بعض الاماكن . وهذه خير خاتمة للوقائع المتناهية في الشدة التي اختتم بها عام ١٩١٧ اذ اكتسبنا نصراً مبينا على الانجليز ونقط ارتكاز في منتهى الاهمية تفيدنا فى اعمالنا الهجومية المنوية لسنة ١٩١٨

ولم يتعرض الانجليز والفرنسويون للهجوم في بقية ١٩١٧ وشغلهم ما دعتهم اليه الضرورة القصوى من انجاد حليفتهم ايطاليا التي اصيبت بهزائم شنعاء فارسلوا اليها عدة فرق . ثم ساد السكون الجبهة الغربية فى الوقت الذي صرنا في اشد الحاجه اليه

— ٤ —

بدأ الهجوم على الجيش الايطالى يوم ٢٤ اكتوبر وكان لا بد للجيش النمسوى الموجود في جهة فليتش وللجيش الرابع عشر الالماني من الاستيلاء على الجبال الصخرية الممتدة على الشاطىء الايمن من الايسونزو ومن جملتها هضبة ماتاجور البالغ ارتفاعها ١٦٤٣ مترا . وبينما كانت جميع الفرق تتسلق هذه الهضاب كانت الفرقة الثانية عشرة من المشاة منطلقة من تولمينو في اتجاه كار فريت ومارة حول الماتاجور قاصدة تشيفيدال بواسطة الطريق المنسابة فى الوادى .

وسار الجيش الرابع عشر ببطء شديد فى منطقة الجبال لانه لم يكن له فيها سوى طريقين ضيقتين جداً فى بعض الاماكن ولانه أراد اخفاء حركاته عن انظار الايطاليين . وارسلت المدافع وقاذفات الالغام تحت حماية عدة طوابير نمسوية . ثم سار المشاة بعد وصول التشكيلات المتقدم ذكرها

واستغرق حشد قوى الهجوم في المكان المعد لها عدة أيام . ولقد أفاد هجوم الاعداء بشدة في الميدان الغربي فائدة عظيمة في الجبهة الايطالية لانه صرف نظر القائد كادورنا عن احتمال حدوث هجوم فجائي في ساحته

بعد تمهيد المدفعية الذى دام بضع ساعات تسلق الجنود القمم التي في أيدى الايطاليين يوم ٢٤ نوفمبر بينما كانت الفرقة الثانية عشرة مندفعة الى الامام بجد فى الوادى لتبلغ كارفريت وتتخطاها . وتم استيلاؤنا على خط القمم بأمره يوم ٢٥ وصار الاستيلاء على القسم الاعظم من هضبة المـاتاجور . وفى ٢٧ اسـتولينا على بقاع أخرى من المنطقة الجبلية فى اتجـاه مجرى التاجليامنتو واحتللنا تشيفيدال . فبدأت الجبهة الايطالية الشمالية الكائنة على امتداد تخم كارنيول وجبهة الايسونزو تتزعزع ان الان مجموعة بورويفيك لم تقتف آثار العدو بهمة تذكر فتمكن قسم عظيم من الايطاليين من الفرار . فصـدر الامر للقائد بيلوف بالزحف بجناحه الايسر الى كودرويبو والى ما وراءها بسرعة شديدة لاصابة العدو اصابة قاضية فيما وراء التاجليامنتو . وفى ٣٠ نوفمبر سقط ٣٠٠٠٠ اسير ايطالى بين أيدينا . وفى أول ديسمبر بلغنا مجرى هذا النهر على طول امتداده فى جنوب تولميزو .

فكان يوم ٣٠ نوفمبر يوم انتصار عام في كمبريه بفرنسـا وفي جميع الجبهة الايطالية .

وتم اجتياز التاجليامنتو في ٦ ديسمبر وفي ١١ بلغنا نهر البيافا . وتقدم الجناح الايمن من الجيش الرابع عشر في منطقة الجيـاد مكتسحاً كل ما أمامه ففرت القوة الايطالية الى ما وراء نهر البيافا فانحدر الجنـاح الايمن الى المنطقة السهلية الا ان فيضان هـذا النهر حال دون اجتيازه . وأخذ الايطاليون يلمون شعثهم خلف ذلك النهر وأقبلت اليهم الفرق الاولى من النجدات الفرنسوية الانجليزية .

وصـار من الضروري بعـد انحدار معظم الجيش الى السهل تنظيم المواصـلات الخلفية بمد السكك الحديدية اللازمة . وكذلك أصـبح من

الواجب اراحة الجنود الذين أتعبهم قتال الجبال . وأخذت القوى المتخلفة في المنطقة الجبلية توالي زحفها ولكن ببطء شديد من جراء ما ألمّ بها من الوصب فلم تقو على انتزاع أهم وآخر ذروة جبلية منيعة وهي قمة جرابا.

وظهر لي من مباحثة القائد كرافت ان لا فائدة لنا من موالاة هجومنا على نهر البيافا . وبما ان الهجوم الذي شرع فيه القائد كونراد على الايسنزو في ٤ ديسمبر لم يؤد الى نتيجة حاسمة فلم تبق لنا حاجة الى ابقاء الفرق الالمانية في الجبهة الايطالية ولا سيما بعد ان دخلت الروسيا في دور المفاوضات التمهيدية للصلح . فالنمسا تستطيع الآن ان تتحمل اعباء القتال بمفردها لأن جيشها استفاد قوة وشجاعة جديدتين ولأن الجيش الايطالي أصيب بهزيمة شنعاء تمنعه الى وقت طويل من معاودة الهجوم . فطلبنا حينئذ من القائد آرز ان ينقل بالسكك الحديد الجنود الالمانية الى الجبهة الغربية .

ولقد ظهر من هذه المعركة العظيمة أن الجنود الالمانيين لا يزالون حاصلين على خصيصة القتال المتحرك حتى في أشق مناطق الجبال . الا ان أمارات الضعف والتراخي أخذت تبدو على ملامح بعض الجنود الشبان.

٥

بعد ان حدث نشاط متزايد في الجبهة المقدونية أثناء شهر سبتمبر ساد السكون هذه الجبهة واستتب فيها . واهتم القائد فون شولتز بتنظيم الجنود البلغاريين وبتقويتهم استعداداً للقتال المقبل . وحذا حذو هذا القائد كل الرؤساء العسكريين الموجودين في الميدان المقدوني . بيد ان

المعسكر العام الاكبر البلغارى أخذ من الآن فصاعداً لا يهتم بتاتاً بهذه المسائل المتناهية في الخطارة .

وفى خلال هذه الفترة لم تن عزيمة الاتفاق من استمالة الجيش اليوناني المالىء الملك الى مصاف الدول المتفقة . وكان الملك قسطنطين قد أزل من عرشه وأخلفه ابنه اسكندر فتولى فينزيلوس أزمة الاحكام وتأهب الجيش اليوناني للحرب الا ان تعليم الجنود ظل بطيئاً .

ولبث مركز العثمانيين فى فلسطين وفى العراق سيئاً . وقد صحت العزائم على توجيه حملة الى بغداد فى خريف ١٩١٧ أو ربيع ١٩١٨ وبدىء في اعداد مطالب هذه الحملة الا ان العمل لم يتقدم فى طريق الاتمام علي الرغم من تحسن وسائل النقل باستخدام النفق الذي تم احتفاره ، وذلك لان حركة الشحن والتفريغ بقيت متعبة وغير منتظمة . وكان الرؤساء العسكريون المحليون يعتقدون ان في امكانهم التغلب على سائر العقبات بفضل التعضيد الذي يلاقونه من المعسكر العام الاكبر ، فكان اعتقادهم هذا قائماً على حسن ثقة متناهية فى الاتراك .

وكانت قاعدة العمل الحربي في الحملة الموجهة الى بغداد ان تظل الجبهة الفلسطينية قوية . وظلت ألفت نظر أنور الى هذه النقطة طالباً منه تقوية الجبهة المذكورة وتحسين حالة النقل في سوريا . وأيد المعسكر العام الاكبر أنور باشا بكل ما استطاعه من ضروب التأييد والمساعدة الا ان كل ما أرسله اليه من المساعدات التي لا تكاد تفى بالحاجة الا بالجهد الجهيد أساء الاتراك التصرف فيها .

وكان الكولونيل فون كريس في مقدمة الذين اجتهدوا فى اصلاح حالة الجيوش العثمانية فى فلسطين . وعلمت أخيراً انه كان مطلعاً على هواجس

وآلام المعسكر العام الفلسطيني أكثر من اطلاع رجال الاستانة عليها وقد أخطر المعسكر العام الاكبر بها على علاتها .

وأخذ القائمون بالامر في القسطنطينية يتحولون بالتدريج الى فكرة الاهتمام بالذود عن فلسطين أكثر من الاول . وأرادوا ان يحلوا هذه المسألة بالقيام بهجوم كبير فأرجئت الحملة على بغداد . فلم يكن اذ ذاك بد من نقل هيأة أركان حرب الفون فلكنهاين الى فلسطين . غير ان الكولونيل فون كريس كان يشك في امكان القيام بهجوم بالنظر لحالة الوسائل النقلية وحالة الجنود العثمانية . وكان محقاً في وجهة نظره اذ بدلا من هجوم الاتراك شرع الانجليز في الهجوم . فطفق الكولونيل بعد اخفاق الانجليز في هجومهم على غزة في مارس يعرقل المواصلات الانجليزية في شبه جزيرة سيناء ويزعج مؤخرتهم باغارات متتابعة وبحملات جوية . ونجح مرة في اتلاف مجرى الماء العذب ولكنه لم يستطع ان يحدث خسائر فادحة ولا ان يقطع السكة الحديدية .

وفي أوائل أغسطس زحفت كراديس هائلة من الخيالة الانجليزية على بئر سبع بقصد الاحداق فيها بالجناح الايسر من جبهة غزة وللاقتراب من مشارع المياه القريبة من أورشليم فأخفقت هذه الكراديس في مشروعها كما أخفقت القوى الانجليزية في الحملات التي همت بها ما بين ٢ و١٨ اكتوبر ولم يستول الانجليز على بئر سبع الا في ٢ نوفمبر . ثم هجموا على أثر ذلك على غزة براً وبحراً فارتد الجيش العثماني ولم يقف في ارتداده الا في خط ممتد من يافا الى البحر الميت لتغطية أورشليم ، فتبعه الجيش الانجليزي على مهل . وفي ١٧ استولى على يافا ونشر قوى عظيمة في اتجاه أورشليم . فلم يثبت الاتراك في اورشليم الى ان يتم الفصل في الوقعة بل تراجعوا

الى موقع محصن في جنوب نابلس كائن ما بين البحر ونهر الاردن. وفي ٩ ديسمبر احتل الانجليز اورشليم فأصيب الجيش العثماني بخسائر فادحة. فلم يعد هنالك أمل في ان يقوم الا بدفاع ضعيف. وأخذ فيلق آسيا الالماني يصل أجزاء متقطعة الى الجبهة الاسيوية فأكسب قدومه حلفاءنا شيئاً من الصلابة والاقدام.

واحدثت هزيمة الاتراك أثراً سيئاً في نفوس العرب الذين أخذوا يستدبرونهم مصوبي وجوههم شطر الانجليز

وأخذ الانجليز بعد استيلائهم على بغداد يستولون على الاراضي المنتشرة على طول الدجلة والفرات فاحتلوا الرمادية وسامراء في اكتوبر واستولوا على بقاع أخرى على مقربة من ولاية الموصل في نوفمبر

على أثر نجاح الانجليز في الجبهتين الفلسطينية والعراقية اصبحت قوة المقاومة العثمانية فيهما ضعيفة ولا يمكن تقويتها إلا بارسال نجدات عظيمة الى الجبهتين

ووقفت أعمال التأهب تماما في الجبهة الروسية العثمانية لان أنور شرع عملا برأيي أن يقوي الجبهة العراقية بامداد مقتطعة من هذه الجبهة، بيداني لم أحقق مطلقا مما اذا كانت قد ارسلت حقيقة جنود من هذه الجبهة الى ارض الجزيره

— ٦ —

استمرت الوقائع على الجبهة الرومانية في سبتمبر من غير التوصل الى نتيجة ثم هدأت واستولى السكون على الجبهة الشرقية. واسترجعنا منذ

منتصف اكتوبر نقطنا الامامية الى الموقع الدفاعى في شرق ريغا الان العلائق المتينة اخذت تنتشر بين المعسكرين فرأينا أن نعمل بقدر ما في وسعنا لانماء العاطفة السلمية فى الجيش الروسى .

وفي ١١ اكتوبر أقلعت عمارتنا البحرية الى ليبا والشروع في الاستيلاء على الجزر الكائنة أمام خليج ريغا . وكان هدفنا الاكبر في هذه الحملة البحرية بطرسبورج فأحدث تحرك الاسطول هلعاً واضطراباً عظيمين في الاوساط الروسية الكبري . وقد سررت بتحرك الاسطول لان رجال الحزب الاشتراكي الديموقراطى المستقل انتهزوا فرصة جمود الاسطول وانتشار بحارته في الداخل واحتكاكهم كثيراً بطبقات الشعب فصبغوهم بالصبغة الثورية وساعد على نمو روح التمرد في نفوس البحارة خلو العمارة البحرية الكبرى من أكثر مهندسيها وضباطها الممتازين بالخبرة والحزم والتقدم في السن بسبب انتقالهم الى الغواصات . فقيام اسطولنا بعمل حربي من شأنه أن يزيل سأم البحارة ويرد اليهم روح الطاعة والنظام ويكسبهم نشاطاً وإقداماً

واهتمت امارة البحر بامر النقالات التي ستقل جنود الحملة وبحمايتها وبحمل الجنود وانزالهم وتألفت الحملة من فرقة عاملة ولواء من الخيالة وركاب العجلات واختير خليج تاججا في الطرف الشمال الغربي من جزيرة اويسيل نقطة لنزول الحملة

وبينما كانت العمارة البحرية تدخل خليج ريغا وتتقدم فى اتجاه المونسوند بعد أن اتلفت بطاريات بحيث جزيرة سوورب — في الطرف الجنوبي من اويسيل — كانت عدة من النسافات تدور حول الجزيرة من جانبها الشمالى لتسليط نيران مدافعها على الاحواض المستطيلة التي تصل اويسيل بمون

وتقطع على الجنود المعادية خط رجعتها الى اويسيل . ثم محمد بعد ذلك الى التقدم في المونسوند من الشمال . وأرادت امارة البحر بهذه الحركة الاشتباك في معركة بحرية مع اسطول العدو الموجود هنالك أو فصله من قواعده . وأما انزال الجنود في اويسيل فيراد منه الاستيلاء سريعاً على الحوض ثم امتلاك الجزيرة منها فتتمكن بهذه الطريقة جنودنا من الوصول الى مؤخرة المدافعين عن شبه جزيرة سوورب . ونجحت كل النجاح هذه الاعمال سوى تمكن فئة ضئيلة من الحامية من الفرار بواسطة الحوض . وفي ١٦ صارت أويسيل في قبضتنا واستولينا على مون في ١٨ وبعد قليل سقطت داجوي فى أيدينا . وعنت الفرصة لاسطولنا فنازل قوات بحرية معادية وبعد هذه الحركة اصبح الكفاح منتهياً فى الشرق الى حين

لست أدري مقدار ما كان لوثباتنا الاخيرة من التأثير الفعال في حوادث الروسيا ؟ إلا أن انحلال الجيش الروسى ازداد على أثر تولى البولشفيين ازمة الاحكام فى الخريف . وذلك لان الضباط تجردوا من امتيازاتهم ولم تبق لهم سلطة على الجنود لانهم صاروا فى مصافهم بل صاروا فيما بعد أقل شأناً من الجنود . وقد وجد هنالك بالمثل اناس لا يفقهون ان الجيش هو دعامة السلم والامن والنظام فى سائر البقاع ، وإن فقد الضباط نفوذهم فى الجيش هو تقويض أركان الجيش ، وانتقاض الجيش مؤد الى انهيار أركان النظام الاجتماعى . وقال لى لتان سكوروبادسكي لا أدرى كيف أفلت من يدى العرضى الذى كنت اتولى زمامه أثناء الحرب ، لقد تم هذا الامر فى لحظة واحدة

ان السلطة لم تسلب من الجيش الروسى بل وضعت فى أيدي مجلس الجنود بدلاً من رئاسة القيادة ، وهذا المجلس جرد من السلاح كل من

لم يكن من طبقة العمال وأنشأ الحرس الاحمر . وحدث مثل هذا في الدوائر السياسية فان طبقة الملاك أقصيت من الشؤون الرسمية وتولت طبقة العمال ومجلسها أزمة الاحكام . وأدى هذا التطور الى قلب النظام العتيق رأساً على عقب فحصرت ملكية الاشياء في دائرة ضيقة وقضى على حب العمل وأصبحت المرأة ملكا مشاعاً للجميع ، وطفقت الميول السافلة تزداد شيئاً فشيئاً . وتوطد حكم بعض الافراد المطلق الدموي القائم على كواهل جنود متفانين في تأييده وهم خليط من كل النحل بما فيهم متطوعة الصينيين . وبخضوع تلك البلاد لهذا الحكم المطلق أخذت تتدهور في هوة الفناء بيد ان هذا التدهور لم يكن مما يأبه له رجال السلطة المطلقة . فحدث حينئذ هذا الامر الغريب وهو ان الذين كانوا يتذمرون من الاستبداد والاستخفاف بصوت الجمهور أصبحوا من أشد الناس استبداداً واستخفافاً بالشعور العام ، وحشدوا الجنود ولكن لا لمحاربة العدو الخارجي بل للقضاء على كل ما لم يزل باقياً الى ذلك الحين . وفيما بعد أدرك كل أولئك القوم بما فيهم الذين قوضوا اركان الجيش الرومي مقدار الخطر الذي تنساق البلاد اليه وهم في جملتها ، بيد انهم لم يقبلوا تجنيد أحد غير طبقة العمال ولم يتنازلوا عن شيء من مبادئهم ولا دعوا الى الاتحاد الذي يؤدي الى تجدد النهضة في البلاد . وأصبحت طبقتا الملاك والزراع مجردتين من كل شيء . فمتى تستردان قوتهما الحيوية ؟ لا دليل على امكان حدوث ذلك .

ولقد أخذ مركز البولشفيين يزداد رسوخاً في الروسيا منذ اكتوبر ١٩١٧ وما داخلني شك مطلقاً فيما سيجلبه انحلال الجيش الرومي والشعب الروسي من الخطر الهائل على المانيا والنمسا . وأخذ قلقي يزداد من جراء الضعف المستولي على حكومتنا وحكومة النمسا . ان حكومتنا بارسالها لينين

الى الروسيا أخذت على عاتقها تبعة عظيمة ! فأما سفره فكان صواباً من الوجهة العسكرية لوجوب سقوط الروسيا . وأما من الوجهة السياسية فكان من الواجب على الحكومة ان تفكر فيما سيؤدي اليه سقوط الروسيا من سقوط المانيا بالمثل .

وقد أعددت في الصيف شروطاً للهدنة لاننا كنا نريد ان نتوصل الى الاتفاق مع الروسيا لما يستدعيه مجرى الحرب العام من استتباب السلم في الجانب الشرقي . وهذه الشروط تقضي بابطال الاعمال العدائية في الخطوط التي يحتلها الطرفان المختصمان وقت المهادنة ، ولم أتطلب اخلاء أية بقعة ولا القاء السلاح ، فخلت الشروط بهذه الطريقة من كل ما يحول دون ابرام الهدنة فالصلح من بعدها . فوافقت حكومة الامبراطورية والمعسكرات الكبرى العامة لحلفائنا على هذا المشروع . وحدث الاتفاق على أنه اذا جرت المفاوضة بشأن الهدنة ما بين الجبهتين فتكون رآسة القيادة العليا هي التي تباشرها بحضور مندوب من قبل استشارة الامبراطورية . وكذلك في مفاوضة الصلح بواسطة الاستشارة يحضر مندوب من قبل المعسكر العام الاكبر . وأعددت كل ما يلزم للمفاوضة اذا ما طلبت منا الروسيا المهادنة .

وفي نوفمبر بلغ تأثير البولشفية في تحليل الجيش الروسي مبلغاً جعلني أضعف جبهتنا الروسية بما أخذته منها لتقوية جيوشنا الغربية . وكانت قوانا المنتشرة على طول امتداد الساحة الشرقية تبلغ ثمانين فرقة أي حوالى ثلث قوانا العامة فاتفقنا مع النمسا على سحب معظم قوانا من غاليسيا وترانسلفانيا وبيكوفينا والاستعاضة عنها بالجنود النمسوية . بيدان موقف الروسيا المبهم لم ييسر لنا نقل كل ما نستطيع حمله الى الميدان الغربي .

وفى أواخر نوفمبر بدأت القطارات تنهب السكك الحديديةمن الشرق الى الغرب حاملة فرقا جديدة مرتاحة تتقوى بها سائر نقط الجبهة الغربية .

ومنذ نوفمبر اخذت فكرة الهجوم على فرنسا فى ١٩١٨ تشغل أفكار عدد كبير من رؤساء الجبهة الغربية ، وكنت أنا فى مقدمة المشغولين بهذه الفكرة . ولبثت أترقب على أحر من الجمر اليوم الذي تفاوضنا فيه الحكومة الروسية في صدد المهادنه . وتم الامتزاج فى نقط عديدةمن الجبهة بين الجيشين فى نوفمبر . وأخذت الوحدات التي تمازجنا تزداد زيادة عظيمة ، بل لقد عرضت علينا جيوش روسية منفرد بعضها عن بعض وقف رحى القتال .وصار التخابر فى صدد الصلح في دونابورج إلا أن المخابرات اخفقت . وصار التوقيع فى عدة أماكن على شروط هدنة غير أن الحالة كانت مبهمة مضطربة . فالصلح واقع إلا أن صفة الحرب لاتزال موجودة . وفى ٢٦ نوفمبر سأل رئيس القيادة الروسية ومندوب الشعب كريلنكو بالتلغراف الاثيري إذاكان المسكر العام الاكبر الالماني مستعداً لابرام الهدنه . فأجبنا باستعدادنا . وفى ٢ ديسمبر اخترق المفاوضون الروسيون الخطوط الالمانية . فدارت المفاوضات فى بريست ليتوفسك التى كانت لا تزال مركز القيادة العامة وحضر مفاوضون فى الحال من قبل حلفائنا . وفى ٧ ديسمبر جرى التوقيع على عقد هدنة لمدة عشرة أيام وقد تولى القائد هو فمان هذه المفاوضات بسداد عظيم وحال دون عبث البولشفيين . وعاد ممثلوا الروسيا الى سانبطرسبوج ليتلقوا المعلومات الكافية عن شروط الهدنة وفى ١٥ صار التوقيع على الهدنة العامه ، وهذه الهدنة تبتدئ من يوم ١٦ موعد انتهاء الاتفاق الاول وتنتهى فى يوم ١٣ يناير ١٩١٨ ظهراً . واذا لم يصدر اعلان من أحد الطرفين قبل

انقضاء المدة بسبعة أيام فان المدة تمتد من تلقاء نفسها

ولم يحدث تغيير في معالم الجبهة بل بقيت حدود الطرفين اسلاك كهما الشائكة واجيز اختلاط الجيشين بعضهما ببعض فاصبح من الجلي أن الروسيين يرمون الى ترويج دعوتهم المشاعية بين جنودنا . وأظهر رئيس القيادة الشرقية استعداده لمحاربة الدعوة الروسية إلا أن المعسكر العام الاكبر لم يشأ أن يقبل بمثل هـذه الحالة المبهمة الخطرة غير أن الحكومة الالمانية لم تظاهرنا . وحدثت مفاوضات منفصلة بعضها عن بعض في جهة رومانية وفي آسيا الصغرى على نسق ما حدث في جبهتنا

ولقد يكون من المستحسن المقارنة بين ما فعلناه نحن مع الروسيين وهم مغلوبون وبين ما يريده الاتفاق من افنائنا .

والآن أصبحت هادئ البال إذ بعد ثلاثة أعوام قضيناها في صراع موصول مع دولة متفوقة علينا تفوقاً عظيما عقدنا معها شروط هدنة فتحت أبواب الصلح لرجال سياستنا وكان انتصارنا على هذه الدولة من أعظم الاعمال الحربية التي عرفها التاريخ والتي تدل على مقدار تفوق القريحة الالمانية . وخففنا بهذه المهادنة العبء عن كاهل النمسا التي اكسبناها فوزاً باهراً في الساحة الايطالية . وصار مركزنا في الغرب أحسن مما كان عليه في كل وقت آخر . وصرنا ننتظر البدء في مخابرات الصلح حوالى عيد الميلاد في بريست ليتوفسك ، وصار الحظ مساعداً لنا على انهاء الحرب من طريق الانتصار .

بيد أن الحالة في آسيا الصغري لم تكن جارية وفق المرام إلا أن مجموع الحوادث في أوربا جعل المسألة الاسيوية في مؤخرة الامور المهمة

ان الجنود الالمانيين ورؤساءهم الذين قاتلوا في الجبهة الغربية يحق لهم

الفخر بأنهم وضعوا بمجهوداتهم العظيمة أساس هذه النتيجة العظمى . فما تم انتصارنا في ايطاليا وفي الشرق الا بفضل ثباتنا في الملتحم الغربي . فهنا أيضاً كان الجندى الالماني بطلا بالمثل كما كان الجندى الالماني في الساحات الاخرى

وظلت علائق المعسكر العام الاكبر حسنة مع حلفائنا في هذا العام كما كان شأنها في العام الغابر

وأثر الانقلاب الحربي الذى طرأ أخيراً في الاتفاق إلا أنه لبث يعلق الآمالة بامريكا . أما الرأى العام الفرنسوى فساوره الشك منذ معركة الاين وشمبانيا . وفي نوفمبر تولى كليمانسو رآسة الوزارة وهو أجرأ رجل في فرنسا وبما أنه حضر حرب ١٨٧٠ — ١٨٧١ فهو معتبر من أكبر ممثلى فكرة الانتقام ، وبما انه يعرف حق المعرفة ما يريد أن يفعله فقد صمم على مواصلة الكفاح وأخمد كل حركة ترمي الى السلم وقوى الحالة الادبية في بلاده ودلنا ما اتخذه ضد كايو على ما يجب أن نتوقعه منه . ولم يفكر إلا في احراز النصر وهو كلويد جورج يقود البلاد باسرها خلفه . فاكتسى سير الحرب لدى الاعداء ثوباً من الانتعاش والقوة . وكذلك اشتد الميل الى دخول الحرب في أمريكا . وتغلبت الحكومة على كل شعور سلمى ، كما تغلب كليمانسو ولويد جورج على الشعور الذى غشى ايطاليا من جراء انهزامها الاخير . وبهذه الطريقة خضعت الدول الديموقراطية للحكم المطلق

إن القرار الذى أصدره الرايخستاج بشأن الصلح دفع الفاتيكان الى القيام بمسعى سلمى . وفي منتصف أغسطس صدرت مذكرة البابا السلمية الموجهة الى زعماء الدول المقتتلة . وهى تتضمن صلحاً بلا ضم ولا غرامة وهي تسلب منا حقوقاً كثيرة وتكسب الاتفاق فوائد جمة لم نكن ننتظرها وكان الرأي العام الالماني ازاء هذه المذكرة مماثلا لحالته في يوليه عند ما

صدر قرار الرايخستاج . فصحافة أحزاب اليمين رفضتها وأما صحافة أحزاب الغالبية فاستقبلتها بالحفاوة ودعت العدو الى التفكير والى البحث في المذكرة السلمية . واقتصرت الصحافة المعادية على رفض المذكرة

وقرأ علينا المستشار ميخائيليس في كراوزناخ مشروع جوابه على المذكرة . ولم أكن موافقاً على ابرام الصلح بهذه الطريقة غير اني أمتنعت عن ابداء اعتراضاتي . وكانت هذه الاقاويل المتكاثرة في صدد الصلح تحرك هو اجسي بما تحدثه من التأثير السيء في مجرى الحرب عندنا . واني كلما استرجعت في ذاكرتي هذه الذكرى آسف جد الاسف لعدم وقوفي بمنتهى قوتي أمام تلك اليد . فان الصلح الذى كنت اصبو اليه يجب أن تبرمه الدوائر السياسية ولكن محادثة الشعب بشأنه على الدوام في حين أن الخصم ثابت على عزمه ومصمم على سحقنا لا تؤدي الى عاقبة حاسمه . ولقد كان الاتفاق في مسلكه ازاء هذه المسألة المثال المحتذى

وكان جوابنا وجواب النمسا مصبوغين بصبغة الملاينة والموافقة واشترك في تحريره سبعة من أعضاء الرايخستاج الذين أصدروا قرار الصلح السابق وأما جواب الاتفاق فكان الرفض أو كان على الاقل مبهما . فلم يتوفق البابا في مسعاه . فعادت النغمة القديمة وهي أن المانيا تريد الصلح والاتفاق يأباه عليها . فهو ينشر بين ظهرانينا الدعوة الى الصلح والاتفاق والتصافي حتي إذا ما دارت المخابرات عمل الاعذار التي تجيز له الرفض وصمم على سحقنا .

وحينما استلم المستشار الدكتور ميخائيليس أزمة الشؤون اعلمته أن المسيو هيجوستين ذو علاقة بسفير اليابان في ستوكهلم وانه عظيم الامل . وكان عازماً على السفر ويريد ان يجتمع بذلك السفير . فاستقبل المستشار

المسيو ستين ولم أقف على ما حدث بعد ذلك

وفي أواخر أغسطس أو في أوائل سبتمبر أشيع فجأة أن قد عنت فرصة للتفاوض مع الاتفاق . وكان المستشار والفون كوهلمان الذى صار وزير الخارجية على أثر التغيير الجديد يتحادثان مراً في هـذا الصدد . وعلمت من الـكولونيل فون هايفتن ان قد جاء نبأ من بلد محايد يفيد أن المستر اسكويث رئيس الوزارة الانجليزية السابق التى خطبة في يوم ٢٧ يوليه صرح على أثرها المستر لويد جورج بانه ينتظر منا بياناً عن بلجيكا فأخبرني المستشار حينئذ بان مشروع الصلح طرح على بساط البحث من جانب انجلترا . فكان هذا النبأ داعياً بالطبع لابتهاجى ، لأن انجلترا اذا جنحت الى المسالمة فان الصلح يصير قريب التحقيق . فتباحثنا مع المستشار عدة مرار في صدد بلجيكا . وكان غرضنا أن تدوم صلتنا الاقتصادية ببلجيكا في المستقبل كما كانت قبل الحرب . فصار لدي الحكومة قاعدة من هذا المقصد تكفي للشروع في التخابر مع انجلترا . واخـذت انتظر أن يفضى وزير الخارجية في أواخر سبتمبر بتصريح من هـذا القبيل في الرايخستاج وفي ٢٠ سبتمبر جرت محادثة ضافية بين الـكولونيل الفون هايفتن وهذا الوزير الذى ظهر في مظهر المجافاة وقال لمخاطبه : « من ذا الذى أنبأك يا هذا بأنى ابتغى بيع جوادى البلجيكي ؟ السـت أنا المتصرف في شأنه الآن ؟ فهذا الجواد لا مساومة الآن فيه . » ولم يتعرض في خطابه الذى القاه في الرايخستاج يوم ١٩ اكتوبر لبلجيكا بل خاض مسألة الالزاس واللورين وسلامة أرض الامبراطورية فقال في وسط عاصفة من تصفيق النواب : « ما دامت قبضـة المانية تقوى على حمل البندقية فان سلامة ارض الامبراطورية كما تسلمناها من آبائنا ميراثاً مجيداً لا يمكن أن تكون موضوع

المخابرات والمساومات . » فلم نتقدم اذن خطوة نحو انجلترا . وعلى ذلك لم تبق هنالك مشاريع صلحية . ولم تصل الى المعسكر العام الاكبر اجوبة واضحة عن الاسئلة الموجهة منه الى الوزير الفون كوهلمان . فقنطت من ابرام الصلح واسفت على الرجاء الذى خامرني آونة ما . على أن المستشار لم ينجح بالمثل في ربط الشعب بالرايخستاج بل لقد كان موقفه ازاء الرايخستاج موقف الاجنبي

وانتظرت من الفون لا نكن أن يفيدني عن نتيجة مقابلته مع بعض ساسة فرنسا وقد سافر الفون لانكن لهـذا الغرض الى سويسرا الا انه لم يقابل أى سياسى فرنسوى. وعلمت من قبيل المصادفة أن وزير الخارجية يتخابر مع سفير اسبانيا في بروكسل بشأن الصلح . هـذا كل ما نمى الى علمى عن هذا الموضوع في سنة ١٩١٧ . ولقد علمت من الصحف بعد سفرى بالمشروع المقول أن ولسن عرضه بواسطة المسيو جافيـه من مونيخ على وزارة خارجيتنا

وعلى أثر اشاعات الصلح التي كثرت في برلين عقد مجلس التاج في ١١ سبتمبر بحضرته قياماً بواجبي وذكرت فيه مرة أخرى ما تحتاج اليه المانيا لتأمن على مستقبلها مستخلصاً هـذا الرأي من تجارب الحرب . وهذه خلاصة الرأى الذى عرضته في هذه الفرصة وفي الفرص الاخرى التي عنت في خريف ١٩١٨ . « ان حالتنا الداخلية حسب المعلومات المستقاة من المصادر ذات الشأن صعبة من جهة الوقود والفحم . وأما الفحم فرجع النقص فيه الى الاهمال الحادث في الاشهر الاخيرة. وحالتنا المالية في منتهى العسر وقد جعل موقف غالبية الرايخستاج حالتنا الداخلية غير مرضية . وصارت مسألة العمال ومقادير الجنود العاملة أشـد تعقداً . بيد أني اعتقد انه من

الممكن التغلب على كل هذه الصعاب بحسن ادارة الحكومة الحالية وحزمها»

وعلى أثر تداعي أركان الروسيا رأيت موقفنا أحسن من موقف الاتفاق فأدليت برأيي الآتي : « انني أرى على كل حال الاجتهاد في الوصول الى الصلح قبل حلول الشتاء ، اذا ما كان مؤديا الى ابلاغنا ما نحن في حاجة اليه ، وما هو كفيل بضمانة رقينا الاقتصادى ، وإذا ما سمح لنا هذا الصلح ان نكون في حالة عسكرية واقتصادية تمكننا من الدخول في أية حرب جديدة دفاعية » وراعيت في مطالبنا الاقتصادية والعسكرية المحافظة على حدودنا الاصلية قبل نشوب الحرب وما اكسبتنا الحرب من الخبرة والعلم بما تقتضيه حياة البلاد فما كانت المانيا تقوى على مواصلة الحرب ثلاث سنين لو لم تكن غنية بالفحم ولديها مقادير كافية من الحديد والمواد الغذائية مع ما يصلها من الحديد من البلاد المحايدة ومن المواد الغذائية المبتاعة بأثمان مرتفعة و التى تمكننا من الحصول عليها فى خلال الحصار الشديد ولو لم تتخذ خطة الهجوم فى هـذه الحرب التى الجئنا الى خوض غمارها ونكتسح بقاعاً واسعة في الشرق وفي الغرب لما بقينا متمتعين بالحياة ولو لبثنا ملتزمين الدفاع ونحن وقوف في حدودنا لكانت كفتنا الخاسرة من زمن طويل ولو اتيح للعدو وطء ديارنا باقدامه لتعطلت سائر أعمالنا ولضاقت بنا سبل الحياة . وكنا نعلم خطارة شأن الفحم والحديد والمواد الغذائية قبل الحرب . إلا أن قيمة الفحم والحديد الحقيقية لم تبدو واضحة للعالم اجمع الا بعد أن امتد أمد القتال . ولقد رفض السماح علينا مارك لتحصين أحواض المناجم الفحمية في سيليزيا العليا قبل الحرب وبقيت عرضة للخطر ، أما منابع ثروتنا الفحمية في الغرب فكانت في مأمن من كل عدوان بفضل التحصينات العظيمة التي تحميها . ولقد كانت المانيا في موقف محفوف بالمكاره لوجود أهم مناجمها على

حدودها الشرقية والغربية وأهم معاملها أمام بلجيكا ، أما المناجم والمعامل الموجودة في الداخل فلم تكن في المنزلة الاولى

وحدثت تطورات عديدة في أسلحة التدمير أثناء الحرب . فالمدافع صارت ترسل قذائفها الى مدى سحيق وأصبح للمحلقات شأن عظيم . على أن مفعول المدافع ذات المرمى البعيد كان محدوداً إذلم تؤد قذيفة واحدة الى تعطيل حركة العمال في دائرة سقوطها كما تأكدنا هذا الامر في ربيع ١٩١٨ حينما سلطنا هـذه المدافع على مناجم الفحم الفرنسوية وفي فرص أخرى اتيحت لنا . وكذلك المحلقات لم يكن مفعولها مطرداً بل مرتبطاً بحالة الجو ولو صارت حرة في العمل لما انقطعنا عن تدمير لوندره .

ان المدافع ذات المرمى البعيد والمحلقات التي تلقى سائر أنواع المدمرات جعلتنا نتوجس خيفة على حدودنا الحافلة بالمناجم الفحمية والمعدنيــة في الالزاس واللورين والمعامل المختلفة في وستفاليا وبمناجم الفحم في سيلزيا فلا غني لنا عن اتقاء شر هذه المدمرات . ولا يتهيأ اتقاؤها إلا إذا عدلنا حدودنا من جهة فرنسا عدة كيلو مترات وصار الاتفاق على جعل منطقة منزوعة السلاح كافية لاخفاء حدودنا المنجمية والصناعية عن أعين العدو . ولـكن هذا التحوط غير كاف بالمثل بل لابد لنا من تحصين هذه الحدود تحصيناً عظيما في زمن السلم على توالى الايام . ومن أهم طرق الوقاية جعل البلجيك بلداً محايداً على الدوام لا تخترقة الجيوش المتحاربة . ولا غني لنا عن احتــلال لييج وعلى ما جاورها من نهر الموز . أما استقلال بلجيكا الداخلى فهذا أمر لابد منه ومن الضرورى أن تظل صلات البلادين الاقتصادية على حالها الاولى قبل الحرب كما انه لابد من أحكام روابطنا بالعنصر الفلمنكي الذى هو أحد فروع الارومة الجرمانية العتيقة . ومن مصلحة

المانيا الاحتفاظ ببعض حقوق الاحتلال في بلجيكا في السنوات الاولى من نهاية الحرب ، ولا يصير العدول عن هذا الاحتلال المحدود إلاّ بعد ان تصير بلجيكا بدافع من مصالحها الخاصة جانحة الى جانب المانيا . ولست ممن يحبذون اتخاذ قاعدة بحرية المانية على شاطئ الفلاندر . وهذا ما كتبته في هذا الموضوع : « لن نستطيع أن نكون آمنين على الدائرة الصناعية الوستفالية الرينية وعلى الاخص بعد انشاء النفق الذى سيمتد بين دوفر وكاليه إلا إذا احتللنا بلجيكا بأسرها احتلالا عسكريا وإلا اذا ثبتت أقدامنا على الساحل الفلاندرى . وليس في وسعنا أن ندرك كل هذه المطالب الآن . ولقد يدور السؤال حول ما اذا كنا سنثابر على الحرب لادراك هذه المقاصد . ومن رأيي أن الجواب على هذا السؤال متوقف على ما يبدو من جانب الانجليز فاذا أرادوا الاحتفاظ بجانب من البقاع الفرنسوية (كاليه) فان الحرب تدوم ، وأما اذا لم يصمموا على امتلاك الشاطئ الفرنسوى فان امتلاكنا شاطئ الفلاندر لا ينبغى أن يكون سبباً لاطالتنا أمد القتال الى ما بعد الشتاء . »

فكنت شديد الاهتمام بتوثيق عرى ارتباط الليكزمبورج بالامبراطورية

أما في الشرق فقد كان مركزنا على طول امتداد حدودنا سيئاً جداً لا لتعرض مناجمنا الفحمية في سيليزيا العليا للخطر فقط بل لان الهجوم الذي حدث في خريف ١٩١٤ على تلك الحدود دلنا على صعوبة المحافظة على مقاطعاتنا الشرقية الممتدة على طول الفيستول . وصار من الضروري أقامة منطقة وقاية لحفظ ولاية بروسيا الشرقية التي أصابتها الحرب باضرار جسيمة وبما ان القوس البارز الناتىء بوضوح تام في قلب بروسيا في الجهة الشرقية القصوى يعتبر خطراً عظيما علينا كما ظهر ذلك اثناء هجوم الجراندوق

نيقولانيقولا يفيتش في خريف ١٩١٤ فلاسلامة لنا الا اذا تضمنت منطقة الحياد في الحدود الشرقية خطاً يمتد من دانتزيغ الى تورن . ولا بد لولايتي كورلاندا وليتوانيا أن تزودا جنودنا بالمواد الغذائية في حالة نشوب حرب أخرى . بل يتجه نظري الى ماهو أبعد من هذا أى الى أن تمد هاتان الولايتان جيشنا بالرجال . وأخذت أزداد اعتقاداً كل يوم ينقضي في هذه الحرب الطاحنة ان كثرة الرجال قوة عظمى . فما تفوق الاتفاق علينا الا بما يستمده على الدوام من الجحافل الهائلة من ينابيع رجاله التي لا تنضب وسيظل أهالي هاتين الولايتين حافظين صبغتهم الوطنية البحتة في ظل الامبراطورية الالمانية . والذي يزعجنا هو تكاثر العنصر البولوني في الولايتين المذكورتين الا أن هذا الأمر يمكن التغلب عليه ازاء الضرورة العسكرية . وطريقة الاستعمار التي اتبعها المستشار منذ ١٩١٥ بمهاجرة الالمانيين الى المنطقة المحمية تضمن لنا في المستقبل نمو العنصر الالماني بدرجة عظيمة . وأخذت أفكر في حصولنا على ميزات تجارية في رومانيا وفي البلقان لتأمين مركز المانيا الاقتصادي بعد الحرب

ورفضت فكرة توحيد المصلحة الاقتصادية في أوروبا الوسطى لانها غير قابلة التحقيق من جهة وحائلة دون تفوق المانيا من جهة أخرى

ولم ادافع امام الرأي العام عن آرائي هذه ولم احبذها ولم أبد فكرى في مسألة الصلح . ومع ذلك فقد خضت في شروط الصلح مع اعضاء الرايخستاج من الاحزاب المختلفة وفقا لرغبة المستشار الدكتور ميخائيليس على انى لم أعين في هذه المناقشات شروطاً مخصوصة . ولم تصر وجهة نظرى في الصلح قاعدة لمفاوضات بين حكومتنا والعدو اذلم أبسط وجهتي من جهة ولم تدخل الحكومة في مفاوضات مع العدو من جهة اخرى .

بل اتبعت الحكومة طرقاً وآراء اخرى في مداولات بريست ليتوفسك الأولى وهي بعيدة بالمرة عن كل ما كنت اتصووه صالحاً لان يصير دعامة لا برام الصلح . وكل مادار بين القيادة العليا والمستشار لم يخرج عن حد بسط النظريات لان كل انسان كان يعتقد ان الشروط الحقيقية لا يمكن البت فيها الا بانتهاء القتال. واما مايختص بالرد على ويلسن في ٢٩ يناير ١٩١٧ أو عما يجب اتخاذه تجاه الروسيا في اوائل الصيف أو تجاه انجلترا في اغسطس وسبتمبر او بشان الهدنة الشرقية فقد كانت الآراء تبسط على الأثر حسب مقتضيات الاحوال . وما دام العدو ثابتاً على فكرة سحقنا فلم يكن ثمت سبيل الى انهاء الحرب الا بالنصر او بالهزيمة التامة . على ان الحكومة لم تعرض علينا اية طريقة مؤدية الى كف القتال وعقد الصلح . وكل الذين كانوا يزعمون ان بعض شروط تفضى الى ابرام الصلح انما كانوا يسبحون في جوالوهم ويضللون الشعب الالماني لان الاتفاق لم يعرض علينا اى اقتراح ، ولم يفكر في منحنا أى شيء ولم يكن ليرضى باعادة الحالة الى ماكانت عليه ، بل كان همه الوحيد الاستيلاء على كل شيء . فهل كان يوجد الماني واحد يرتأى تضحية الالزاس واللورين ومقاطعة بوزن او مستعمراتنا ؟ كل ماحدث من هذا القبيل ان تكلم المستشار فون بيتمان عرضاً في ١٩١٦ في جواز منح اواستبدال بعض جهات من اللورين ومن سوندجاو .

لقد اشتعلت نيران القتال فمن الواجب ان نصل الى الخاتمة المحمودة بقوة السلاح ولا نتحمل تبعة هزيمة تسمح لنا قوانا باتقائها. والآن اصبح من المحقق ان كل الالفاظ الفخمة التي كان ينشرها الاتفاق اذ ذاك لتضليل العقول القاصرة من امثال حقوق الامم في تقرير مصيرها والعدول عن

بالغرامات وضم الاراضي ونزع السلاح العام ، وحرية التقاليد والعادات لم تكن ولن تكون سوى اشباح لاظل لها في عالم الوجود !

كل حياة بشرية ليست سوى نوع من الصراع ، وكذلك الاحزاب تتصارع في داخل سائر البلاد ليصل اقواها الى السلطة وذلك شان الشعوب في سائر ارجاء المسكونة وسيظل على هذه الوتيرة ابد الدهر . وان هي الاسنة الطبيعة . ومن الممكن ان يلطف تثقيف العقول وتدميث الاخلاق من حدة الصراع لاجل السلطة ومن فظائع الوسائل المتخذة لهذه الغاية ولكنهما لا يبطلانها بتاتا لان محاولة ابطالها مصادمة لطبيعة الانسان بل مصادمة للطبيعة العامة نفسها . فالطبيعة هي الصراع ! فاذا لم يتغلب الأقوى والاحسن فان أخس ما في الجبلة البشرية يكتسحها الى ان تنهض في وجه هذه الجمة قوي اخرى تصرعها لتحول دون تلاشي كل ما هو سام وشريف ، ولكن الشيء النبيل السامي لا يمكن أن يظل على قيد الحياة الا بمعونة القوة وتاييدها .

— ٨ —

لقد أخذت الحالة تزداد سوءاً في الداخل من جراء تنازع الاحزاب في الرايخستاج للحصول على السلطة . وحاول المستشار الدكتور ميخائيليس أن يقف في وجه هذا الصراع المحزن فسقط ضحية نشاطه وهمته . لقد انفق قواه في الرايخستاج فلم يجد امامه متسعاً من الوقت يمكنه من العمل لاجل الحرب .

وحاول نلسون في رده على مذكرة البابا أن يتداخل في شؤون المانيا

الداخلية ليفرق بين الشعب والحكومة فاحتج الرايخستاج ولكنه لم يتخط هذا الحد .

ودلت حوادث البحارة التي وقعت في ربيع ١٩١٧ على مبلغ ماوصلت اليه النزعة الثورية ، اذكان الغرض من هذه الحوادث اجبارنا على ابرام الصلح باضراب عن العمل يعم الاسطول . على أن هذا الانذار الخطر لم يلق من الاهتمام مايستحقه بل مر بدون تأثير يذكر

وبدت على الحكومة مظاهر الضعف ، واذا كان المستشار قد أدرك الخطر المحدق بسير الحرب من خطة الحزب الاشتراكي الديموقراطي المستقل فانه لم يبطل عمله الثوري بل ظلت صحافته الخبيثة تبث روح التفريق

ولم يقم الرايخستاج بعمل يدل على شعوره بما عليه من الواجب ازاء هذه الحرب الطاحنة ، بل تعرض بعض مشهوري النواب للدفاع عن كبار محرضي البحارة على العصيان . ولم يعلم الشعب الالماني بمقدار الخطر الناجم عن هذه الامور

وعلى أثر الوسائل القامعة الوقتية التي اتخذت في يوليه سقط الشعب الالماني في وهدة مزعجة أذ تقمصته روح الضعف التي جردته من وسائل الدفاع كما ظهر في سنتي ١٩١٨ و١٩١٩ ولم يصادف مشروعنا الذي يرمي الى تولي أزمة الصحافة والدعوة على أثر شبوب الثورة الروسية وحدوث العصيان البحري التعضيد الذى يستوجبه خطر الموقف

وارتأينا أن ننشيء جريدة كبرى تحارب الافكار المتجهة الى قلب النظام الموجود . فخابرنا برلين فلم توافق فلم يسعنا سوى انشاء صحف للجيش من هذا القبيل تحت اشراف رؤساء القيادات . وبما أن هذا العمل سياسي محض فقد رجوت من الحكومة أن تتولاه فرفضت فالتزم المعسكر العام

الا كبر أن يقوم بمهمة لاتندمج في دائرة اختصاصه . على ان هذه الصحف اقتصرت على سرد الحوادث .

وأخذ يتضح للعيان سوء التصرف الحادث في نظامنا الاقتصادى الحربى . فساءت حالتنا الاقتصادية العامة . واستطعنا أن نتلافي العجز الطارئ على المواد الغذائية ولكن بمشقة وثمن باهظ . ولم نستطع نقل البطاطس في شتاء ١٩١٦ — ١٩١٧ فاستعضنا عنه ببعض البقول الا أن قلتها أدت الى حدوث مجاعة أصابت اناساً كثيرين . وتحسنت حالة التموين في الربيع والصيف بفضل ما حصلنا عليه من قمح رومانيا واذرتها . واجتهدنا في ايجاد العلف اللازم للخيول ، كما وفرنا مواد الحريق المنزلية

وفي الوقت الذى ازمع أن يتخلى فيه المستشار الدكتور ميخائيليس عن منصبه كانت الحالة العامة داخل البلاد منذرة بالعواقب الوخيمة فالحكومة عاجزة عن أتيان أي عمل مقرون بالحزم والرايخستاج لاهم له سوي المقاومة والمشاكسة والأفكار السوداء أخذت تتسرب بين الشعب الالماني الذى أصيب بخيبة الأمل بسبب عدم افضاء حرب الغواصات الى النتيجة التى كانت منتظرة . وبدلا من أن يتشجع الشعب بتأثير الانتصارات الباهرة في ايطاليا ورومانيا والروسيا ولاسيما بالحلال الأخيرة وبثباتنا العجيب في الميدان الغربي على الرغم من تفوق أعدائنا أخذ الضعف يغشاه أما الاعداء فعلي الرغم من تضعضع حالتهم العسكرية وانهيار ركن قوى من أركانهم كانوا متفقين من شعوب الى حكومات على أمر واحد وهو مواصلة القتال الى أن يدركوا النصر النهائى . وكان جل اعتمادهم على انقسامنا الداخلى واختلال نظامنا . وبينما تظهر حكومتنا عجزها عن كبح جماح المهيجين اذا بحكومات الاعداء تكم فم كل معارض

وفي أواخر اكتوبر تولى منصب الاستشارة الامبراطورية الكونت فون هرتلنج . وهو أول مستشار اتفق التاج مع الرايخستاج على تعيينه . وهذا ما وصل اليه تطور السلطة وتمشيها الى البرلمان ، وعظم هذا التطور بالاشتراك فى اختيار الوزراء . ومن هذا الوقت اصبحت تقع على غالبية الرايخستاج تبعة كل ما يصيب الشعب الالمانى

ولم يبلغنا نبأ تعيين الكونت هرتلينج إلا بعد أن صار أمراً واقعاً ، وكان هذا المستشا مزوداً بخير اعتقاد فينا فرجونا أن يكون الرجل الوحيد الذى يحقق آمال المعسكر العام الاكبر فينهض الشعب من خموله ويبعث فيه روح الحماسة والثبات

وأخذت أعمل باتفاق مع وزير الحربية ورئيس الادارة الحربية لتقوية الجيش الا أن هذين الرجلين لم يحدثا أدنى فائدة لانهما كانا تحت تأثير الحالة الداخلية ولم يستطيعا أن يتماسكا نفسيهما ويتفرغا لواجبهما

واجابة لرغبة القائد شاوخ رئيس الادارة الحربية استقبلنا الفيلد مارشال وأنا ممثلي النقابات الحرة ثم ممثلي النقابات المسيحية فمندوبي جمعيات المستخدمين فشددنا في مطالبتهم بالعمل لانهاض حالة البلاد الادبية والمحافظة عليها من الانحطاط ، لان حالة الجيش الادبية بغير هذه المعونة تصبح عرضة للاذى. فأوضحوا لنا انهم ضد كل اعتصاب ووعدونا ببذل الجهد في انهاض الحالة الادبية العامة . ثم عرضوا عليّ مطالب تختص بتحسين حالة العمال ومع أنها ليست من اختصاصي فقد عنيت بها جد العناية . واذ كنت شديد الرغبة فى ايجاد صلة قوية بين الجيش والشعب فقد استبقيت هؤلاء المندوبين فى ضيافتنا ودعوتهم الى مائدتنا وتلطفت فى محادثتهم . ومنذ هذا الوقت انقطعت سائر الاقاويل التى كانت تتناقل عنا فى صدد الصناعة والعمال

وحادثت وزير الحربية فيما يحدث داخل البلاد من الامور المحزنة ولاحظت الاهمال الحادث في مراقبة الصحافة . وتكلمنا في شأن جنود الاحتلال وعدم العناية بتعويدهم على الطاعة والنظام . وأخيراً عمد وزير الخارجية الى ملء المعسكرات بالمقترعين ليمنعهم من التشرب بافكار الداخل المثبطة وليقوي فيهم الروح الحربي وليزدادوا أمرنا ويكونوا على اتصال بالجبهة . وفي شتاء ١٩١٧ ـ ١٩١٨ امتلأت مستودعات المعسكرات بمقترعي ١٨٩٩ . وبذلت أنا جهدي في الحصول على الضباط اللازمين لمواصلة القتال . واحصيت الجيش العامل والاحتياطي والمقترعين وقارنتهم بمجموع الشعب ليكون الشعب على علم بالحالة الحقيقية وليصدر قراره في مصيره بنفسه . وفي ١٠ سبتمبر ١٩١٧ احتج المعسكر العام الاكبر بلهجة حازمة لدي مستشار الامبراطورية على اهمال تقوية الجيش ، وكتب الفيلد مارشال في هذا الصدد مايلي :

« إن القوي الاحتياطية الموجودة الآن خلف الجيش المقاتل غير كافية والجيش في أشد الحاجة بالاخص الى قوي احتياطية من كافة الاسلحة تكون تامة التدريب ، فاذا لم توجد القوي الاحتياطية الكافية للجيش فان خاتمة هذه الحرب تكون مجالا للبحث والتساؤل !

« وان واجبي ليدعوني الى التصريح بما يأتي : ان الحالة تصبح حرجة اذا لم نعمل بعزيمة ماضية وفي الحال ، أما اذ عمل بما أوضحت فان الجيش يسوق الحرب الى عاقبة حميدة ، فيري مما تقدم أن تبعة هائلة تقع على سائر المصالح المختصة بهذه المسائل ولا يجوز التردد في افهام الرأي العام والنقابات وسواها ان أي احجام أو رفض يحملها أكبر الاغلاط ، ومن العبث بعد هذا البيان الحث على الاسراع في العمل بعد هذا الجمود الذي استغرق كل هذه الشهور الطوال »

الا ان هذه الكتابة لم يتردد لها صدى ، ولا ادرى اذا كان الرايخستاج قد علم بها .

وما كدت اتعرف الكونت هر تلينج حتى ايقنت انه ليس بالمستشار المرتجى لموقفنا الحربي العصيب . واذ كان لغالبية الرايخستاج نصيب في تعيينه فهو بالطبع محازب لهذه الغالبية ولذا لم يخف ميله لابرام الصلح بل اعلنه جهاراً في خطابته الاولى من غير ان يجد صدى لتصريحه لدى دول الاتفاق . وكان يقول عن نفسه انه «مستشار المسالمة » . الا اني كنت أرى وقت المسالمة لم يحن بعد وان لا بد لنا من مستشار حازم مقدام قوى النفوذ . والكونت هر تلينج ينوء تحت عبء هذا المركز الذى لا يوافق شيخوخته وضعفه فما الذى يجب اتيانه فى مثل هذه الحالة ؟ افيجب عليّ ان ابسط الامر مرة اخرى للامبراطور ؟ ولكن من عساه يكون مستشاراً بعد ان استبعد الامبراطور البرنس بيلوف وامير البحر الاكبر تربيتز من الاستشاره ؟ ومن هو الرجل الذى سيكافح المعارضين ويجمع سائر الاحزاب ويوحد طبقات الشعب ويسوقها بقوة الاقناع الى النصر المبين ؟ لقد اقترح عليّ كثيرون من الناس ان أقبل منصب الاستشارة فأما المقصد من هذا الاقتراح فحسن ولكن قبوله ضلال ، لان العمل الذى يجب علي القيام به في مثل ذلك المقام هائل ، اذ لا بد لى من ان اكون المتسلط على آلة القتال اذا قبلت ان ادير هذه الحرب العالمية ، لقد استطاع لويد جورج وكليمانسوا ان يكونا حاكمين مطلقي التصرف الا انهما لا يعنيان بسائر شؤون الحرب كبيرها وصغيرها ، فالمانيا فى حاجة الى مسيطر ولكن فى برلين لا فى المعسكر العام وان لا يشرف على شؤون الجيش بل يعرف كيف يتملك قياد البلاد فاذا وجد مثل هذا الرجل ربما سارت خلفه

رلين . أما أنا فلا استطيع أن أكلف نفسي مثل هــذه المهمة لا خوفا من تحمل التبعة الناجمة عنها ولــكن لما يدور في خلدي من أن مثل هذه الحرب التي لم يسبق لها مثيل لا يسع رجل واحد اثناءها أن يتولى في آن واحد ادارة البلاد المعقدة الحافلة بالمشاكل وقيادة الجيش التي لا يمكن وصف صعوبتها . وبصفتي ممثل العسكرية المتناهية في الدقة وفي الطاعة لا أقبل مثل ذلك المنصب . إن الحالة في هذة الحرب غير حالات الحروب التي سبقتها وكل ما ذكروه لي من قبيل التمثيل لا يقنعني ولا يؤيد نظريتهم لان العصور والمواقف مختلفة تمام الاختلاف . ففردريك الاكبر كان ملكا يستمد سلطته من القدرة الالهية ، ونابليون في أول ظهوره الآخذ بمجامع الالباب كانت فرنسا بأسرها تسير خلفه . ففي الحالتين المذكورتين كانت السلطة المطلقة في يد رجل واحد . فليس لي بعد بسط ما تقدم . سوى أن أظل مهتما بقيادة الجيش الى النصر وان اتابع نضالي مع الحكومة للحصول على كل ماتمس اليه حاجة الجيش ليتمكن من اتمام دفاعه الظافر وانها لمهمة في منتهى الجسامة . وصرت آمل بعد سقوط الروسيا ان تصبح هذه المهمة سهلة قابلة التحقق

— ١١ —

لقد كانت توجد من جملة المسائل السياسية المقلقلة عدا مسألة الصلح المسألة النمسوية البولونية . وقد فاز الــكونت كزرنين باستمالة الامبراطور أولا الى وجهة نظره فيها ثم تمكن من ضم المستشار ووزير الخارجية كوهلمان الى رأيه . وماكاد يرقى الفون هرتلينج مرتبة الاستشارة حتى عقد مجلس

التاج في برلين للنظر في هذه المشكلة ودعينا الفيلد مارشال وأنا لحضور جلسته . وبما أن الكونت هرتليخ والفون كوهلمان تابعين لحكومة بفاريا ونائب المستشار الفون بايرووز تمبورجي فهم بالطبع اغراب ازاء مركز الولايات البروسية الشرقية بالنسبة لبولونيا، ولهذا لم يتأخروا عن الانحياز الى جانب النمسا في هذه المسألة ووافقهم بقية الوزراء في هذا الوقت . فابدينا آراءنا الفيلد مارشال وأنا بجدة في حل هذه المسألة . والاعتبارات العسكرية الخطيرة هي التي أملت علينا الوقوف في موقف المعارضة والرفض . وساعدتنا مقتضيات الاحوال على النتائج التي اختتمت بها أقوالي . وأصبحنا الفيلد مارشال وأنا الاقلية في هذا المجلس . فأمرنا الامبراطور بدرس الشروط العسكرية . فلم نجد أوثق من اتخاذ منطقة حماية واسعة النطاق على طول امتداد التخم البروسي

ونجحت في خلال هذه المدة أعمال القيادة الشرقية في كورلاندا ولم تنجح في ليتوانيا فقد تمكن الماجور فون جوسلر من أن يؤلف مجلساً أهلياً في ميتاو في شهر سبتمبر باحيائه دستور البلاد القديم . وكان نبلاء كورلاندا من البصر بالامور والحنكة بحيث استطاعوا ان ينتهجوا منهاجا قويماً . ودعوا الليتوانيين الى مشاركتهم في العمل فقبلوا . والتأم مجلس البلاد في ميتاو التئاماً علنيا باهراً وقرر أن يلتمس من جلالة الامبراطور شمول كورلاندا برعايته وقبوله أن يتلقب دوقاً على هذه البلاد . فأجابت الحكومة اجابة مرضية إلا انها تحاشت التعرض لما عرضه عليها المجلس الكورلاندي

أما في ليتوانيا فقد سلك الديموقراطيون شر مسلك فلم ينجح مجلس البلاد الذي عقد في فيلنا فحرمت هذه البلاد من الحياة السياسة

وكان الدكتور ميخائيليس قد طاف هذين البلدين متفقداً دارساً أحوالها قبيل مغادرته منصبه وحينما آب من رحلته دعاني الى برلين ليباحثني فاستبشرت ورجوت لهذين البلدين خيراً. بيد انني لم اكد اعزم على الشخوص الى برلين حتى كان قد غادر منصة الاحكام فاختفت آمالي اختفاء الاحلام.

وفي ٤ نوفمبر تفاوضت مع المستشار هرتلينج في جلسة عقدت خاصة للبت في شؤون الاراضى المحتلة في الجانب الشرقى . فاعلمت المستشار الجديد ما حدث الاتفاق عليه مع المستشار القديم بشأن علائق المانيا مع كورلاندا وليتوانيا واردت ان أحصل منه على قبول ذلك الاتفاق . وكذلك اردت ان اتوصل الى تأييد مراكز مديرى شؤون تلك البلاد ليكون لهم وحدهم القول الفصل فيها فلا يتداخل في اعمالهم المستشار او المعسكر العام الاكبر . وكانت التعليمات الصادرة منا الى رآسة القيادة الشرقية تقضى بارتباط كورلاندا وليتوانيا بالمانيا وباتحادهما خاصة بأسرة هوهنزلرن ولم الق آية معارضة في هذه الجلسة . فاستبشر حضرات اركان الحرب المتوطنين في الجبهة الشرقية لأنهم لا يعلمون من احوال برلين ما اعلمه ، اما انا فلبثت متشائما . وابى الليتوانيون الا ان يدبروا حملة شديدة على حاكمهم الليوتنان كولونيل الامير فون ايزمبورج ، وباستقصاء اسباب شكواهم يرى ان مرجعها الى وجود حالة الحرب لا الى اعمال الامير الحاكم . ووجدت هذه الحملة من يعضدها في الرايخستاج وانتقلت المسألة من الرايخستاج الى وزارة الخارجية واخيرا تقرر اعتبار ليتوانيا دولة مستقلة حرة . وكادت ليتوانيا بهذه الحالة الجديدة تصبح فريسة البولونيين لأن حاشية الامير الذى سيتوج عليها سيكونون من أشراف البولونيين أما اتحاد ليتوانيا بالاسرة الهوهنزلرنية فكانت تعترضه رغبات بعض أعضاء

الى يحتاج في اختيار امير وورتمبوجي أو آخر ساكسى

وأخيراً لم ير الامير فون ايزمبورج بداً من الاستقالة فغادر مركزه وأنا آسف

وعقدت الحكومة اتفاقاً مع ليتوانيا يضمن لها استقلالها فتداخلنا في الأمر وأودعنا هذا الاتفاق بعض الحقوق الالمانيــة فصرنا بمقتضاها قادرين على منع هذه الولاية من السقوط بين مخالب البولونيين

وعقد مؤتمر كراوزناخ يوم ١٣ ديسمبر تحت رئاسة جلالة الامبراطور للنظر في شروط الصلح التى ستعرض على الروسيا فجري البحث أثناء عقده في هذه الشؤون الشرقية . فوافق الامبراطور على مناطق حماية التخوم البروسية البولونية من غير أن يبدي المستشار أو وزير الخارجية اعتراضاً فصرحنا باكتفائنا بهذه المناطق . وأراد الامبراطور أن يدع لاهل كورلاندا و ليتوانيا التمتع التام بعوائدهم وتقاليدهم

ودخلت مسألة الالزاس واللورين في طور آخر على عهد المستشار الجديد لأنه كان يذهب الى تقسيم هذه الولاية فيجعل شطرها الالزاسى لبفاريا والشطر اللوريني لبروسيا . فلم اوافق على مثل هــذا التقسيم الذي يحدث تأثيراً سيئاً في الرأى العام الوورتمبورجى . ورجونا من المستشار أن يسمح لنا بفرصه نباحثه فيها في هذه المسألة بالدقة التى تقتضيها فلم يجبنا الى هذ الرجاء



التأهب لهجوم ١٩١٨ في الغرب

— ١ —

لقد تحسن موقفنا على اثر خروج الروسيا من ميدان القتال في اواخر ١٩١٧ الى حد لم يكن ليخطر لنا على بال . وذهبنا الى إمكان انهاء الحرب بهجوم برى كبير كما كنا نعتقد ذلك في سنتي ١٩١٤ و ١٩١٥ لأننا لم نحرز في ميدان واحد مثل هذه القوى العظيمة المتفوقة في وقت ما .

ولم تؤد حرب الغواصات الى هذه الآونة من الوجهة الاقتصادية ما توقعته أمارة البحر وما ظننت حدوثه أنا بالمثل اعتماداً على ماقرره الفنيون . ولبثت أهتم بأمر انشاء الغواصات على الرغم من وعد أمارة البحر ان تفعل ما فى استطاعتها . وبعث الي نواب عديدون كتبا يقولون لى فيها بامكان الاكثار من صنع الغواصات . وسرتنى هذه الرسائل لانها احدى طرق الاعتراف بصواب رأيي في وجوب المثابرة على الكفاح بكل ما يمكن من النشاط والاقدام . ولكنها أدهشتنى من جهة أخري لأن صنع الغواصات ليس من اختصاصي . فهؤلاء الاماثل طالما آخذوني لتعرضي لما لا يدخل فى دائرة أعمالى ، وان هذه لحالة عجيبة فانهم كلما أرادوا خيراً للبلاد هرعوا الي . فلم يسعنى ازاء هذه الكتب سوى التوسط لدى ذوي الشأن البحريين بالحاح . واهتممنا بكل ما يلزم للاكثار من الغواصات . وهنا عرضت على الفكر الاسئلة الآتية : ما الذي ستنتجه حرب الغواصات فى ربيع ١٩١٨ وهل اذا لم تنجح الغواصات كل النجاح فى احراج انجلترا أنراها تتوفق

ولو بعض التوفق في تعطيل حركة النقل من أمريكا فلا تصل تشكيلات الولايات المتحدة في أقرب وقت ؟ وهل ستستطيع الغواصات التغلب على تقليل حمولة الاعداء وعلى اغراق نقالات الجنود الامريكية في آن واحد ؟

ان خفض الحمولة العالمية أهم ما ينتظر من حرب الغواصات وهذا ما قاله لى النائب ارزبرجر فى يوليه ١٩١٢ وماص رحبه في الرايخستاج غيرانها لم تكن عاملا حاسما . فانجلترا مثلا عندما استدعت بواخرها التي كانت في أوستراليا لتعضيد حركة النقل القائمة بها الولايات المتحدة بقيت غلال اوستراليا فيها ولكن هذا الامر لم يقض على انجلترا التى حسبت لهذا الامر حسابه فاعتمدت على أنماء محاصيل غلالها ، وهذه المحاصيل الخاصة خففت عنها حرج المجاعة . على أن الاتفاق أدرك مقدار خطر هذه الحرب البحرية فأخذ يحتاط لدرئه بكل الوسائل ويستعد لتوفيق حالته على ماتحدثه هذه الحرب من الضيق الاقتصادى . وقد كتبت مجلة المقتصد فى عدد ٧ سبتمبر سنة ١٩١٨ ما يلى : « ولكن الاسطول . . . . سيتغلب (بمساعدة امريكا !) على خطر الغواصات ويخفض من تأثيرها الهائل الى درجة عظيمة » . وفى وقت الحرب يصير كلا الجانبين المتحاربين جاهلا ما يتخذه الجانب الآخر من وسائل الاحتراس والوقاية . فوزارة الحرب اقامت حسابها وهى لا تعلم بما يمكن ان يتخذه العدو من طرق الملافاة والوقاية ، وكذلك الاعداء كانوا يتلافون خسائرهم ويتقون شرور غواصاتنا وهم لا علم لهم بمقدار ماالديناه من الغواصات وما يمكننا ان نصنعه منها او نبتدعه فيها . واذا لم تظهر فوائد الغواصات المنتظرة قبل ١ كتوبر ١٩١٨ فان حربها لن تؤثر فى كفتي الميزان بعد ذلك . ولقد نشرت المورننج بوست فى عددها الصادر يوم ٣ أكتوبر ١٩١٨ « ان هذا اعظم خطر مر على حياة انجلترا »

. فمن الخطأ تجاهل التأثير الهائل الذي احدثته حرب الغواصات في حياة دول الاتفاق الاقتصادية باجمعها ، والاغضاء عما احدثته من التخفيف عن الجبهة الغربية . وستظل اعمال بحارتنا الذين اشتركوا في حرب غواصاتنا صحيفة مجيدة في تاريخ بطولتنا .

وكنت الى اواخر ١٩١٦ لا ازال اعتقد صحة رأى الامارة البحرية اما بعد هذا التاريخ فقد داخلني الشك فيه الى حد ان صرت احسب لقدوم التشكيلات الامريكية الجديدة حسابا منذ ربيع ١٩١٨ . وكانت قوى الاتفاق في الربيع مماثلة لنا بخلاف ما آلت اليه في الصيف وفي الخريف فأملنا احراز الفوز العظيم .

واخذت القيادة العليا تتساءل في أواخر الخريف عن اى الأمرين اوفق لها : اغتنامها الميزات التى تيسرت لها منذ الربيع لتوجيه ضربة قوية الى الاتفاق في الغرب ، أو العدول عن هذه الخطة الى الدفاع مع القيام بهجمات ثانوية في ايطاليا ومقدونيا ؟

ولم يثبت التحالف الرباعي في مركزه الا لاعتقاده بان النصر النهائي سيصحب السلاح الالماني .

وقد بلغ الجيش النمسوي من الضعف والاعياء اعظم مبلغ اذ خسر ١٨٠٠٠٠٠ أسير ولم تبق لديه قوى احتياطية ، وانحطت قوة الكفاح لديه وتكاد قوته تكون كافية للثبات امام ايطاليا اذا اختفت الروسيا نهائياً من ميدان الصدام واذا لم تستخدم اية وحدة من وحداته في مجال آخر . وانتظرنا ان تصرح لنا الحكومة النمسوية في ١٩١٨ كما صرحت في ١٩١٧ بانها لا تجالد على النضال الا وقتا محدودا . وفي الواقع ان النمسا كانت قد استنفدت كل قواها العسكرية . ومن الواضح ان سياستها مزعزعة الاركان .

والذى يحفظ البقية الباقية من هذه الدولة الثنائية هو الجيش.

وكان لدى بلغاريا قوى احتياطية كافية إلا انها جندت وحدات أخري وحاربت جنودها فى ١٩١٧ بثبات وأقدام فتحسنت حالتهم الادبية. وانتظمت المواصلات فى مؤخرة الجيش ، وعظم نفوذ العسكرية الالمانية في الجيش البلغاري، إلا أن هذا النفوذ لم يتخط الدوائر التي تشرف عليها السلطة الالمانية . وانشأ أركان الحرب الالمانيون مدارس لتعليم سائر الجيش البلغارى . وتحادثت مراراً عديدة مع القائد جونتشيف في صدد الاستمرار على تقوية الجيش البلغارى فاظهر اعتقاده باقتدار هذا الجيش على موالاة القتال المقرون بالظفر وشدد في طلب الجنود وأدوات الحرب الألمانية . وكان شديد الثقة بانتصار الالمانيين في الساحة الغربية

لقد احتلت بلغاريا كل البقاع التي كانت تطمح ببصرها اليها في زمن السلم فلم تعد تهتم بأمر الحرب إذ لم تعد تفكر إلا بالتمتع بما جنته وهي في دعة واطمئنان . وسئم الشعب البلغارى وجيشه من مواصلة النزال ، فابتدأ الهياج في داخل البلاد ضد الحكومة وضد الحرب . وبدأ خطر الجنوح الى دول الاتفاق . وأخذ الاهالى ينقمون علينا لاننا لم نعد نستورد من الدخان البلغاري لاسباب ترجع الى أعمال القطع النقدي . فاستخدم ممثل الولايات المتحدة الذي ظل مقيما في صوفيا هذا التبرم في مصلحة الاتفاق بمعاملته الاهالى واكسابهم مبلغاً كبيراً من الفرنكات السويسرية ، وبهذه الطريقة انصرفت قلوب البلغاريين الى وجهة الاتفاق . ولا رأى لى في البلغاريين إلا انهم يحتفظون بالاخلاص لنا ما دامت الامور جارية في مجاريها الحسنة أما اذا تلاشت الآمال في الانتصار أو اذا منينا بأية هزيمة قلبوا لنا ظهر المجن . . . وهذا شأن الجيش البلغارى بالمثل.

وكانت الدولة العثمانية مخلصة للتحالف ولكن الى حد ما تتحمله قواه ولا عبرة بما إذا كانت السبب فى ضعفها أو لم تكنه . وقلت اعداد جنودها لان أغلب جيشها لم يكن موجوداً الا فى بطون الاوراق . ولا بد لفلسطين من أن تصبح غنيمة باردة للانجليز اذا لم يمد الجيش العثماني المدافع عنها بنجدات قوية . ولا بد من تلافي سقوط تركيا الذي يؤدي الى أوخم العواقب على الرغم من أن الفصل فى هذه الحرب العامة لم يكن في بقاعها

ولقد يتراءى للناظر ان الحالة الادبية في المانيا أحسن منها في بلاد حلفائها ، الا انه لا يكاد ينعم النظر حتي يراها منحطة ويرى الرأى العام مشرباً بروح سيئة . على أنني كنت لا أزال أحسن الظن في البلاد وأذهب الى امكان تلافي النقص الحادث في الجيش .

ان الجيش تغلب بشجاعة وانتصار علي أهوال ١٩١٧ ولكن لم يعد من المؤكد الثبات اذا التزمنا خطة الدفاع في المستقبل على طول امتداد الجبهة الغربية ازاء استعداد الاتفاق الهائل من جهة المواد الحربية . فان الخسائر التي أصبنا بها من جراء المدافعة تخطت كل حسبان حتي صار من المتعذر الاستعاضة عنها وحتى صرنا نعتقد باستحالة تكبيد العدو ما يضارعها ولو قمنا بحملات في منتهى الاستعداد والاحكام . وغدونا نتوقع من العدو ان يستفيد من تجارب الماضى فيقوم بهجوم مضاعف واسع النطاق على مثال وتوبه المزدوج في الاين وشمبانيا في ابريل ١٩١٧ مستخدماً الاكوام التي لا تحصى من الذخائر .

ان تألم الجنود من التزامنا خطة الدفاع مدة طويلة تخطى كل حد حتى انهم لم يعودوا يجلدون على صد تيار الهجوم وحتي ان الكثيرين كانوا يلتمسون لهم مخابئ يتقون بها فتك القذائف المتهاطلة الذريع . ووجدت

وحدات منسحبة من مواقفها مصابة بنقص فادح لم تمض عليها سوى أيام قلائل حتي عادت الى أعدادها الاولى تقريباً . وأخذ الجنود يحسبون حساب الوقائع المقبلة وهم في هلع شديد ، وفقدوا ما كانوا يمتازون به من الجلد والمصابرة ، ولم تبق لهم رغبة في مواجهة العدو الا في حرب الهجوم التى أبلوا فيها خير بلاء في رومانيا وفي غاليسيا الشرقية وفى كبريه بالمثل وتفوقوا على العدو أعظم تفوق . فالهجوم كان يصلح حالة الجنود الادبية والدفاع كان يفسدها . فالهجوم اذن فى مصلحة الجيش . وعلى أثر سقوط الروسيا توقع الجيش اتخاذنا خطة الهجوم . وقوى اعتقاده في افضاء الهجوم الى الظفر النهائى . وهذا هو الرأى العام السائد بين الجنود وأكبر القواد المحنكين تشبعوا به . ومن الواضح اني لم أستسلم لهذه الفكرة العامة لأني كنت مسؤولا عن كل ما يحدث ، ويرجع الي وحدي حق البت فيما يجب اتباعه . وانما كنت ألتقط آراء القواد والجنود لاعرف بها موطن الضعف من الجيش ولأقدر الفضائل الكامنة فيه حق قدرها.

فما تقدم يستخلص ان حالتنا الداخلية ومواقف حلفائنا وحالة جيشنا كلها تستدعى القيام بهجوم قوى سريع يؤدى الى الفصل في الامر بغير تباطؤ .

وللقيام بالهجوم لا بد من جمع أدوات وذخائر حربية هائلة وحشد جنود تكون مشرأبة بأعناقها كرؤسائها لمباشرة الهجوم. فاذا تيسر هذان الشيئان فى الوقت المناسب تيسر الهجوم بل وجب القيام به . على أن الهجوم هو الحد الفاصل في الوقائع الكبرى والتاريخ الحربي يوافق عليه وصفحاته حافلة بحوادثه الهامة . والهجوم هو شارة القوة ومضاء العزيمة ودليل تفوق المهاجم على العدو . وأما التريث فلا يجدي سوى تقوى العدو

الذى يغتنم فرصته لاستقدام النجدات التى ترجح كفته .

وكنت أعلم حق العلم ان الهجوم المنتظر في الميـدان الغربى هو من أعظم ما حدث من قبيله فى الوجود . ولا بد للشعب الالمانى من أن يجود بأقصى جهده لأجله . ومن المحتم على المعسكر العام الاكبر ان يجمع لهذا الوثوب كل ما يتوصل الى جمعه من سائر الجبهات الاخرى كما حدث فى معركة تاننبيرج . كما كان من اللازم أن نقدر ان أى اخفاق في إيطاليا أو في مقدونيا أثناء قيامنا بهذا الهجوم الجسيم يحرج مركزنا فى الميدان الغربى .

وطفقنا ننقل على عجل جنودنا من إيطاليا ومن الساحة الشرقية ومن رومانيا بل من مقدونيا على الرغم من معارضة البلغاريين .

وأمام هـذا النقل المعجل كان لا بد لنا من تحققنا من أمر رومانيا والروسيا ولا سيما البولشفيين لا باعتبارهم حكومة نظامية بل باعتبارهم هيئة ثورية وحقيقة موقفهم تجاهنا وتجاه دول الاتفاق . واستحثنا على التعجيل بانزال الضربة الساحقة فى الميدان الغربى ما رأيناه من تقاطر التشكيلات الامريكية الجديدة الى هـذا الميدان . وألجأنا تدريب الجنود على طرق المواثبة المبتكرة الى تخير أواسط مارس موعداً للهجوم . وفي هذا الوقت تجد الخيول مرعى لها من الحشائش والاعشاب لقلة العلف .

وصـار الهجوم متوقفاً على موقف البولشـفيين في مؤتمر بريست ليتوفسك فاذا أسفرت المداولات الدائرة عن نتيجة ترضى فلا ينهض أى حائل دون مباشرة الهجوم النهائى فى الحال . ومن هذا يتضح مقدار القلق الذى كان يساورنا قبل ابرام الصلح مع الرومانيين والبولشفيين .

— ٢ —

ابتدأت مفاوضات الصلح فى بريست ليتوفسك يوم ٢٢ ديسمبر سنة

١٩١٧ وصرنا نترقب سيرها باهتمام عظيم جداً لما له من التأثير في سائر مشروعاتنا الحربية لأننا الى هذا الوقت كنا لا نزال غرقى في لجة الحرب العالمية ، ولا يمكننا ان نقرر الهجوم الاكبر في الجبهة الغربية الذي يدني نهاية الحرب وينقذنا من الحالة السيئة التي تصيب المهزومين الا بانتهاء هذه المفاوضات وابرام الصلح في الجانب الشرقي .

وصار من الواجب وضع حد نهائي لمشاكل الشرق باجمعها بما يتفق مع مصلحة المانيا ولاسيما المعضلة البولونية التي يعتبر الحل الذى وضع لها في كراوزناخ يوم ١٨ ديسمبر ضامنا لسلامتنا

وكان مندوبنا المفوض في بريست ليتوفسك وزير الخارجية الفون كوهلمان وتحت رآسته القائد هوفمان بصفته نائباً عن المعسكر العام الاكبر وانتدبت النمسا الكونت كزرنين . وارسلت حليفتانا الاخريان ممثليهما . وأبي الفون كوهلمان أن يتولى الرآسة فتناوبها مندوبو التحالف الرباعى

واعتبر المفوضون الروسيون أنفسهم في سائر وجهات النظر مساوين لنظرائهم وبهذه الطريقة أخذوا يعرضون آراءهم الخاصة .

وفي يوم ٢٥ ديسمبر وافق الكونت كزرنين باسم التحالف الرباعى على المشروع الروسى القاضى بابرام الصلح على قاعدة عدم ضم أراض بطريق العنف ومن غير دفع غرامات حربية

ودعيت دول الاتفاق على هذه القاعدة الى الاشتراك في مفاوضات الصلح العامة وحدد يوم ٤ يناير موعداً للشروع فيها

وصرح سياسى التحالف الرباعى الكونت كزرنين في هذا الصدد : بان الاتفاق لوابدى استعداده إذ ذاك لأبرام صلح عام لعرض فى المفاوضات مبدأ « لا ضم »

وبدلا من عرض مطالب معينة بسطت آراء تستغرق المناقشة فيها مدة طويلة وسببت دعوة الحلفاء الى هذا المؤتمر تأخير أعماله . على أن حظ هذه الدعوة من الاجابة كان ضئيلا . ولم تراع في كل هذا العمل المبادىء التي عرضت في جلسة ١٨ ديسمبر التي رأسها جلالة الامبراطور . وأصبح مستقبلنا في الشرق مجالا للتساؤل . وازداد خطر سقوط الليتوانين والروس البيض بين مخالب البولونيين . وكل هذا مما يتفق تمام الاتفاق مع مصالح النمسا . ولم يفكر أحد في سلامة الحدود من الوجهة العسكرية . فخاطبت القائد هوفمان وشكوت من سير المفاوضات على نقيض ما ينتظر منها . فأجابني وهو صادق في قوله انه كان يظن أن ما يدور في المؤتمر موافق لما تقرر في كراوزناخ يوم ١٨ ديسمبر . فافهمته باننا لم نعلم بتفاصيل ما حدث في المؤتمر أثناء انعقاده ورجونا منه أن يشدد على الفون كوهلمان وزير الخارجيـة بمراعاة ما تم الاتفاق عليه وعلى الأخص في مسائل ليتوانيا وكورلاندا ومنطقة وقاية الحدود فقبل الفون كوهلمان عملا بتقرير قدمه اليه القائد هوفمان نقطة نظر تقترب من اتفاق كراوزناخ ، فأصبح بهذه الطريقة مناقضا لآراء الكونت كزرنين . فعمد الكونت كزرنين الى التهديد بابرام صلح منفرد ليظاهره الفون كوهلمان . وهذا أمر غير معقول . وقد ظهر في سائر أدوار المفاوضات مقدار ما زعجنا فقد اتحاد الآراء بيننا وحلفائنا

ولم تكن مفاوضات البولشفيين سوى وسيلة لاطالة مدة المؤتمر عملا برغبة الدول المتفقة ، وظهر اعتماد البولشفيين على الاتفاقيين في نشر الثورة العامة . فحولوا المؤتمر الى ميدان خطابة يذيعون فيه تعاليمهم . وهذا العمل خطر جداً على داخل بلادنا التي لم يكن فيها من مشايعي هؤلاء القوم،

سوي عدد قليل وكانت أحزاب الغالبية في الرايخستاج أول من حمل عليه وجبهه ولم تر هذه الاحزاب في تعاليم المفوضين البولشفيين سوي آراء خاصة سلمية خيالية ترمي الى بث الاخاء العام بين الشعوب وكنت أرى أن البولشفية سواء اناصرها أم لم يناصرها أحد عندنا عدو شديد الخطر علينا ومن الواجب أن نمنع اذاه من الانتشار باستخدام قوانا العسكرية حتى فيما لو تم ابرام الصلح

وافترقت الوفود فى آخر ديسمبر من غير ابرام اتفاقات خاصة قافلة الى بلادها لتؤب تارة اخرى الى بريست ليتوفسك عقب انقضاء الايام الاربعة الاولى من السنة الجديدة

وشخصنا الفيلد مارشال وأنا الى برلين في مستهل يناير لنحادث الوزير كوهلمان ونحثه على انجاز المفاوضات بسرعة وأردت مقابلة القائد هوفمان بالمثل

وعقد مؤتمر فى قصر الامبراطور يوم ٢ يناير فقررت وجوب الاسراع في ابرام الصلح لنتمكن من نقل القوى الى الساحة الغربية في الموعد المضروب اذ لا يمكن الاسراع في نقل الجنود الا اذا غدا الصلح وشيك التحقيق ، وكان من حقنا اذن للاسباب العسكريه الضرورية أن نحول دون طريقة التلكؤ ولدينا القوة الكافية لوضع حد لمثل هـذا التلاعب بيد أن الوزير كوهلمان لم يكن وصل اليه بيان فى هذا الصدد

ودار البحث مرة اخرى فى منطقة وقاية التخوم البولونية ، وكان الكونت كزرنين قد انتهز فرصة وجوده فى بريست ليتوفسك لحصل على قبول الفون كوهلمان اختصار منطقة الوقاية التي تحددت يوم ١٨ ديسمبر ، واستجر هذا الاخير والقائد هوفمان الى الموافقة على هذا الاختصار

والى رفع تقرير عنه الى الامبراطور فبعد اطلاع الامبراطور على هـذا التقرير انضم الى رأى الفون كوهلمان . ولا جدال فيما للامبراطور من حق الفصل فى أمثال هذه الامور، إلاّ أن الطريقة التي اتبعها في هذه المشكلة آلمتني ، فقد كنت احسبنا الفيلد مارشال وأنا مستشاري جلالته المسؤلين في الشؤون العسكرية ، ومن جهة أخرى فاني أرى في اختصار منطقة الوقاية الى هذا الحد خطراً جسيماً على ولا يتينا البروسيتين الشرقية والغربية وحسبت أن واجبى يحملني على أن أوضح الأمر مرة أخرى لجلالتـه . غير اني شعرت بامتعاضه من عملي هذا

وخاطبت القائد الفون لينكر يوم ٤ يناير بشأن علائقى مع الامبراطور موضحاً له انني أصبحت أرى نفسى غير حاصل على ثقته التامة التي لابد لمركزى هذا المتناهي في الخطارة أن يرتكز عليها ، وانني خاضع لما يعهد الي الامبراطور من القيام به من الاعمال الاخرى . فأشار على القائد لينكر أن أراجع الفيلد مارشال في هذا الصدد . وكان الفيلد مارشال قد آب الى كراوزناخ يوم ٣ فقبلت وتحادثت معه يوم ٥ فرجا منى أن أعدل عن هذه الفكرة وقال لى انه سيسوي هـذه المسألة . فقبلت . ومن سوء الحظ إن الالسنة لغطت بهذا الحادث في برلين وعزته الى مفاوضات بريست ليتوفسك وليس كذلك . ولم يكن السبب الحقيقي في رفع استقالتي سنة ١٩١٨ سوى الخطة التي انتهجها الامبراطور ازائي فاني لا اسطيع صبراً على مثل هـذه المعاملة الصادرة من امبراطوري ورئيسى العسكرى الأعلى وهى لا تتفق مع كرامتي

ومما يستوجب الأسف أن قد توترت علائقى بالقائد هوفمان يوم ٢ يناير الا اننا عدنا الى التفاهم فيما بعد

وعلى أثر هذه الحوادث رفع الفيلد مارشال الى الامبراطور مذكرة يوم ٧ يناير ذاكراً فيها التبعة الملقاة على عاتقينا نحن الاثنين في نتائج الصلح وان هذا الصلح يجب أن يؤدي الى تقوية الشعب الالماني والى اكسابه حدوداً تمنع أياكان من أعدائه أن يحاول في وقت قريب اضرام نيران حرب جديدة . ولكن المسألة خرجت من هذا الطور بخروج الوزير كوهلمان عن دائرة التعليمات التي رسمها جلالة الامبراطور يوم ١٨ ديسمبر وعما قررته جلالته في موضوع التخوم البولونية يوم ٢ يناير . والمت المذكرة بما حدث في جلسة ٢ يناير والمركز العصيب الذي دفعنا اليه الفيلد مارشال وانا امام جلالته . ثم انتهت المذكرة بما يلي :

« ان الاعتراضات (التي يبديها وزير الخارجية) تعتبر على مايظهر في المرتبة الثانية من خطارة الشأن ماذامت داخلة في طور المداولات الخاصة وليست في حكم المفاوضات العامة . على ان هذه الاعتراضات حدثت هنا وفي بريست ليتوفسك سواء أكانت في صدد المسألة النمسوية البولونية أم في صدد الصلح مع الروسيا . وأصبحنا ونحن نراها ماثلة دائماً في كل مسألة يراد حلها

« لجلالتكم حق الفصل في الامور المختلف عليها ، ولكن جلالتكم لاتريد سوى رجال مخلصين أمناء يؤدون الخدمة لجلالتكم وللوطن بصدق ووفاء ، ويزيلون بنفودهم وبشهرتهم كل مايضر بالتاج وبالامبراطورية — وهذا هو اعتقادهم الخاص .

« وجلالتكم لاتتطلب مني أن أرفع اليها خطط أعمال حربية من أخطر ماعرفه التاريخ العام اذا لم تكن هذه الخطط ضرورية لادراك مقاصد سياسية حربية عسكرية معينة .

« فانا التمس بمنتهى التواضع من جلالتكم أن تصدروا قراركم الحاسم

في جوهر الموضوع . وان شخصينا أنا والقائد لودندرف لا يريدان القيام بدور خاص تجاه المشروعات الحيوية للدولة . »

فأحال الامبراطور المذكرة على المستشار للاجابة عليها . ودارت بيننا والمستشار محادثة في هذا الصدد حوالى منتصف يناير .

وكان أول ماحاول المستشار مناهضته هو مايعتقده من اننا الفيلد مارشال وأنا نتحمل تبعة شروط الصلح . فأكد ان التبعة واقعة عليه وحده . على أن الفيلد مارشال لم يحاول البتة الاعتداء على حقوق المستشار هرتلينج ولا على حقوق سلفه الفون بيتمان التي خولها اياها الدستور . وأما أردنا التبعة الادبية التي كنا نشعر بها من أعماق قلبينا والتي لا يستطيع أن ينتزعها منا أحد كما أردنا التبعة التي نحملها تجاه الجيش وتجاه الشعب . ويرجع الخطأ الى الحكومة التي كانت توافق القيادة العليا على وجهات نظرها في أغلب الاحيان وتظهر استعدادها لحماية وتعضيد مشروعاتنا ورغباتنا التي لا تقوى على تحقيقها فيما بعد . على ان الكونت هرتلينج لم يتبع هذه الطريقة بل كان يحاول جهاراً التخلص من اشراف القيادة العليا . وظل المستشار هرتلينج ينفذ سياسته الخاصة وهو يحسب هذا العمل من حقه غيرذاكر انه يرتبط معنا باتفاقات معينة . ولا أزال حتى اليوم لاأدرى السبب الذى حمل الكونت هرتلينج على سلوك مثل هذا المسلك

ولم تحدث هذه المحادثة ولا الاجابة الامبراطورية على مذكرة الفيلد مارشال أى تعديل في مجرى الامور . على أن أهم أغراض الكونت هرتلينج من ذلك كان متجهاً الى الغرب إذ أراد أن لا يجعل بلجيكا ممراً لجيوش الاعداء ، وهو في هذا الغرض على اتفاق مع القيادة العليا

- ٣

واجتمعت وفود الصلح خلال هذه المدة في بريست ليتوفسك ولم يكن للمتفقين بالطبع ممثلين بينها . وكان كثيرون من الناس يتساءلون اذا كان الروسيون سيعودون . ولقد عادوا الى المؤتمر الا انهم تحت قيادة تروتسكي . وذلك لان انحلال الجيش الروسي آخذ في الازدياد وهذا الجيش لا يريد سوى الصلح . فمركزنا اذن من أحسن ماتسمو اليه الآمال ولا حاجة لنا بمفاوضات على مثال ماأتاه الاتفاق مع بلغاريا والنمسا والمانيا بل كل مايلزمنا أن نقدم مطالبنا ببساطة ووضوح

ووافقنا على أمور كثيرة فيما يختص في حق تقرير الشعوب مصيرها بنفسها وعدلنا عن وجهة نظرنا القاضية بأن أهالي كورلاندا وليتوانيا قد قررا من قبل رغبتهما وقبلنا حق استفتائهما من جديد الا اننا اشترطنا أن يكون هذا الاستفتاء اثناء احتلالنا تلك البلاد . فأصر تروتسكي على وجوب جلائنا عنها أولا ثم يستفتى الاهالى . الا أن الجلاء عن هذه الديار غير معقول من الوجهة العسكرية لا تنافي حاجة الى استمدادها أسباب حياتنا ولرغبتنا في حفظها من عدوان البلشفيين ، ولهذا رفضنا فكرة الجلاء . وقد بدا الآن صواب نظر المعسكر العام الاكبر في هذا الموضوع ، اذ لو قبل رأي البلشفيين المسلحين لكانت المانيا خاضعة الآن لهم . فهؤلاء القوم هم أقل الناس رعاية لحقوق الامة على الرغم من مطالبتهم بها ولا همّ لهم الا زيادة نفوذهم

وعندمايستردن هذهالبقاع منايعتبرونهاعائدة الىسلطتهم . وشعورهم الوطني شديد جدا الى حد انهم يرون فصل كورلاندا وليتوانيا وبولونيا — على الرغم من حرية اختيار المصير — وسيلة عدائية ضد الروسيا

وتعتبر النمسا اكثر الدول استفادة من تقرير حق المصير في بولونيا الذي يشترطه الروسيون

وطالب العثمانيون بباطوم وقارص لانهما لبثتا زمنا طويلا جزءا من الممالك العثمانية وهذا المطلب كان ذاشأن ثانوى في نظرنا الا اننا كنا ملزمين بتحقيقه مراعاة للتحالف .

وكانت مطالبنا العسكرية لاتكاد تذكر لان نزع السلاح جار من تلقاء نفسه في الروسيا ، ولم نطالب باسلحة أو بواخر

ولم نشترط ضم استونيا وليفونيا على الرغم عن شدة رغبتنا في تحرير الاهالى الذين من عنصر المانى أصلى من نير البولشفيين . فتعطل الصلح لا يرجع الى فداحة مطالبنا بل الى مقاصد البولشفيين الثورية والى تردد مفاوضينا وكذلك الى حالة الرأى العام الالمانى والنمسوي الذى لم يخبر طبيعة الثورة الروسية . وحينما عمد القائد هوفمان الى الظهور فى مظهر العزم لوضع حد لطول المفاوضات أخذ تروتسكي الذى لايعتمد على شيء من القوة يوهم بأنه اذا لم يجب الى رغائبه يسحب المفوضين الروسيين ، وسره أن رأى من يرجو منه عدم الاقدام على هذا العمل الذى لم يكن له أقل جنوح الى الباسه صبغة الجد . وارتاح تروتسكي والاتفاق لامتداد المفاوضات واقترح تروتسكي نقلها من بريست ليتوفسك الى بلد محايد . وأخذ يعلن الآراء البولشفية في العالم أجمع وبين الطبقة العاملة الالمانية على الاخص بالتلغراف الاثيرى ، فكل البصراء بحقائق الامور أدركوا ان البولشفيين لا يقصدون من

هذه المحاولة سوى اشعال نيران الثورة في بلادنا للتوصل الى اسقاطنا .

وأخذت أتقلى على الجمر وأنا فى كراوزناخ من هذه المماطلة وحثثت القائد هوفمان على إيجاز المفاوضات . وكان هذا القائد يشايعنى في الرأى من الوجهة العسكرية إلا ان اختصاصه محدود

وارتحل تروتسكي الى سانبطرسبورج يوم ١٨ يناير لأن البولشفيين حلوا الجمعية الدستورية ، فدل عملهم هذا على مقدار احترامهم حرية الشعب. واعلن عزمه على العودة بعد عشرة أيام ولكنه لم يعد إلا يوم ٣٠ يناير

وصرح الفيلد مارشال برجاء منى في مؤتمر عقد في برلين يوم ٢٣ يناير بوجوب معرفة الحالة الحقيقة في الشرق حتى إذا كان البولشفيون لا يريدون ابرام الصلح في الحال فلا بد من اعادة بعض الفرق من الغرب وقطع المفاوضات واعادة القتال ، واذا ما سقط البولشفيون فكل هيأة حاكمة تخلفهم تكون مجبرة على ابرام الصلح

وكانت هنالك بواعث أخرى تحملني على استحثاث هذه المفاوضات وصول الى خاتمتها فان طولها يجعل الآن الاتفاق يسيء الظن في قوتنا للهافتنا على مصالحة الروسيا الى حد ملاينة تروتسكي ممثل الفئة التى لم تعترف بها أية دولة من دول العالم . وكيف يكون شأن كليمانسو ولويد جورج معنا إذا كان هذا مبلغ جهدنا إزاء ممثل فئة فوضوية عزلاء ؟

والجندى الكمى المرابط على الجبهة لم يكن يهمه من هذه المفاوضات ما يقيمه ممثلو البولشفية من الصعاب وما يبدونه من المراوغة بل كان يريد أن يجني ثمرات أتعابه التي أدت الى الانتصار الباهر بعد أن منى بكل ضروب الحرمان وعرض حياته للحمام مراراً عديدة ولا سيا في أول صلح متشوف الى معرفة نتيجته ليزداد به تقوياً على العمل لابرام الصلح في الساحات

الاخرى ، ولن تربح هذا الجندى إلا المساعى الحازمةالصارمة التى يجب القيام بها في المؤتمر لايضاح حقيقة مركزنا في الداخل وفي الخارج

وفى خلال هذه المدة علم أن ترتسكي لا يعبر عن آراء الروسيا بأسرها ولا عن آراء رومانيا اذ قد وصل مندوبون من اوكرنيا يوم ١٢ يناير الى بريست وتبوأوا مقاعدهم تجاه الوفد البولشفى وقد عضدهم القائد هوفمان بصفة خاصة ، وعرضوا على ممثلي التحالف الرباعى رغبتهم في مباشرة مفاوضات منعزله

وفي يوم ٣٠ بدأت المفاوضات مرة اخرى غير انها كانت مصحوبة بامر عجيب وهو أن تروتسكي مدير كل أعمال المؤتمر . فلم يسع الفون كوهلمان والكونت كزرنين سوى قطع المفاوضات والعودة الى برلين يوم ٤ فبراير واستمرت المفاوضات مع أوكرنيا على القاعدة الآتية : تتعهد اوكرنيا بتسليم النمسا والمانيا مقادير جسيمة من الغلال ، وفى مقابل هـذا تحصل على تعديل فى الحدود لمصلحتها من جهة بولونيا في دائرة خولم . ووعدت النمسا عدا هذا ان تنشىء بقعة أوكرينية في غاليسيا الشرقية .

وحينما ذهبت الى برلين لمناقشة وزير الخارجية فون كوهلمان والكونت كزرنين فى يومى ٤ و ٥ حصلت من وزير خارجيتنا على وعد بقطع المفاوضات مع تروتسكى بعـد ابرامه الصلح مع اوكرنيا بأربع وعشرين ساعة . وكل ما علمته عن هذه المفاوضات دلنى على أن الروسيا لا تريد الصلح . فهى تعلق امالها على انتصار الاتفاق وعلى شبوب الثورة فى المانيا ولا تثق بنا . وازداد الروسيون رجاء على أثر الاعتصاب السياسى الذي حدث في أواخر يناير على الرغم من ارادة زعماء النقابات . وكانت في هذه الآونة العلائق تزداد إحكاماً بين شطر من حركة العمال الالمانيين والبولشفيه !

وفى أثناء المؤتمر الذى عقد فى برلين للتداول فى شأن مؤتمر الصلح أوضح لنا الكونت كزرنين الباعث له على ابرام صلح خاص مع أوكرنيا قد يفضي الى تبرم البولونيين وألح علينا بكتم بعض نصوص الاتفاق الذى سيبرم مع أوكرنيا . أما هذا السبب فهو ان المقادير الواصلة الى النمسا من حبوب رومانيا بدأت تقل بالتدريج بدرجة جعلت المملكة الثنائية في أشد العوز الى غلال اوكرنيا التي اذا لم تصل الى النمسا فى أقرب وقت انتشرت المجاعة فى النمسا . وختم مدير تموين الجيش النمسوى القائد لاندوبهر حديث أزمة الحبوب المحزن بوصفه حالة تموين الجيش، ثم رجانى ان أمده بمساعدتى . وعلى الرغم من الضيق المستحكم فى المانيا نفسها فان الفون فالدوف رأى امكان مساعدة النمسا الى حد محدود .

وبعد مداولات أخرى فى برلين حضرتها بالمثل سافر الوزير كوهلمان والكونت كزرنين الى ليتوفسك . وأمضى اتفاق الصلح مع اوكرنيا يوم ٩ فبراير فطلبت من فون كوهلمان ان يقطع المفاوضات مع تروتسكى كوعده يوم ٥ غير انه على ما يظهر لم يشأ أن يفى بوعده . وفى اليوم نفسه وصلت اشارة جوية من الحكومة الروسية الى الجيش الالمانى تدعوه الى رفض الاذعان لرئيسه الاعلى . فقدم الفيلد مارشال تقريراً بهذا الحادث الى جلالة الامبراطور الذى أمر الوزير كوهلمان ان يوجه انذاراً نهائياً الى تروتسكي يجبره به على قبول اقتراحاتنا السالفة وكلف الوزير في الوقت نفسه ان يطلب اخلاء البلاد البلطيقية . فارتأي الفون كوهلمان وجوب الامتناع عن هذا الطلب مراعاة للرأى العام فى النمسا والمانيا فقبل جلالة الامبراطور العدول عن الامر الاخير . فشدد الفون كوهلمان فى حمل تروتسكى على ابرام الصلح فرفض هذا الاخير كل اتفاق مصرحاً في

الوقت نفسه ان حالة الحرب قد انتهت وانه سيأمر بفض الجيش الروسي.
فاصبحت الحالة في الشرق شديدة الابهام . ولا يسعنا الوقوف إمام أمر لم يبت فيه إذ من الممكن أن تظهر حوادث جديدة في هذه الجهة ما بين آونة واخرى بينما نكون نحن مشغولين بالذود عن كياننا في الجانب الغربي . فموقفنا العسكري يقتضي الوضوح وهذا مالايتم الا بمداولات هومبورج

— ٤ —

عقد اجتماع هومبورج يوم ١٣ فبراير بحضور المستشار ونائب المستشار ووزير الخارجية والفيلدمارشال وامير البحر وأنا وما كان جلالة الامبراطور يحضر جلسات هذا الاجتماع الا من وقت الى آخر .
وكان المعسكر العام الاكبر قد أرسل عدة تلغرافات الى المستشار يرجو منه فيها أن ينقض الهدنة . لان الجيش الروسي الذي لا يعتد به في هذه الآونة لا يلبث أن يصبح خطراً عظيما اذا اتسع له الوقت فضلا عما تقوم به البولشفية من نشر دعوتها . ومن جهة أخرى فان رومانيا لا تبرم صلحاً الا اذا فتحت لها الروسيا طريقه . وبهذه الطريقة لا يقترن هجومنا في الغرب بالنجاح وتفلت منا فرصة اختتام هذه الحرب العالمية بانتصار باهر على أعداء أكثر منا عدة وعددا . وعدا هذا فاننا مفتقرون الى الاعتضاد باكرونيا على البولشفية . وأين نجد القمح اللازم للنمسا اذا لم نستمده من اوكرنيا ؟ فالمانيا ليس في وسعها أن تستغني عن محصولها ورومانيا لم تعد تسد حاجة النمسا كما كان المنتظر . ولا بد للحملات البولشفية من أن تجعل الصلح مع اكرينيا عبثا اذا لم تبرم البولشفية نفسها صلحاً قهرياً مع التحالف الرباعي . على ان العمل في هذه الآونة ضد القوى التي يواجهنا بها البلشفيون

من شأنه أن يمنع تجدد الجبهة الشرقية ويكسبنا أدوات حربية جسيمة نحن في أشد الحاجة اليها . ومع ذلك فانه لن يكون عملا حربياً عظيما. ولاجل منع الاتفاق من انهاض روسيا كما تحاول الآن القيام بهذا الامر يجب احتجازنا جنودنا وأدواتها الحربية على الشاطىء المورمانى ، وان لم نفعل هذا فلا بد من مجيء انجلترا الى بطرسبورج لتتولى إدارة الحركات الموجهة ضدنا فينبغى اذن أن نحول دون وصولها الى بطرسبورج والى خليج فنلاندا ولا بد لنا بالمثل من اغاثة فنلاندا التي امضها البولشفيون وأخذت تستنجد بنا فاننا اذا أنقذناها تكون نعم الظهير لنا على البلشفيين . ثم اننا باتصالنا بالفنلانديين نحدث ضغطاً على بطرسبورج ونستولى على سكة حديد مورمانيا وان الصلات التي بينى وبعض كبار الفنلانديين من زمن طويل وفى مقدمتهم المسيو هيبلت أول سفير للدولة الفنلاندية الفتاة فى برلين تمكننى من استخدامها فى المصلحة المشتركة . وقد أمكن تأليف طابور فنلاندى من الرماة منذ أوائل الحرب واستخدم في ضواحى ميتاو . واذ كان الفنلانديون يحبون وطنهم من أعماق قلوبهم وهم يعلمون اخلاصنا لهم وقد أمددناهم بالاسلحة والذخائر مساعدتهم بطريقة غير مباشرة فقلما يحتمل أن نصادف أقل مقاومة فى فنلاندا .

على انى ما كنت أحب مباشرة أى عمل حربي في الجبهة الشرقية بل كنت أوثر الصلح مع الروسيا الا أن هذا الصلح أصبح غير ميسور بسوى هذه الطريقة . أما ترك عدو آخذ في التقوى حتى يصبح قادراً على المهاجمة فما لا تسمح به شريعة الحرب القاسية .

فهذه الآراء هى التى أوضحتها للمستشار ونائبه مع افهامهم حرج مركزنا في الغرب وفداحة العبء الذي سننوء به هنالك . واننا لا نستطيع

القيام بأى عمل عظيم في الغرب الا اذا امنا شر البلشفيين الذين يعملون على إضرام نار الثورة فى المانيا ولا نأمن شرهم الا اذا احتللنا جبهة ضيقة ازاءهم بدل جبهتنا الحالية المتناهية فى الاتساع والتي تعتبر خطراً دائماً علينا بوجودها في منطقة البحيرات . وصرحت بأنى سأكون مبتهجا بالطبع باغاثة ليفونيا واستونيا وعلى الاخص اخواننا في العنصر الرازحين تحت كلاكل المظالم البولشفية والذين يستنجدون بنا .

ولم يشأ المستشار ونائبه أن ينقضا الهدنة بحجة الاضطراب الداخلي وحالة النمسا العامة وتبعهما في رأيهما وزير الخارجية كوهلمان ، ولم يعيروا السياسة الخارجية أدنى أهمية . الا أن الشخصين الاولين أخذا يتحولان بالتدريج الى صفنا تحت تأثير الحالة الغذائية واخيراً انضما الينا تماماً . أما وزير الخارجية الذى كانت تنقصه الصفات العالية التي تؤهله لمركزه العظيم فقد اعتذر بأنه لا يذهب الى إمكان نقض الهدنة ولكن بما أن المستشار قبل نقضها فهو يوافق على رأي المستشار دون أن يتحمل تبعة هذا العمل

واخيراً صادق الامبراطور على نقض الهدنة أو على ان الهدنة أصبحت ملغاة من تلقاء نفسها بحكم إمتناع تروتسكي عن ابرام الصلح

— ٥ —

والخلاصة أن القتال امتد على سائر جبهة روسيا الكبرى ابتداء من بعد ظهر يوم ١٨ فبراير واستمر الى ضحوة يوم ١٩ . وفي الحال أنبأتنا الحكومة البولشفية بالتلغراف الاثيرى انها مستعدة لابرام الصلح . وائتمار بنصيحة التجارب السابقة التي مرت بنا في بريست ليتوفسك نهجنا بمفاوضات الصلح منهجاً آخر مخالفاً تمام المخالفة للخطة السالفة . فطلبت الحكومة

عملا بآراء المعسكر العام الاكبر وبالاتفاق مع حليفتها وتطبيقاً لمبدأ بت الشعوب في مصيرها الاعتراف باستقلال فنلاندا واوكرينيا والتخلي عن كورلاندا وليتوانيا وبولونيا واعطاء باطوم وقارص . وتركت استونيا وليفونيا الى المستقبل اكتفاء باحتلالهما في هذه الآونة . ولا بد من فض الجيش الروسي وتجريده من السلاح وتعطيل الاسطول من العمل وكف الروسيا عن نشر دعوتها في المانيا . وارجئ النظر في المسائل الاقتصادية ومبادلة الاسرى الى مفاوضات تاليـة . وتحتم الاستمرار في الزحف الى أن تقبل كافة المطالب . فاظهر تروتسكي استعداده لأرسال مفوضين جدد الى بريست أما هو فلم يحضر

ووصل الوفد الروسي يوم ٢٨ فبراير وصرح بانه غير مفوض إلا في امضاء اتفاق الصلح . ووقع الطرفان صك الاتفاق يوم ٣ مارس فوقف القتال

ان صلح بريست ليتوفسـك هو نتيجة الدعوة الثورية التي أراد البولشفيون نشرها في المانيا . على انى لم أرد القضاء على الروسيا . فالبقاع التي فصلت من الروسيا لم تكن حيوية لها أما استونيا وليفونيا فكانتا من الولايات اللازمة لها فلذا لم نقرر اقتطاعهما منها . ثم اننا لم نعامل الروسيا معاملة مخجلة أو مجحفة بها ، وفرق بين شروط صلحنا معها وما كان يجب أن نشترطه في مثل ذلك المقام وما يفرض علينا قبوله الآن مع اننا لم نعارض في أي اتفاق مؤد الى الصلح من قبل كما فعل البولشفيون . وقد وافقت الاغلبية الكبري في الرايخستاج على شروط الصلح واعتبرته موافقاً لحرية الامم في اختيار مصيرها ، وامتنع اشتراكيو الاغلبية من التصويت ، وأما الاشتراكيون المستقلون فهم الذين صوتوا وحدهم ضد هذا الاتفاق

ولقد اوصل الزحف الجنود الالمانيين المؤلفين على الاغلب من

اللاندوبهريين بسرعة مدهشة الى نارڤا وبسكوف وبولوتزك واورخاميهيليف . ولم يبد الروسيون أية مقاومة . واشتملت الغنائم على مقادير هائلة من الادوات الحربية . وأخذ السكان يشعرون بتحررهم من النير البولشفى . وتولى رئيس قيادة الشرق ادارة البلاد المحتلة . وكما حدث الزحف في أراضى الروسيا الكبرى البولشفية فقد حدث بالمثل فى بقاع اوكرينيا وكنت على اتصال تام بالقائد آزر للقيام باعمال هذه الحمله . وكان الامبراطور شارل يريد أن يحول دون عودة القتال في الشرق إلا أن المجاعة الجأته الى قبولها . وصار غرضنا الجوهري من متابعة الزحف الوصول الى كييف التي احتللناها فى أول مارس . واستمر النمسويون يتقدمون في اتجاه اوديسا . وإذ كانت الاعمال الحربية تجري على طول امتداد السكك الحديد فقد دارت وقائع متعددة بين القطارات المدرعة ، واضطررنا الى اختراق اقطار شاسعة بقوي ضئيله . أما الروسيون البولشفيون فقلما أبدوا دفاعاً وأما أسرى الحرب النمسويون من العنصر التشيكي فكانوا أصلب عوداً وأنشط الى القتال فالتحمنا معهم في وقائع حادة . واستمر الزحف والقتال الى أواسط مايو

واهتم رئيس قيادة الشرق بتأليف فرقتين من أسرى الروسيين من العنصر الاوكريني إلا انهما مع الاسف لم يحققا أملنا في هذا العنصر الذى حررناه من الاستعباد الروسى لانهما عند وصولهما الى ميدان القتال انصاعا الى تأثير السياسة المتطرفة ، فاضطررنا حينئذ الى حلهما

ولم تكد الهدنة تنقض حتى شرع الاتراك بالمثل في الزحف في نجود ارمينيا ووجهتهم قارص وباطوم .

— ٦ —

ان مفاوضات الصلح مع رومانيا كانت عسيرة بالمثل كالمفاوضات الاخرى

واذ كانت رومانيا بالنسبة لنا ضرورة حيوية لاحتياجنا البالغ الى بترولها ومواردها الغذائية فلم أشأ أن أدع أمر المفاوضات معها الى دوائر الحكومة المختلفة بل كلفت المعسكر العام الاكبر بمفاوضة برلين ومعسكر ما كنزن بشأن مطالبنا الاقتصادية من رومانيا . وجعلنا هذه المطالب أساس المفاوضات ولم نكسها مسحة عسكرية بل جعلناها مدنية بحتة . على اننا لم نرد الذهاب الى صلح الارهاق بل اعتبرنا الصلح الذي نحاول الاتفاق عليه مع رومانيا احدى ضرورات الحرب التي يصير التنحي عنها عند مباشرة عقد الصلح العام . ولم نشأ بترأي عضو من رومانيا أو استعبادها أو استغلالها على الدوام كما يفعل الآن الاتفاق الذى محا شعوباً باسرها من الوجوه وحكم على امم بالتمزق واستعبد شعوباً أخري وهذه طريقة تعيد ذكرى همجية العصور العتيقة

ولم يكن من المستطاع تحقيق مطلب بلغاريا القاضى بضم كل مقاطعة الدوبروجيا اليها لان هذا الضم مضر بالمانيا قبل كل شئ بل كنت أذهب الى وجوب ابقاء القسم الشمالى من هذه المقاطعة فى حوزة رومانيا وايجاد منطقة محايدة في يد الالمانيين تضمن وقاية سكة حديد تخبرنا فودا . قنسطنزا . ورفضنا ما تطلبته هنغاريا من الاستيلاء على بقاع رومانية مترامية الاطراف اذ لم تكن هنا لك حاجة لحماية هنغاريا سوى تعديل بسيط فى الحدود من جهة أوسوفا وفى زاوية البغدان في جنوب كيرلى بابا ولم يعارض المعسكر العام الاكبر في الحاق بساربيا الى رومانيا . وكانت المانيا والنمسا متفقتين على إقامة حكومة فى رومانيا يكون رجالها من الرومانيين الذين ظلوا مقيمين فى القسم المحتمل منها والمعروفة ميولهم الودية لالمانيا . وكانت السلطة العسكرية تبذل قصارى جهدها لتلافى سفر ملك رومانيا وأسرته فجأة الى الخارج قبل ابرام الصلح العام . وأخذت النمسا تتبرم من

ازدياد النفوذ الالماني في رومانيا وتتوجس خيفة منه وتخافه وأرسلت لاجل هذا الغرض في أواخر يناير ملحقها العسكري السابق في رومانيا الى جاسي حيث يقيم ملك رومانيا ليفهمه ان النمسا مستعدة لعقد صلح شريف مع رومانيا

وعهد الى الفيلد مارشال ما كنزن في باديء الامر ان يشرف على مجرى مفاوضات الصلح مع رومانيا الا انه رأى نفسه مغلول اليد عن التصرف في كل شيء بما تبديه النمسا من الاعنات . وكانت الحالة الحربية تقتضي العلم بما اذا كان الصلح سيتم حقيقة أم سيظل معطلا . وقد تألفت الحكومة الرومانية الحديثة الا انها لم تجبنا الى تحقيق أى طلب تقتضيه مصالحنا . وأخيراً اسندت رآسة المفاوضات الى الكونت كزرنين ابتداء من ٢٤ فبراير وكنت أذهب الى وجوب القيام بضغط حربي سريع على رومانيا في حالة تأخرها عن ابرام الصلح وبما اننا أصبحنا محدقين بها من كل جانب فان عملنا الحربي لا يستغرق وقتا طويلا . غير ان الحكومة كانت أميل الى ملاينة رومانيا فدل هذا على مقدار تباين وجهة النظر بين الحكومة وبيني

وابرمت مقدمات الصلح في بوفتيا يوم ٥ مارس ثم صار التوقيع على اتفاق الصلح النهائي في بوخارست وانتهت المفاوضات بوجه التقريب في أواخر مارس

وفازت بلغاريا بالحصول على البقاع المترامية الى خط تخيرنافوداقو نسطنزا من الدوبروجه وبقيت البقعة الشمالية تحت إدارة التحالف الرباعي وضمن لرومانيا مخرجا تجارياً فى قنسطنزا . وإذ ذاك رأى الاتراك أن يطلبوا عوضاً عن الغنم الذى فاز به البلغاريون في الدوبروجه التي كان للاتراك الجانب الاعظم من الاشتراك في فتحها إعادة الاراضى التي تخلوا عنها للبلغاريين في

أوائل الحرب غرب أدرنه وشرق الماريتزا فأبى البلغاريون وأردنا التوفيق بين الطرفين فامتنعا . واضطرت رومانيا أن تتنازل عن بقاع واسعة للنمسا حسب رغبة الكونت كزرنين وعلى الرغم من اعتراض المعسكر العام الاكبر الالماني . وسمح لرومانيا بضم بساربيا اليها . وتضمنت معاهدة الصلح تسريح الجيش الروماني وتقليل ما يبقى مجتمعا منه وتسليم قسم من أدواته الحربية ليبقى وديعة في ايدي التحالف الرباعى ونزوح البعثة الحربية الفرنسوية الى الروسيا . وتركت مقاطعة البغدان لرومانيا واجيز لقسم من الجيش الروماني حمل سلاحه ليحتفظ بالبقاع البسارابية كما تقرر بقاء ست فرق المانية نمسوية في الافلاق . ولم يفصل في أمر الملاحة في الدانوب التي تهمنا من وجهة نقل البترول والحبوب الرومانية الينا . ولم يفصل في أمر الاسرة المالكة ولا فيما اذا كان سيجاز لسفراء الدول المتفقة البقاء في جاسي أو الارتحال منها . فأدى هذا الاهمال الى بقاء اولئك السفراء في جاسي واتخاذها مقراً للدسائس المدبرة ضدنا . وأخيراً أمضيت معاهدة الصلح مع رومانيا يوم ٧ مايو ، إلا انها صورية اذلم تكد بلغاريا تتداعى اركانها حتى ظهرت رومانيا في مظهر اخر جعلنا ندرك أن المعاهدة المبرمة معها لم تكن موافقة لخطارة شأن الحرب العالمية

***

لا شك في أن ابرام الصلح مع الروسيا يوم ٣ مارس في بريست ليتوفسك والاتفاق على مقدمات الصلح مع رومانيا في بوفتيا يوم ٥ منه قد أديا الى تخفيف عظيم عن الجبهة الشرقية إلا أن الخطر لم يزل تماماً لتوقع نهوض الروسيا واستجماع قواها بمعونة دول الاتفاق اللواتي يغرين البولشفية . غير أن البولشفيين لم يلبثوا أن تبينوا حقيقة مقاصد الاتفاقيين التي ترمي

الى تقويض دعائم البولشفية واقامة حكومة روسية أخرى على انقاضها تساعدهم على المانيا مساعدة حربية فاداروا وجوههم شطر المانيا وعدلوا عن مقاومتها بالسلاح مقتنعين في الوقت الحاضر بنشر دعوتهم ومهتمين قبل كل شيء باصلاح داخل بلادهم .

وعلى الرغم من أن الصلح المبرم في الشرق لم يؤد الى الطمأنينة التامة لانه لايعتبر سوى صلح مسلح فقد شرعنا في نقل كل قوانا التي رأينا الاستغناء عنها في تلك الساحة غير تاركين فيها سوى الوحدات المؤلفة في الاغلب من الطبقات القديمة . ومع ذلك فاننا لم ننكف عن استجرار كل ماءكن اقتطاعه من قوى الشرق اثناء فصل الصيف لتقوية الجبهة الغربية به . على ان القوى الباقية فى الشرق ازاء الخطر المتوقع هنالك وازاء اتساع البقاع المحتلة المحتاجة للوقاية وللاستثمار بايدى الجنود ظلت جسيمة .

— ٧ —

لقد استغرق الاستعداد للهجوم المقبل شتاء ١٩١٧ ـ ١٩١٨ كما استغرق تدريب الجنود على خطط الدفاع الجديدة شتاء العام الغابر . وكما ادخلت تغييرات عظيمة على طرق الدفاع فقد استحدثت طرق أخري للقيام بمعركة الهجوم . والطرق المستحدثة قائمة على التجارب المستخلصة من المعارك السالفة ولا سيما وقائع أراس . وأصبح من المعتبر ان العامل الاهم والحاسم في المعارك الهجومية هو الاستيلاء على متسع عظيم من البقاع . ولم يعد الاعتماد في الهجوم كالعهود السابقة على صدور الجنود بل صار المعتمد الاهم هو السلاح الفعال . وصار من المستصوب ترقيق الخط الاول وإردافه بخطوط تعضيد قوية ، واستغني عن الحشود العظيمة بمجموعات متفرقة خفيفة سهلة التحرك سريعة السير من الجنود الرماة . ويجب ان يكون

الجنود المشاة مزودين بالمدافع الرشاشة الخفيفة . وعلى هذه المدافع الحاصدة ينبغي أن يكون أعظم معتمد ومع ذلك فلا يحسن اهمال البنادق . اما المدافع السريعة الثقيله فلشدة نيرانها الملتهمة جعلت مهمتها التمهيد للرماة بين صفوف الاعداء للانتقال من خندق الى خندق . وتجيء بعد السلاحين المتقدمين قاذفات القذائف التى تراد بها اصابة الاهداف القريبة التى لم تتأثر بنيران النوعين السالفين . واذ كانت هذه القاذفات معتبرة سلاحاً خاصاً بحرب الخنادق فقد أدخل عليها تعديل بجعلها سلاحاً ملائماً لحرب الهجوم . واذ كان لابد من اتقاء شر الخسائر الفادحة التي تصيب المشاة في هجومهم من وسائل الدفاع المواجهة لهم فقد ظل من الضرورى التمهيد باطلاق المدافع الغلاظ على مواقع العدو قبل الهجوم غير أن هذه المواقع لن تمحى بتاتاً بنيران التمهيد فلزم اذن إصحاب المشاة بمدافع سهلية سهلة النقل لتقضي على ماتبقى من ملاجيء الاعداء فى الخطوط الامامية ، ووزعت هذه المدافع على الالايات والطوابير . ثم تجيء قاذفات اللهب وهي ترسل اللهيب على الكهوف والخنادق عند اقتراب الجنود الهاجمين منها . ولم يكن لدينا من التانكس ما نستخدمه في هجومنا الا انه نجح بغير التانكس . وانما تأخرنا عن صنع التانكس لاننا كنا في أشد الحاجة الى صنع الاتومو بيلات النقالة التى تقل المشاة من تكناتها الخلفية الى ميادين القتال وهى مرتاحة لما وجدناه في هذه الوسيلة من المزايا الجليلة . ولقد عانينا أشد الصعاب في الحصول على الوسائل اللازمة لتسيير هذه السيارات ولم نحجم عن استتباع صنعها لصعوبة الحصول على هذه الوسائل . وعلى الرغم من الانهماك في صنع السيارات النقالة فان المعسكر العام الا كبر لم ينصرف عن الاهتمام بصنع التانكس . ولم يظهر للتانكس مفعول ناجع قبل معركة كمبريه . الا

انها في الغالب لم تصل الى الغرض المقصود منها سوى في القطاعات التي لم تكن حافلة بالجنود وجنودها مع ذلك من الطبقات المتقدمة في السن وغير مزودة بالمدافع الكافيه . وفي أواخر سنة ١٩١٧ أخذت عربات التانكس تكثر لدينا ولم يجيء ربيع ١٩١٨ حتى كان لدينا ما يفي بما يستلزمه الهجوم. على ان جنودنا كثيراً ما اتلفوا مركبات التانكس المعادية بالقذائف المتفجرة وبالرصاص ذي النواة الصلبية

واعددنا طياراتنا لتعضيد المشاة في هجومهم فلم تقتصر على الاستكشاف بل اصبحت سلاحاً ناجعاً يستعمل في سائر المعارك . وأخذت الطيارات تمهد للمشاة بمدافعها الرشاشة وبقذائفها الخفيفة فتصيب خط الدفاع الاول وتتخطاه الى الاحتياط ثم تعرقل حركات التموين وزحف النجدات الواصلة من بعيد الى مؤخرة الجيش المعادي .

ان التمهيد العظيم بالمدافع لهجوم المشاة أمر جوهري. ويجب ان يكون عدد البطاريات المحتشدة في كل كيلو متر من الهجوم من ٢٠ الى ٣٠ أي حوالى مائة مدفع. وهذا مقدار جسيم لم يكن يتصوره انسان من قبل وزد على ذلك اكوام القذائف التي ترسلها هذه المدافع المتراصة . ومع كل ذلك فان هذا التمهيد الهائل لا يمحو اثر الحياة من جبهة العدو بل تبقى بقية كبيرة من الاعداء تحتاج الى عمل المشاة الذى يجيء بعد تمهيد المدفعية.

ولقد كان المتبع في اطلاق المدافع اتخاذ حساب للتصويب الا أن وسائل الوقاية ومدافع الخنادق التي تستأصل مدافع الهجوم وذخائرها جعلتنا نفكر في ابتكار طرق لاصابة الاهداف بغير مراعاة حساب التصويب القديمة . وهذه الطرق قائمة على انظمة علمية دقيقة تشترك فيها الطيارات برسم مواقع العدو وتعيين ابعادها ، وفى الاماكن التي تخلو من الطيارات

تقوم قوى الاستطلاع بتقديم هذه المعلومات أو تستخلص من وميض الطلقات ومن اصواتها . وقد وضعت جداول محكمة لسائر هـذه الاعمال ودرب المدفعيين عليها مدة طويلة تأهباً للهجوم المنوى

واعد المعسكر العام الاكبر طريقة لتعطيل مدفعية العدو ومنع خروج مشاته من مخابئهم بتمهيد قصير حاد جداً يراد منه نشر سحاب كثيف من الغاز يتمكن مشاتنا في أثناء انتشاره من التقدم في خط العدو الاول .

وفي خلال وثوب مشاتنا توالى مدافعنا ارسال حممها على مدفعية العدو لتمنعها من تعطيل زحف مشاتنا . وحينئذ يشتبك مشاتنا مع مشاة العدو تحت قبة قذائف مدافعنا التي تحميهم وهم مصحوبون بكل آلات كفاحهم الخفيفة السريعة . وبعد استيلاء المشاة على الخط الاول وتراجع العدو الى مسافة بعيدة تتقدم المدفعية الثقيلة الى الخط الذى استولى عليه المشاة لتمهد لهم الهجوم مرة أخرى . واتخذنا طرق الحيطة من الاصطدام بجبهة جديدة كما حدث مثل هذا فى رومانيا وفي ايطاليا بتنبيه المشاة حينئذ الى التزام خطة الدفاع والانتشار على خطوط متدرجة بعضها اثر بعض . وشرعنا ندرب الجنود على كل ما جد من الاعمال الحربية في الخطوط الحديدية وفي التليفونات والتلغرافات بانواعها . وارسلنا قائدا محنكا من الجبهة الغربية الى رومانيا لتدريب القوى الباقية فيها على تعاليم الحرب الحديثة ليكونوا على استعداد تام للانتقال الى الميدان الفرنسوى على أثر ابرام الصلح مع رومانيا . وشرعنا نلقى محاضرات على العساكر والضباط في الميدان الغربى وتوالى التدريب بين المعسكرات من المقترعين الى أقدم الجنود في الميدان واجرينا تمرينات بقنابل حقيقية على العوائق المتحركة . واتفق سائر الرؤساء على وجوب الاحتفاظ بالطاعة في الجيش لانها أساس النجاح في الاعمال الحربية .

ولم يدخر ضباطنا وسعاً لاعداد جنودنا للهجوم العظم المقبل كما أعدوهم في العام المنصرم للدفاع المجيد الذى قاموا به خير قيام . ويمكن الجزم بمهارة ضباطنا اذا قيست خسائرنا بخسائر اعدائنا من القتلى . فقد خسر الانجليز والفرنسويون اكثر من ٢٠٠٠٠٠٠ قتيل وخسر الروسيون نصف هـذا العدد فيكون أعداؤنا فقدوا ٣٠٠٠٠٠٠ قتيل مقابل ٢٠٠٠٠٠٠ قتيل الماني من جملتهم قتلى الميادين الاخرى المتنائية . فنحن اذن أقل خسارة من الاعداء .

ومع استعدادنا العظيم للهجوم فاننا لم نغفل الاستعداد بالمثل للدفاع اذ لابد لنا من انتظار كر العدو على اثر انتهاء هجماتنا . وقد اتبعنا خطتنا الدفاعية السالفة الا اننا اتخذنا احتياطات ناجعة لتلافى أخطار التانكس وضاعفنا عنايتنا بحماية مواقعنا الدفاعية من مباغتات التانكس ببث الاشراك المستورة واعداد الحفر المغطاة وقطع الطرق ووضع الالغام واخفاء عدد كبير من المدافع المخصصة لمكافحة التانكس في أماكن متفرقة . وافادنا وزير الحربية بابتداع اسلحة جديدة لدفع غارات التانكس .

واخذت اختلف الى المعسكرات العامة للجيوش المتفرقة في سائر أنحاء الجبهة الغربية لاستطلاع آراء القواد والضباط والجنود فى الطرق الحديثة . وكذلك شاهدت التمرينات الجارية في أماكن متعددة واستخلصت من هذه المشاهدات ان اعتياد العساكر على الانظمة الجديدة لا يتم قبـل شهر مارس

— ٨ —

تراجعت الفرق المعدة للهجوم من الخطوط الامامية فى شهري

وفبراير لتدريبها وتجهيزها . واذ لم نكن حاصلين على تجهيز الجيش المقاتل باسره بكل آلات الهجوم فقد اقتصرنا على تجهيز الفرق التي ستفتتح المعركة الهجومية . وبما أن كثيراً من الفرق المستقدمة من الساحات الاخرى لم تزل في الطريق فقد استصوبنا أن نشرع في الهجوم على امتداد خمسين كيلو متراً فقط . وانتظرنا أن ندبر الهجوم بخمسين أو ستين فرقة ولهذا وجب علينا أن نضعف النقط الاخرى من الجبهة بسحب ما يتيسر منها . ومع اننا قد أدركنا التفوق العددي الذى لم نكن نحلم به في إحدى الساحات في وقت من الاوقات فقد كان من المنتظر أن لا يدوم هذا التفوق لان لدى العدو من الاسلحة الخاصة داخل بلاده ومن جنود المستعمرات ما يكسبه التفوق اذا طالت الحرب

وأراد المعسكر العام الاكبر أن يستمد جانباً من قوى النمسا المتوفرة لها من جراء الصلح الرومى الروماني إلا أن حالة الجيش النمسوى كانت لا تسمح البتة باقتطاع وحدات منه . ولقد ارسلت إلينا النمسا عدداً كبيراً من المدافع ولكن ذخائرها كانت في منتهى القلة

وكان المعسكر العام الاكبر يريد أن يستخدم العرضي الخامس عشر العثماني في الميدان الغربي إلا أن الحالة المحزنة التي آل اليها الجيش التركي في فلسطين اجبرتنا على ارجاع هذا العرضى الى بلاده . وقد اسفت على هذا للعمل فيما بعد لان انور الذى لم تنصرف عيناه عن القوقاز أرسل هذا العرضى الى باطوم حيث بقى هنا لك بدون أن يقوم بعمل مذكور وكان من الافيد وجوده فى المعترك الغربى

وكانت بلغاريا تستخدم جنودها في الجبهة المقدونية ومع ذلك فقد كان في وسعها أن ترسل عدداً كبيراً من جنودها الى الميدان الغربي لو

تزودت بحسن الارادة والاخلاص إلا انها لم تفكر البتة فى القيام بواجب تحالفها في هذه الحرب الكبرى . بل انها لم ترد ان تسمح بسحب قسم من الجنود الالمانيين من جبهتها الا بمشقة والجنود الالمانيون الذين غادروا تلك الجبهة اضطروا الى ترك أسلحتهم فيها

وتوفرت لدينا الادوات الحربية بكثرة فى المعترك الغربي غير اننا لبثنا شاعرين باحتياجنا الى وفرة الجنود اذ لم تتحقق كل آمالنا من هذه الوجهة. وفى الواقع أن وزارة الحربية أخذت ترسل فى خريف ١٩١٨ جنوداً من المعسكرة فى الداخل ومن الحاميات الدخاية الى حومة الوغى كان من الواجب ارسالها فى أوائل الهجوم لاعند شدة الضغط . على ان المعسكر العام الاكبر لايزال قادراً على استقدام قوى اخرى على التوالى من الجبهة الشرقية ومن رومانيا ولديه موارد احتياطية أخرى . ولقد أخذت أفكر في استخدام النساء بالمثل فألفنا فيلقا أنثويا يساعد في أعمال التليفونات

على ان الجيش المحارب ما كان يشعر بحاجة الى الاستزادة لو لم يكثر الهاربون من التجنيد والمختفون من الجبهة . فعدد اللاجئين الى البلاد المحايدة هائل جداً يمكن تصور مقداره اذا علمنا ان الموجودين منهم في هولاندا وحدها يعدون بعشرات الالوف . وكذلك يوجد عدد عظيم مختف داخل البلاد يتستر عليهم ذووهم وتقصر الحكومة في حشدهم . فالمدار اذن على الحالة النفسية فلو كانت حسنة لما شكا الجيش نقصاً ولا ضعفاً

ولقد أصبحت المعركة الدفاعية من الطراز الحديث تتقاضى من الخسائر أكثر مما تتقاضاه المعركة الهجومية . فخسائرنا في شهور أغسطس وسبتمبر واكتوبر ١٩١٨ كانت أعظم بكثير من خسائرنا في أشهر مارس وابريل ومايو . لان خسائرنا في أشهر الهجوم مؤلفة من جرحى جروحهم خفيفة

في الغالب ولا يلبثون أن يعودوا الى صفوفهم متى تعافوا من جراحهم ، وأما خسائر الدفاع فكانت محتوية على كثير من الاسرى الذين لايسعنا الا اعتبارهم في عداد المفقودين نهائيا .

وأخذت حالة الجيش الادبية تتحسن على أثر الشروع في الانتقال من الدفاع الى الهجوم . الا أن دسائس تثبيط العزائم بالطرق الخفية كانت لاتزال متبعة فى بعض نقط من الجيش . فقد تعالت الشكوى من مجندي الطبقة التاسعة عشرة بالنظر لما رؤي من سوء حالة هذه الطبقة الادبية وفضلا عن ذلك شوهد تداول النقود بكثرة بين ايدى الجنود الجدد بينما الجنود المتقدمين في السن الذين قضوا فى القتال طول سنوات الحرب خالية جيوبهم

ولم تتغير حالة داخليتنا الادبية . والاضرار بشؤننا الاقتصادية ظل مطرداً فى ازدياد . ومع ان الجيش تقوى عن العام الماضي بوجه عام فقد شوهدت في بعض اجزائه عوامل الضعف . ولم تكن البلاد يائسة من انتصارنا بل كانت عظيمة الثقة بكفاءة الجيش غير ان دعوات العدو هى التي كانت تؤثر في النفوس . ولم نكن نعلم مقدار ما أحدثه الحزب الاشتراكي الديموقراطى من التأثير في الافكار غير أن الاعتصابات التي حدثت في يناير ١٩١٨ دلت على ان انصار هذا الحزب كثروا وان زعماءهم يمتلكون أزمتهم وان النقابات لم يعد لها أقل نفوذ

ولقد أخذت الحركات الثورية تشتد والحكومة لاتتلافى شرورها قبل استفحالها وكان من الاحزم أن تركن الى الصرامة ولو أدى عملها الى قلة المواد الحربيـة وقتيا . وعلمت اذ ذاك باجتماع أول مجلس للعمال والجنود الالمانيين في راوينيكندورف دون أن تسعى الحكومة في فضه فلم أأبه أنا

بالمثل بهذا المجلس لاعتمادي على الشعور العام الذي كان يربط الجيش بالشعب اذ ذاك ويوحد الفكرة العامة ، غير ان هذا الاستخفاف أدى الى أوخم العواقب لان هذا المجلس كان له أسوأ مفعول في مجري الحرب في دورها الاخير

ووثق الجيش بأسره بقيامه بواجبه خير قيام فى المعركة المقبلة وعلى الرغم من أن جنودنا الحالية لاتضاهي جنود ١٩١٤ فاننا كنا عظيمى الامل في الفوز . على ان العدو لم يكن أحسن منا حالا من هذه الوجهة . ومع ذلك ألم نقاتل بهذه الجنود ونتتصر بها انتصاراً باهراً ؟ وأما الذي يهم الآن معرفته قبل كل شيء هو أي عمل سنقوم به . أفنخترق جبهة العدو ونقوم بمشروع حربي كبير ، أو نكتفي بمجرد القيام بمظاهرة بسيطة ؟ إن هذا الامر لايزال غير مجزوم به . . . وكل شؤن الحرب من هذا القبيل.

وفي ١٣ فبراير صرحت امام الامبراطور والمستشار في هومبورج بأن العراك المقبل فى الميدان الغربي سيكون في منتهى الخطارة وانه لايوجد قائد من قواد الجيش يستطيع أن يجزم بما سيؤل اليه ، ولكن اذا قام كل فرد من أفراد الجيش بواجبه وهو مزود بمحبة الامبراطور والامبراطورية وواثق بشجاعة رؤسائه وقوة أرادتهم ومشغوف بعظمة الوطن فاننا على الرغم من قوة العدو وحسن استعداده سنحرز النصر النهائي . الا أن هذا العراك سيكون فريداً في بابه فهو لاينتهى فى وقت معين ولا فى مكان محدود بل ستطول مدته وستتسع دائرته فيمتد من نقطة الى أخرى حتي يعم سائر الجبهة . ولا ينبغى أن يذهب بنا الوهم الى امكاننا انهاء القتال بمثل ماانهينا به معاركنا فى رومانيا وغاليسيا وايطاليا . بل الواجب أن نتدرع بالصبر وان نظهر من صدق العزم أعظم مما أظهرناه في الميدان الشرقى .

وذكرت للامبراطور ان الجيش المحتشد المتأهب الآن مقدم على « أعظم مهمة عهدت اليه فى تاريخ تكوينه »

هجوم ١٩١٨ في الغرب

— ١ —

من الصعب جداً اختيار نقطة الهجوم . ولا بد من الاسراع فى العمل قبل فوات الوقت فان ما يراد القيام به شيء جسيم جداً . فمن حشد الجنود فى منطقة تنحصر في مساحة ضيقة الى نقل مقادير هائلة من الذخائر ومن الادوات الحربية العديدة أنواعها بالسكك الحديدية ، الى أعمال تحضيرية يقوم بها الجنود بانفسهم كتمهيد الاماكن اللازمة للبطاريات وتسوية الطرق وتشييد مظلات للطيارات والادوات التي ستجتاز الخنادق لتكون تحت تصرف الجنود الشارعة في الهجوم . فكل هذه الاعمال تستغرق اسابيع طوالا . وبما أن هذه الاعمال معرضة لخطر الاخفاق اذا تنبه اليها العدو فقد لزم التظاهر بالشروع في الاستعداد في نقط أخرى من الميدان بعيدة عن نقطة الهجوم لاستجرار نظر العدو اليها ، وهذه الاعمال الثانوية لن تكون عبثاً بل ستصير أساساً لهجمات أخرى في المستقبل

وتداولت مع رؤساء الجيوش وقوادها والضباط أركان حرب فى صدد المكان الاوفق للهجوم ، وعلمت أن ثلاثة قطاعات موافقة له وهى : في الفلاندر من ايبرالى لنس ، وبين اراس وسان كنتن او الفير ، وفي جانبي فردان مع ترك المعقل نفسه على حده . وكان لكل من هذه المواضع الثلاثة مزاياه وصعابه .

ورأيت في الهجوم على القطاع الشمالى فائدة عظيمة لانه قد يمكننا من

الاستيلاء على كاليه وبولونيا فنختصر جبهتنا اختصاراً كبيراً . إلا أن وادي اللبز الكائن غرب ليل وهو الذى ينبغى أن يكون المركز الجوهري للهجوم لا يمكن السير فيه الا في ابريل ، والتأخر بالهجوم الى ذلك الحين يفسح الوقت لاستعداد التشكيلات الامريكية .

أما الهجوم على قطاع فردان فيقع في جهات وعرة ومنيعة جداً

وأما الهجوم على قطاع الوسط فغير مصحوب بصعوبة أرضيه سوى أننا لا بد لنا من الاستعداد لاجتياز ساحة الحفر المتخلفة من معركة السوم

والهجوم على القطاعين الاخيرين لايتوقف على حالة الجو . فحملتني الرغبة في سرعة الوثوب واعتبارات خططية اخرى على تقرير الهجوم في قطاع الوسط .

وبعد تعيين الفرق المخصصة للهجوم ومجموع الموارد التي سنستمد منها حاجاتنا أثناء الحملة على العدو صممنا على توجيه الضربة المنوية الى الجهة الممتدة مابين كروازيل في الجنوب الشرقى من اراس وميفر وبعد ترك بارزة كبريه على حدة مابين فيلرجيسلن والواز في جنوب سان كنتن ، ويجب أن تكون هذه الوثبة مصحوبة بهجمة محلية في جهة الفير .

وشرعنا في توزيع الجيوش وهيآت أركان حربها على مواضع الهجوم وأكملنا أعداد الفرق وزودناها بكل المطالب اللازمة لمثل هـذا الوثوب العظيم من أدوات القتال والذخائر معتمدين على أدق حساب

وجعلنا الجيشين السابع عشر والثاني خصيصين بالوقعة النهائية تحت امرة مجموعة جيوش ولى العهد روبرخت . والحقنا الجيش الثامن عشر بمجموعة جيوش ولى عهد المانيا . وعهدنا الى مجموعة جيوش وريث المانيا الاشراف على سائر الميدان والمكافحة في كل مكان . وكان مما يدعو الى

اغتباطنا الفيلد مارشال وأنا ان دعتنا الضرورة الفنية العسكرية الى تمكين سمو الوريث الالماني من الاشتراك في أول معركة هجومية عظمي في الجبهة الغربية . ولم أكن متأثراً في هذا العمل بمصالح الاسرة المالكة لانني مع شدة اخلاصي للمليكي رجل مستقل الارادة ولا اجنح الى الممالأة والملق

وتوقعنا امتداد القتال شمالا في اتجاه أراس وجنوباً على شاطئ الواز الايسر . فأعددنا بعض الفرق ووسائل الوثوب لمباشرة هجوم آخر يعقب الاول على النسق التالى :

فرق من مجموعة جيوش الكرونبرنز روبرخت بين ايبرولنس

فرق من مجموعة جيوش الكرونبرنز الالماني بين رعس وارجون

فرق من مجموعة جيوش الفون جالويتز المؤلفة حديثاً في معترك فردن القديم .

فرق من مجموعة جيوش الدوق البرخت بين ساريبورج في اللورين ومار كبرج وكذلك في السوندجاو

وحدثت تغييرات مهمة في هيآت أركان حرب الجيوش .

وصارت سائر الجبهات الاخرى على قدم الاستعداد للدفاع في حالة قيام العدو بوثبات فجائية أو بكرات . وتوقعنا في بعض الجهات امتناع الجنود من الاشتباك ونقل خطوطهم الى الخلف

وأخذنا نشتغل في وضع برنامج هذه الاعمال منذ منتصف يناير بهمة عظيمة . وفي أوائل فبراير عينا يوم ٢١ مارس موعداً للهجوم على الرغم من أن حوادث الملتحم الشرقي لم تكن في حالة تامة الوضوح ، وما ذلك إلا لأن الحالة الحربية كانت تقتضى البت في الامور بسرعة وللقيادة العليا

أن تدخل تعديلات فى أي وقت على تفاصيل خطتها ولـكن ليس لها أن تبدأ بعمل جديد .

وأوضحت في تقاريرى فائدة اشتراك جناحى الجيشين السابع عشر والثاني الـكائنين تحت رآسة الـكرونبرنز روبرخت الداخليين في شطر بارزة كمبريه وما يترتب على نجاح هذه المعركة من الشؤون الهامة ، ولاح لى اتجاه أنظار الجيش السابع عشر مبكراً جداً الى الغرب

وارتأيت ضرورة اتخاذ أول انتصار عاجل عاملا لنشر دعوة قوية لاجل عقد الصلح الذى أخـذنا نقوى فـكرة ابرامه لدى الأعداء . وقد أرسل الي الـكولونيل الفون هايفتن مذكرة في هذا الصدد وجهت بها الى المستشار الذى حولها الى وزارة الخارجية

وكان المستشار عالما حق العلم بعزمنا على الهجوم فى الساحة الغربية ولم يكن حثنا اياه على نقض الهدنة الروسية وانهاء مفاوضات الصلح فى الشرق الا للشروع فى هذا الهجوم المنوى الذى كان يعرف ماننتظره من الفوائد الجليلة التي ستنجم عنه . كما اني إعلمته التاريخ المعين للوثوب . ولم يكن امام المانيا طريق اخرى تصل بها الى حمل العدو على ابرام الصلح سوى طريق الهجوم . وما ذلك الا لان الشرط الاساسى لامكان الدخول مع العدو فى مفاوضات الصلح هو زعزعة مركزي لويدجورج وكليمانصو ومع ان العالم أجمع كان على تمام الثقة كدول الاتفاق بعزمنا على مهاجمة الجبهة الغربية فان كليمانسو على الرغم من ذلك صرح بضرورة مواصلة الحرب وكان تصريحه هذا على ماأذكر يوم ٦ مارس

وما كنت أظن اذ ذاك امكان عقد صلح عادل لان العدو الى هذا الحين أصر على رفض صلح التصافي . فهل كان من الممكن اذ ذاك مدحه الالزاس

واللورين واجزاء من ولاية بوزين وغرامة حربية ؟ وكذلك حكومة الامبراطورية لم تذهب الى امكان عقد الصلح لانها لم تستطع أن توجد الصلات التي تؤدي الى مباشرة الصلح بدون مواصلة الصراع . ولا بد انها بذلت مجهودات عظيمة فى هذا الصدد على الرغم من رفض الاتفاق استدعاءه الى الاجتماع فى مؤتمر بريست ليتوفسك . ومن واجب الحكومة اذا كان فى امكانها أن توفر على الشعب وعلى الجيش عناء الملاحم المقبلة . وخطابة الكونت هرتلينج التي القاها يوم ٢٥ فبراير جاعلا قوامها النقط الاربع التي قررها الرئيس ويلسن فى رسالته التى بعث بها يوم ١١ فبراير لم تحدث أقل تأثير فى بلاد الدول المتفقة .

وذهب الكولونيل فون هايفتن في هذا الحين الى الخارج ليبحث عن بعض الوسائل اللازمة لنشر الدعوة . فاتصل برضائي برجل كبير من الاعداء عالم باغراض ونوايا لوندره وواشنجتون الرسمية فارسل لى عنها تقريراً شفوياً وهي فى منتهى الشدة فلا يمكن أن تقبلها سوى المانيا المهزومة . وأنبأني هذا الكولونيل ان كونراد هوسمان عضو الرايخستاج وماكس فاربورج من هامبورج قاما بمجهودات فى سبيل الصلح بدون جدوى . وعظم دهشي لما أشيع حينئذ من أن مخابرات الصلح التي جرت فى مارس لم تنجح لانى صممت على وجوب الهجوم . ولقد رجوت من المستشار أن يكذب هذه الاشاعة الا انه لم يحقق رغبتى

— ٢ —

انتقل المعسكر العام الاكبر فى أوائل مارس من كراوزناخ التي أقام بها عاما الى سبا لانها أقرب بكثير الى الجبهة من كراوزناخ . ولكنها كانت

هي بالمثل لا تزال بعيدة ازاء الغرض الأهم وهو الاشراف على القتال وادارة حركاته . ولهذا السبب اخترت افين لتكون مركزا لشعبة الحركات الحربية اذ كان من الميسور الذهاب منها مباشرة بالاتوموبيل الى أية نقطة على امتداد جبهة الهجوم

وذهبنا الفيلد مارشال وأنا الى افين يوم ١٨ مارس مصحوبين بشعبة الحركات الحربيـة . ولم تكن كل وسائل الراحة متوفرة لنا فيها لأننا نستقدم أغلب مطالبنا الضرورية من سبا وكذلك احضرنا من سبا معظم الأثاث اللازم لنا

وأراد جـلالة الامبراطور الحضور الى افين غداة شخوصنا اليها واستقر فى قطاره الخاص أمام المحطة المجاورة للبلدة

وفى صباح ٢٠ اغسطس كانت البطاريات وقاذفات القنابل على أتم استعداد وذخائرها من خلفها وقسم من الذخائر أمامها في انتظار تقدمها وهذه نتيجة باهرة لعملنا الموصول. وان عدم اطلاع عدونا عليها لاحدى خوارق العادات ولا سيما عدم استماعه حركات النقل التي استمرت طول الليل . وكثيراً ما كانت تصل مقذوفات العدو الى نطاق بطارياتنا فتصيب أحد أكوام الذخائر وتنسفها ومع ذلك فلم يلفت هـذا الانفجار أنظار العدو لانه متعدد الحدوث على إسار أجزاء الجبهة فلم ير فيه دليلا قاطعاً على طروء حالة جديدة

وتقدمت الفرق المشاة التى كانت قد ارجعت الى الخلف مدة عـدة أيام لاراحتها الى خطوط هجومها الاول واعتصمت بموقعها المستحكم من خطر الطيارات . وكذلك لم تفد العـدو هيأة جواسيسه المنتشرة في كل مكان بالحركات العظيمة الناجمة عن احتشاد اربعين أو خمسين فرقة . وفى

والواقع أن سير الجنود كان على الدوام في جنح الظلام ، إلا انهم كانوا يمرون بالقرى وهم يهزجون باناشيدهم . وكذلك الطيارات لم تلاحظ القطارات العديدة التي تقل الجنود من سائر الميادين الاخرى الى الشطر المخصص للهجوم من الجبهة الغربية

وفي الليلة الواقعة ما بين ١٨ و ١٩ مارس ابق جنديان من احدى فصائلنا المختصة بقاذفات الالغام الى خطوط العدو . وتفيد مذكرات وجدت مع العدو وشهادة الاسرى انهما أطلعا العدو على معلومات عن الهجوم الذى تم اعداده

وأخذ نشاط المدفعية في الاجزاء الاخرى من الجبهة ولا سيما في جهة ليل وأمام فردن يزداد على التوالى

وفي ظهر يوم ٢٠ مارس صار من الواجب على القيادة العليا أن تصدر القرار النهائى بضرورة ابتداء الوثوب يوم ٢١ أو بتفضيل ارجائه ، لأن كل تلكؤ يجعل مركز الجنود المحتشدة في الخط الاول حرجاً ، لان وجود مثل هذا الحشد الحافل على مقربة من العدو بدون حراك أمر مستحيل اذ لابد للجنود الواقفين على أحر من الجمر أن ينتشروا في الفضاء . على أن عمل المدفعية كان متوقفاً على اتجاه الريح وشدة هبوبه لاننا كنا نعتمد على مفعول الغاز . وأخذت أرقب ما ينبئنى به مستطلعى الجوي الدكتور شماوس . غير أن البارومتر لم يدل على موافقة اتجاه الريح وسرعته الى صباح ٢٠ مارس . وفي الظهر أخذ مجري الريح يتغير قليلا فلم ننتظر تحسنه تماماً وأصدرنا الاوامر الى الجنود ليكونوا على قدم الاستعداد للوثوب .

وفي الساعة الرابعة من صباح ٢١ مارس ابتدأت المعركة بنار مندلعة شدة من أفواه المدافع مابين كروازيل ولافير على امتداد ٧٠ كيلو متراً

واستمرت كل مدافعنا ترسل قذائفها على بطاريات العدو مدة ساعتين ثم ابتدأت تسلط لهيبها على استحكاماته وخنادقه وكذلك فعلت قاذفات الالغام وقبيل الساعة التاسعة بقليل أخذت اغلب مدافعنا تطلق قنابلها على العوائق ، وبقيت بضع بطاريات ترسل شواظها على مدفعية العدو . وحينئذ انطلق مشاتنا في طريق الوثوب

ووصل الجيش السابع عشر في هجومه الى الخط الثانى من خطوط دفاع العدو ولم يتجاوزه لانه كان امامه أمنع مواقعه ولفقد صلة المشاة بالمدفعية .

وبلغ الجيش الثاني ثاني خطوط العدو واستولى عليه لان مشاته كانت متفقة في وثوبها مع رماية المدفعية .

وتم للجيش الثامن عشر كل ما كنا نتوقعه فقد نفذ الخطط المرتبة له على أحسن ما يراد .

وحدث تحسن يسير يوم ٢٢ مارس في مركز الجيش السابع عشر أما الجيش الثاني فقد تلافى أسباب تأخره وهزم العدو واندفع بشدة الى الامام وكذلك الجيش التاسع عشر تقدم تقدماً عظيما . وأدى تباطؤ الجيش السابع عشر الى عدم التمكن من الاحداق بالعدو في نتوء كمبريه والى عدم تيسر زحف الجيش الثانى بالسرعة المنشودة . ومن جهة أخرى فان الصعوبة التي سببت تأخر الجيش الثاني عن بلوغ الاماكن المقصودة بالسرعة المقررة سببت جمود الجيش السابع عشر في مكانه . وبهذه الطريقة لم تستول مجموعة جيوش الوريث روبرخت على الاراضى التي كان من المنتظر استيلاؤها عليها بين كروازيل وبيرون .

وفي يوم ٢٥ مارس تجاوز الجيشان السابع عشر والثاني بعد معارك حادة خط بابوم — كومبل بعدي شاسع ، واستولى الجيش الثالث عشر

على نيل بدون أن يصادف فى طريقه سوى مقاومة ضئيلة . وأصيب الجيش السابع عشر بخسائر فادحة فى يومي ٢١ و٢٢ لانه على ما يظهر قاتل في جموع متراصة . أما الجيش الثانى عشر فكان لا يزال أقوى من زميله إلا أنه شكا من كثرة الحفائر التي لم تمكنه من تخطى البير . ولقد كان اجتياز السوم عائقاً فى طريقه أعظم من مقاومة العدو فسبب بطء تقدم جناحه الايسر . وظل الجيش الثامن عشر ممتلئاً قوة وحمية فاستولى يوم ٢٧ على مونديديه واسرع العدو بانشاء جبهة جديدة فى شمال السوم ربما يصعب اختراقها وبدأ ضعف مقاومة العدو في انحاء اميين . فصار من الضرورى العدول عن الخطة الأولى واتخاذ هذه الجبهة نقطة الهجوم الوسطى . إلا أن الجيش السابع عشر ظل بطيء الحراك في حين أن الجيشين الثاني والثامن عشر لا يزالان يكتسحان بقاعاً جديده . فبذلت كل ما في وسعي لتقوية جناح الجيش الثاني الايسر ودفعه بالاشتراك مع الجيش الثامن عشر فى اتجاه اميين

إلا أن هذه القوة التي اختصصناها بالزحف على اميين لم تكن كافية وحدها لتحقيق الامل المرجو أمام احتشاد العدو الكثيف الذى بدأ ينتقل من دور الدفاع والتراجع الى دور المواثبة ، وفضلا عن ذلك فان الذخائر لم تصل بالكثرة اللازمة ، وأصبح تموين القوة الزاحفة عسيرة لوعوثة الطرق واستغراق اصلاح الخطوط الحديدية مدة طويلة على الرغم من الاستعداد العظيم الذى اتخذناه قبل الشروع في الهجوم .

وبعد تموين الجيش الثامن عشر بالذخائر اللازمة هجم يوم ٣٠ مارس بين مونديدية ونويون . وفي ٤ ابريل هجم الجيش الثاني بالاشتراك مع جناح الجيش الثامن عشر على مقربة من البير وفي جنوب السوم في اتجاه اميين

إلا أن هذه الملاحم ظلت بغير نتيجة حاسمة . فظهر لنا أن قوة مقاومة العدو أصبحت أعظم من قوة مهاجمتنا . فرأت القيادة العليا ضرورة العدول نهائياً عن خطة الزحف على أميين . وحينئذ عنّ للاتفاق ان يهاجمنا على مقربة من البير وفي جنوب امبين ولكنه لم يتحصل على فائدة من هذا الهجوم

وبعد أن أمددنا الجيش الثانى بما يلزمه شرع في وثوب جديد يوم ٢٤ ابريل على مقربة من فيليه بريتونيه بمساعدة عربات التانكس وحسن موقفه وتقدم تقدماً محسوساً الا انه لم يستطع الاحتفاظ بكل مااستولى عليه

وأخذ الهدوء يسود على الجبهة الممتدة بين البيرومونديه شيئاً فشيئاً أما فى الجهة الاخرى من الجبهة الجديدة ما بين اراس ونوايون فقد كانت السكينة ضاربة أطنابها عليها من زمن متقدم .

وكان انتهاء المعركة الحقيقية في ٤ ابريل وسيظل التاريخ حافظاً ذكراها الى الابد . فاستطعنا أن نأتي بما لم يأت بمثله الانجليز والفرنسويون على الرغم من عشينا في السنة الرابعة من حرب تنازل فيها العالم أجمع .

ولم ننجح من الوجهة الفنية العسكرية فى ادراك الاغراض التى كنا ننتظر الوصول اليها فى أيام ٢٣ و٢٤ و٢٥ فلم نستول على اميين التى كان استيلاؤنا عليها يجعل اتصال جزئى الجبهة المعادية الكائنين في شمال السوم وفى جنوبه على جانب عظيم من المشقة فأصبنا باخفاق الامل من هذه الوجهة ، واذا كنا قد استطعنا أن ندمر خطوط سكك حديد أميين بالمدافع ذات المرمى البعيد فلم يكن هذا الامر بخير عوض لما قمنا به من المجهود العظيم . وعلى كل حال فقد قاتلت جنودنا خيراً من الجنود الانجليزية والفرنسوية وتفوقت عليهم ولا يرجع الذنب عليهم في عدم وصولنا الى

بغيتنا الكبرى بل السبب المهم في هذا الاخفاق يرجع الى فقد الضباط الاكفاء الذين تواروا تحت الاعشاب . وزيادة على ذلك فان عثور الجنود بمخازن ملاى بالازواد أضاع وقتاً لايستخف به من مدة زحفهم فافلتت منهم فرصة ثمينة لايمكن تعويضها . ولقد علمنا من حالة الجيش السابع عشر مايترتب على قيام كل سلاح بعمله بمفرده من غير ارتباط بالاسلحة الاخرى فان هجوم المشاة بغير انتظار نتيجة عمل المدفعية مضر ، ولقد تألم جنودنا كثيراً من قذائف الطيارات

وأصبح من الواجب الآن أن نقوي جبهتنا الجديدة. فاستبدلنا الفرق المنهوكة قواها في كثير من الجهات بجنود منتعشين مستقدمين من القطاعات الهادئة . واتخذت فى كل مكان الوسائل التى تضمن دوام اتصال الجبهة بالمؤخرة . وأخذنا نعد الجنود البعيدة عن منطقة القتال للمعركة الكبرى بعد أن تمكننا من أراحتها فترة طويلة واجتهدنا في تدريبها على مايلزم من الحركات الحديثة المستخلصة من المعركة الاخيرة . ولا بد من التماس قوى احتياطية أخرى لما يمكن أن نشرع فيه من الوثوب الحديث أو لدفع كرات العدو المتوقعة .

وكانت خسائرنا عظيمة فى هذه الوقعة ولكنها كانت أعظم في الجيش السابع عشر ولا سيما في ضباطه . ولكننا في مقابل ذلك حصلنا على غنائم جسيمة وأسرنا نحو ٩٠٠٠٠ رجل سليما وأصيب العدو بخسائر متناهية فى الفداحة . ورجونا أن يعود الى خط القتال عدد عظيم من جنودنا الذين أصيبوا بجراح خفيفة بعد مدة قصيرة

ولم تكن اماكن العناية بالجرحى كافية على الرغم من اهتمام مفتش صحة الجيش العام بها قبل دخول المعركه .

وقد تقاضت هـذه المعركة أثمن شيء لديّ . وذلك ان اكبر اولاد زوجتي وهو ضابط طيار سقط يوم ٢٣ مارس . وقد اعتبر في بادىءالامر مفقودا الا انه وجد في ميدان القتال الواسع قبر فوقه شاخص كتب فيه باللغة الانجليزية ! « هنا يضطجع ضابطان طياران المانيان »فتبينت بمزيد الحزن حقيقة ولدى وهو الآن ضجيع الثرى الالماني

وكان شعور العدو بهزيمته عظيم جداً . وعلى الرغم من كثرة رجائى والحاحى لم تتخذ حكومتنا أي عمل سياسى تستفيد به من هـذه الحاله . واشتد الاضطراب فى فرنسا ، وأخذ الجمهور يتطلب المساعدة الامريكية الموعود بها . فخاطب كليمانسو حلفاءه في هذا الصدد . وحينئذ عمدت انجلترا الى حشد عشرات الألوف من العمال الذين استخرجتهم من المناجم او انتزعتهم من المصانع وارسالهم الى الجيش المقاتل ، ومع ذلك فلم يكن في الاستطاعة ان تسد الفراغ الحادث في مكان عشر فرق كاملة . وهذه الفرق تلاشت من الميدان صفقة واحدة ولم يسد فراغها الا في الخريف . وقد افسح في سن الاقتراع العسكرى فى انجلترا ولـكنها لم تجرأ على تجنيـد الايرلنديين . ومع ذلك فقـد استمر لويد جورج على التقدم الى الامام في سبيل غرضه الجوهرى . واستحث ويلسن على الاسراع في ارسال جنوده وارسل اليه لاجل هذا العمل كل ماتملكه انجلترا من البواخر . فما عسى ان يكون موقفنا ازاء هذه الحاله ؟ أفسنقوم بكل مافي وسعنـا من الجهود ؟ لقد وصلت حرب الغواصات الى نهايتها فاصابت العدو باعظم ازمة نقلية فى البحر وفي البر . وصرح احد رجال الحكومة الانجليزية بمايلى ! « لقـد احرزت الغواصات الالمانية اعظم نجاح في شهر ابريل حتي لو انها والت تدميرها البواخر بهذه الطريقة لانتهت الحرب في تسعة اشهر » وكان هذا

التصريح في البرلمان الانجليزي في نوفمبر سنة ١٩١٨ . فلم يسع انجلترا سوى الاستيلاء على بواخر الدول المحايدة لاستقدام الجنود الامريكيين الذين لم يحملوا معهم سوي اشيائهم الضروريه وهم متكدسون في البواخر . واما مايلزمهم بعد نزولهم فى الأرض الفرنسوية فقد قامت به انجلترا وفرنسا والدول المحايدة ولا سيما اسبانيا . واذا كان تأثير هؤلاء الجنود لم يظهر في بادىء الأمر فانه بلا شك اخذ يظهر على توالى الأيام مع استمرار مجيئهم بغير انقطاع . ويرجع الفضل فى نجاح هذا المشروع المحفوف بالخطر والمشقة لقوة الاراده .

واخذنا نلقي قنابلنا على باريس اثناء المعركة من لاون بمدافع يمتد مرماها الى ١٢٠ كيلو مترا . وهذا النوع من المدافع هو آية الفن ومفخرة العلم وهو بدعة الصناعة التى تبرزها مصانع كروب بمهارة مديرها راوسنبيرج . واحدث هذا الاطلاق تأثيرا هائلا في الشعب الفرنسوى . وغادر قسم من سكان العاصمة الفرنسوية مساكنهم فأدى انتشارهم فى المدن الاخرى الى انتشار انباء انتصارنا فى جميع البلاد الفرنسوية وحينئذ اجتهد رجال هذه المدافع في مواصلة عملهم لاتمام الغرض المقصود .

وتمت الاعمال التى اردنا بها التاهب للقيام بهجوم جديد في اواخر مارس واوائل ابريل . وفى ٦ ابريل تحرك الجيش السابع من شونى ولا فير زاحفا على امتداد الشاطىء الايسر من نهر الوازفى اتجاه كورس لافيل والى مايليها من جهة الجنوب . فطرد الفرنسويين الى مايلي القناة الموصلة مابين الواز والاين فكان هذا الزحف مؤيداً للجنب الجنوبي من الجيش الثامن عشر المنتشر في مساحة وسيعة جداً من الاراضى التي اكتسحها .

وكذلك الجيش السابع عشر شرع يزحف في اتجاه اراس في اواخر

مارس بقصد الاستيلاء على ملتقى مواصلات اعمال العدو فى شمال الاسكارب .
وكان لا بد له لادراك غرضه من الاستيلاء قبل كل شيء على الربوات المحدقة بلراس من الجانبين ليلتقى بعد تقدمه بالجيش السادس القادم من لنس ويتسلق القمم التي تصادفه في طريقه . ولكن هذا الجيش لم يتوفق فى كل هجماته على الرغم من كثرة القذائف التي اطلقها والنفوس التي ازهقها لان طالعه لم يكن سعيدا . فلم يسع القيادة العليا الا ان تعدل عن الهجوم فى هـذه الجهة ومنعت الجناح الجنوبي للجيش السادس من الزحف .
ولكنها صممت على ان تضرب ضربة اخرى في سهل الليز مابين ارمنتيير ولابسيه . وكان الجو هادئا والارض جافة والانجليز قد ضعفوا بدرجة عظيمة في وادى الليز وامام ايبر . فاستعد الجيش السادس للهجوم استعداداً تاما . وتلافي القائد كراست ورئيس اركان حربه الليوتنان كولونيل لنز كل ما كان ينقص الجيوش التي هجمت في ٢١ مارس . وعلى الرغم من قلة عدد العمال فقد تمت اعمال التاهب فى اسرع وقت ولم يبق سوى التنفيذ الذى تحدد له يوم ٩ أبريل . ولقد ابتهجت بهذا التبكير لان الهجوم كلما جاء مبكرا كلما كانت مفاجأته ذات تأثير عظيم على البرتقاليين المخيمين في سهل الليز . ولقد ذهبت بنفسي يوم ٧ الى اركان حرب العرضى ٥٥ التابع للجيش السادس وامكننى الاقتناع بوجوب تنفيذ العمل في الموعد المضروب .
وارسلت الكولونيل بروخولر الى الجيش السادس ليفحص الاعمال التمهيدية التي ستقوم بها المدفعيه . وان ما اظهره هذا الكولونيل من الكفاءة والعلم والذكاء وقوة الارادة والحماسة في اعمال المدفعية اثناء الهجوم على غاليسيا الشرقيه وفي هجوم ٢١ مارس الذى تولى فيه مدفعية الجيش الثامن عشر جديرة بان تجعله من اعظم الرؤساء الذين اشتهروا في هذه الحرب . ومن

اقتران الفوز باعمال الكولونيل بروخمو للر يتضح جليا مقدار تأثير النفوذ الشخصي في مجري الحوادث اثناء الحرب كتاثيره فى الحياة العاديه. فالقيادة العليا يجب ان تعتمد دائما فى حسابها على كفاءة القائمين بتنفيذ اغراضها وهم متفقون معها على تلك الاغراض اكثر من اعتمادها على حالة العدو .

وبعد ان اختبر الكولونيل بروخمولر استعداد المدفعية واعلن انها على استعداد تام بديء فى الهجوم يوم ٩ ابريل . وظل الهجوم في حالة حسنة جدا طول ضحوة اليوم . وظلت الاخبار الواردة من المعترك الى الظهر باعثة على الارتياح. فكان هذا خير اعياد ميلادى وقد انسانى مثله من العام الماضى الذي قضيته اثناء التراجع العظيم عن اراس . واصغى جلالة الامبراطور الى التقرير العسكرى في افين و بقى الى ان تناول الطعام والقى خطبة قصيرة يهنئني فيها بعيد ميلادي ملماً فيها بالمثل بذكري ولدي اللذين قتلا في هذا المعترك الربعي واهداني تمثاله الصغير الذى صنعه من الحديد بتزنر . وتوجد امور كثيرة تبعدني عن جلالته وفي مقدمتها ما بيننا من التباين العظيم فى الطباع. فهو امبراطورى الذى بخدمتي اياه اخدم وطنى باعظم اخلاص وتضحيه ، وسيظل هذا التمثال الصغير تذكارا مقدسا لامبراطورى ورئيسى الحربي الاعلى الذي يحب جنوده ويريد خير بلاده وشعبه والذى مج طبيعته الخاصة الحرب ! وهو رجل يتمثل فيه النموذج الالمانى للعصر الذى يلى بسمارك. وهـذا المليك الذي يتحمل عبء مثل هذه التبعة العظيمة لم يجد امامه كجده رجالا على شاكلة بسمارك ورُوون يصممون على ان يطالبوا البلاد بكل مايقتضيه مجرى الحرب . وهذا هو سبب شقاء الامبراطور وبلادنا فى هذه الحرب

ثم ظهر البطء في حركة الهجوم بعد الظهر . واصطدم اقتحام مواقع

الأعداء بعقبات كأداء . وكانت الطرق غير صالحة للهجوم ، وزيادة عن ذلك فان فصائل عرباتنا التانكس اكملت اتلاف هذه الطرق . واستدعى تقدم المدافع والذخائر وقتاطويلا . واضطر مشاتنا الى التأخر في زحفهم من كثرة اختباء مدافع العدو الرشاشة في هذه البقعة المشجره . وفي المساء واصلنا الزحف في طريق ارمنتيير واقتربنا من لاو ،و بقي جناحنا الأيسر مشتبكا بفستوبر وجيفا نشى . فالنتيجة اذن غير مرضيه .

واستمر الهجوم في يوم ١٠ ابريل غير أن الاراضى المكتسحة لم تكن كبيرة الا في اتجاه ارمنتيير وفوق هذه المدينة مباشرة بعد اجتياز الليز . ولبثت مدافع العدو الرشاشة تجود علينا كرنا بصيب من قذائفها

وصار الاستيلاء على أرمنتيير يوم ١١ ابريل . وكذلك كان الزحف على بايبل حسناً جداً فلم تلبث مرفيل أن سقطت بالمثل . وكان الجيش السادس قداستولى على مسين التي فقدناها يوم ٧ يوليه من العام المنقضى.

والغرض المقصود من هجوم مجموعة جيوش الوريث روبرخت التالى للهجوم الاول هو الاستيلاء على الهضاب التي تحد سهل الليزمن جهة الشمال وهى تبتدىء بهضبة كمل وتنتهى بالقرب من كاسل ، وان الاستيلاء على هذه الهضاب يؤدي الى تخلي العدو عن موقع الايزر الكائن في أقصى الجهة الشمالية

واعترى قوة الهجوم لدى الجيش السادس ضعف من بعد ١٢ ابريل. وأما الجيش الرابع فظل يكتسح بقاعا في زحفه . وكان الاستيلاء على كمل يوم ٢٥ هو آخر مابذلناه من الجهود العظيمة في هذه الجهة ، لان الفرق الفرنسوية أخذت تتكاثر امام الجيش الرابع فلا ينتظر تكلل أى هجوم في هذه البقعة بالنجاح

وأدى اتساع منطقة الهجوم على كمل الى انثناء الانجليز الذين يقيمون في الجبهة الكائنة غرب ايبر الى هذه المدينة نفسها وسقطت بين أيدى الجيش الرابع بابيل في جنوب كمل ، غير ان الجيش السادس لم يتزحزح من مكانه في أقصى الجنوب

وأدى تأثير معركة ٢١ مارس الى انتداب القائد فوش لرآسة القيادة العامة على جيوش الدول المتفقة . فأرسل القوى الاحتياطية الانجليزية الى الجيشين السابع عشر والثانى والفرق الفرنسوية المخيمة في جبهة الاين بفردان الى الجيش الثامن عشر لوقف الاستمرار على التعمق فى الثغرة الاولى العظيمة التي شققناها في جبهة الاتفاق . وحملت الوقائع التي أنشبها الجيشان الرابع والسادس هذا القائد الى اصعاد قواه الاحتياطية الى الشمال فلم تثمر المحاولات التي أراد بها استرداد كمل . وبالنظر لتراكم قوى الاعداء عطلت القيادة العليا الهجوم

وعلى أثر هذا الصدام الشديد الذي اجهد الاجناد أرسلنا قوى جديدة الى خطوط الجيشين الرابع والسادس الامامية واسترجعنا كل الوحدات التى رأيناها في حاجة الى الراحة لبث القوة والنظام فيها

— ٣ —

كان آخر ابريل ختام الهجوم الكبير الذي افتتح فى ٢١ مارس . ومع ذلك فقد بقيت بقايا مناوشات اقتضاها تعديل جبهتنا الجديدة ودامت عدة أيام من مايو

لقد كان نجاحنا غطيما في هذا الهجوم على الرغم من الحوادث التي تلته فقد هزمنا الجيش الانجليزى فلم يبق فيه سوى عدد ضئيل من الفرق السليمة فاشتبكت في الملاحم ٥٣ فرقة من ٥٩ فرقة انجليزية ، وخاضت ٢٥ فرقة منها غمار الوغا عدة مرار . واشترك الفرنسويون في هذا العراك بما يقارب

نصف فرقهم . وبلغت خسائر العدو المادية مبلغا عظيما . وظهرت فرق إيطالية في الارجون . وساعد اشتراك الجنود اليونانيين في الجبهة المقدونية على استجرار جانب من الجنود الانجليز . ولم يعلم مقدار ما وصل من الجنود الامريكيين الا أن الوقائع الكبيرة التي قاتل فيها هؤلاء الجنود قتالا خاصاً بدأت في منتصف مايو بين سان ميهييل والموزل وعلى الرغم من إجادتهم القتال فقد تغلبنا عليهم بسهولة

وطرأ وقوف على مفعول الغواصات الناجح ، ومع ذلك فقد دلت الحملات البحرية الانجليزية على قواعد الغواصات فى أوستندوزيبروج على مقدار تأثير حرب الغواصات في كيان انجلترا . ومن الصعب الوقوف على حقيقة تأثير الغواصات في تموين انجلترا ونقل الجنود الامريكيين غير انى علمت من تقرير مقدم الى هيأة أركان الحرب الكبرى ان قد وصلت فصائل امريكية قوية الى فرنسا . وأخذ مندوبنا فوق العادة لدي هيأة أركان حرب النمسا العامة يلح عليّ مراراً بالتوسط لدى أمارة البحر لاغراق النقالات التي تقل الجنود الامريكية لان الرأى العام النمسوى يميل الى هذا الامر فلم يسع الاميرال الفون هولز ندورف ألا الاجابة بأن قد اتخذت كل الوسائل المؤدية الى اغراق ما يمكن الوصول اليه من بواخر الاعداء . على أن اغراق سائر النقالات كان من المستحيل لان العدو أخذ يحتاط بدرجة شديدة . وعند ما تعلم البواخر القادمة من أمريكا بواسطة التلغراف الجوى بظهور الغواصات امامها تبادر بتحويل وجهة سيرها الى طريق أخرى ، والبحر أوسع من أن يتم حصاره كله بعدد محدود من الغواصات . وهذه الاحتياطات أدت الى تناقص البواخر المغرقة بدرجة عظيمة . على أن هذه المهمة الشاقة قد صرفت حرب الغواصات عن وجهتها الجوهرية وهي التأثير

في عون العدو . فالغواصات من هذه الوجهة قد أحدثت تأثيراً هائلاً جداً يحمل على الرجاء في بلوغ الغاية القصوى .

وكان لوقف الهجوم شأن عظيم جدا اذ مكن العدو من لم شعثه والتأهب وتقوية جيوشه كما مكننا من هذه الامور . وعظمت خسائرنا لعدم وصول قوة احتياطية جديدة . وقد رجوت وزارة الحربية ان توجه عنايتها العظمى الى هذا الامر . ولكن لم تصلني نجدات ذات شأن إلا من أعيد تجنيدهم من اسرى الحرب الذين اطلقت الروسيا سراحهم . فلم يسع هيأة أركان الحرب الكبرى سوى الاعتماد على مصادرها الخاصة فتستقدم كل من تبقى صالحاً للعمل في الساحة الغربية من جنود الجبهة الشرقية ورومانيا وجنود المراحل ، ولكن كل هذه القوى لن تكفي اذا لم تبذل الحكومة كل ما في وسعها لاسعافنا بقوى جديدة منتعشة من داخل البلاد

ولقد قاتل جنودنا خير قتال على الرغم من اخلال بعضهم بالنظام العسكري واهتمامه بمستودعات المؤن التي توجد في البلاد المفتتحة وبحثه عن الازواد في الحقول . وانما هنا لك ما يجب الالتفات اليه وهو فقدنا مجموعة ضباطنا القدماء الذين كانوا يعرفون كيف يقودون جنودهم الى الهيجاء بعزائم ماضية . ومن جهة أخرى فان القرار الذي اصدره الرايخستاج بمنع العقوبات الشديدة احدث تأثيراً سيئاً على الرغم من وجوب استئصال تلك العقوبات في الاوقات المناسبة ولذلك كثر العفو عن الآبقين والمخلين بالنظام العسكري وأدى هذا التساهل الى ضعف روح الطاعة من نفوس الجنود . ومع أن الانفاق لبث متبعاً تنفيذ أشد العقوبات في جنوده المخلين بواجبهم فقد أحرز نتائج أحسن من التي توصلنا نحن اليها بتساهلنا المتناهي . ومن الامور التي أدت الى ضعف الحالة الادبية لدى بعض الجنود تأخير محاكمة

الفارين والمختبئين على الفور وازال العقوبات بهم في الحال ، وكذلك استخدام الاسرى المطلق سراحهم قريبا في خطوط القتال الامامية ، وعجز الضباط الجدد عن بث الحمية في نفوس الجنود واهمال الرؤساء في هذه النقطة الخطيرة ، ولقد نبهت وزارة الحرب وهيآت أركان الحرب المتعددة الى مراعاة القوانين العسكرية بدقة تامة . وتعددت شكاوى الضباط من ضعف الحمية المستولى على نفوس الجنود القادمين من بافاريا ومن الجبهة الشرقية . واكثرت من التحدث مع الحكام ذوي الشأن في صدد الشعور السيء المستولي على داخل البلاد ، فقيل لى لاول مرة أن هذا الشعور السيء صادر من قبل الجيش . وهذا أمر يستوجب الدهشة لان الجيش انما يتبع حالة بلاده الادبية . على أن الجيش كان لا يزال شديد الرغبة في احراز النصر النهائي على الرغم من الفوضى الداخلية ومن محاولة تثبيط عزيمته وافقاده روح الطاعة والنظام . وقد اضطررنا لسوء استعداد الضباط وضباط الصف الجدد ان نستقدم من القوى الاحتياطية عدداً كبيراً من الضباط المسنين ليحفظوا نظام الجنود عند الشروع فى كل معركة . ووجب علينا من وجهة الخطة أن تمرن الجنود على التطورات التي رؤي ادخالها على حركات الجنود وأعمال الجيش المستخلصة من تجارب الوقائع الاخيرة وقد اتخذنا الفرقة ٢٨ من المشاة وقسما من الطابور الثالث من الصيادين كنواة لبث التعليمات الحديثة بالنظر لما اشتهرا به من الخبرة الواسعة في الشؤون الخططية فبعد تلقينهما التعليمات الحديثة يقومان بتمرينات بجوار افين يحضرها عدد عظيم من الضباط وكل رؤساء الجيوش . ومع أن الوقت لم يكن يسمح بارجاء الاعمال الحربية فاننا لم نكن نستطيع العدول عن ادخال كل الطرق المستحدثة وإتمام ما يستلزم الجيش لموالاة القتال

وكان أفيد عمل حربي يمكننا القيام به هو متابعة الهجوم على الانجليز بجوار ايبروبابيل إلا أن قوي الاعداء الهائلة التى احتشدت هنالك جعلت مثل هـذا الهجوم عسيراً جداً ولو بجنود متمتعين بالراحة التامة وكذلك الحال فى الجنوب ، وجهة السوم لا تسمح بحماية أعمال الهجوم. واذ كانت قوى العدو المرابط ازاء الجيشين السابع والاول ضعيفة فقد استصوبنا اعدادهما للهجوم على الرغم من مناعة القمم المستحكمة أمامهما لاعتقادنا بامكان تغلب المدفعية عليها . فصدر الامر الى مجموعة جيوش الوريث الالماني في أواخر ابريل بوضع مشروع للهجوم بين بيئون ورعس . وفى الوقت نفسه عين المعسكر العام الا كبر الجنود الذين سيقومون بهـذا الهجوم واستصوب أن يكونوا من الذين حضروا هجوم ٢١ مارس وارتاحوا وتدربوا على التعليمات الحديثة . وأخذنا نعد أعمال الجيوش الثامن والسابع والاول المؤلفة منها مجموعة الوريث الالماني

وصار من الضرورى ان تقوم مجموعة الوريث روبرخت بخطة دفاعية محضة فى أثناء هـذا الهجوم لتتمكن من الاستداد للقيام بهجوم جديد في الفلاندر على أثر الانتهاء من هذا الهجوم . فاذا رأينا العدو يحشد جموعا هائلة أمام مجموعة الوريث الالمانى فلا مندوحة من معاودة الهجوم فى الفلاندر

واهتممنا بصحة الجنود وراحتهم واعدادهم في كل مكان من الجهة للدفاع وللهجوم في آن واحد . واخذت مدافعنا ذات المرمي البعيد وطياراتنا ترسل وابلا من قذائفها على خطوط مواصلات العدو الخلفية والمدن والقرى التي تمون جيوش العدو . واعدنا تسليح سائر جيوشنا وتموينها من جديد فغيرنا كثيراً من اسلحتنا وزدنا في اعدادها واصحبناها بالذخائر الكافية واكثرنا من المدافع الرشاشة الخفيفـة المعدة لمكافحة الطيارات . وحسنا

غذاء الجنود وان كان بالطبع ظل اقل درجة من غـذاء الجنود المعاديه . وكثرت النباتات المعدة لتغذية الخيول . فخففت عنا عبئاً ثقيلا

— ٤ —

بينما تتوالى الحوادث الكبرى في الغرب كان السكون مخيما على الميدان الايطالى وعلى الجبهة المقدونيه . ولم تكن هتان الجبهتان سوى امتداد في جبهتنا الغربية بقصد وقايتنا من الجنب .

لقد تحسنت حالة الجيش النمسوي في ايطاليـا على اثر عودة مئات الالوف من الأسرى النمسويين من الروسيـا . وارسل الينا القائد آرز ضباطا نمسويين ليشتركوا فى وثباتنا المتوالية في الساحة الغربية ، كما انه عني جد العناية بنتائج تجاربنا العسكرية لعزمه على الشروع في الهجوم فى منتصف يونيه . فهو يريد بهذا ان نقوم بعمل عام ضد الاتفاق . وان انتصار النمسويين في مجال ايطاليا ليخفف عنا عبئا ثقيلا كما حدث من قبل في خريف ١٩١٧ اذ استجر هجوم ذلك الفصل شطراً كبيراً من التشكيلات الامريكية الحديثه .

وظلت حالة تموين النمسا وجيشها حرجة جداً . فاستولت على مقدار حصتها من محصولات رومانيا مقدما وعمدت الى اوكرينيا مستجرة منها كل ماتصل اليه ايدى موظفيها ومع ذلك فلم تكفها كل هذه المقادير . ودفع بها السغب الحان تضع يدها على حصتنا من محصولات رومانيا بعد ان استولينا عليها وشحناها وتوسطت المملكة الثنائية في طريقها الينا . فاحتججنا وغضبنا ولـكن كل هذا لم تجد نفعا .

واستفادت بلغاريا من الهدوء المستتب فى جبهة مقدونيا فارتاح جيشها وطفق يتدرب و يتمرن . غير ان رداءة الطعام ورثاثة الثيـاب اضاعت

الحماسة التي كانت مستولية على النفوس هنالك . وانتشرت الدعوة ضد الالمانيين بشدة بين البلغاريين على اثر انسحاب القوى الالمانية المخيمة في بلغاريا وفي رومانيا الى الميدان الغربي .

وأخذت حوادث العصيان والشغب تتعدد في الجيش البلغارى فبذلت هيأة أركان حرب مجموعة شولتز كل ما في وسعها لاعادة النظام والطاعة الى هذا الجيش ، وارسل وزير الحربية كل ما يلزم من الملابس . ونصحنا الجيش البلغارى بان يستبقى مقداراً كبيراً من جنوده ليكون قوة احتياطية بدلا من حشد اغلب الجيش في الخط الامامى . وبدأت تحتشد الجنود اليونانية التي كانت تمالئ ملك اليونان الى جانب التشكيلات الفنزيلوسيه

وهجم الانجليز في ميدان فلسطين في آخر مارس على نهر الاردن فى جنوب البحر الميت بقصد الاحداق بجناح الجيش التركي الايسر المرابط على هذا النهر لاجلائه عن سكة حديد دمشق . فاكتسح الانجليز في مفتتح هجومهم بعض البقاع إلا انهم لم يلبثوا أن اصيبوا بهزيمة شنعاء وقذف بهم الاتراك الى الضفة الاخرى من نهر الشريعة ، ولكن من سوء الطالع أن القائد ليمان الذى أخلف القائد فالكنهاين في فلسطين لم يجد لديه من الجنود ما يتمكن بهم من مطاردة الانجليز . وفى أواخر ابريل وثب الانجليز مرة أخرى وكان نصيبهم فيها الاندحار بالمثل . فصار من الضروري أن يعاودوا الكرة بعد انقضاء فصل الصيف الذى بدأ يشتد حره . واملت ان تنتظم حالة الجنود العثمانيين المدافعين عن فلسطين في هذه المدة ويتقوون كما وعد بذلك أنور . واستمرت العساكر الانجليزية تزحف في العراق نحو الموصل كما تمكنت من التغلغل الى القسم الشمالى من فارس وحلت فيه محل الجنود الروسيين المشتتين

وبدأ الاتراك في زحفهم على نجود ارمينيا فى أواخر فبراير . وفى أواخر مارس كانوا قد استردوا أراضيهم من الروسيين واستولوا على جهتي قارص وباطوم في أواخر ابريل اللتين منحتهم اياهما معاهدة صلح بريست ليتوفسك . ولم يقتنعوا بالوقوف عند هـذا الحد بل امتدت مطامعهم الى الاستيلاء على القوقاز . وكانوا قد نشروا دعوة قوية لاجل هذا الغرض بين مسلمى أذربيجان ، وظهر هنالك نورى أخ أنور لنظم تشكيلات عسكرية جديدة . وفي الوقت نفسه دخلت تركيا فى مفاوضات خاصة مع جمهوريات جورجيا واذربيجان وارمينيا الصغيرات اللواتي تألفن في جنوب الروسيا واشترك في هـذه المفاوضات القائد الفون لوسوف الموجود فى الاستانة بامر من الحكومة الالمانية . ولم يكن في وسعي سوى الموافقة على المشروعات العثمانية التي كانت فى حد نفسها موافقة لمجري الحرب من الوجهة العامة ولـكن لا يجب صرف تركيا عن القيام بواجبها الحقيقي فى هذه الحرب ولا ايجاد صعوبات في سبيل تموننا بالمواد الاولية المجتذبة من القوقاز الذى ننتظر تخفف موارده ضيقتنا بدرجة عظيمة . فواجب أنور هو مقاتلة الانجليز فى جبهة فلسطين ، فلفت نظره الى هذا الامر في التلغرافات التى أرسلتها اليه بمنتهى الوضوح . ولقد أصبحنا ننتظر في هذه الآونة مواجهة الروسيين في شمال فارس والمواصلات بين باطوم وتبريز عن طريق تفليس كانت مساعدة على هذا العمل . ويصبح الاتراك متفوقين على الانجليز في شمال فارس لأنهم يهيجون عليهم العناصر الاسلامية الموجودة هناك ولا سيما أهالى أذربيجان فيؤدون لنا بهذا العمل أعظم فائدة . وكنت أميل الى تعضيد كل هذه المشروعات بارتياح عظيم . غير أن أنور والحكومة العثمانية كانا لا يفكران في مكافحة انجلترا بقدر تفكيرهما في تحقيق الجامعة الاسلامية في البقاع القوقازية . وكانت لهم عدا

هذا أغراض مادية ترمي الى انتزاع كل مايقع تحت أبصارهم من المواد الاولية فى تلك البقاع . وكل الذين يعرفون طرق استئثار الاتراك باستغلال المصادر التي يتحكمون فيها يعلمون انهم لم يشاءوا أن يجعلوا للالمانيين نصيباً من هذه الخيرات . وهـذه الحالة جعلتنا نصطدم مع الأتراك في نقطة مهمة وهي حقيقة مقاصدها من الدخول في بؤرة القتال .

وفي اثناء مفاوضات باطوم طلب ممثلو جمهورية جورجيا من القائد لوسوف أن تحميهم الامبراطورية الالمانية. وكنا قد قمنا ببعض الاعمال في أرمينيا عامى ١٩١٥ و١٩١٦ مع فيالق مؤلفة من الجيورجيين الاحرار الا أن هذه الاعمال لم تتكلل فى النهاية بالنجاح . ومن ذلك الوقت اتصلنا ببعض ذوي النفوذ من الجيورجيين . ولهذا استقبلت طلب الجيورجيين حماية الامبراطورية الالمانية بالابتهاج لانه مكننا من استغلال القوقاز بدون الاشتراك مع تركيا ومن استخدام السكك الحديدية المارة بتفليس. وكان لهذه الخطوط الحديدية شأن عظيم في مجرى الحرب الدائرة في شمال فارس، وأدارة هذه الخطوط باليد الالمانية خير من طريقة أدارتها بالاشتراك مع تركيا . وعلى كل حال فقد أردنا أن نتقوى بحشد جنود من الجيورجيين إذ من الممكن استخدام هؤلاء الجنود في مقاتلة الانجليز . ولكن لايجب أن تبرح عن البال المشاكل التى أقامها في سبيلنا جيش المتطوعين المحتشد تحت أمرة القائد الكسيف في أقليم كوبان فى شمال القوقاز . ووافقتنى الحكومة الالمانية على سياسة التداخل في مسألة جورجيا لانها كانت تخشى من عاقبة الخطة التي تنتهجها تركيا تجاه الروسيا البولشفية ، ومن جهة أخرى فانها كانت غير راضية عن القسوة التي يعامل بها الاتراك مسيحيي ارمينيا بلا مبرر

وبعد استيلاء الجنود الالمانيين على كييف خفت وطأة الزحف فى

البقاع الالمانية ، وكان سقوطها بين أيدينا في أول مارس . وسقطت أودسا يوم ١٢ بعد قتال خفيف . لقد كنا فى أشد الحاجة الى غلال اكرينيا الا أن حاجة الجيش النمسوي والمملكة النمسوية كانت أعظم من حاجتنا اليها ، وعلى هذا وجب منع هذه البلاد من السقوط فى قبضة البلشفية التي لو استولت عليها لاستخلصت منها عناصر قوة جديدة لها . ومن جهة لا بد لنا من تقوية هذه البلاد واصلاحها بطريقة تضمن لنا نحن بالمثل الاستفادة من خيراتها . واحتللنا يوم ٨ ابريل بعد الاستيلاء على خاركوف أهم أقاليم ينتج الحبوب . ولتوقف حركة النقل من هذه البقاع بالسكك الحديدية على الفحم اضطررنا على الرغم من أرادتنا الى احتلال مناجم دونيتز الفحمية ومددنا احتلالنا إلى روستوف التى بلغناها في أوائل مايو . وأردنا كذلك ان نؤمن حركتنا النقلية بالبواخر في البحر الاسود الى ثغر بريلا لان العمارة البحرية الروسية عرقلت حركاتنا في ثغور أودسا ونيقولاييف وخرصون . ولم نعلم الى أية حكومة تنتمي هذه العمارة التي أخلت بمعاهدة بريست ليتوفسك باتخاذها سباستبول قاعدة لاعمالها العدائية ضدنا . فاضطررنا في سبيل مطاردة هذه العمارة الى احتلال القرم فى أواخر ابريل فتمكن قسم من العمارة من الافلات الى نوفو روسيسك . فاستخدمنا البواخر الحربية التي استولينا عليها في سباستبول حالما حصلنا على البحارة اللازمين لها . وأدى احتلالنا هذه البطاح الواسعه الى الالتقاء بعصابات عديدة من البلشفيين شتتنا شملها بسهولة .

وقسمنا مناطق الادارة والاستغلال فى البقاع المحتلة من أوكرينيا بيننا والنمسويين على الرغم من الصعوبات التي لاقيناها في هذا السبيل

وبما أن الحكومة الاوكرينية لم تقو على حفظ النظام والسكينة في

بلادها ولم تف بما وعدتنا به من تسليم الحبوب المتفق عليها فقد اختفت وتولى أدارة الشؤن ليتمان سكوروبادسكي .

وبينما أنا منهمك فى أواخر ابريل بالاستعداد للهجوم الجديد المنوي في الجبهة الغربية اذا برئيس المكتب الحربي الامبراطوري يبعث الي بتلغراف مرسل الى جلالة الامبراطور يتضمن مر الشكوى من شدة الحكم العسكرى الذى تتبعه مجموعة الجيوش الالمانية المحتلة أوكرينيا فى كييف ويرجو من جلالة الامبراطور التداخل في هذه المسألة فرد جلالته بوجوب الفصل في هذه المسألة بطريقة البحث في أصولها بين الدوائر المختصة. ولقد سررت بهذه الاجابة وأدى التفاهم إلى أن هذه الشكوى منبعثة من أن أحد القواد لم يحسن معاملة أحد رجال الحكومة سابقاً لانه أتى بامور لاتتفق مع المصالح الالمانية . فالحكومة تمشى وراء الاغراض الشخصية بدلا من اهتمامها باجابة مطالب الفيلد مارشال ايخهورن رئيس قيادة تلك المجموعة التي يريد بها تحسين الحالة الزراعية في أوكرينيا وانماء محصولاتها

وادى تولى ليتمان سكوروبادسكي ازمة الحكومة في كييف الى استتباب الأمن وانتظام الادارة لانه على مامعرفته فيما بعد عندما اجتمعت به رجل ذكي واسع الخبرة لاينظر الى الامور نظرة سطحية بل ينفذ ببصره الى أبعد اغوارها . فتفاهم معنا وتعاونا سوية فى العمل المشترك .

ولقد تناهت النمسا في استغلال القسم الذى تولت ادارته من اوكرينيا ومع ذلك فلم تحصل على المقادير المتفق عليها من غلال هذه البلاد . وعلى كل حال فان ماحصلت عليه خفف الى حد عظيم خطر المجاعة الذى كان سيحدث افظع تأثير في الجيش والشعب النمسويين . اما نحن فلم ننل من حبوب اوكرينيا الغلال اللازمة لنا والعلف اللازم لجيادنا بدرجة تقوى الضعف الذى الم بوطننا غير أن اوكرينيا افادتنا افادة عظيمة وامدتنا بمقادير كبيرة

من الهجوم في صيف ١٩١٨ . وكذلك حصلنا من اوكرانيا على عدد عظيم من الخيول التي لولاها لما استطعنا الاستمرار على مواصلة القتال لاننا لو استخدمنا خيولنا الباقية داخل بلادنا لوقفت حركة الزراعة الالمانية . وحصلنا من تلك البقاع بالمثل على سائر أنواع المواد الاوليه.

وفي هذه الاثناء ثارت فنلانده في وجوه البولشفيين الذين لم يشاءوا الجلاء عن هذه البلاد وطلبت منا المساعدة الحربية لان امدادها بالسلاح فقط لم يكفها . واذا أحسسنا بعزم انجلترا على التداخل في شؤون فنلاندا عجلنا بايفاد حملة صغيرة مؤلفة من قوة بحرية واخرى بريه. وفي ١٣ ابريل استولينا على هلسنجفور . ثم اخذنا بالاتفاق مع جنود فنلاندا نطوق القوى البولشفية التي تمكنا من حصرها في اواخر ابريل فاضطرت الى التسليم وانتهت بهذا العمل حملتنا العسكرية في فنلاندا بتحريرها واناتها استقلالها .

وقد احتللنا في نارفا وفيبورج مواقع حربية تسمح لنا بمراقبة الانجليز اذا ارادوا ارسال حملة الى بتروغراد لتاييد البولشفيين فاننا من هذه المواقع نستطيع الزحف على بيتروغراد في اقرب وقت .

وفي اغسطس انجلت قواتنا التي ساعدت فنلاندا على استقلالها عن تلك البلاد قافلة الى المانيا . وقد ترك القائد فون درجولتز رئيس هذه الحملة اعطر ذكرى له في تلك البلاد . على ان سوء تصرف وزارة خارجيتنا صرفها عن الاستفادة من اخلاص هذه البلاد لنا لانها لم تعقد صلات معها ولم تجتذب اليها المشايعين لنا من الفنلانديين .

واني لاانسى العواطف الجميلة التي اظهرها لى الفنلانديون في اثناء الحرب وبعد انتهاء الحرب واعتبرها دليلا قاطعا على ان الاعتراف بالجميل لم

يزل اثره من العالم . وعند ماذهبت الى السويد في سنـة ١٩١٩ واخذت حكومتها تخلق لى المشاكل التى تحول دون استمرار اقامتي هنالك اقبل الي مندوب فنلاندى يعرض على ضيافة فنلاندالى فشكرته اجمل شكر وابيت الذهاب الى تلك البلاد الوفية مفضلا الاوبة الى وطنى .

وقد كسرنا الحصار الذى طوقنا به الاتفاق من سائر جهاتنا بفضل معونة فنلاندا واوكرينيا اللتين اخذتا تعدان جيشيهما للتعاون معناواصبح مركز البواشفيك بعد تحرير هذين القطرين مرتبكا مزعزعا فأمنا شر الاغارة علينا طول بقية الحرب من الجانب الشرقى .

وفي شهر مايو عند ماشرعنا في القيام بالهجوم الجديد فى الميدان الغربى واستعد النمسويون للهجوم فى شهر يونيه على الجيش الايطالى كانت مواقف التحالف الرباعى كلها مطمئنة الا موقف العثمانيين في الجبهة الفلسطينية الذى كان محفوفا بالخطر .

— ٥ —

حدث ثاني هجوم الماني عظيم في فرنسا والهجوم النمسوى في ايطاليا وفاقاً للخطط المرسومة من قبل .

فحشدت الجيوش في منتصف مايو لاحداث ثغرة فى الشمان ديه دام . وأعد اطلاق المدافع طبقا لتعليمات الـكولونيل بروخمو للر . وفي ٢٧ مايو بدأ الهجوم بين فوزايون وساينيول فاقترن بالفوز الباهر . وتخطينـا الاهداف المقصودة في اليومين الثاني والثالث على غير ما كنت اتوقع . واستحوزنا على اراض واسعة فيما يلى فيم وعلى أراض اخرى اقل اتساعا خلف سواسون ومن الموجب للاسف الشديد ان احدى هيئـات اركان

الحرب لم تدرك مقدار موافقة الاعمال الحربيةفي جهة سواسون وعلى هذا لم يكن تقدمنا في هذا القطاع عظيما على الرغم من موافقة المكان للتقدم . ولولا هذه الهفوة لاصبح مركزنا حسناً جداً على سائر خط الهجوم . بل لقد كان لتقدمنا تأثير جوهري في تغيير مجرى الحرب . غير ان الرؤساء لادخل لهم في تنفيذ التفاصيل .

ودفع الجيش السابع قلبه الى الامام حتى بلغ المارن . وتقدم جناح هذا الجيش الايسر مع جناح الجيش الأول الايمن ما بين المارن والفيل في اتجاه جبل ريمس من غير ان يصادفا مقاومة تذكر .

وفي اوائل يونيه وقفنا هجومنا لان القيادة العليا لم تشأ ان تواصل الهجوم الا بين الأين واجمة فيلر كوتيريه في الجنوب الغربي من سواسون. وكنا نريد ان نكتسح بقاعا أوسع في الجهة الغربية لنستولى على السكة الحديدية الممتدة غرب سواسون والتي تؤدي من وادى الاين الى وادي الفيل لتعضيد الجيش الثامن عشر المهاجم في خط موندديه نوايون .

وعلى الرغم من حدوث بعض الازمات التي كثيراً ما تحدث أمثالها لبثت عساكرنا مواصلة هجومها ودفاعها وهي ما لكة ناصية الكفاح . وبدت طلائع الجنود الامريكية على مقربة من شاتوتيرى فهاجمت جبهتنا في جموع متراصة بشجاعة عظيمة غير انها لم تنجح بسبب سوء قيادتها . وكانت خسائرنا طفيفة جداً بجانب خسائر الاعادى الهائلة وعدد اسراهم العظيم وان كانت خسائرنا على كل حال محزنة . وتكرر استمرارنا على الهجوم في الوقت الذى يستلزم اقتصارنا على الدفاع . ومع ذلك ظل جنودنا في منتهى الشجاعة والتفوق

وعلى كل حال فقد كان التأثير الناجم عن هذا الهجوم حسناً جداً .

وفازت مجموعة ولي عهد المانيا فوزاً خططياً عظيما . واضطر العدو أن يستخدم معظم قواه الاحتياطية في حين اننا لم نستخدم كل جنودنا الامامية . وشعرت باريس بهول الهزيمة الفرنسوية فاضطر عدد عظيم من سكانها الى مغادرتها ولكن الجلسة التي عقدها مجلس النواب في أوائل يونيه وهي التي كنت انتظرها باهتمام مدهش لم تتضمن أى عامل من عوامل اليأس بل لقد نطق كليمانصو بالفاظ حماسية تنم عن عزيمة تضرب بها الامثال اذ قال : « اننا نتقهقر الآن ولكننا لا نسلم بتاتاً » وقال « سنفوز بالنصر اذا ظلت السلطات العامة قائمة بمهتها خير قيام » و « ساكافح أمام باريس وساكافح في باريس وساكافح خلف باريس » و « لنفكر فيما قضى به القدر على تيير وجامبيتا ، واني لا امل أن أقوم بالمهمة العسيرة المحرجة التي قام بها تيير . » بل لقد ظل الاتفاق بعد هزيمته الثانيــة العظيمة في هذه السنة نفسها غير جانح للصلح

ولقد كان من الامور السيئة لنا من الوجهة العسكرية الفنيــة أن لا نتوصل الى الاستيلاء على ريمس ونستمر على ازجاء جيوشنا في تلك الارض المحفوفة بالمكاره . وبالنظر لعدم وجود خطوط حديدية يرتكز عليها الجيش السابع في حركاته ونقل مطالبه سوى الخط الواصل من وادى الاين الى وادي الفيل صار من المحتم الالتجاء الى انشاء خطوط جديدة والى استخدام السكك الحديد الضيقة واعادة اصلاح الانفاق التي اتلفها العدو عند انسحابه ونظراً ان هذه الاعمال تقتضي مدة طويلة واعمالا جسيمة فقد اضطررنا الى استخدام قوافل الاوتوموبيلات النقالة ريثما يتم انشاء السكك الحديد اللازمة ، فوقعنا في أزمة السوائل اللازمة لتسيير هذه الاتوموبيلات .

ومنذ مستهل يونيه أخذ الهجوم يمتـد نحو الغرب الى ملتقى الواز والايليت . وامكن نقل لوازم المدفعيـة بدون موانع شاقه . وحددنا يوم ٧ يونيـه لوثوب الجيش ١٨ ما بين مونديديه ونويون ، والجيش ٧ فى الجهة الجنوبية الغربية من سواسون . ولـكننا علمنا أن مدفعيتي هذين الجيشين لن تكونا على تمام الاستعداد للهجوم في الموعد المضروب فاضطررنا الى تأجيل وثوبهما الى ٩ يونيه ، وهذا أمر غير موافق من الوجهة الخططية لان العمل الحربى العام يفقد وحدته المتفق عليها من قبل فينتهز العدو هذه الفترة وينقل في أثنائها قواه الاحتياطية . على انني كنت انتظر ثمناً لهذا التفريط احراز نصر كبير وتكبيد العـدو خسائر أعظم من الاول لأن الاستعداد سيكون أتم . وهجم الجيش الثامن عشر في يوم ٩ مزجياً جناحه الايمن في اتجاه ميرى وجناحه الايسر فى اتجاه الهضاب المتناهية في المناعة الـكائنة على مقربة من غرب الواز . وفى هذه الدفعة كان العدو مترقباً وثوبنا . وعلى الرغم من تأهبه اجتاز مشاتنا كل تدابير استحكاماته وتركتها خلفها ، وبلغت الاروند من بعض النقط

ومنذ ١١ يونيه ابتدأ العدو يقوم بكرات شديدة جداً ولا سيما على جناحنا الايمن فى اتجاه ميرى استولى بها على بعض الاراضى . واتسعت دائرة هذه الـكرات فى يومى ١٢ و ١٣ ولـكن على غير جدوى . واذ كانت هذه الـكرات قد أدت الى احتشاد جموع كثيفة من جنود الاعداء فقد استصوبت القيادة العليا وقف هجوم الجيش الثامن عشر منذ ١١ تلافياً لما ينجم من فقد عدد عظيم من الجنود ولما كان يتوقع من عدم نجاح الجيش السابع في الوصول الى احداث ثغرة بالهجوم الذي شرع فيه . ولم يؤثر هجوم الجيش الثامن عشر في الحالة التى أصبح فيها الجيش السابع بوثوبه

وفي أواسط يونيه ساد الهدوء على جبهة مجموعة الوريث الالماني خلا بعض وقائع محليـــة بين الاين واجمة فيلر كوتريه . وكذلك حدثت بعض قلاقل على جانبي الاردر بين المارن وريمس . وقد أفادتنا البقاع المكتسحة موارد فائضة بالخيرات وحسنت حالتنا الغذائية.

كان الهجوم النمسوى في الساحة الايطالية منتظراً يوم ١٠ يونيه او ١١. إلا انه ارجىء لعدم أستيفاء التأهب الى ١٥ . وكان الاستيلاء على جبل اداميللو فى غرب الجبهة التيرولية معتبرا ستاراً للهجوم الحقيقى الذي أراد القائد كونراد القيام به ما بين اسياجو والبحر . وعلى الرغم من الانتصارات المحلية فان هذا الهجوم لم يؤد الى اكتساح بقاع . وقد أفادت الاخبار الواردة من باد ان الجنود النمسوية قاتلت قتـــالا حسنا فما السبب اذن فى عدم النجاح ؟ على أن البرلمان النمسوى انتقد هذا الاخفاق بشدة عظيمة وكان أولى به أن يلتزم الحزم ورباطة الجأش كما فعل الفرنسويون في مثل هذا الموقف سنة ١٩١٧ وفي السنة الاخيره . ومع ذلك فما الذي فعله هذا البرلمان من الخير للجيش فيستجيز لنفسه حق الانتقاد ؟ انه بعمله هذا يزيد اليأس احتكاما فى النفوس . ولقد آلمني اخفاق الهجوم النمسوى أيما أيلام لاني لم أعد أنتظر من الساحة الايطالية تخفيفاً عن جبهتنا فى فرنسا . وعلى كل حال فان الـكفتين أخذتا تتراجحان. وأراد القائد آرز أن يقوم بهجوم جديد في الخريف فلم يسعنى حينئذ سوى أن أقترح عليـــه ارسال كل مايتوفر لديه من القوى الى الميدان الغربي فقبل هذا الاقتراح على الرغم من الجهود التي لابد أن يكون قد بذلها لدى ملـكه الذي عقت مثل هذا الارسال . ولم تزد القوة التي أرادت النمسا ارسالها الينا على أربع فرق لم تصل سوى اثنتان منها في يوليه والاثنتان الأخريان وصلتا في

أواخر أغسطس وأوائل سبتمبر . وحاول القائد آرز أن يردف هذا المدد بفرق أخرى بيد أن الحالة في الصرب حملته على ارسال قوة اليها من جراء تداعى الجبهة البلغارية . ومع أن رجال الفرق النمسوية أقوياء فانهم كانوا فى حاجة الى التدرب وأسلحتهم وذخائرهم محزنة

ولم يحدث فى جبهات التحالف الرباعى في أوروبا مايستحق الذكر سوى ارتداد الجيش النمسوي من غرب بحيرة أو جريدة الى بيرات في يونيه ويوليه

تحسنت حالة الجيش البلغاري نوعاً ما على أثر وصول الملابس والادوات العسكرية والمؤن والذخائر اللازمة من المانيا ولم يكن القائد شولتز يجهل حقيقة روح التمرد المنتشر فى بلغاريا ومحاولة المهيجين أن يحركوا الجيش ضد رادوسلافوف ، ولهذا فقد طلب هذا الاخير زيادة الجنود الالمانيين بدل سحب العدد الكبير منهم ، ولكن الميدان الغربى كان يتطلب غير ذلك . وقد حفظت القوي الاحتياطية التي حشدتها بلغاريا جبهتنا من الانشطار على امتداد واسع . واستعدت هيأة أركان الحرب الالمانية التي تدير مجموعة الجيوش المرابطة في الساحة المقدونية على التراجع قليلا في حالة الضغط الشديد

وأخفقت في فلسطين عدة هجمات قام بها الانجليز . واسترجع البريطانيون الفصائل التي كانوا قد دفعوا بها في اتجاه الموصل . ويظهر انهم قووا جنودهم الزاحفين في شمال العجم وعلى الساحل الجنوبى من بحر قزوين . وظل الارتباك حول تبريز وجوار باكو

ولم تتغير الحالة فى الجبهة الشرقيه .

صار تقدير القوى الامريكية الواصلة فى اشهر ابريل ومايو ويونيه

بخمس عشرة فرقة . فيمكن اعتبار المحتشد من هذه القوى حتى الآن ٢٠ فرقة ، وهذا فوق ما كنت اتوقعه . فهذا التطور الفجائى أودى بالتفوق الذي كنا نمتاز به في شهر مارس من جهة عدد الفرق . وفضلا عن ذلك فان الفرقـة الامريكية تتالف من ١٢ طابوراً والطوابير غاصة بالجنود . ولقد قاتلنا الجنود الامريكيين الموجودين في فرنسا من قبل وتغلبنا عليهم بعدد أقل من عددهم فلا يعقل ان يكون الجنود القادمون حديثـا من الولايات المتحدة بسرعة والمفتقرين الى تدريب وتجريب طويلين أنظم وأشد بأسا وأقوى مفعولا من زملائهم الذين قضوا في فرنسا مدة طويلة في التدرب والتمرن . ولـكن الذى كنا نخشاه هو ان يضع المتفقون هؤلاء الجنود الجدد فى القطاعات المطمئنة و يسحبون منها الجنـود الفرنسوية والانجليزية التي مارست الحرب آباداً طوالا . وهذا الأمر الخطير هو الذى يجعل الولايات المتحدة بدخولها الحرب العامل الاكبر في أنهائها .

وأنزلت فرنسا في سنة ١٩١٨ الى حومة الوغى جنوداً اكثر ممـا انزلته فى السنوات الماضية لانها كانت قد اعدت المقادير اللازمة من جنود مستعمراتها وهى ينابيع لاينقطع فيضها . وانتهز الجيش الانجليزى فترة السكون التي سادت بجاله منذ منتصف مايو فاخذ يلم شعثه ويقوى ضعفه الا انه لم يكن اسرع الى التأهب من مجموعة جيوش ولى العهد روبرخت على الرغم من ان حالة الغذاء لدى الانجليز كانت احسن بكثير منها لدى مجموعة الوريث روبرخت .

واخذت فوائد دعوتنا المنتشرة في بلاد الفلمنك تظهر بوضوح تام فقد طفق الفارون من الجيش البلجيكى يصلون الينـا بكثرة مشعرين بتلطف روح العداء ضدنا في الجيش البلجيكى .

وانتشرت النزلات الصدرية في جيشنا وكان مفعولها اشد في مجموعة الوريث روبرخت . على ان هذا المرض تلاشى بعد وقت قصير تاركا ضعفا لايزول الا على توالى الايام . واجتهدنا في اكمال جنود طوابير الوريث روبرخت فلم تعد اقل عدداً من الطوابير البريطانيه . ومع ان جنود هذه المجموعة قد بذلت جهودا عظيمة في مدة ارتياحها ولا تزال بعض فرقها غير كاملة الوحدات فانها بقيت قادرة على انزال ضربة قوية بالعدو تلجئه الى قبول الصلح الذي لاسبيل لحمل العدو على قبول المفاوضة بشأنه الا بهذه الطريقة الوحيده.

وكنا دائماً نحاذر الوثوب علينا من جانب الانجليز في الفلاندر على الرغم من انسحاب القوى الفرنسوية من هذه الجهة الى القطاعات التي دارت فيها رحى القتال بشدة ، وعلى الرغم من ارسال نجدات انجليزية كبيرة الى تلك القطاعات .

وكانت اعظم الحشود الفرنسوية مجتمعة في القوس الذي يرسمه الجيشان الثامن عشر والسابع في اتجاه باريس ، اما المنطقة الممتدة مابين شاتوتيري وفردان فكانت قوى العدو الخيمة فيها ضئيلة فصممت القيادة العليا على مهاجمة الاماكن الضعيفه مرتئية أن نشرع في الهجوم في اواسط يوليه على جانبي ريمس لتحسين مواصلات الجيش السابع الخلفية بين الأين والمارن . وبعد خمسة عشر يوماً من هذا الوثوب نقذف بكل ما يتهيأ لنا من المدفعية وقاذفات الالغام والتشكيلات الهوائية على جبهة الفلاندر ومن المنتظر طروء الضعف على جبهة الفلاندر اذا مانجحنا في جبهة ريمس . فارجئنا العساكر القادمة على الهجوم عدة ايام ، وبذلنا همة عظيمة في استقدام المدافع المتوفرة في الميدان الشرقي واقتطعنا مدافع عديدة من

البطاريات الاحتياطية فلم يجيء منتصف يوليه الا ونحن على قدم الاستعداد للهجوم في جهة ريمس . وحددنا يوم اول اغسطس لحركاتنا الحربية في الفلاندر فأدى حشد القوى العظيمة في النقطتين المعدتين للوثوب الى ان يتعرض الجيشان الثامن عشر والتاسع لبعض الاخطار . وجمعنا حشوداً قوية جداً خلف مجموعة الكرونبرنز روبرخت وكلها من الفرق الاحتياطية المرتاحة . وانتزعنا من جبهة الكرونبرنز الالماني الفرق المتعبة التي رجعت الى الخلف لتستريح وتتقوى وتستكمل نقص اعدادها .

— ٦ —

ان الهجوم على ريمس معقول وكنا نعتقد بوجوب نجاحه لان جنودنا التي قاتلنا بها مراراً عديدة واحرزنا الانتصار بواسطتها لم تكن في الايام الاخيرة أحسن حالا مما هي عليه عند مباشرة هذا الهجوم . ولقد فكرت طويلا فيما اذا لم يكن من المستحسن ان نكتفي بما احرزناه من الفوائد الكبرى من هجماتنا المتوالية في النصف الأول من هذا العام ونقتصر على الدفاع ، واخيراً صممت على رفض هذه الفكرة لانها تضعف روح الاقدام الذي نجمل به جيشنا في العهد الأخير ولما تحدثه من التأثير السيء في نفوس حلفائنا ولأنها تسمح لعدونا بحشد قواه في الاماكن المناسبة لهجومه وتمكنه من التخطي الى دور الوثوب . وقد تحققنا من ان اسباب الضعف الطاريء على الجنود انما ترجع في الاغلب الى التزامهم خطة الدفاع الذي نعتبره شرا مستطيرا علينا .

على اننا أصبحنا الآن امام حالة خطرة فقد أصبح الروح الذي ينفثه داخل البلاد في الجيش مؤذيا وغدا الجيش يشكو من سوء تأثير دعوة

العدو المنتشرة في الجبهة والتي يساعد على شدة مفعولها الروح السيء المنبعث من داخل المانيا . ومن جملة ماتبرم منه الجيش الرابع تأثير النشرة التي تتضمن رأي الامير ليخنوفسكي بان الحكومة الالمانية تتحمل تبعة الحرب الحاضرة في الوقت الذي يعلن الامبراطور والمستشار أن المسؤول عن اذكاء جذوة الحرب هو الاتفاق ، فهذه النشرة التي أذيعت في الجيش الرابع أحدثت أثراً سيئاً . ولتأييد رأي الامير ليخنوفسكي تضمنت النشرة بالمثل تصريح احدى الصحف الاشتراكية الديموقراطية المستقلة المماثل لهذا الرأي . فليس من المستغرب أن يطرأ على افكار الجنود في الجبهة أي تغير ما دامت أمثال هذه الآراء تذاع جهرة ويظل الامير متمتعاً بحريته التامة . ولقد كنت رجوت من المستشار ميخائيليس أن يحاكم الامير ليخنوفسكي . وبما أن اليوزباشي بيرفيلد مسؤلا عن نشر هذه النشرة في في الجيش فقد حولته على المحاكمة إلا أن الامتناع عن محاكمة المؤلف نفسه حالت دون اصدار أي حكم على هذا الضابط . واعدت رجائي الى الحكومة أن تحاكم ذلك الامير تهدئة لافكار الجنود الابطال الذين يجودون بمهجهم في سبيل سلامة الوطن وانتصارنا ورفعت تقريراً في هذا الصدد الى الامبراطور غير انه لم يتم شيء في هذه المسألة . فالامير ليخنوفسكي يساعد البولشفيين وسواهم من العاملين على استئصال شافة الطاعة والنظام من الجيش . ولقد صار موقف الحكومة ضعيف ازاء انتشار الدعوة المثبطة في الجيش بينما لا يرى من حكومات الاتفاق سوى موقف قوي مملوء بالثقة

وعلى الرغم من وضعنا جوائز لمن يبلغ عن النشرات المؤذية وعن مروجي دعوة العدو واتخاذنا ما في وسعنا من الوسائل المزيلة لتأثير هذه الآراء المسممة فقد بقيت مجهوداتنا في هذا الشأن عاجزة عن تلافي كل

الاضرار بالنظر لاتساع نطاق الجبهة الحافلة بالجموع المتماوجه . غير ان انتصاراتنا الاخيرة خففت وطأة التأثير الناجم عن دعوة العدو وآراء المفرطين من الالمانيين . وعلى كل حال فقد كان الاعتقاد الساري بين الجميع هو أن الحرب ستنتهي بفوزنا التام

وقد حدث أمر خطير جداً وهو امتناع الجنود الالمانيين القادمين من الاسر في الروسيا عن التقدم الى الجبهة بحجة انهم غير ملزمين بمعاودة الكفاح اسوة بالاسرى المتبادلين مع اسرى الجنود الانجليزية والفرنسوية ووقعت في جراودنز حوادث هائلة من هذا القبيل . وا كتشفت مؤامرة في بفرلو تمكن عدة مئين من الالزاسيين من الهرب الى هولاندا ليتخذوا هنالك الوسائل الكافلة لتهريب الجنود من الجبهة الشرقية فاضطررت حينئذ الى استقدام الجنود الالزاسيين واللورينيين من الميدان الشرقي الى الساحة الغربية التي استقبلوا فيها شر استقبال . وكان الجنود البافاريون يروجون دعوة العدو بطريقة سرية بحملاتهم المدبرة على الامبراطور وولي عهده بل بالمثل على الاسرة المالكة في بافاريا . وانتهى الامر بهؤلاء الجنود الى أن يعتبروا هذه الحرب مسألة بروسية محضة . ولهذا لم تشأ القيادة أن تقدم الجنود البافارية الى الخطوط الاولى بعد السنوات الاولى

واخذت الحالة الأدبية تزداد سوءا في الداخل من جراء المناقشات الخطرة التي كانت تقوم بها احزاب الغالبية في الرايخستاج والتي كانت تروج دعوة خصومنا ترويجا عظيما . ومن اشد الأخطار علينا ان يقوم وزير الخارجية مصرحاً بان نهاية هذه الحرب لاتتم بواسطة الجيش فان هذا الرأي كان من الممكن ان ينطبق على الحقيقة لو ان البلاد في حالة نفسية قوية والجيش على تمام الاستعداد لمواصلة مهمتــه بغير فتور والعدو على

استعداد للتفاوض في شأن الصلح ، أما وكل هذه الامور غير متوفرة فان رأي هذا الوزير خطأ محض ومضر بمركز الجيش الذى يقدم فيه مئات الالوف من الشبان المستنيرين الذين كانوا يكسبون مكاسب حسنة فى أشغالهم الحرة أرواحهم بلا ثمن لاجل سلامة الوطن ، فان هؤلاء الشبان الذين يرون انهم انما يسفكون دماءهم فى مقصد غير مجـد لا يلبثون أن يضنوا بحياتهم العزيزة ويؤثرونها على تضحية لن تعود على الوطن بفائدة ما . فهذا التصريح الذى جهر به وزير خارجيتنا شؤم على البلاد . ويضاف الى العوامل المذكورة عامل البلشفية الذى أخذ يتمثل في برلين بمظهر واضح رسمي وقد طلبت ابقاء جوف سفير الروسيا بعيداً عن المانيا وتولي رآسة القيادة الشرقية المخابرة معه في الشؤون الضرورية ، كما أن هيأة أركان حربنا في برلين قدمت للحكومة عدة مستندات تدل على اجتهاد البولشفيين في اضرام نيران الثورة في المانيا ولكن السفارة الروسية على الرغم من مساعينا الموصولة استتبت في برلين وأخذ رجالها العديدون يحكمون صلاتهم بالحزب الاشتراكي الديموقراطى المستقل ويتعاون الطرفان على حض الجيش على التمرد ، فكان للبولشفية مفعولا أشد من تأثير دعوة الاتفاق . ولم تظهر حقيقة أعمال الحزب الاشتراكي الديموقراطي المستقل في اجلى مظاهرها إلاّ فيما بعد اذ صرح فايتر رئيس هذا الحزب في ماجد بورج مما يلي :

« ولقد أخذنا نعد الانقلاب بطريقة محكمة النظام منذ ٢٥ يناير ١٩١٨ فحثثنا مشايعينا الذاهبين الى الجبهة على الفرار . وزودنا المهربين بالوسائل النظامية التي تهيئ لهم التهريب ، اذ جعلناهم يحصلون على وثائق مزورة وأمددناهم بالنقود وبالنشرات ، ووجهنا بهم الى كل الاماكن الاساسية ولا سيما الى الجبهة ليعدوا الجنود للاباق وليوهنوا الجبهة . ويتمكنوا من

حمل الجنود على الالقاء بانفسهم في أحضان الاعداء . وبهذه الطريقة أخذت الجبهة تتداعى بالتدريج ولكن بالتأكيد »

وانتشرت الدعوة الى الفرار والى التمرد والمقاومة في القطارات الغادية الى الجبهة والآتية منها . وسول للجنود أن لا يعودوا الى الجبهة واذا اجبروا على العودة ان يمتنعوا عن التقدم الى الصفوف المقاتلة ، واذا دفعوا اليها أن يفروا الى جانب العدو . وفي شهري يونيه ويوليه حدثت بعض امور من هذه التدابير إلا انها كانت متفرقة وبشكل لا يستدعى شدة الانزعاج ، فالتدابير المذكورة مستمرة على الانتشار بطريقة لا تقاوم ولكن تحت أذيال التكتم .

ولقد سلب نواب الرايخستاج بقية السلطة فتجردت الحكومة من كل حول ونفوذ . ولا أريد الآن أن اتكلم عن الوسائل التي اتخذها المهيجون ضدى باعتبارى الركن الركين لسلطة الحكومة بل أوثر التعرض لما ما لما اتخذوه ضده ضباط الجيش . لقد طفقوا يحملون على هؤلاء الضباط الشجعان زاعمين انهم روح العسكرية الالمانية . وكان ضباطنا فيما سلف بعيدين عن النزعات السياسية المختلفة فهم يؤلفون هيأة قائمة على حدة لاهم لها سوى تأدية واجبها فلما سقط السواد الاعظم من هؤلاء الابطال فى ساحة المجد دفاعاً عن الوطن المقدس انتهز أولئك المسيئون الى وطنهم وانفسهم هذه الفرصة فعملوا على ادماج عدد كبير من المتشبعين بالميول الرديئة الى سلك الضباط وتولى بعضهم بسرعة بعض الوظائف الكبيرة ، فدب الفساد في دائرة هذه الهيأة التي كانت من أخلص الهيآت الاجتماعيه الالمانية وانفعها للوطن

وفي هذه الآونة تعالت الشكوى من سائر النواحي من الفرق العظيم الموجود بين غذاء الضباط وغذاء الجنود . ولكن هذه الشكوى الداعية

الى التفريق لم تكن قائمة على أي أساس من الحقيقة لان المطابخ النقالة كانت تقدم للضباط نفس الطعام الذي تقدمه للجنود. أما ان الضباط يأكلون مع جنودهم على خوان واحد ويمازجونهم فهذا مالا يتفق مع نظام الجيش ومصلحته لأنهم لو أكثروا من مخالطة الجنود والتبسط معهم لما استطاعوا أن يقودوهم الى المعارك ولا أن يحملوهم على الطاعة لزوال هيبتهم من نفوس الجنود

وكذلك قام هؤلاء المحرضون على الابوق بحملات شديدة على هيآت أركان الحرب الكبري . ومن ذا الذي يجهل الاعمال الشاقة والجهود الهائلة الموصولة التي يقوم بها رجال هذه الهيئات ؟ لقد لبثت أعمل ليل نهار أربع سنوات متعاقبة لم أتمتع فيها بالراحة التي يتمتع بها الجنود البسطاء . ولم نكن نعنى بالتأنق في حياتنا لأن أوقاتنا كانت أضيق من التفرغ للامور الكمالية ومع اننا كنا نأكل طعامنا المعتاد قبل الحرب فقد كنا نلتزم فيه البساطة المتناهية . وحينما تشكلت وزارة الامير ساكس في أواخر الحرب خابرت الوزارة بان هيأة أركان الحرب على تمام الاستعداد لان تأكل الأكل العادي الذي يتناوله الجيش والشعب اذا قبل سائر الوزراء أن يتناولوا منه بالمثل فرفض الامير ساكس مستشار الامبراطورية أن يتناول الطعام العادى الذى يتناوله سائر الجمهور

وكم تقولوا على الضباط فاتهموهم بانهم يعيشون على حساب الجنود ، وان الضباط العاملين يلتزمون مكاتبهم . وكل هذه الوشايات لا أساس لها من الصحة ، وقد كلفت المكتب العسكرى باجراء تحقيق دقيق فاسفر بحثه عن كذب تلك الاشاعات . وما عسى أن يقال في الضباط العاملين الذين دل الاستقراء على أن خسائرهم تتراوح بين ٨٠ و ٩٠ في المائة من

مجموعهم . وقد شكالى بعض رؤساء الفرق قلة الضباط ازاء تراكم الاعمال التي لاحد لها . فهذه الحملة اذن مدبرة ضد أصدق هيأة عاملة في البلاد

واهتممت بما قيل عن السكردانات العسكرية (الكانتينات) فوجدته عاريا من الصحة اذ الضباط والجنود يبتاعون مطالبهم منها باثمان واحدة وبتوزيع عادل كما أن أرباحها توزع على المشتركين فيها بطريقة عادلة. وكان أركان الحرب وجنودهم يتقاضون مطالبهم باسعار أخفض بقليل من الاسعار التي تتقاضى بها عامة الجنود فازلت هذه الميزة وجعلت الجميع سواء في المعاملة

ولا صحة بالمثل لما أشيع من أن ضباط المراحل يعيشون عيشة رفاه ودعة فان هؤلاء الضباط أدوا خدمات جليلة للجيش وللوطن ومن الطبعي أنهم يتمتعون بغذاء أرقى من طعام جنود المراحل وان كنا لم ندخر وسعاً في تحسين مأكل هؤلاء الجنود . فالضباط على وجه العموم متحلون باشرف الصفات واذا وجد بينهم من شذ عن هذه الصفة الشاملة فانه لايستحق الاهتمام به لانه انحط عن مرتبة إخوانه واخل بواجبه وأساء الى وطنه

ومع أن ضباط الصف لم يأبهوا بدعوة العدو لأنهم اسمى افكاراً من الاغترار بتلك الالفاظ الضخام ولذا لم يوجه اليهم أي تحذير ولم توضع عليهم أية رقابة فقد اختلقوا لهم مسألة دعوها تنافر الضباط وضباط الصف وهي مسألة مفتعلة لاأساس لها قبل الحرب ولا في اثنائها

وأصابت البلاد الالمانية أعراض أمراض اجتماعية يخشى شرها . فقابلني الوريث الالماني مراراً عديدة في افين وشكالى منها ورفع عدة تقارير عنها الى الامبراطور لايسعني سوى الموافقة على مافيها . ولكن هذه الاعراض كانت مستعصية التشخيص فلا تكاد تعرف عللها الآ عند وضوح هذه العلل . وقد اتضحت فجأة بشكل مدهش في ٩ نوفمبر . وطالما نبهت الضباط

الى مراقبة هذه الاعراض ودرس عللها ولـكنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك وكانت نتيجته وبالا على حياة البلاد

وكانت مسألة النجدات من أهم شواغلنا لانها تستنفد جانبا لا يستخف به من قوتنا الاحتياطية . وقد أريد تقوية الفيلق الاسيوى الالماني بقصد استرداد أورشليم . بيد اني اطلعت أنور على حقيقة حالتنا ليضع حداً لطلب النجدات لان الساحة الغربية تتطلب قوى احتياطية عظيمة

واتبعنا عادتنا في السنوات الماضية فارسلنا الـكولونيل باور الى برلين لحث المستشار على إرسال امداد كافية من الداخل للجيش المكافح في الجبهة ولـكننا لم نحصل على المطلوب . ودار البحث فى أواخر يونيه في سبا بين المستشار والفيلد مارشال ووزير الحربية وأنا في هـذا الصدد فأيدت الـكولونيل باور فيما قاله فى برلين وطلبت التشدد في ايجاد القوى الاحتياطية الوافية والمبالغة في معاقبة المختبئين والهاربين واتخاذ كل الوسائل المؤدية الى تقوية الروح الحربي فى نفوس الجمهور . واوضحت اضرار البولشفية ودعوة العدو الجوابة ولهجة بعض الصحف الحزبية . وطالما خضت فى صدد هذه الموضوعات من قبل بلا جدوي ، أما في هذه الآونة فقد وعدت الف وعد بتحقيق سائر آمالى ولـكنى لم أشعر بأي تغيير في الحالة العامة

وحاولت في هـذه الاثناء الاستفادة من انتصاراتنا المتوالية بتقوية الحركة السلمية في بلاد الاعداء . فارسلنا مذكرة الى المستشار مرة أخرى في هذا الموضوع فاستقدم الـكولونيل هايفتن يوم ٢٩ يونيه وبعد بحث دقيق وضعت قواعد الدعوة المراد بثها

وعرض الـكولونيل هايفتن على وزير الخارجية في شهرى مايو ويونيه ان يفضى بتصريح مرض عن بلجيكا فرفض الوزير لانه كان يرى من

المستحيل تبادل الآراء مع أعداء لا يريدون التفاهم . وكان قد عرض على بساط البحث في الرايخستاج يوم ٢٤ يونيه تصريح المستر اسكويث السلمي الذى فاه به فى ١٦ فقال الفون كوهلمان في صدده : « طالما يعمد خصوم السلم والصلح الى الحركات الخادعة التي يوهمون بها الرغبة في الصلح وما قصدهم بهذه الحركات سوى مد الشباك وايقاع الشقاق بين الدول المتحالفة فان كل محاولة يراد بها التقريب ما بين وجهات النظر المختلفة لا يمكن الالتفات اليها وكل اقتراح يرمى الى تبادل الآراء بشأن ابرام الصلح لا يصح الاعتداد به »

وكذلك صرح المستشار في خطابه الذى القاه يوم ١٢ يوليه بما يؤيد به رأي وزير الخارجية ذاهباً الى اننا نريد الصلح ارادة صادقة ، ولكن طالما يصر العدو على ارادته محونا فاننا نلتزم جانب التحفظ ، حتي اذا ما أبدى العدو رغبة صادقة فى التفاوض فاننا ندخل حالا في دور المخابرات وقال : « واستطيع أن أقول بالمثل انى لا أنفرد بهذا الرأي بل تشاركنى فيه القيادة العليا مشاركة تامة ، لانها لا تريد القتال لمجرد استمرار الحرب بل لقد أفضت الىّ بما يلي : « طالما يبدى الجانب الآخر فى وضح النهار رغبته الصادقة في الصلح يجب علينا أن نجيبه توا الى تحقيق رغبته » ولقد عبر المستشار أصدق تعبير عن رأي الفيلد مارشال ورأيى

واني كلما ارجعت البصر كرة الى الوراء مستعرضاً تلك المساعي التي كانت الحكومة الامبراطورية تبذلها لعقد الصلح ادركت استحالة نجاحها الاّ اذا قرنت بالشروط التي فرضها علينا الاتفاق في هذه الآونة . وما كنا لنتحمل تبعة هذه الشروط فى إبان ظفرنا العظيم بل في اكتوبر أثناء اجتيازنا الازمة العظيمة . فانجلترا والولايات المتحدة كانتا تريدان محونا من الوجهة

بالاقتصادية ، وتريد انجلترا اعداذلك ايصالنا الى حالة العجز التام ، واما فرنسا فتأبي إلاّ أن تسيل آخر نقطة من دمائنا . فبينما تعمل دول الاتفاق على خزينا واسقاطنا وافقارنا غير ناظرة الى اسعاد الانسانية مرتكزة في عملها على أقوى سياسة وطنية نرى الافكار متجهة عندنا الى اسعاد الانسانية قبل كل شيء ثم تتجه فيما بعد الى الشعور الوطني. وعلى كل حال فان الحرب ناشبة وليس في وسعنا نحن بمفردنا أن نضع حداً لها

وفي مستهل يوليه تخلي الفون كوهلمان عن وزارة الخارجيـة لان تصريحه الذي قرر فيه انه لا يعتقد ان الفصل بحد السيف يضع حداً للحرب كان مخالفاً لرأي المستشار وذاهباً الى غاية بعيـدة لا تتفق مع المصلحة العامة. وقد اعلمناه نحن بالمثل بما يدور في خـلدنا من الشك في هذا التصريح . على أن مسلك الفون كوهلمان الشخصي له دخل أكبر في اعتزاله الاعمال. واليه يعزي استقرار السفارة البولشفية في برلين والسكوت على نشر دعوتها بلا انقطاع

واستقبلت بابتهاج تعيين خلفه الفون هينتز منتظراً منه بثقـة أن يتمشى معنا الى مستقبل مرتكز على أساس متين . واطلعته على رغبتي في اقناع الاتفاق بابرام الصلح ، كما أفهمته خطر البولشفية علينا أو المساعي التي يبذلها السفير جوف لاشعال لهيب الثورة الداخلية في المانيا . غير انه لم يستطع أن يحدث عملا مذكوراً في هذا الموضوع

— ٧ —

أصبحت الحالة تجري في الروسيا على غير ما كنا ننتظره ، فقد أخذ

الاتفاق يعد للبولشفيين وحدات جديدة من العناصر التشيكو سالفية التي اسرها الروسيون من الجيش النمسوي في أثناء الحرب ليستخدمها البولشفيك في محاربتنا . فكتبت في هذا الصدد كتاباً ضافياً الى المستشار في أول يونيه

وأراد الاتفاق أن ينقل الجنود التشيكو سلافيين الى فرنسا لتدريبهم وتسليحهم بطريق السكة الحديد السيبيريه . إلا أن هؤلاء الجنود لم يكادوا يصلون الى سيبيريا حتى ادبروا ضد البولشفيين انفسهم لان الاتفاق لم يعد يرجو الخير من الحكومة السوفيتية لاعتقاده انها ترتكز على قوة المانيا فاخذ الجنود التشيكوسلافيون يقاتلون حكومة موسكو

على أن الحكومة السوفيتية لم تكن مخلصة لنا كما يظن الاتفاق بل كانت تعمل على الاضرار بنا وعلى عدم الوفاء بوعودها واتفاقاتها. ولو كانت مخلصة لاعادت اسرانا الموجودين في سيبيريا بالقطارات التي تحمل الجنود التشيكوسلافيين ، ولكنها لم تنفذ شروط المعاهدة الصلحية

واتخذ الاتفاق له جبهة جديدة في الروسيا على ضفتي الفولجا الاوسط حشد فيها الجنود التشيكوسلافيين

وأرسل الاتفاق جنوده من طريق البحر الابيض الي شمال الروسيا ليتقدموا بواسطة نهر الدوينا وجنوداً اخر يتقدمون بواسطة السكة الحديد المورمانية . الا أن حركات هذه الجنود لم تكن ذات شأن يذكر لان مياه البحر الابيض تجمدت ولاننا الفنا قوة من بعض الوحدات الالمانية والجنود الفنلانديين تحول دون تقدم الجنود الاتفاقيين وعمد البولشفيون الى نسف السكك الحديدية التي يريد الاتفاقيون استخدامها في نقل جنودهم

وفي غرب مجري الفولجا الاسفل يمتد قوزاق الدون على طول مجرى الدون الى البقاع التي تحتلها . ويتولي زعامة هؤلاء القوزاق القائد كراسنوف

وهو عدو البولشفية الالد ويكافح جنودها الا انه مفتقر الى الاسلحة والذخائر . فأوجدت صلات بينه وبيني لاحول دون ارتباطه بالاتفاق . الا ان الحالة السياسية كانت مبهمة بدرجة جعلتني لااوافق على مسلك الحكومة الامبراطورية المشوب بالملاينة تجاه البولشفيك ، ومن جهة أخرى فان القائد كراسنوف لم يكن معادياً للاتفاق بل للبولشفيك فقط . وعلى كل حال لقد نجحت في منع هذا القائد من ممالأة الاتفاق جهاراً وجعلته حليفاً لنا . ولو قررنا الزحف علي موسكو لصرح جهرة بالانضمام الينا

وكان الكسيف موجوداً مع متطوعيه فى البقاع الخصبة الفسيحة المنبسطة في أقليم كوبان ما بين قوزاق الدون والقوقاز وهو في مشادة ومصادمة على التوالى مع البولشفيين . الا أن قلة الاسلحة والذخائر لديه بالمثل جعلت البولشفيين يتفوقون عليه . وهذا القائد روسى صادق الوطنية ولو رأى منا ممالأة صادقة على البولشفيك لما تأخر عن الانضمام الينا . الا انه كان تحت نفوذ الانجليز لانه لم يجد له عضداً سواهم . وفي أوائل أغسطس أقبل عدة الاف من البولشفيين من جانب ازوف الجنوبي الغربى مجتازين بحر ازوف على الرغم من استمرار حكومة موسكو على تأكيد ميولها السلمية حيث نزلوا على مقربة من تاجانروج ، فلم يلبث الجنود الالمانيون أن استأصلوا شأفتهم . وابتدأ مركز متطوعى أقليم كوبان يتقوى ازاء البولشفيين ابتدأ من شهر أغسطس . وطلبنا من حكومة البولشفيين أن تعيد البواخر الحربية التي فرت من سيباستبول الى نوفوروسيسك والا اضطررنا الى اجبارها على العودة . فقبلت حكومة السوفييت إعادة هذه البواخر ولكن لم يعد منها سوى عدد قليل وبقية البواخر اغرقت فى ثغر نوفوروسيسك ، فاظهرت البولشفية انها ذات ميول وطنية قوية على غير ما كانت تزعمه من.

قبل . واشترطنا على هذه الحكومة استخدامنا بواخرها الحربية في أغراضنا العسكرية الى نهاية الحرب بيد اننا لم نجن من استخدامها فائدة تذكر

وفي شهر يونيه كان البولشفيون لا يزالون مستولين على بقاع مجرى الفولجا الاسفل وعلى بحر قزوين لان هتين الجهتين ذاتا شان عظيم في حياة الحكومة السوفيتية لاستمدادها منهما الزيوت المعدنية والمواد الغذائية بعد ان فقدت حوض دونتز الفحمى وحبوب اوكرينيا واقليمى الدون وكوبان .

وكان العثمانيون مرابطين امام باكو ومستقرين في شمال ايران ولكن من غيران يخطوا خطاهم فى الزحف الى الامام . وعلى مقربة من انزلى على شاطيء بحر قزوين الجنوبي يرابط الانجليز حيث نظموا مواصلاتهم الى اقليم خوبان :

والتزمت حكومتنا ازاء هذه الفوضى السائدة على الروسيا خطة سياسية رخوة جانحة الى ممالأة الحكومة السوفيتية منعتنا طول فصل الصيف من أنشاء جبهة جديدة لنا في الشرق . فادت هذه الخطة الى تقوى النفوذ البولشفى بالطبع . واضطررت الى الرضوخ لهذه الحالة التي لم اكن موافقا عليها . ولقد خاطبت المستشار فيما ينجم من العواقب الوخيمة من اتباع هذه الخطة فذكر لى انه مكره على مجاراة الشعور المتغلب على البلاد الالمانيه . ولقد كنت اعذره فيما ينتحله من السبب لان الحالة الداخلية كانت سيئة الى درجة توجب القلق . لقد كان في وسعنا من الوجهة الحربية ان نضع يدنا بالاتحاد مع الفنلانديين على بتروغراد بلا عناء كما كنا نستطيع بالمثل ان نضع اليد الاخرى بالاتحاد مع قوزاق الدون على موسكو . والقوات الالمانية الضئيلة التي تحتل البقاع الروسية الفسيحة كافية

لانجاز هذا المشروع بدون احتياج الى اي مدد . فكنا نقضي على البولشفية التي تريد القضاء على نظامنا الاجتماعي ونقيم حكومة اخرى نظامية نبرم معها معاهدة صلح اخرى خلاف معاهدة بريست ليتوفسك ونتخذ منها حليفة جديدة صادقة نستعين بها على مواصلة الحرب الى النهاية المقرونة بالظفر .

ولقد كانت حكومتنا عمياء عن المساعي الخفية التي يسعاها السفير جوف في بلادنا ، ولم ينبهها الى سوء نية البولشفيين حادث ماحتى اعتدائهم على حياة سفيرنا في موسكو . بل لقد بلغ من ثقتها بحكومة السوفيت ان همت بارسال اسلحة وذخائر الى هذه الحكومه . واراد البولشفيون ان يصرفوا نظر حكومتنا عن دسائسهم الخفية ضدنا فشرعوا يتفاوضون في وضع الاتفاقات التفصيلية لمعاهدة بريست ليتوفسك فتعهدوا لنا بايراد كثير من المواد الاولية وبنقل الفحم والغلال التي نستمدها من البقاع المحتلة بواسطة سككهم الحديدية ولم نتعهد لهم بشيء هام في نظير ذلك كله وكان اهم مايطمعون فيه ان نحول دون احتلال تركيا باكو . وتعهدنا لهم من تلقاء انفسنا بالجلاء عن البقاع التي احتللناها في فبراير من الروسيا الكبرى على مقربة من برسيننا والدون بمجرد دفع اقساط الغرامة الحربية ، وكنت أحسبهم لن يدفعوا هذه الغرامة الا انهم دفعوا اقساطها الاولى فيما بعد

وسمح لنا المستشار في المؤتمر الذى عقدناه في سبابايفاد الكولونيل كريس القادم حديثاً من الجبهة الفلسطينية الى جورجيا لتنفيذ خطتنا السياسية هنا لك ومعه حرس مؤلف من بلوك او بلوكين . فذهب الكولونيل كريس الى جورجيا واخذ يعمل لتزويد المانيا بالمواد الاولية

ولا سيما البترول الذى اشتدت حاجتنا اليه . فانقذنا من الازمة التي كنا سنقع فيها من جراء تفرد تركيا بموارد تلك البلاد . ولا ننسى انها عند ماوضعت اقدامها في باطوم استولت على كل ماكان مخزوناً فيها ولم تنلنا منه شيئاً . فلو انتظرنا رحمتها عند استيلائها على خيرات جورجيا لاضعنا وقتنا سدى وفرطنا في مصالحنا الحيوية . ولقد اسفت لاغراق البواخر الروسية لانها كانت تفيدنا فى نقل البترول . على ان الكولونيل كريس استطاع ان يستخدم سكة حديد القوقاز الممتدة مابين باطوم وتفليس وباكو بالاتفاق مع الاتراك فى نقل البترول بمركبات الصهاريج العديدة في هذا الخط .

على ان رغبة البولشفيين في منع الاتراك من احتلال باكو حالت دون اقترابنا نحن من هذه المدينة واذ كان الانجليز قد اصبحوا على مقربة منها فى شمال العجم ولم يقف الاتراك حجر عثرة في سبيل تقدمهم فقد ابحرت قوة بريطانيـة من انزلى الى باكو عابرة بحر قزوين واحتلت هذه المدينه . فلم يسعنا الا ان نبادر باعداد حملة صغيرة لاسترداد باكو بالاشتراك مع جنود نورى اخ انور الذى يقود القوى العثمانية المخيمة في البقاع القوقازيه . وفيما نحن نعد حملتنا اغار نورى على ثغر باكو وانتزعه عنوة من البريطانيين وطرحهم الى الشاطيء الجنوبي من بحر قزوين .

وحدثت على اثر ذلك سقطة بلغارية التى شطرت جبهتنا الشرقية فعجلنا بسحب جنودنا من رومانيا .

واردنا ان نحدث حركة شديدة في شمال ايران فوزعنا جانبـا من الاسلحة التي اخذناها من اوكرينيا على القبائل الفارسية المشايعة للاتراك فما زادت هذه القبائل على ان احتشدت بجانب القوة العثمانية الاساسية في باطوم وقارص .

انى لم اكن اذهب في حركاتنا الشرقية الى أحلام بعيدة التحقق طامعاً في السيادة العالمية كما اني لم ارم الى الاستيلاء على بقاع في اوكرينيا وفي القوقاز ، بل كل ما كنت آمله من هـذه الحركات تحسين حالتينـا العسكرية والاقتصادية الحربيه . فأردت تجنيد عدد عظيم من اهالى هذه الجهات للاستعانة بهم في الاعمال الحربية المختلفة واستخدام مقادير عظيمة منهم في داخل المانيا لأخذ ما عاثلها من العمال الالمانيين الذين يكسبوننا التفوق العددى في الجبهة الغربية . وكذلك كنت آمل ان استفيـد من العناصر الالمانيه المنتشره في الاصقاع الشرقيه . كما اني اردت ان استمـد من هذه الأمصار الغنية سائر المواد الأولية فنكون قد كسرنا حلقة الحصر التي طوقت بها المانيا . وبهذه الطريقة تنتعش قوانا الجسمانيـة والنفسية فنستمر على الحرب بغير فتور . بيدان اعمالنا في الشرق كانت ضعيفـة بطيئه . ولم اشأ استخدام القوي العسكرية في صبغ العناصر الاخرى بالصبغة الجرمانيـة بل كل ما كنت ارجوه ان اسعى لتوحيد وتقوية الجامعة الجرمانية في الاراضى التى تقطنها العناصر الجرمانيه . وقد قدم لى بعض اصدقائى مبالغ طائلة من الأموال انفقتهـا على الصحافة النمسوية لتقوية الرابطة الجرمانية . وكذلك كنت اسعى في حماية العناصر الجرمانية الموجودة في الامبراطورية الروسية القديمه . هذه دائرة ميولى واعمالي لاجل الجامعة الجرمانيه .

واذ كانت المسألة البولونيـة من اهم المشاكل التي تعرقل مساعينا الجرمانيـة في البقاع الروسية التي تشغلها العناصر الجرمانية فقد اردنا ان ننهى هذه المسألة بوضوح تام بيننا والنمسا . وكان الـكونت كزرنين قد فارق وزارة الخارجيـة النمسوية واخلفه الـكونت بوريان فرجونا من

حكومتنا ان تنتهز هذه الفرصة وتفض هذه المشكلة مع الوزير الجديد . ولكن حكومتنا لم تصل الا الى ابرام اتفاق لا يتضمن شيئا يقيد خطوات النمسا فاستمر بوريان على مواصلة خطة كزرنين بعناد .

— ٨ —

ثم استعدادنا للهجوم الثالث العظيم على النسق الذي تم به التأهب للهجومين السالفين ، فزودنا الجيوش بكل مايلزمها ورتبنا اعمال كل جيش على حدة . وكنا حددنا يوم ١٢ يوليه لوثوب مجموعة الوريث الالماني ولكن اوجه النقص التي بدت اخيرا حماتنا مع الاسف الشديد على ارجاء الشروع فى الوثوب الى يوم ١٥ . وعهدنا الى الكولونيل بروخمولر الاشراف على مدفعية مجموعة الوريث الالماني من الوجهة الفنيه واردنا أن يكون هجومنا مفاجأة فبذلنا كل ما فى وسعنا لكتم انبائه وستر أعماله غير أن العدو علم بمقاصدنا على الرغم من الوسائل الشديدة التى اتخذناها لتضليله وصرف نظره ولم يعلم العدو بعزمنا من طريق واحد بل من عدة طرق . فمن ذلك ان أحد ضباطنا عبر المارن سباحة والقى بنفسه أسيراً بين يدي العدو وافضى اليه بتفاصيل مقاصدنا وكذلك فعل أحد الضباط المشتغلين باعمال المدفعية الادارية الذى سقط في أسار الاعداء فافشى لهم كثيراً من أسرارنا . ولغط الشعب الالماني بشدة في عزمنا على مهاجمة ريمس وانتهى لغطه الى اسماع الفرنسويين . وحاولت أن اخفى عن علم الشعب الالمانى مقاصدنا الا أن الجنود الذين كانوا يذهبون بالاجازة الى الداخل لم يستطيعوا ان يعقلوا السنتهم . وكنا قد منعنا انصراف الجنود الى ذويهم مدة طويلة أثناء الهجومين السالفين فلم نستطع الاستمرار على

المنع لان هذه الاجازات هي خير ما تهديه القيادة الى رجالها مكافأة على صبرهم الجميل

وبلغنا في أثناء الاستعداد من بعض الهاربين من جنود العدو الينا انه عزم على القيام بهجوم عظيم مصحوب بالتانكس من غابة فيلير كوتريه فاعددنا لصد هذا الهجوم خيرة الفرق الموجودة لدينا ولكن هذا الهجوم لحسن الحظ لم يحدث ولعل العدو أدرك استعدادنا لدرئه فعدل عنه

وهجمنا في صباح ١٥ يوليه . فعبرنا المارن بنجاح باهر على الرغم من استعداد العدو بدرجة مدهشة لصد اندفاعنا . بل لقد اقتحم الجيش السابع ما بين المارن والاردر معاقل في منتهى المناعة دافع حماتها عنها دفاع المستميت . ومنيت الفرق الايطالية التي كان من نصيبها المرابطة هنالك بخسائر تتخطى كل وصف

والتقت جنودنا على بعد خمسة كيلو مترات تقريباً في جنوب المارن بالعدو في قوة وعلى استعداد للدفاع فلم تستطع التغلب عليه الا بعبور النهر وعلى أثرها عدة بطاريات ، وهنا استتب الكفاح في مكانه . واستولينا بالمثل على متسع من الارض يمتد مع مجرى النهر صعداً في اتجاه الاردر يوم ٢٦ بعد وقائع حامية

وتراجع العدو من أمام الجيشين الاول والثالث بنظام الى خط استحكامه الثاني الذي وقف زحفنا عند بلوغه على طول امتداد الجبهة . وفي ظهر يوم ١٦ صدر أمر القيادة العليا بالامتناع من التقدم وباعداد الجيشين الاول والثالث لالتزام خطة الدفاع وانتزعت منها عدة فرق . لقد أصبحت مواصلة الزحف غالية الثمن فوجب علينا الاكتفاء بما تيسر لنا من تحسين مراكزنا واسترداد القمم التي انتزعت

منا في ربيع ١٩١٧ فضلا عن المنطقة المستطيلة التي ثغرناها في جبهة العدو. وظلت الفرق التي اجتذبت الى الخلف تحت تصرف الوريث الالماني والقيادة العليا باعتبارها قوة احتياطية . وكنت آمل خيراً كثيراً من استراحتها واستعدادها للعمل.

واذ قررنا وقف الزحف فقد صار من الخطل ابقاء جنودنا على شاطىء المارن الجنوبي فى بارزة محفوفة بالمكاره . فصار من الواجب استرجاعهم الى الضفة الشمالية . غير أن عبور النهر فى هذه الآونة كان مستحيلا لان الجسرين الممكن الارتداد عليهما كانا تحت طائلة النار المندلعة عليهما من بطاريات الاعداء وقذائف الطيارات فتحتم الانتظار الى أن يتهيأ إعداد المعابر اللازمة لعبور الجنود النهر. وتحددت الليلة الواقعة بين ٢٠ و ٢١ لانثناء جيشنا الى الضفة الاخرى . ولقد قضى جنودنا هذه الايام في أعسر موقف بشجاعة نادرة المثال

ولم يبق سوى شمال المارن صعدا مع الاردر مجالا لمواصلة الهجوم للاحداق بريمس عن كثب وللاستيلاء عليها اذا أمكن . فصدرت التعليمات اللازمة للقيام بهذا العمل الى مجموعة الوريث الالماني فى يوم ١٦ وعلمت من البحث الذي دار في ريفيل ان متابعة الهجوم لا تتيسر قبل بضعة أيام تتم فيها الاعمال التحضيرية

وظلت القيادة الالمانية العليا متجهة الفكر الى إعادة الهجوم في الفلاندر على الرغم من أن ضعف قوة العدو هنالك لم يتم كما كان منتظراً واستمرت حركة نقل المدافع وقاذفات الالغام والطيارات من منطقة ريمس الى جبهة الفلاندر طول يوم ١٦ والايام التالية . وذهبت بنفسي في الليلة الواقعة بين ١٧ و ١٨ الى المعسكر العام لمجموعة الوريث روبرخت مستعلماً عن سير

التأهب . وفي ضحوة يوم ١٨ بينما كنت أتداول مع هيأة أركان الحرب وصلتني الانباء الاولى عن الثغرة التي افتتحها الفرنسويون في جبهتنا الكائنة في الجنوب الغربي من سواسون، وقد هجموا فجأة بعربات الهجوم وافادتني مجموعة جيوش الوريث الالماني في الوقت عينه انها أرسلت بالاتوموبيلات النقالة على جناح السرعة الجيوش التي كانت معدة للهجوم على شاطىء الاردر الى ساحة القتال . فاصدرت الأمر في الحال الى الفرقة الخامسة من المشاة المعسكرة في الشمال الشرقي من سان كنتان بالانتقال بالسكة الحديد الى الناحية الشمالية الشرقية من سواسون وانهيت المداولة مع مجموعة الامير روبرخت وانا متوتر الاعصاب وابت الى افين . وفي هذا اليوم رأيت الامير روبرخت لآخر مرة ونحن على أحسن علاقة .

وعند بلوغي افين استقبلني الفيلد مارشال وعلمت منه أن موقفي الجناح الايسر من الجيش التاسع والجناح الايمن من الجيش السابع في حرج

هاجمنا القائد فوش عبثاً يوم ١٨ في ساحة شامبانيا وعلى جبل ريمس ما بين الاردر والمارن وفي جنوب المارن ، إلا انه استولى على بقاع فسيحة فيما بين الاورك والاين . فعمد في هذه الجبهة الى تمهيد مدفعي قليل إلا انه ذو نيران حامية ثم كسا الافق بضباب صناعي وأرسل المشاة مزودين بمركبات هجوم عديدة جداً بدرجة لم تعهد من قبل في مكان واحد . فاندفعت هذه القوة المفاجئة تحت غشاء الضباب الكاذب ، واجتازت عربات الهجوم مواقعنا حتى اذا ما استدبرتها انحدر منها جنودها وسلطوا مدافعها الرشاشة على ظهور رجالنا الذين لم يثبت أكثرهم لشدة ما عراهم

من الدهش . والفرقةالتي كنا نحسبهاأشجع الفرق وهي مرابطة في الجنوب الغربي من سواسون اضطرت الى التنحي عن مكانها . والفجوة التي انفتحت هنا لم تلبث ان اتسعت من جوانبها ولا سيما فى اتجاه سواسون . وكانت توجد ثلاث فرق على مقربة من هـذا المكان منهوكة القوى لم تستطع أن تقاتل على التعاقب بل اتحدت و تمكنت من صد العدو فوق الربي المصاقبة سواسون من الجنوب الغربي . وأمكن صد الهجوم بين الاورك والمارن واضطرت مقتضيات الاحوال جنودنا الذين يقاتلون في شمال الاورك الى الارتداد من جراء اندفاع العدو بشدة متناهيه الى الجنوب

هذا ما علمته في الساعات الاولى من وصولى الى آفين فالمسألة اذن كرة قوية قام بها القائد فوش على بارزتنا الناتئة بين سواسون وريمس وقد اشتركت فيها فرق انجليزية بالمثل.وقد فشلت وثبة العدو على الاردر وأوصله وثوبه على سواسون الى اكتساح بقاع عظيمة واضطرت الفرقة الخامسة التي كانت تقلها القطارات الى سواسون الى النزول بعيداً عنها في وادى الايليت لان المدفعية شرعت ترسل حممها على محطات هذه الجهة ، فدعا تأخرها عن خوض غمار الوغى الى الغم الشديد . واستطاعت الفرقة العشرين الوصول الى المكان المقرر لها في مساء ١٩ . ولم يمكن الاعتماد في أعمال الدفاع على الفرق الاخري اللواتي سيرتها مجموعة الوريث الالماني إلاّ فيما بعد . فالمنتظر اذن أن تزداد الحالة توتراً . ولم يعد من الميسور التعجيل باسترداد الجنود الموجودين في جنوب المارن لعدم الاخلال بالنظام العام ، اذ تقرر استرجاعهم فى نفس الوقت الذى يتراجع فيه الجنود المرابطين في شاتوتييرى أى فى الليلة الواقعة بين ٢٠ و ٢١

واستمرت مجموعة الامير روبرخت تستعد للهجوم على الرغم من الفرق اللواتى اقتطعن منها

وزال خوفي مؤقتاً على الجيش الثامن عشر والجناح الايمن من الجيش التاسع لان العدو لايسعه الوثوب في كل مكان .

وظل يوم ١٩ حرجا بالمثل ولم يستول العدو على أراض تذكر فى اتجاه سواسون . وأما من الجهة الجنوبية فقد اجتاز في الواقع الطريق الموصلة من سواسون الى هارتين الا انه رد على أعقابه في المساء بهجمة قوية عليه من الفرقة العشرين ، فاستقرت الحالة حينئذ في هذا المكان ومع أن العدو اكتسح بقاعاً واسعة في الجنوب الغربي من هارتين فانه لم يصل الى نتيجة حاسمة . واخفقت الوثبات التي قام بها الامريكيون فى شاتو تيرى كما اخفقوا في اليوم السالف . وكذلك أخفق العدو في جنوب المارن وبين المارن والاردر وفي شمبانيا . واذ ذاك تحسنت الحالة بوجه عام تحسناً عظيما والجنود الذين تغلب عليهم الذهول يوم ١٨ كافحوا كفاحاً جيداً يوم ١٩

وفي يوم ٢٠ تمكنت الفرقة الخامسة من بلوغ سواسون كما وصلت فيه فرق اخرى الى الاورك

وأخيراً تحريت أسباب الفتور الذى طرأ على عزائم جنودنا وجعلهم يمكنون العدو من الكر عليهم بمثل هذا النجاح فعلمت انها عديدة ، فمنها أن الوحدات كانت ناقصة نقصاً كبيراً لم يتيسر اكماله بعد الهجمات السابقة ومنها ان الاكل الرسمى لم يعد كافيا لتقوية الاجساد فتغلب عليها الهزال والضعف ، ومنها ان آثار الحمى التي انتشرت فى الجيش كانت لاتزال باقية لدى الجنود ، ومنها أن الفرقتين اللتين كانتا فى القطاع الاوسط من الهجوم لم تكونوا قد ارتاحتا بعد من متاعب المعارك السالفة ، وفضلا عن ذلك فان العدو لم يشعر جنوده بعزمه على الهجوم الا قبيل الشروع فيه ببضع ساعات ، والانباء التى أرسلت الى خطوطنا الاول قبل مباشرة الوثوب بقليل

جداً لم تصلنا . ويضاف الى كل هذه الامور جمع العدو عربات هجوم عديدة لم ير لها مثيل في احد الميادين واحتجابها بالغلال الطويلة التي سترتها عن الانظار . ولكن بعد أن أفاق الجنود من دهشة المفاجأة في يوم ١٩ استردوا عزائمهم وصلبت أعوادهم على العدو . ومما لوحظ في هذه المعركة أن المشاة لم يوفقوا بين حركاتهم وأعمال المدفعية بل انطلقوا مسرعين الى الامام قبل الاوان ، وهذا شيء محمود الا انه يفسد الخطة المرسومة من قبل . وبعد استقرار الجنود في أماكنهم جيء بالاحتياط على عجل تلافيا لكل وثوب جديد من قبل العدو وتأهباً للكر عليه

واقتضت المعركة الدائرة بين الأين والمارن توحيد العمل ، ولهذا ألحقنا الجناح الايسر من الجيش التاسع بالجيش السابع . ودفعنا حملات شديدة قام بها العدو في أهم نقط هجومه في جنوب سواسون وفي الجنوب الغربي من ريمس يومي ٢٠ و٢١ بجموع كثيفة وبعدد جسيم من عربات الهجوم

وفي الليلة الواقعة مابين ٢٠ و٢١ تم ارتداد جنودنا المرابطين في جنوب المارن الى الضفة الشمالية بنظام بديع اذ لم يهجم الفرنسيون على هذه الجنود في يوم ٢٠ . وحينما هجموا في ٢١ على الضفة الجنوبية وجدوا مواقعها خاوية على عروشها . وعلى أثر هذا الارتداد عدلنا مراكزنا في الغداة بين الاورك والمارن وبين المارن والاردر لتكون الجبهة محكمة

وحدث سكون يوم ٢٢ لان كل هجمات العدو صدت وانتهت المعركة في مصلحتنا .

ورأت القيادة العليا ان استمرار جنودنا على احتلال بارزة المارن يعرضهم لأهم الاخطار من عدة وجهات : فمنها ان العدو لاينقطع عن مباغتة هؤلاء الجنود ولا سيما الجيش السابع ، ومنها انه يستطع بارسال

قذائفه الساحقة من مدافعه ذات المرمى البعيدان يجعل حركة النقل والتموين بالسكك الحديدية عسيرة جدا فنضطر الى استخدام الاتوموبيلات النقالة وهذه توقعنا في أزمة السوائل اللازمة لتسييرها . فبقاء الجنود فى هذا النتوء يجعل غذائهم رديئا جدا ، ، وفي هذه الحالة يصبح موقفهم حرجاً امام عدو حاصل على ميزات عظيمة تجعله أحسن مركزاً واشد مراسا . وكل فوز يمكن ان يحرزه العدو في جهة سواسون أو على الاردر يتخذ شكلا فى منتهى الخطاره . ومن المستحيل ثباتنا مدة طويلة في هذا النتوء المستقل بنفسه في امتداد الجبهة ، وقد تبينا عقم الانقضاض على ريمس . وعلى ذلك قررت القيادة العليا يوم ٢٢ يوليه مساء الانثناء الى خط مستحكم يمتد من فيران تاردنوا الى فيل ان تاردنوا وان تبتدىء حركة التراجع فى الليلة الواقعة بين ٢٦ و٢٧ يوليه . وعزمنا على التأخر الى مايلى الفيل للاستحكام في خط مستقيم يصل مابين سواسون وريمس في اوائل اغسطس . ولا بد لنا قبل هذا النكوص ان نتخلى عن وادى الفيل الذى نحن فى اشد الحاجة الى الاستفادة بموارده الغذائية الفياضه . وهذا الرجوع سيمكننا من اختصار جبهتنا فنقتطع منها قوات نستخدمها في مشروعات اخرى الا ان العدو سيختصر جبهته بالمثل ويستغنى عن شطر كبير من قواه يمكنه ان نهاجم به اماكن اخرى . ولم يعد في وسعنا التغاضى بعد الآن عن حالة الضعف الطارئة على الجيش الثامن عشر والجناح الايمن من الجيش التاسع فلا بد من تقويتهما بنجدات نستقدمها لهما من مجموعة الأمير روبرخت .

ورات القيادة العليا ان الوثوب في الفلاندرلن يؤدي الى انتصار سريع حاسم لان العدو يستطيع ان يتاهب لملاقاتنا ويستقدم فى حالة تصميمنا على موالاة مهاجمته قواه الاحتياطية العظيمة ويصدنا مرة اخرى

كما فعل فى ١٠ و ١١ يونيه ، وعلى ذلك قررت القيادة العليا ان تلتزم مجموعة الوريث روبرخت الدفاع وان تزود الجيوش الثامن عشر والتاسع والسابع بالنجدات اللازمه .

ودعيت مجموعة جيوش الدوق البرخت الى اعداد مشروع للهجوم .

وفي ٢٣ حدث هجوم في منتهى الشدة صد بنجاح باهر على اغلب امتداد الجبهة . ولم تحدث في الأيام التالية سوى وقائع محلية كان نصيبها الاخفاق

ونفذ التراجع المقرر ليلة ٢٦ — ٢٧ باحكام ونظام تام . وعمد القائد فوش فى الأيام التالية الى القيام بهجمات قوية الا انها غير مثمرة لم تؤد الى اكتساح أراض سوى في التلاع الناهضة فى الشمال الغربي من فيران تاردنوا يعتبر الاستيلاء عليها غير موافق لنا من الوجهة الخططيه . وافادت تقارير الجبهة ان العدو اصيب بخسائر دموية فادحه .

وفي الليلة الواقعة بين اول وثانى اغسطس نقلت الجبهة الى ماوراء الفيل حيث كانت تقيم جنود متاهبة للذود عنها في موقع تمت اقامته منذ وقت قريب جدا . واندفع العدو خلف جبهتنا المتراجعة واثبا على مجرى الفيل فرد على اعقابه في كل مكان . وكانت هذه خاتمة المعركة الدفاعية المتحركة بين المارن والفيل التي دافع فيها الجنود الالمانيون ورؤساؤهم دفاعا مجيداً على الرغم من حرج مركزهم وعلى الرغم من وقوع بعض حوادث لايعتد بها ازاء الحالة العامه

وفدحت الخسائر فى هذه المعركة كما فدحت في سائر الخسائر السابقة ولا سيما في يوم ١٨ وفي الوقائع الدفاعية التي حدثت في الايام التالية على الرغم من اننا اعدنا كثيرين من جرحانا الي صفوفهم بعدمدةوجيزة وعلى

بالرغم من قلة اسرانا . وبلغ من فداحة خسائرنا ان حللنا عشر فرق وزعنا مشاتها على الفرق الاخرى بصفة امداد لهن . واجتذبنا سائر الوحدات التي اشتركت في الكفاح الى الخلف لاصلاح شؤونها واراحتها . ولم اصل الى تحرى حقيقة الخسائر التي مني العدو بها منذ ١٥ يوليه ، على انها لابد من ان تكون فادحة جداً بالنظر لاتباعه طريقة الهجوم بالجموع الكثيفة التي انتهجها الاتفاق في كل وثباته ، وعلى كل حال فهي لاتقل عن خسائرنا. بل لقد بلغت من الجسامة ان اضطرت فرنسا الى حشد السنغاليين والمراكشيين في صف القتال سد العجز وتوفيرا في دماء ابنائها .وعظمت خسارة الفرق الامريكية الست بلاجدوى الى حد ان حلت احداها لتسد بالبقيه المتخلفة من جنودها النقص الحادث فى الفرق الاخرى . وكذلك كانت خسائر الايطاليين والانجليز هائله.ولم يقاتل الفرق الست الامريكية سوى فرقتين المانيتين احداها عاملة والاخرى احتياطيه .

واعدت مجموعة ولى العهد روبرخت فرقها المستريحة للصراع الدفاعى واصبح الجيش الثامن عشر والجناح الايمن من الجيش التاسع قويين .

لقد اخفقنا في محاولتنا حمل الشعوب المتفقة على الصلح بانتصار السلاح الالماني قبل دخول التشكيلات الامريكية الجديدة حومة الوغى فاصبحت اعتقد بعد هذا الاخفاق ان موقفنا صار في منتهى الحرج .

وفي مفتتح اغسطس اضحينا على قدم الدفاع فى سائر امتداد الجبهة والكف عن الهجوم ليس بالامر المستغرب فقد تكرر فى ٢١ مارس و٢٧ مايو . فالحاجة الى الراحة ضرورية اثر كل معركة الا اننا لم نكن على يقين مما اذا كان العدو سيسمح لنا بها .

وكنت اذهب الى ان العدو سيقوم بوثبات متعددة ولكنه لن ينشب

فى الوقت الحاضر معركة كبرى لانه منهوك القوى مثلنا فهو احوج الى الراحة منه الى استتباع الهجوم . على ان الهجمات التى باشرها العدو من ١٨ الى ٢٠ اغسطس عاجما بها عودنا في مواقعنا الجديدة جعلته يغير اعتقاده القديم في صلابتنا وقوة ارادتنا فعدل عن الراحة وصمم على مواصلة الصراع .

وكنت اعتقدامكاننا دفع كل الهجمات المتفرقة بوقائع محلية غير ذات بال كما حدث من قبل . وأردت ان أحدث تعديلا جديداً يزيد الجبهة قوة فأوجدت مجموعة جيوش جديدة يتولى رآسة قيادتها القائدالفون بوين ورآسة اركان حربها القائد لوسبيرج وتتألف من الجيوش الثاني والثامن عشر والتاسع . ولقد قلت للقائد بوين انى اخترت له منطقة من امنع مناطق الجبهة إلاّ انى مع الاسف كنت واهما

وعلى كل حال فان الموقف الجديد كان يستدعى اهتمام الحكومة والشعب وان كنت لا أزال مطمئناً . وخاطبت المسيشار في هذا الصدد ثم علقت أباحث ضباطى في الآمال التي ترتسم في مخليتي ، وفيما نحن كذلك اذ فاجأتنا الصدمة الاولى يوم ٨ أغسطس



خواتم الوقائع

في صيف ١٩١٨ وخريفه

— ١ —

ان يوم ٨ أغسطس هو تذكار حداد الجيش الالماني في تاريخ هذه الحرب . وما عهدت في حياتي اشأم من ساعاته سوى تلك الاويقات التي تداعت فيها الجبهة البلغارية ابتـداء من ١٥ سبتمبر فقوضت دعائم التحالف الرباعي

بعد أن صحت عزيمة القيادة العليا على التزام خطة الدفاع قررت اجتذاب جبهة سهل الاين ابتداء من أول أغسطس بالتدريج الى الخلف والتخلي عن رؤوس الجسور الممتدة على الآنكر والآفر في شمال السوم وجنوبه فاخليت هذه الجسور يومي ٣ و ٤ اغسطس

ورجوت من القائد الفون كوهل أن يتفقد وسائل دفاع الجيش الثاني في الجبهة الممتدة بين البير وموريل فرفعت الفرق المتعبة وازدحمت الجبهة بالوحدات المتلاصقة وغصت بالمدفعيات ورتبت الجنود في صفوف متلاحقة على استطالة عميقة . وتم التأهب وفاقا للتجارب الاخيرة المستفادة من معركة ١٨ يوليه

وفي صباح ٨ اغسطس فاجأنا الانجليز بجلباب من الضباب الطبعي الذي زاده كثافة الضباب الصناعي في جبهة البـير موريل وكانت جنود

الهجوم مؤلفة بنوع خاص من الاستراليين والكنديين والى جانبهم الجنود الفرنسيون وهم مصحوبون بعدد جسيم من مركبات التانكس ، ولم يكونوا متفوقين علينا في سائر الاشياء الاخرى تفوقا عظيما . فلم يلبثوا أن تغلغوا فى خطوطنا الى بعد عميق ما بين السوم واللايس . وباغتت التانكس أركان حرب الفرق فى معسكراتهم ثم اتسع نطاق الثغرة حتى تخطى اللايس ، فرأى الجنود الذين كانوا لا يزالون يقاتلون بشجاعة في جهة موريل أنفسهم مطوقين . وأما من الجهة الشمالية فان السوم صار حائلا دون زحف العدو وتلقى جنودنا الذين يقاتلون في الشمال وثوب العدو عليهم بمثل هذه الشدة غير انهم تغلبوا عليه . وكانت الفرق اللواتي سحبن الى الخلف منذ أيام قلائل لاراحتهن موجودات فى الجهة الجنوبية الغربية من بيرون فاستغاث بهن أركان حرب الجيش الثاني فلم يسعهن سوى الزحف . وقذفت هيأة أركان الحرب المذكورة في الوقت نفسه بكل القوى المتيسر لها جمعها في هذه الثغرة لسدها . وأرسلت مجموعة الوريث روبرخت قوى احتياطية بالسكة الحديد . وخاض الجيش الثامن عشر حومة الوغى من الجهة الجنوبية الشرقية ، وأرسل شطراً من جنوده الى الجهة الشمالية الغربية من رواي . وأرسل الجيش التاسع بناء على أمرى مدداً على الرغم من تحرج مركزه . وبالطبع ان بضعة أيام قد انقضت فى الالتحام قبل وصول النجدات القادمة الى المعترك . واستخدم عدد عظيم جداً من الاوتوموبيلات في نقل الجنود .

لقد ارتسمت ازاء مقلتي منذ الساعات الاولى من صبيحة ٨ أغسطس صورة كاملة لموقفنا العسكري ، وانها لصورة محزنة جداً . وتمكنت قوى الجيش الثانى الاحتياطية المرابطة فى جنوب رواى أن تحول زحف العدو

عن اتجاهه الى بيرون . واكتسح العدو في اتجاه رواى بقاعا ممتدة الى ضواحى ارفيللير ، واضطرت جبهتنا الممتدة في جنوب الآفر أن تنثني ابتداء من مونديديه . ولقد عزقت ست أو سبع فرق المانية استطاعت أن تثبت في وجه هذا التيار الجارف شر ممزق ووقفت ثلاث أو اربع فرق أخريات مع حطام الفرق المتقدمة لتسد الفضاء المتسع المترامى بين براى ورواى . فالحالة اذن فى منتهى الحرج ولو تهيأ للعدو الاستمرار على الهجوم بمثل هذه الشدة لتعذر علينا الثبات في غرب السوم . وصار من الضرورى بقاء الجيش الثانى في موقفه هذا بينما يتراجع الجيش الثامن عشر بجناحه الايمن الى رواى ويحتفظ بجناحه الايسر بالقمم المشرفة على الماتز . وتحتم تنفيذ هذه الحركات في الليلة الواقعة بين ٩ و ١٠ أغسطس فاذا لم نفلح فى تنفيذها فمن الممكن أن يحرز العدو علينا نصراً عظيما . الا أن العدو ولحسن حظنا لم تسعفه قواه على مواصلة هجومه بالشدة الاولى وان كان قد ظل يستولى على أراض بين السوم والآفر وفي شمال السوم بالمثل حيث اضطر الجيش الثاني الى الارتداد بجبهته الى الوراء قليلا ، وامكنه أن يكون له جبهة أضيق من الاولى الا انها على جانب عظيم من التزعزع . واستطاع الجنود في هذا الموقف أن يكافحوا بثبات أكثر مما أبدته الفرق التي قاتلت بالامس بين السوم واللييس . وكان منهج الفرق اللواتي سحبن من الجبهة قبل هذا الهجوم بعدة أيام لشدة ما كابدنه من الاوصاب ممدوحا . وظللنا ثابتين في الجهة الشمالية الغربية من رواي . واستطاع الجيش الثامن عشر أن يقوم بحركته المرسومة في ليلة ٩ — ١٠ وفى الصباح هاجم الفرنسويون بشدة المواقع التى تخلى عنها هذا الجيش باحكام ، وبالطبع قد اضطر الى ترك مقادير كبيرة من الادوات الحربية . وعلى أثر هذا الارتداد تحسنت حالتنا

بين السوم والواز بعض التحسن ، وأرسلنا قوة من الاحتياط لمساندة الجيش الثاني في موقفه .

وكافحنا فى جنوب البير وبين السوم والآفر في يومي ١٠ و ١١ بشدة عظيمة ونجاح باهر لنحتفظ بمراكزنا بينما كان العدو يقوم بحركة اندفاع شديد بين الآفر والواز . وتوالي الصراع فى الايام التالية في نقط مختلفة من الجبهة فثبت جنودنا إلا أن موقف الجيش الثاني ظل مزعزعاً فى حين أن الجيش الثامن عشر استرد قوته الدفاعيه . وبلغت خسائر الجيش الثاني مبلغاً عظيما ، وكذلك قواه الاحتياطية أصيبت بارزاء جسيمة . ودعت فداحة الحال الى توجيه مشاة بعض الفرق الى المعترك عقب انحدارهم من الاتوموبيلات النقالة على الفور وارسلت مدفعياتها الى جهات أخرى . فاختلط بعض الوحدات بالبعض الآخر . ودار في الخلد ان لا مناص من استقدام عدة فرق متلاحقة اذا اريدت تقوية الجيش الثانى ولو انكف العدو عن مواصلة هجومه . والذى زاد فداحة خسائرنا كثرة الاسرى فاضطرت القيادة الى أن تحل بعض فرق لتسد بوحداتها أبواب النقص المتراكمة في الفرق الملتحمة . وحينئذ غاض معين قوانا الاحتياطية ، أما العدو فلم يكن قد استنفد من قواه الاحتياطية الا اقلها . فتغير ميزان القوى تغيراً هائلا ضد مصلحتنا . فكلما توالى مجئ الجنود الامريكية ازدادت كفة العدو في ميزان القوى رجوحاً على كفتنا . ولم يعد لنا أي أمل فى اصلاح حالتنا باتخاذ خطة الهجوم مرة أخرى ، بل كل ما يجب علينا فى هذه الآونة هو الثبات . وأخذت التلغرافات الاثيرية تماوج بعبارات الاستبشار متناقلة أن روح الشجاعة في الجيش الالماني أصابه تطور كبير . واستحوز العدو على عدة وثائق ذات شأن في منتهى الخطارة . ولابد أن

يكون الاتفاق قد تأكد بواسطتها من نفادمواردنا الاحتياطية فحملهذا الامرعلى متابعة الهجوم

وقد ارسلت ضابطا من أركان الحرب يوم ٨ أغسطس ليفيدني عن تفاصيل ما يحدث في الملتحم فوصف لى حالة الفرق اللواتي تلقين الصدمة الاولى فاحدث فى نفسى تأثيراً لم اعهده من قبل . وعلى أثر ذلك استقدمت فرقاءوضباطاً من الجبهةالى آفين لاتداول معهم في تفاصيل ما حدث فشرحوا لى الحقائق على علاتها فقد قاتلت بعض الوحدات قتالا باهراً فى منتهى الشجاعــة بينما حدثت من جانب آخر امور لم اكن اتوقع حدوثها في الجيش الالماني فمن ذلك : ان بعض جنودنا استسلموا لبعض الخيــالة المتفرقين او لفصائل من مركبات الهجوم.او صاحت جنود متقهقرة بجنود منتعشه زاحفــة بنشاط واقدام الى المعترك : « يامفسدي الاعتصاب » و « يامطيلي الحرب» وهي كلمات لابد من ترددها في سائر انحاء الجبهه . ولم يعد للضباط اقل نفوذ.وفي اكتوبر لفت نظري الوزير شايدمان الى ما كان لعمل احدي الفرق من التأثير فى كارثة ٨ اغسطس بما اقدمت عليه من امثال هذه الأمور المحزنه . فاصبحنا ازاء مسألة مستعصية الحل فكل ما يمكن ان ترجوه القيادة العليا من وراء التدابير الحديثة او المشروعات الحربية المبتكرة لتخفيف الازمة لن يجدي نفعا . ان الذي كنت احذره من قبل قد وقع اليوم فلا سبيل الى تلافيه .لقد ساءت الحالة الادبية فى كثير من نفوس الجنود وان كان السواد الاعظم من الجيش لايزال متمسكا بروح الشجاعة والاقدام فمستقبل المانيا الآن معلق بخيط القضاء وكل الادلة تحكم عليه بانه مظلم مشؤوم . ان مواصلة الحرب بعد الآن عبث ولا بد من انهاء القتال .

ان يوم ٨ اغسطس جعل رؤساء الجيوش يرون الألالمانيين كالاعداء والقائد فوش مثلي تماما .

ومن المحتمل جداً، وهذاما اعتقده أشد الاعتقاد، أن تكون الكوارث التي تتابعت منذ ١٥ يوليه قد زعزعت الثقة التي كان يوليني‌ها جلالة الامبراطور والفيلد مارشال ، بل ربما يكون سواي اقدر على ان يرى الحالة اقل تفاقما مما اراها انا فيه . وعلى ذلك رجوت من الفيلد مارشال ان يتخير لمركزى انسانا غيري اذا كنت لم اعد حائزاً لثقته المتناهية في او اذا كانت بعض مقتضيات الاحوال تحتم مثل هذا التغيير . فابى ان يفعل ذلك . وكذا تباحثت مع رئيس المكتب الحربى الامبراطورى فى من يخلفنى اذا ماحامت الظنون حول مركزى . ولكن الامبراطور أبدى لى هذه الايام من الثقة الخاصة بي مالم يبد لى مثله فى الايام الغابرة واني لمعترف له بالجميل على هذه العناية . بيد انى لبثت في قلق لما كان يساورنى من وجوب وقوف الامبراطور بالدقة على سائر تفاصيل الامور كما هى جارية ، فازالوا قلقي من هذه الجهة . ولقد قال لي الامبراطور فيما بعد انه أمسى يعتقد بعد حبوط هجومنا في يوليه وبعد كارثة ٨ أغسطس باستحالة كسبنا هذه الحرب

وقد اقتصر البلاغ الصادر في مساء ٨ أغسطس على القول بأن العدو تدفق بجموعه على خطوطنا في امتداد واسع من جبهتنا القاعة في جنوب السوم . وفي الصباح التالى خاطبنى القائد كرامون من باد ، ذاكراً لى أن بلاغى أحدث انزعاجا بالغا في فينا غير أنى لم أبق لديه خلجة من الشك فى خطارة الكوارث التى المت بنا . فلفتني الى وجوب الاعتقاد عما يحدثه الاعتراف بعدم النجاح من التأثير السيء في حليفاتنا لان المانيا هى التي

تنفث فيهن بمفردها روح العزم والقوة . ولقد حدث هذا بالفعل يوم ٢ سبتمبر

ان التأثير الذي احدثه فشلنا في نفوس حلفائنا كان شديداً وسريعاً ، فاظهر الامبراطور شارل رغبته فى الحضور الى سبا في أواسط اغسطس. ولم يكن من المستغرب حدوث انقلاب فجائي فى خطة بلغاريا التى اسقطت وزارة رادوسلافوولت بدلها وزارة مالينوف الذي لاينطوىعلى عواطف الولاء للتحالف الرباعي . وظهر في سويسرا رجال من كبراء بلغاريا . وأصبح موقف القائد جانتشيف المفوض العسكرى البلغارى يدعو الى الدهشة لانه لم يعد يزور المعسكر العام الاكبر الا نادراً جداً

وما كدت احصل على التفاصيل الوافية لحقيقة الحالة الجاريةفي الميدان حتي عزمت علي الاجتماع باسرع ما يمكن مع المستشار ووزير الخارجية وتحدد لعقد هذا الاجتماع في سبا يوم ١٣ اغسطس ، وتضمن مستشار لامبراطورية والفيلد مارشال ووزير الخارجية الفون هينتز ، ودام يومي ١٣ و ١٤ . وبعد أن وصفت الحالة باجمعها وصفا دقيقا ابديت رأيي بانه لم يعد في وسعنا إدراك الصلح من طريق الهجوم ولا بالتزام الدفاع الذي يلجيء العدو الى الدخول في مفاوضات الصلح بالنظر للروح السيء الذى استولى على بعض الجنود . ثم ذكرت اننا على الرغم مما تقدم سنثابر على البقاء في فرنسا مدة اخري ، وكل ما تمس اليه الحاجة الآن هو ان نثنى بجبهتنا الى خط يكون امنع من الخطوط الحالية . فالذي يجب اذن على الحكومة أن تنهز هذه الفرصة لفض الحرب وابرام الصلح بالطرق السياسية . وعطفت في أثناء هذا البيان على ما احدثه تصريح الامير ليخنوفسكي من المفعول الفظيع . وشددت علي الحكومة بوجوب القاء

محاضرات عديدة متوالية فى هذا الصدد وانشاء ادارة امبراطورية لنشر المعلومات وبث الدعوة الجوابه . ولم يبد الفيلد مارشال رأيا خاصاً ألاّ انه كان اقرب الى التفاؤل الحسن منى . واستنتج الوزير هينتز مما طرق اذنيه وجوب الشروع في مفاوضات صلحية نلتزم فيها جانب الملاينة والتساهل الى درجة عظيمة . ووصف المستشار الحالة الداخلية بايجاز وتكلم بتحفظ شديد في مسألة ليخنوفسكي ولمح الى وجوب عقد المجلس الامبراطورى الاعلى

وفي صباح اليوم التالى عقدت الجلسة برآسة الامبراطور . فبدأ المستشار الـكلام لى بشرح موجز عن الحالة النفسية فى الداخـل ثم انطلقت في تبيان ما شرحتــه بالامس ، وبعد انتهائي من القول اذن الامبراطور لوزير الخارجية بالتكلم فلم يعبأ هـــذا الوزير بالحالة الداخلية بل جعل كل اهتمامه بالمسالتين العسكرية والسياسية الخارجية على النمط الذى أبديت فيه رأيي بالامس واختتم مقاله بموافقتي على مطلبى . وكان متأثراً الى الدرجة القصوى والعبرات تجول في مقلتيه . أما الامبراطور فـكان ثابت الجأش وقد وافق على استنتاج الفون هينتز وكلفه بالشروع في مفاوضات صلحية اذا تيسر بوساطة ملـكة هولاندا واظهر ضرورة اطلاع الشعب على حقائق الامور وإدارة أزمة البلاد بالتضامن والاتفاق والحزم. وختم المستشار الاقوال بوجوب تثبيت السلطة في الداخل وترك الامور السياسية تجري فى مجاريها مع مراعاة مقتضيات الاحوال الموافقة لها . وانفضت الجلسة فصافحت الوزير الفون هينتز وأنا أشد ما اكون تأثرا

وفي هذه الآونة قدم الامبراطور شارل مصحوبا بالـكونت بوريان وبالقائد آرز الى سبا . وتباحثوا مع رجال حكومتنا في مسألة الصلح وكان الـكونت بوريان اثناء الخوض فى المسألة البولونية يتمسك بوجهة نظره

ويصر على وجوب تنفيذها . فالفرصة التي تجيز لنا الفصل في هذه المسألة بما ينطبق على مصالح الطرفين بطريقة عادلة قد أفلتت من أيدينا . ولم أعلم بهذه المداولات الا من الفون هينتز فيما بعد . وأخيراً قرر جلالة الامبراطور أن يكون لبولونيا الحرية الكاملة فى اختيار حاكمها الاعلى على شرط أن تكون مرتبطة من الوجهة الاقتصادية بالامبراطورية الالمانية . ويجب أن أذكر في هذا المقام أن الامبراطور كان شديد المعارضة لكل مشروع يرمى الي ضم بولونيا .

وجرى البحث مع القائد آرز في الحالة الحربية العامة ، فطلبت منه مرة أخرى تقوية الجبهة الغربية بعدد عسوى ولم يكن قد وصل الى الساحة الغربية حتى هذا الحين سوى فرقتين عسويتين . وهذه آخر مرة التقيت فيها بهذا القائد الذى أشعر بعاطفة احترام شديد له .

وعلى أثر هذه المداولات أبنا الفيلد مارشال وأنا الى أفين وحسبت المستشار سيعود الى برلين ليطلع الوزراء والرايخستاج. على مجري الامور ويتخذ الوسائل اللازمة ، غير انه بقى في سبا وعهد الى الفون باير نائب المستشار والفون هينتز وزير الخارجية مخاطبة زعماء الاحزاب في الرايخستاج. وقد استدعي هؤلاء الزعماء الى وزارة الداخلية يوم ٢١ فعظم الخطب على نفوسهم بعد اطلاعهم على حقيقة الواقع . ولقد كانت لهذه المحادثات العلنية عاقبة وخيمة جدا لأنها كشفت للعدو اللئام عما تبقى مستوراً من حالتنا الداخلية فصمم على موالاة الصراع بشدة متناهية الى أن نقبل الشروط القاضية على كياننا القومي بالفناء

واقبل الفون باير نائب المستشار الى افين ليباحثني فى الشروط الواجب الاتفاق عليها بشأن البلجيك فكنت أحسبه سيتخذ مما أعرضه عليه مادة

يزودبها وزير الخارجية في مفاوضاته المقبلة واذا به يجعلها قوام خطابة القاها في ستو نجارت فى شهر سبتمبر . فكان لمافاه به تأثير جوهري بالنظر لموقفنا الخاص ازاء البلجيك .

— ٢ —

وعلى أثر عودتنا الى المعسكر الاكبر أزدادالحرج شدة ،وكان موقفنا يوم ١٤ حينما أمر الامبراطور بالشروع في مفاوضات الصلح متينا

وماكاد القائد بويهن يتولى قيادة مجموعة الجيوش الثاني والثامن عشر والتاسع حتى أخذ يبذل كل مافى وسعه لانهاء التأهب الدفاعي العظيم المقرر لقطاعه . وكان الصراع لايزال مستمراً بين السوم والوازفي أواسط أغسطس وكنا لانزال محتفظين باهم نقطة واقع ضغط الهجوم عليها وهي جانبي رواي اليمين واليسار بمعارك حادة . وفي هذه الاثناء تم تشييد مواقع الارتداد الجديدة في خط يمتـد من بابوم الى الهضاب الناهضة في الشمال الشرقي من نوايون

واسترجعت مجموعة الوريث روبرخت جبهة الجيش السادس بضعة كيلو مترات الى الخلف فى سهل الليز . ورؤى اختصار قوس الجبهة بالتخلي عن كيميل . وتبينا حوالى منتصف الشهر عزم الانجليز على القيام باغارة جديدة . ولاحظنا بالمثل عزم العدو على توسيع هجومه بين اراس والانكر وعلى الاخص فى اتجاه بابوم ، فلم يكن من المستصوب أن يلاقي الجيش السابع عشر المرابط في هذا القطاع عدوه في موقعه الامامي بل أرتدالى موقع آخر على بعد بضعة كيلو مترات وأبقى طلائعه فى الخطوط الاولى

ليتقي بها وطأة الاندفاع وليعلم حقيقة مقاصد العدو من وثوبه في هذه الجهة . واستعد الجيش التاسع بالمثل لاستقبال تدفق العدو على موقعه الكائن بين الواز والاين . ولم نتوقع هجوما آخر على مواقع أخر من جبهتنا . ولكن تأهب الخصم في سائر انحاء الجبهه يجعل المفاجآت ممكنة الحدوث . فواجب القيادة العليا تجاه هذه الحالة المبهمة أن تتخذ الحيطة في سائر اجزاء الجبهة ، وهذا هو الذى عمدت اليه القيادة العليا بالفعل .

وفي ٢١ أغسطس هجم الانجليز على جبهة الوريث رويرخت من جنوب أراس بين بواسليه والانكر . فكان هذا الهجوم فاتحة ملاحم ناشبة بين الانجليز ومجموعة الوريث رويرخت ومستمرة الى انتهاء الحرب العامة

وتمكن الجيش السابع عشر من الاختفاء في الوقت المناسب ففشلت الوثبة الانجليزية امام الموقع الحديث . وكر الجيش السابع عشر بنجاح في يوم ٢٢ بموافقة القيادة العليا وكان الافضل أن لايتقدم . وعلى أثر ابتداء الهجوم الانجليزي امتد نطاقه على جانبي السوم وحمي وطيس القتال ولم يفز الاستراليون بطائل بل كانت لنا الغلبة في اليومين الاولين فأخذت أعلل النفس بمساعدة الحظ إيانا فى المعارك المقبلة . ولكن الانجليز الذين لم يكونوا قد دفعوا الى الهيجاء سوى عدد قليل من الوحدات المنتعشة لم يلبثوا في الايام الاخر أن اكتسحوا بقاعا واسعة في اتجاه بابوم موالين الزحف بشدة عظيمة . وكان مدار خطتهم المبتكرة أن يحدثوا ثغرات ضيقة الا انها عميقة باستخدام مقادير جسيمة من التانكس ونشر حجب كثيفة من الضباب الصناعى . ولقد أحدثت هذه الطريقة هلعاً شديداً في نفوس جنودنا وأصبحوا يعملون على اتقاء أهوالها بكل الوسائل التي تتهيأ لهم . وصرنا نعرف مقادير عمق الثغرات ولكننا لم نعرف مقادير

اتساعها . وكانت قواتنا الاحتياطية كلما عجلت بالكر توصلت فى الغالب الى سد هذه الفجوات . واستطاع العدو في وثباته التالية أن يبعدنا عن الانكر ، وكان السبب فى هذه الملمة وجود فرقة روسية لاثقة لنا بها خلف هذا النهر فلم تثبت وأحدثت اضطرابا في حركة المقاومة العامة في هذه الجهة . وفدح القتال في بقعة الحفر المتخلفة عن معركة السوم في شرق البير لاستعصاء جلب القوى الاحتياطية بالسرعة المنشودة في هذه المنطقة فبلغ الحرج في هذا المجال أشده يوم ٢٥ أغسطس . ولم تحدث في جنوب السوم على امتداد الطريق الموصلة الى بيرون سوى مصادمات محلية أما الجيش الثامن عشر فلم يفلت من الهجمات المتلاحقة التي أخذ يصدها بدفاع باهر . وارتد جناحه الايسر الى قربة من نوايون ليشترك في درء الحوادث المتتالية فى شرق الواز ، ولقد أدار حركات هذا الجيش قائدم الفون هوتير ورئيس أركان حربه الليوتنان كولونيل بوركنر بشجاعة متناهية

وجري الهجوم الفرنسوي العظيم بين الواز والأين يوم ٢٠ اغسطس وكان الفرنسويون قد طرحوا طلائعنا منــذ ١٧ أغسطس من المنطقة المتقدمة الى الخطوط الاساسية . ولقد قاومت طلائعنا اكثر مما كان يجب عليها فأصابها ضعف عظيم . وحدث هذا الهجوم على النسق الذي كنا ننتظره الا أن فرق التداخل لم تكر على العدو . وحينئذ تسنى للعدو ان يواصل زحفه بين خطوطنا في اتجاه نوفيون فانبرت فرقة بارعة من الجنود الصيادين لرد الارض المكتسحة الا قليلا منها بحملة صادقة على العدو . وعلى كل حال لم يعد من الموافق بقاؤنا في الخط الـكائن قبل الواز والايليت فاخذ الجيش التاسع برتد من ذلك الخط ساحبا جناحه الايمن الى الواز في ليلة ٢١ وقلبه الى الايليت في ليلة ٢٢ ومحتفظا ببقية قواه بالارض الممتدة

في شمال غرب سواسون . وعلى الرغم من كل وسائل التأهب التي اتخذت فان موقفنا ظل سيئاً . فقد توترت اعصاب الجنود الى النهاية من شدة نيران المدفعية المعادية وهول مباغتات التانكس . وكان يوم ٢٠ أغسطس ثاني أيام الحداد في الجيش الالماني لأن خسائرنا فيه بلغت منتهى الفداحة ومكنت العدو من مواصلة هجومه

وشدد العدو ضغطه على خط سواسون وشوني ، فدارت بين الفريقين وقائع في منتهى القسوة كانت كفة الغلبة تتراجح فيها بينهما ولا يعلم لمن يكون الفوز الاخير فيها

وصدر الامر لمجموعتي جيوش الوريث روبرخت والفون بوهن في أواخر اغسطس بالارتداد الى خط درس استحكامه من قبل وهو يمتد من شرق بابوم — ماراً من أمام بيرون والسوم ومن أمام هام — الى الهضاب الناهضة في الشمال الشرقي من نوايون . وصار من اللازم تنظيم خط سيجفريد لتأمين حركة الانثناء . وتمت حركة التراجع في الليلة الواقعة بين ٢٦ و ٢٧ . ولم يتقهقر الجيشان السابع عشر والثامن عشر الا الى مسافة قصيرة جداً من غير أن يصادفا في حركتيهما مطاردة تعرقل خطواتهما وكان الامر على العكس في تراجع الجيش الثاني الذي لم يكن له ظهير قوي في موقعه الجديد الكائن في الشمال الشرقي من بيرون ، وقد تخلت الفرقة الموجودة في الجنوب الغربي من المدينة عن الضفة اليسرى للعدو فصار موقف الجنود الموجودين على الضفة الشمالية عسيراً ، وأظهرت فرق اخرى ضعفاً بسبب خسائر فوق العادة للفرق التي أظهرت رباطة الجأش

وفي هذه الاثناء كان المارشال هايج قد وسع دائرة هجومه الى الاسكارب ليصل الى شمال خط كروازيل — موفر خلف خط سيجفريد

واضطر للوصول الى هذا الغرض ان يستولي على خط فوتان الذي حصناه في سنة ١٩١٧

وفي ٢٦ اغسطس علق الانجليز يهاجمون الطريق الممتدة من أراس الى كمبريه . فاضطرت جنودنا المرابطة في هذه الطريق الى الارتداد بنظام . وجرت الوقائع الاولى في مجرى موافق لنا . وعلى أثر ذلك استمر زحف الانجليز حتي خط فوتان . وفي ٢ سبتمبر حمل الانجليز حملة صادقة بعربات التانكس فاجتاحوا ما أمامهم من العوائق واجتازوا خنادق هذا الخط الحصين فاتحين الطريق لمشاتهم . وبعد مضي ١٤ ساعة أعلمني القائد كوهل والليوتنان كولونيل بافيلز رئيس اركان حرب الجيش السابع عشر بان ليس من الموافق انشاء جبهة جديدة امام القناة الممتدة بين ارليكز وموفر وطلبا السماح لهما بسحب هذا الجيش الى الوراء مع احتفاظه بمواقعه الكائنة في شمال السكارب . فوافقنا على هذا الطلب الذي لا مفر من تنفيذه. وارتأت القيادة بالاتفاق مع رؤساء الجيوش الثاني والثامن عشر والسابع والتاسع أن تحدث تغييرات مهمة في مراكز هذه الجيوش لتكون الجبهة أكثر تناسقاً واستقامة ومتانة

وفي خلال هذه الاعمال خاض الجيش التاسع غمار وقائع حادة تحولت في بعض الايام الى معارك متناهية في الشدة . وبفضل نشاط القائد الفون كارلوفيتز ذي الحذر الدائم ورئيس أركان حربه الليوتنان كرلونيل فاويبل وشجاعة عدة فرق لبث هذا الجيش مستقراً في مراكزه الاساسية . وامتازت في خوض غمار الملتحم الفرقة الاولى من المشاة التي يقودها الامير ايتيل برزانة ورباطة جأش وفرقة الصيادين الفرسان المحنكة من الحرس فان هاتين الفرقتين لم تباليا باهوال التانكس

ثم ارتأت القيادة العليا على الرغم من الصعوبة المتناهية أن تختصر الجبهة مرة أخرى اختصاراً كبيراً يوفر لها قوات كبيرة من الجنود الاحتياطية ويجعل مراكز الجيوش الالمانية امنع واثبت من مراكزها في الجبهة المتقدمة المتسعة وتمنح الجنود أماكن مريحة بينما يكون الاعداء في أماكن متعبة وهي الميادين المتخلفة من معارك ١٩١٧ وعلى الرغم من أن هذا الاختصار سيوفر للعدو بالمثل قوى احتياطية فاننا كنا نراه اوفق لنا . فقررنا الانثناء بالجبهة كلها الى الخلف واتخذنا من خط هنديج برونهيلد المحصن الذى كنا قد انشأناه في ١٩١٧ مرتكزاً دفاعياً قويا لنا . وعزمنا على ادخال تحصينات جديدة على هذا الخط المنيع بقدر ما يسمح به توفر الايدي العاملة

ثم فكرت القيادة العليا من باب التحوط في أن تتخذ خط تراجع آخر تلجأ اليه الجيوش عند الضرورة القصوى . واستصوبت ان تبادر باخلاء البقاع الواقعة في غرب وفي جنوب خطي هرمان وهنديخ برونهيلد من كل الادوات والالات التي لا تمس اليها الحاجة القصوي . وشرعنا في ارسال هذه الاشياء كلها الى البلاد الالمانية . غير أن صعوبة النقل بدت للعيان ، فأخذنا نقلل بقدر الامكان من استيراد الاشياء اللازمة من المانيا لتكون القطارات متوفرة لدينا بالمقدار المطلوب . غيرأن الطيارات المعادية أخذت تقذف على القطارات المحملة وابلا من المتفجرات . وعلى كل حال شرعنا في حركة النقل بكل الوسائل المتهيئة لنا

وبعد انثنائنا الى خط سيجفريد لم تعد افين ملائمة لاستقرار المعسكر العام الاكبر فقفلنا راجعين الى سبا التي غادرناها في مارس الماضى ونحن مفعمون بالثقة وبالامل

وكان العدو يزحف مثلنا تحت كلاكل الاوصاب ، وفي بعض الاماكن لم يحدث أي تغيير في فرقه المستمرة على اصطلاء نيران الصدام غير انه لبث موالياً هجومه بمنتهى الشدة . وظهر أن جنودنا لا يزالون على دأبهم القديم أي انهم أقدر على الهجوم منهم على الدفاع . وفي أوائل سبتمبر بدأت كفة التوازن العددى من جهة الفرق ترجح في مصلحتنا كما حدث في العام الماضى لان اختصار الجبهة جعلنا نختصر في القوى الامامية ونختصر في طوابير الفرق وفي بلوكات الطوابير . وكدنا بهذه الطريقة نتفوق على العدو ويحدث تطور جديد . بيد أن التشكيلات الامريكية الحديثة أخذت ترد بكثرة مدهشة وكثر عدد الفارين من جنود جبهتنا وازداد عدد الذاهبين بالاجازة الى الداخل وعظم عـدد المتخلفين منهم عن العودة فجعلت هذه الطوارىء السيئة كفة العدو ترجح على كفتنا مرة أخرى واذ ذاك أصدر وزير الحربية أمراً بعدم قبول الوصايات الخاصة لمنح الاجازات للجنود. وكان البولشفيون قد دفعوا القسطين الاول والثاني من الغرامة الحربيـة وعقدنا اتفاقاً مع قوزاق الدون فلم نعد نخشى شراً من الجانب الشرقى فاخذنا نستقدم كل ما تيسر لنا من الشرق ، إلا أن الفرق القادمة من تلك الساحة لا تصلح لمواجهة الحالة الجارية في الميـدان الغربي لأن أغلب رجالها من الطبقات المسنة وممن لم يتدربوا على طرق القتال المبتكرة على اننا كنا مضطرين الى ايجاد جبهة قوية أمام البولشفيين والى ابقاء الالايات الثلاثة المحتشدة تحت أمرة القائد الفون درجولتز بمدافعها المنجلية عن فنلاندا على الشاطىء المورماني وعلى امتداد السكة الحديد المورمانية أي على أبواب بيتروغراد . واذا لم تنجح مساعى الحكومة السياسية في الوصول الى ابرام الصلح وظلت الحرب مستمرة طول الشتاء والصيف الآتيين فان

حاجتنا الى موارد او كرينيا ستصبح عظيمة جداً . وكنا لا نزال مهتمين باعداد حملتنا التي نريد ارسالها الى باكو لاجلاء الانجليز عنها . فكل هذه المشروعات الشرقية تجعل استجرارنا من القوى الخيمة في الشرق محدوداً . ولا تزال النمسا مستعدة لامدادنا بفرقة أو فرقتين في الميدان الغربي . على ان مجموع القوى التي تمكنا من حشدها الى هذه الآونة لا تراجح كفة العدو في الميزان العددي فضلا عن الحالة النفسية القوية المتشبع بها العدو وثقته التي لا توصف باحرازه النصر النهائي

وبلغ من حرج الموقف أن أصبحت القياده العليا لا تعتمد على حمل العدو على ابرام الصلح بمواصلة اعمال التدمير التي نقوم بها في باريس ولوندره بل لقد عدلت القيادة العليا بالمثل عن السماح باستعمال قنابل محرقة ذات مفعول فظيع كان قد صنع منها مقدار كاف لمحو هتين العاصمتين ورجا منا الكونت هرتلنج ان نعدل عن تدمير عاصمتي الاعداء منعاً لمقابلة عملنا بمثله والاعتداء على مدننا غير المحصنة

وأردت أن يستمر القاء القنابل على باريس ولوندره لنحوّل قوة دفاع العدو عن الجبهة العامة الى حماية عاصمتيه ولنصرف نظره عن ضعف قوة المقاومة الطارىء على جيشنا . غير اني لم اشأ أن اتناهى فى التشديد فقل اطلاق القنابل على باريس وأصبح الجو غير موافق من تلقاء نفسه لموالاة الاغارة على لوندره

وبالنظر لاشتداد الحالة في الجبهة من جراء العوامل المؤذية المنبعثة من الداخل استقدمت وزير الحرب الى أفين فى شهر أغسطس وقدمت اليه عدداً كبيراً من الضباط ليبسطوا له حقيقة الروح المؤذي السارى من الداخل الى الجبهة . وكان هذا الوزير كسائر كبار موظفي وزارته لا يصدقون هذا

القول . غير أن هذه الزيارة لم تأت بفائدة ما . وبعد أن قضيت عامين متواليين فى الاستنجاد ورفع الصوت أجابني المستشار الى انشاء إدارة خاصة بالدعوة الجوابة ومراقبة الصحف فى أعسطس ١٩١٨ الا انها لم تزد على أن تكون كسائر إدارات الحكومة الاخرى ، وباشتراك الكولونيل هايفتن في تسيير هذه الادارة التي الحقت بوزارة الخارجية تمكن من احداث بعض التأثير في الداخل . الا أن التأثير الحقيقي الناجح لم يكن منتظراً من مثل هذه الادارة الضعيفة بل من انشاء وزارة قوية لنشر الدعوة ومراقبة الصحف تعرف كيف تنهض حالة البلاد الادبية وكيف تنشر الانباء المقوية للعزائم وتقضى على دسائس الاعداء . والقى نائب المستشار خطابة بمناسبة ميلاد المستشار الا انها لم تكن موافقة لموقف جيوشنا الظافرة على مدى ٨٠ كيلو متراً من أبواب باريس ولا تتضمن حماسة كليمانصو وقوة أرادته وبعد أن انضم الكولونيل هايفتن الى المستشار الامير ماكس البادي لم يعد لتلك الادارة أي عمل محسوس .

— ٣ —

لقد سألنا ممثل الاستشارة الامبراطورية فى المعسكر العام الاكبر الكونت ليمبورج سيترم عن موقف الجيش على أثر ارتداده الى خط سيجفريد فاجبناه في ٣ سبتمبر بان جوانبنا ومؤخراتنا لاتزال مغطاة في ايطاليا ومقدونيا الا اننا لاننتظر الحصول على الصلح بواسطة الانتصار في الميدان الغربي .

وانقطعت أنباء وزير الخارجية الفون هينتز عن القيادة العليا فلم يصل الى علمها عنه الا إنه عازم على الشخوص الى فينا للتفاوض مع الكونت

بوريان فى صدد الصلح . فطلبت من المستشار عقد مؤتمر في سبا للبحث في الحالة الاخيرة . فعقد هذا المؤتمر في يومى ٨و٩ سبتمبر الاأن المستشار الكونت هرتلينج لم يحضر لأن شيخوخته لم تمكنه من السفر فاعلمني الفون هينتز فى هذا الاجتماع بان الكونت بوريان عازم على دعوة الدول المتحاربة جمعاء الى الشروع في مفاوضات الصلح . وقال لى انهم صرحوا له في فينا بان الجيش النمسوي لايستطيع الثبات في موقفه بعد انقضاء الشتاء . ثم ذكر لي انه شديد الرجاء في أن ينجح توسط ملكة هولاندا فى عقد الصلح ولكني لاأدرى على أى أساس تنهض شدة رجائه هذه ؟ وعلى كل حال فقد كنت أتحد معه فى وجهة النظر لان مشروع الكونت بوريان لن يحرز النجاح المرجو

وأرسل الامبراطور شارل إلى القيادة العليا الالمانية يستفسرها عن موقف الجيوش الالمانية في الميدان الغربي وعن نواياها . واذ كنا نعلم أن فينا مذاعة للاسترار بما يتسرب منها مع الفارين الى فرنسا كما أظهر هذا الامر موضوع الكتب المرسلة من الامبراطور شارل الى أمير بارم فقد اتخذنا الحذر فى ردنا ، فاقتصرنا على القول باننا سنثبت في خط سيجفريد المستحكم ونباشر المساعي السياسية الموصلة الى الصلح. ورجونا من الامبراطور عدم الشروع في مشروع الكونت بوريان لانه يغرى الاعداء بالامتناع عن التفاوض . وبما أن هذا الرد الذى وضعته انا نفسى كان الفون هينتز مطلعا عليه فقد خابر وزارة الخارجية النمسوية بان امبراطورنا سيعهد الى ملكة هولاندا السعى فى فتح مفاوضات الصلح وان جلالته يطلب الوقوف على آراء حلفائه .

وفي ١٤ سبتمبر نشرت مذكرة الكونت بوريان . فظهر أن النمسا

صممت على تنفيذ مشروعها على انفراد. ولست أدري اذا كانت قد اضطرت الى هذا العمل لاعتقادها ان مشروعنا يستغرق وقتاً أطول من اللازم، أو اذا كانت هنالك أسباب أخرى استحثت النمسا على الاسراع في طلب الصلح. وقد أرسل الامبراطور شارل الى امبراطورنا تلغرافا يفسر له فيه مذكرة الكونت بوريان بانها النتيجة المنطقية لتلغراف المعسكر العام الاكبر. ولم يسؤني عمل النمسا لانى اخالف سواسنا في أن مشروع الكونت بوريان يحول دون نجاح مشروعنا وان كنت أشعر بانه يحرجه الى حد ما. ومع ذلك فلست أدري لماذا لم تشرع حكومتنا بالفعل في توسيط ملكة هولاندا قبل ظهور المذكرة النمسوية؟ واني لا أعتقد أن الفون هينتز فاوض سفير هولاندا في هذا الصدد بصفة جدية.

ولم أكن في هذه الآونة مهتما بالسياسة العسكرية. فخاطبني الفون هينتز من برلين بان أحد البولونيين فاوضه في ضم فيلنا الى بولونيا وفي مقابل ذلك تتعهد بولونيا لالمانيا باجابتها الى اتفاقات مهمة ولا سيما فيما يختص بالشؤون العسكرية. وقد أشار الى أن فيلنا ببقائها في حوزة ليتوانيا تظل جسما غريبا عن الدولة الليتوانية. فوافق المعسكر العام الاكبر في رده المؤرخ يوم ٣٠ أغسطس على وجهة نظر وزير الخارجية وأوضحت في الرد ضرورة ايجاد تحالف بيننا وبولونيا يربط سكك حديد المملكتين بعضهما ببعض ويضمن حركات النقل المتبادلة بيننا والروسيا من خلال البلاد البولونية. وكنت أرى من الضروري إحكام صلاتنا ببولونيا لانني قليل الثقة بهذه البلاد. وكان على الحكومة الالمانية أن تراعي وعدنا السابق بمنح الليتوانيين فيلنا فان نقض مثل هذا الوعد يمس كرامتنا. وكنت أذهب الى ضرورة ارتباط ليتوانيا بالامبراطورية الالمانية أو انضمامها الى

روسيا . فكانت هذه المذكرة مادة للقيام بحملة شديدة على في الرايخستاج ساسها اتهامي باضطراب آرائي السياسية وليس ثمت أضطراب اذا القيت نظرة دقيقة على المفاوضات القديمة والحديثة المختصة بهذه المسألة، ولست ارى من حرج اذا نفذت خطة وزارة الخارجية مادام لا ينتج عنها ضرر

وتداولنا بالمثل في انشاء دولة بلطيقية واقامة ملك على فنلاندا وفق رغبة الفنلانديين ومركز الحكومة الرومانية المقيمة في جاسي فان هذه الحكومة صارت لعبة في أيدي سفراء الدول المتفقة ، فاخذت تشتد في مجافاتنا . وأخذت القيادة العليا تمعن التفكير بالاتفاق مع وزير الخارجية في تجديد الحملة على رومانيا . بل لقد اعدت الجنود الشرقية المزمعة على الشخوص الى الميدان الغربي للقيام بهذه الحملة . ووعد القائد آرز بشدازرنا اذا وافق الامبراطور شارل . فرفض هذا الامبراطور كل ضغط على رومانيا فاضطررنا الى تعطيل حركتنا العسكرية . وبقيت جنودنا على قدم الاستعداد للغرض الاول وهو الانتقال الى الميدان الغربي حتي وجهنا بها الى الصرب على أن الحكومة النمسوية لم تلبث أن اقترحت علينا القيام بتداخل عسكرى في شؤون رومانيا الا أن الفرصة كانت قد افلتت من أيدينا

وفي خلال هذه الحوادث الاخيرة اصيب امير البحر الفون هولزندورف بمرض القلب فاخلفه في رآسة أركان حرب البحرية أمير البحر شيير وهو رجل ذو آراء في منتهى الصواب وذو عزم ماض . فكثر اختلاطي به في سبا بقدر ما كانت تسمح أعمالي للتحدث في التوفيق بين حركات الجبهة الغربية وأعمال الغواصات ومن رأيه امكان التوسع في صنع الغواصات ليتضاعف مفعولها ، فطلب مني ان أسمح له بالعمال اللازمين لصنع الغواصات ، غير أن الحالة اذ ذاك لم تكن تسمح بتسريح أحد من

الجيش ، وافهمته اني لاستطيع أن أرسل اليه سوى المهندسين الصناعيين والعمال الفنيين وعددهم محصور . ودامت هذه المداولات الى ٦ اكتوبر اذ تناهي حرج الحالة ، ومع ذلك فقد ارسلت اليـه هؤلاء الرجال ، وما ذلك إلا لان القيادة العليا لا يسعها ان تلقي بحسامها الى الارض وهي لم تصر بعد عزلاء . وما دمنا في طور الحرب فلا مناص لنا من موالاة التسلح . وعلى الرغم من وصولنا الى نقطة الخطر الاعظم لم تهن عزيمتي بل صممت على متابعة التأهب لاننا كلما لبثنا اقوياء كان الامل اعظم في حصولنا على شروط أحسن في مفاوضات الصلح

واحدثت تغييراً في هيأة اركان حربي . فاتخـذت لي من شخص الكولونيل هاي خـير مساعد واسع التجارب بمقتضى تقدمه في السن . واسندت الى ادارته شعباً عديدة كنت أتولى الاشراف على ادارتها مباشرة فشرع يتلقى التقارير المقدمة منها ولم اجعل لي دخـلا فيها الا للفصل في جسام الامور . وان ما حملتنيه هذه الحرب من آلامها وأهوالها لاعظم من أن ينهض به انسان بمفرده . لقد دعيت الى المعسكر العام الاكبر لا لابرام الصلح بل لاحراز النصر الذي لم أفكر في سواه . ولقد حاولت أن أكون ككليمانصو ولويد جورج فاسلح الشعب بأسره بيد اني لم اكن كما عزي الي بلا حق مسيطراً . وكلا الرجلين على رأس مجلس أمة ينصت اليه وهو آخذ بأزمة بلاده ، أما أنا فليس لي بمقتضى الدستور السلطة التي تمكنني من تنفيذ كل ما تمس اليه حاجة الحرب وقلما أجد لدى اولياء الامور من الاستعداد ومضاء العزيمة ما يجعلهم يجيبونني الى المطالب التي لا غنى عنها . وبما أن الوصول الى ابرام الصلح امسى مستحيلا فلم يبق سوى موالاة القتال الى أن نجد لنا مخلصا من هذا المأزق الحرج . ولـكني أرى الآن

استحالة هذا الامر بالمثل وابصر المصاب الذى مهمة حياتي منحصرة في صرفه عن وطننا مقبلا اليه

— ٤ —

وفي خلال هذه الحوادث التي تتالت في سبا كانت مجموعات جيوش الوريث روبرخت والفون بوهن ووريث المانيا قد اتمت حركات ارتدادها من كمل ومن سهل الابن الى خط سييجفريد الممتد خلف القناة الجارية بين أرليكس وموفر والى الفيل . ولم تنهض عراقيل في الطريق بل انتهت الحركات فى ٧ سبتمبر بوصول الجيش الثامن عشر الذى كان لابد له من قطع مسافات طويله . وكان العدو يتعقبنا ويناجزنا في وقائع متفرقة اهمها ما حدث بين الموفر وهولتون . ومع تناهى هذه الوقائع في الشدة فقد ثبتت الجبهة ما عدا الجيش الثاني الذى ظهرت عليه علائم الضعف بوضوح وادت وثبات العدو المتناهية في الشدة يومى ١٨ و ١٩ سبتمبر الى انطراح الجناح الايسر من الجيش الثاني الى مقربة من القناة الموصلة بين الواز والايسكو في شمال سان كنتان ببضعه كيلو مترات ، فاضطر الجيش الثامن ان يسترد الى الخلف اقصى جناحه الايمن . ولم يحدث أمر آخر سوي توالى الوقائع المحلية الى يوم ٢٦ . ومد الفرنسويون هجماتهم في اتجاه سان كنتان فالمت فى هذه الايام العسراء افدح الخسائر بجنودنا

وفى منتصف الشهر انضم الجيش التاسع الى مجموعة الوريث الالماني فلم تنقطع الوقائع الحامية عن هذا الجيش وعن الجناح الايمن من الجيش السابع . وكانت هذه المجموعة تستكمل اعدادها كلما فدحت خسائرها ..

وحدثت ازمات هائلة على جانبي ريمس كما حدثت مثلها في ٢٢ على جانبي الارجون

وعملنا على تشييد استحكامات جديدة خلف مراكز الجيوش الحالية - واستمرت حركات النقل بلا انقطاع وكثيراً ما تركت مخازن باسرها وشرد حفظتها ، وهذا الشرود هو الذي تدفع المانيا اليوم ثمنه باهظا . ولقد أصابت طيارات العدو أعمال نقلنا وتراجعنا في بعض الاماكن إصابات مؤلمة

ولم تكد حركات الجلاء تشتد حتى كان العدو قد هاجمنا يوم ١٢ سبتمبر من ريمت وموزيل وشفع هذا الهجوم بوثبة اضافية على الزاوية الشمالية من النتوء الممتد على هضاب كومبر . واخترق العدو فى الجهتين قوانا . فشطر فرقة بروسية كانت ترابط في الجنوب . ولم تدفعه الفرقة النمسوية التي ترابط في الهضاب مع انها كانت تستطيع أن تصد العدو . ولقد أرسلت الى هيأة اركان حرب الجيش المشرف على هتين الجهتين بلاغا ينبيء بالشروع في اخلاء البارزة بنجاح فبنيت بلاغ المعسكر العام الاكبر عليه ، وكان بلاغ هيأة أركان الحرب المذكورة قد وصل صباحاً والعادة أن يصدر المعسكر العام الاكبر بلاغين عن سائر حوادث الميدان أحدهما مساء وهذا يكون موجزاً والآخر صباحاً وهذا يكون مفصلا وقد اعتدت أن أتوخى الحقيقة فى هذين البلاغين ، فما جاء في بلاغ الصباح انما بني على المعلومات الواصلة قبل شروع العدو فى الهجوم على الجهتين المذكورتين. فلما ظهرت المعلومات الوافية اتهمت باخفاء الحقائق وهذا أمر كان يأباه ضميري ، ولا سيما اذا علم اننا ننشر هذه البلاغات ليرى الضابط وضابط الصف والجندي اسمه او اسم وحدته منشوراً على الملأ مقروناً بالاعجاب والاطراء فيفتخر وينشرح صدره ويزداد شجاعة واقداما

ولاعتيادانا على نشر بلاغاتنا مقرونة بالحقائق استحسنت نشر بلاغات العدو لاعتقادى انها مماثلة لبلاغاتنا غير أن العدو كان يتخذمن بلاغاته مادة لنشر دعوته فلما تيقنت من هذا الامر هممت بمنع نشر بلاغاته الاّ انى رأيت ان السهم قد نفذ وان الامتناع عن نشرها يحمل على محمل سيء جداً. اما العدو فـكان احزم منا اذ لم ينشر بلاغاتنا معانها لم تتضمن أية دعوه. واعتادت شركة وولف التلغرافية على أن تنشر بلاغاتنا في البلاد المحايدة مشفوعة ببعض الشروح والتعليقات التي تكتب فى برلين بغير اطلاعنا واذ علمت انهذهالزيادات كثيراً ما تتضمن آراء لاتنطبق على الحقيقةأوتخالف آراء المعسكر العام الاكبر ومصلحة الجيش حلت دون نشرها

وكنا لا نهتم بنشر شيء عن الاراضي المنزوعة منا الا اذا كانت تستحق الذكر وكذلك الوقائع والمناوشات الصغيرة لم نكن نعيرها جانب العناية

وتمكنا من الجـلاء عن النتوء الممتد في سهل ووفر على الرغم من الخسائر المؤلمة التي تكبدناها مرتدين الى خط سان ميشيل. نخفت وطأة القتال في هذه الجبهة منذ ١٣ . ومن يوم ٢٢ تغير المنظر امام مجموعةالفون جالفيتز فقل احتمال موالاة الهجوم عليها وصار من المتوقع نشوب القتال على جانبي الارجون

كانت جبهتنا الغربية ثابتة وان اجهدها القتال وقلت رجال وحداتها، والجبهة النمسوية ثابتة بالمثل ولا يوجد أى دليل على شروع الايطاليين في الهجوم، واذا بحوادث بلغاريا تفاجئنا فتحمل القيادة العليا على اصـدار قرارات خطيرة

زحفت جيوش الاتفاق في ١٥ سبتمبر في الساحة المقدونية على الجانب الشرقى من نهر الفاردار ، وعلى الجبال الناهضة بين الفاردار والسيرنا

وبقوى أقل من الاولى على موناستير فاخفق زحفها على هذين الجناحين. ولكن زحف هذه الجيوش نجح في الوسط أي في المنطقة الحافلة بالعراقيل ولم تبد الجنود البلغارية ادنى مقاومة وهي مؤلفة من الفرقتين الثانية والثالثة فتقدم الاتفاقيون بسرعة في بقاع غاصة بالآكام المساعدة على القيام باعظم دفاع . وحاول القائد شولتز ان يستوقف الفرقتين المذكورتين في خط الاستحكام الثاني ويعضدها بثلاث فرق احتياطية المانيـة غير أن الجنود البلغارية استمرت على التقهقر الى ما وراء السـيرنا والفاردار ولم تقاتل العساكر البلغارية المندمجة في الفرق الاحتياطية الالمانية . وحينئذ صار من المتعذر على الجنود الالمانيين الذين انجدتهم بعض الطوابير الواصلة حديثاً من رومانيا ان تسد الثغرة التي اتسعت وتجوفت . وكذلك اخفقت كل المحاولات الاخرى التي أريد بها تلافي الخطر لان الجيش البلغاري قفل راجعاً الى بلاده ما عدا البلغاريين الذين كانوا تحت قيادة الالمانيين مباشرة بين بحيرة ريسبا ونهر السيرنا الذين انتهجوا في الاول مسلكا حميداً

وفي ١٦ أو ١٧ سبتمبر ارسل القائد لوخوف رئيس الجنود المرابطة على الستروما اشارة تلغرافية الى ملك بلغاريا يذكر له فيها انه اضطر الى عقد هدنة

وبعد مضى أيام قلائل على ١٥ سبتمبر وصل الى يدى تقرير سرى آت من هيأة أركان الحرب الفرنسوية يستخلص منه بوضوح ان الفرنسويين لم يكونوا يتوقعون قيـام الجيش البلغاري بأية مقاومة . فدعوة الاتفاق ونقوده وممثل الولايات المتحدة الذى اجيـز له البقاء في صوفيا قد فعلت مفعولها المنتظر منها . وربما كان للمبادىء البولشفية المتسربة الى بلغاريا تأثير غير مباشر في هذا التطور الذى لم يتفطن اليه ملك بلغاريا وممثلنا فى

صوفيا . وكان القائد جيكوف مشتركا في كل هذه الاعمال لانه قبل نشوب المعركة التي كان يترقب نشوبها بالتأكيد بايام قلائل سافر الى فينا لمداواة اذنه على ما اذكر . وكل ما يزعمه البلغاريون الآن من انهم انبأوني بتأليفه مجالس جنود لا صحة له بل المقصد منه طمث معالم الحقيقة. ولا صحة بالمثل لما يقال من اننا اخللنا باتفاقنا القاضي بابقاء ست فرق المانيه في الجبهة البلغارية اذ هذه الفرق كانت مرسلة لاجل الحملة الصربية فقط. والجيش اليوناني لا يعبأ به لانه غير تام التدريب وهو لا يميل الى الاتفاقيين . وكان الجيش البلغاري قد أصاب نصيباً وافراً من الراحة . وكل ما كانت تتجه اليه ظنوننا هو امكان ارتداد الجيش البلغاري أما انحلاله فلم يخطر لنا على بال . فالاشاعة التي كانت تتداولها الالسنة في بلغاريا من قبل بان الجيش البلغاري لن يقاتل الا الى ١٥ سبتمبر قد تحققت ، ولكن المعسكر العام الاكبر الالماني لم يكن في وسعه أن ينزل كل صيحة مرتفعة منزلة الحقيقة الواقعة . ومن جهة أخرى فان المانيا لم يكن في استطاعتها أن تنشىء لها جبهة أخرى في مقدونيا بجيش الماني يحل محل الجيش البلغاري مع استمرارها على مقاومة جيوش الاتفاق الهائلة في الساحة الغربية . فالاسباب الحقيقية في تداعى اركان بلغاريا ضعف أرادة الحكومة البلغارية، وإهمالها تقوية الحالة النفسية لدى الشعب والجيش البلغاريين ، وتركها الدسائس المختلفة تعبث في انحاء بلادها ولاموال الاتفاق المفعول الاكبر في هذه الكارثة .

ولم يعد أحد يشك في خطارة الموقف التي أنتجها تداعي الجبهة البلغارية وكذلك أصبحت تركيا تنوء تحت عبء ثقيل الوطأة لان جبهتها الفلسطينية قد تداعت بالمثل . ومع أن القوة الالمانية التي كانت تساند العثمانيين على شاطىء الاردن قامت بواجبها خير قيام الا أن قلتها لم تمكنها

من احداث التأثير الناجع على توالى الايام . فاكتسح الانجليز بسرعة دفاعا في الشمال على امتداد سكة حديد دمشق وعلى امتداد الساحل . ومما لاشك فيه ان هذه الكارثة لاتهدد الاستانة الا انها جعلت صلابة الدفاع لدى الاتراك أقل مما كانت عليه . ومع اعتقادنا فى وفاء أنور وطلعت فانا لم نكن على تمام الثقة من موقف الدولة العثمانية ازاء الاتفاق . غير أن الاتفاق أصبح في وسعه أن يستجر قسما كبيراً من جنوده المحتشدة في فلسطين وان يزحف من نهر الماريتزا على الاستانة التى لم تكن حاصلة على قوى الدفاع اللازم لها من جهة بلغاريا . واذا كان في وسعنا استقدام نجدات من القوقاز بل من أوكرينيا بالمثل فان وسائل نقلنا في البحر الاسود لم تكن كافية للاسراع فى نقل الجنود . وقد وصلت بالفعل بعض طوابير من أوكرينيا الا انها لاتدفع الخطر المنتظر ، وماذا عسانا ننتفع من تأجيل سقوط الاستانة الى نوفمبر أو ديسمبر مادام هذا السقوط سيمكن اسطول الاتفاق من الاتصال برومانيا عن طريق البحر الاسود ومادامت جنوده تستطيع الوصول الى الدانوب عن طريق بلغاريا . أما حيدة رومانيا فما لايعتمد عليه لان عودة القتال بيننا وبينها كانت منتظرة من وقت الى آخر

ومن الواضح ان الاتفاق سيخترق صربيا وهنغاريا ليصل الى النمسا ويضربها الضربة الاخيرة . وبما أن جبهتنا البلقانية تزعزعت فقد أخذنا نفكر في تثبيتها بكل الطرق المتيسرة لنا قبل أن يتمكن الاتفاق من القضاء على النمسا فانتزعنا من الجبهة الغربية نحو سبع فرق وثلاث فرق من الجبهة الشرقية كانت سائرة في طريقها الى الغرب . واستقدمنا كل ماأتيح لنا استقدامه من القوقاز واكرينيا وكذلك النمسا أرسلت بضع فرق الى الصرب ووجهت بالفرقتين اللتين كان القائد آرز عازما على امدادنا بهما الى الجبهة المقدونية

ولكن وسائل النقل لم يكن في استطاعتها أن تنقل كل هذه القوى من أماكنها المتفرقة ويتم احتشادها في مقدونيا قبل منتصف اكتوبر . وفي هذه الاثناء علمنا ان لا أمل لنا البتة في الاعتماد على البقية المتخلفة من الجيش البلغاري لان بلغاريا أمضت عقد الهدنة فأصبح الجيش البلغاري باسره في قبضة الاتفاق . وأرادت القوة الالمانية التي كانت ممتزجة بالجيش البلغاري أن تتراجع الى صوفيا لتحمي حكومتها فاخذت تقاتل وهي منثنية بانتظام نحو صوفيا . غير أن التقلبات كانت سريعة في بلغاريا فقد تنازل الملك فرديناند وغادر البلاد والقت الحكومة البلغارية الحديثة نفسها بين ذراعي الاتفاق فلم يسع الفرقة الالمانية المخيمة في صوفيا الا الارتحال بسرعة الي نيش وكذلك القوات الاخرى الالمانية حولت وجهتها الى الصرب . وأصبحت جبهتنا في الصرب مرتبطة المصير بمقدار ماتبديه العساكر النمسوية من الاقدام والثبات .

وصار من المشكوك فيه اقتدارنا على حماية جنب النمسا وجبهتنا الغربية بدفاعنا في الصرب وفي رومانيا مع حصولنا على البترول الروماني كما صار من المتوقع وثوب الايطاليين ولا ندري ماسيكون من أمر الجيش النمسوي في تلك الجبهة

فلم يبق عليّ امام هذا الحرج المتناهي الا أن استحث الحكومة على انهاء الحرب بالطرق السياسية . وبما انى لم أعلم شيئاً عما تم في ماعزمت عليه الحكومة من توسيط ملكة هولاندا ، وقد أظهرت نتيجة مشروع بوريان وهو استمرار العدو على رغبته في محونا فلم يسعني الا أن أرجو من الوزير هينتز يوم ٢٦ سبتمبر الحضور الى سبا

— ٥ —

كانت الحوادث الداخلية فى هذا العهد قد تفاقمت من جراء تنازع الاحزاب الالمانية على السلطة. وكانت هجمات النائب أرزيبرجر فى الرايخستاج على الكونت هرتلينج مثار العاصفة ومظهر الصراع السياسي ولم يأبه أحد بنصائح الامبراطور التى فاه بها فى ١٤ أغسطس داعياً الى إزالة الاختلاف والشقاق وأدارة الشؤون العامة بالاتحاد التام وباشتراك جميع الهيآت. ولم أكن أعلم حينئذ حقيقة الحوادث الجارية فى الداخل ولا كنت أتصور انها بلغت من الحرج أشده. وأخطرني الوزير هينتز انه سيقدم الينا فى ٢٩ سبتمبر. وأرسل الكونت ليمبورج ستيروم الى المستشار يستقدمه ولم يكن لي دخل فى هذا الاستقدام وان كنت قد تلقيته بمزيد الارتياح.

وفي خلال هذه المدة تجددت الوقائع الحادة على الجبهة فوثب الاتفاق في شرق ايبر وفي ميدان الفلاندر السابق واخرجنا في كل مكان من استحكاماتنا الامامية وفي بعض الجهات أخرجنا من مواقع المدفعية. فاضطررنا الي سحب الجيش الى موقع خلفي

وفي ٢٨ هجم علينا في اتجاه كمبريه واستولى على أرض فيما يلي القناة على الرغم من اتخاذنا كل سائر وسائل الدفاع الفانونية في هذه الجهة. وبقيت الجبهة ثابتة في انحدارها نحو الجنوب الى الفيل

وابتدأت معركة عظيمة يوم ٢٦ فى شمبانيا على ضفة الموز اليسرى وقد حمل فيها علينا الفرنسويون والامريكيون. وبقينا متغلبين على ناصية الحالة فى غرب الارجون ودافعنا دفاعاً باهراً. واخترق الامريكيون جبهتنا بين الارجون والموز غير اننا تلافينا هذه الصدمة وفى يوم ٢٧ صرنا

منتصرين بوجه عام . وفى ٨ استرددنا خطوطنا ما خلا بعض التعديلات التي ادخلناها نحن على جبهتنا بمقتضى خططنا

ودخلنا مرة أخرى فى صراع هائل شغل سائر امتداد الجبهة الغربية. ففى ٢٩ سبتمبر والايام التالية حدثت وقائع أخرى شديدة أدت الى تحرج الحالة كالمعتاد فى أثناء اشتداد وطأة المعارك . وحينئذ بدأت تتوارد على مخيلتي الخواطر المتعددة . فاخذت اتساءل اذا كانت النمسا وتركيا تشرعان فى مفاوضات صلح منفردة أو تتكلمان باسم مجموع التحالف ؟ واذا كان من الممكن أن تنفض الحكومة عنها غبار الخمول وتبذل مساعى صادقة للحصول على مفاوضات الصلح ؟ أو اذا كان من الممكن أن تطلب القيادة العليا من العدو عقد الهدنة والتقدم الى مفاوضات الصلح ما دامت نتيجة الحرب غير واضحة وسفك الدماء بلا فائدة لا مبرر له ؟ وكنت أرى أن مقاصد كليمانصو ولويد جورج عدائية لنا ولكن ويلسن قد حدد شروطه الاربعة عشر التي جعلها أساساً لابرام الصلح ، ومع انها قاسية إلا أنها واضحة ومعينة فمن الممكن اتخاذها قاعدة للمفاوضات . وبما أن دخول أمريكا فى الصراع القائم بيننا والاتفاق هو الذى أدخل الحرب فى طور جديد ولولاه لكان الاتفاق قد هزم من مدة طويلة فمن الممكن أن يقبل الاتفاق شروطه الاربعة عشر ولكن اذا رأينا اننا كنا نسبح في لجة الوهم وان العدو يأبى الا أن يجذب القوس الى أن لا يبقى فيه منزع ، واذا أبي رؤساء العدو العسكريون أن يقدروا شجاعتنا فى القتال حق قدرها فثمت يجب علينا الذهاب في الصراع الى النهاية القصوى كيفما بلغ شأنه من الفداحة ، وربما يتيسر حينئذ حمل الحكومة والشعب الى التدرع بعزائم البطولة حينما يريان ما تتعرض له المانيا من الاخطار الجسام فى هذا الصراع . وهذه الفكرة

الاخيرة هي التى جعلتني لاأستسلم الى اليأس . فاذا مااتحدالشعب والجيش والحكومة وارتفع صوت واحد فى وجه العدو المعنت فهنالك نعرف كيف نخاطب العدو بطريقة تلائم غطرسته . وليس في هذه الفكرة شيء من قصر النظر . لقد تألمت فرنسا والصرب ورومانيا أكثرمما تألمنا نحن ومع ذلك فقد لبثن مثابرات على الكفاح . فاذا مااقتربت الحرب من حدودنا فان كافة رجالنا لايشعرون الا بعاطفة واحدة وهي التضامن في الدفاع عما هو عزيز عليهم ، وما نسميه جميعا وطننا ، لانهم عرفوا كيف يكون مسرح الحرب وما هي ساحات المعارك بل ماهي قطاعات المراحل ، وعن لى ان الحرب اذا ماهددت ثرى المانيا فان شعبنا البالغ سبعين مليوناً من النفوس يتحد حتى ليصبح كانسان واحد وينمى طائلة قوته الهائلة الحاضرة طوع أرادته فى كل آونة . وهل تستطيع فرنسا التي أهريق كل دمها أن توالي الصدام مدة طويلة أخرى بعد الجلاء عن أرضها ؟ هذه مسألة تحتاج الى انعام التفكير . وكيفما كان الامر فان الموقف لم يصل من الحرج الى الحد الذى يبرر التسليم والقاء السلاح امام الشعب وامام أبنائنا . ولكن على كل حال يجب التمشي في طريق الصلح اذا ماتيسر السير في هذه الطريق

ان المنازعات الداخلية المتوالية هي التى حملتني على هذا الرأى وشعرت بان واجبي يفرض علي العمل بمقتضى وجداني الخاص المخالف لالفاظ اولئك الذين هم أقل مني اطلاعا على حقيقة الحالة الحربية . وفي كل هذه الحرب لم أعمل الا بما يوحيه الىّ ضميري وأنا متحمل تبعة كل ماأعمله . وإنى لأعلم بما سيصيبنى من ضروب الوشايات والتهم كما حدث لي من قبل وبما سيلقى على عاتقي من تبعة الارزاء والنوائب التي ستتبع هذا العمل . الأن ماساغص به من حرارة الانحاء باللائمة عليّ لم يصرفني عن المضي في عزمي

وفي الساعة الثامنة عشرة من يوم ٢٨ سبتمبر أممت مكتب الفيلد مارشال وعرضت عليه ما ارتأيته من عرض الهدنة والصلح على العدو ، فان حوادث البلقان ستزيد الخطب تفاقماً ولو ثبتنا في الساحة الغربية . فامامنا الآن واجب لا نتحول عنه : وهو العمل بلا تردد وبجلاء ومضاء عزيمة . فأصغى الى الفيلد مارشال بتأثر وأجابني بانه كان عازما على أن يقول لي في هذا المساء نفسه ما عجلت أنا بالافضاء به اليه وانه أنعم التفكير في الحالة الحاضرة وانه يرى هذا المسعى أمراً محتما . واتفقنا بالمثل على شروط الهدنة . فكان أولها اخلاء الاراضي المحتلة في الجانب الغربي بنظام وترتيب يسمحان لنا بمعاودة القتال على تخومنا اذا دعت اليه مقتضيات الاحوال . ولم نفكر في التخلي عن الجبهة التي نحتلها في الجانب الشرقي . وكنت أرى ان الاتفاق يعترف بالخطر الذى يهدده هو بالمثل من جانب البولشفية .

وافترقنا بعد أن تصافحنا بثقة كرجلين قافلين من تشييع شخوص أعزاء عليهما الى المستقر الاخير وهما يريدان أن يظلا متحدين في أيام المحنة اتحادهما في إبان السعادة . لقد ارتبطنا بعضنا ببعض في أعظم انتصارات خطت في صحيفة هذه الحرب العالمية وها نحن أولاء لا نزال حتى اليوم على أتم وئام . ومن واجبنا أن نوقع هذا المسعى الذي بذلنا جهد طاقتنا في اتقائه بطابع أسمينا .

— ٦ —

اتفقنا على قاعدة التداول مع وزير الخارجية الفيلد مارشال وأنا في الحادثة التي دارت بيننا يوم ٢٨ . وفي ٢٩ حضر الفون هينتز فلم يهتم بالمسائل الخارجية بل وجه عنايته الى المشاكل الداخلية فافهمنا ان الحالة في منتهى

الخطر في الداخل وان نظام الحكومة عرضه للتبدل وان الكونت هرتلنج وشيك السقوط من مركزه وانه هو نفسه مزعزع بالمثل وان نيران الثورة تكاد تشتعل . فلم أبد أدنى اعتراض لاني لم أكن ملماً بالحالة الجارية في برلين . غير ان الحالة العامة كانت على كل حال تقتضي البت في الأمر كيفما كان شكل الحكومة التي ستتولى أزمة الاحكام وكيفما كان شأن التطور الذي سيحدث فمن الواجب أن نبسط خطتنا للحكومة الجديدة كما بسطناها من قبل للحكومة القديمة وعلينا أن نصل مساعينا باعتبار ان الحكومة هيأة واحدة لا تتبدل وعلى هذا الاعتبار أخذت الفت نظر الفون هبنتز الى ضرورة الاهتمام بمجموع كياننا . وبعد أن بسطناله الفيلد مارشال وانا موافقنا في سائر الميادين المختلفة أطلعناه على ماصحت عليه عزيمتنا من عرض الهدنة والصلح على خصومنا . فاستصوب وزير الخارجية عرض هذا المسعى على الرئيس ويلسن مادامت شروطه الاربعة عشر هي مدار التفاوض ولأن هذا الرئيس يميل بجوانحه الى مثل هذا المشروع وان سفير الولايات المتحدة في سويسرا قد صرح بهذا الأمر . فوافقنا على رأي وزير الخارجية وإن كان سيتقاضى وقتا طويلا وارتأينا اختصارا للوقت أن نرسل الى دول الاتفاق صوراً من المذكرة المرسلة الى الرئيس ويلسن في هذا الصدد لتكون الافكار في كل مكان مستعدة للعمل السريع .

وبعد الانتهاء من هذه الجلسه ذهبنا الى جلالة الامبراطور الذى كان قد جاء من كاسل الى سبا . فشرح وزير الخارجية لجلالته الحالة الداخلية كما بسطها لنا وختم مقاله بذكر المسعى المراد القيام به لدى الرئيس ويلسن لابرام الهدنة والصلح . وحينئذ اخذ الفيلد مارشال يصف الحالة العسكرية في سائر الميادين وصفا دقيقاً لم يسعني سوى ان اوافق عليه بالفاظ

وجيزه . فاظهر الامبراطور رباطة جأش فوق العادة واعرب عن موافقته على القيام بمسعى لدى الرئيس ويلسن. واصدر وزير الخارجية في الأصيل مرسوماً امبراطوريا مستهلا بالديباجة البرلمانية المعتادة في المانيا وسلمه الى المستشار الذي كان قد حضر بباعث من هـذه الشؤون الهامه . الاّ ان المستشار رأي استحالة تنفيذه هذا المشروع فاستقال . وحينئـذ طفقوا يبحثون في برلين عن مستشار برلماني جديد . وان هذا لحادث غريب فقد انكف التاج عن التداخل في ترشيح المستشار .

ووجهت القيادة العليا الى برلين بالقومندان البارون فون دم بوسش يوم ٢٩ ليقدم للرايخستاج المعلومات اللازمة عن الحالة العسكرية اذا رأت الحكومة مساس الحاجة الى ذلك . ورجوت من الفيلدمارشال ان يصحب الامبراطور يوم ٣٠ في ذهابه الى برلين ليمثل هنا لك القيادة العليـا في شخصه لان الحالة الحربية كانت لسوء الحظ تقضي ببقائي في سبا . وفي مساء اول اكتوبر تحادث البارون بوسش مع المستشار الجديد الأمير ماكس البادي بايجاز عن موقفنا الحربي.

وفي الساعة التاسعة صباحاً من يوم ٢ اكتوبر قدم نائب المستشار القومندان بوسش لمجتمع رؤساء الاحزاب في الرايخستاج . وبما ان هذا الضابط خبير بآرائي ومقاصدي فقد دونها كتابة قبـل ان يبسط بيانه الايجابي . فوصف الموقف في البلقان كما صار بعد سقوط بلغاريا ووصف حالة الجبهة الغربية بطريقة تدعو الى الثقة وأطرى الجنود ثم شكا من قلة القوى الاحتياطية التي بلغت درجة موجبة القلق مبينا اننا اصبحنـا لانستطيع ان نسد ابواب النقص فقد بلغ عدد كل طابور ٢٤٠ جنديا ولم يتهيأ ابلاغه هذا العدد الا بحل ٢٢ فرقة أي ٦٦ الايامن المشاة. واظهر

ان حالة النجدات النفسيه سيئه . ثم ختم تقريره بما يأتي :

« وفي استطاعتنا أن نثابر على الكفاح مدة من الزمن نكبد في خلالها خصومنا خسائر باهظة تاركين خلفنا بلاد ابلاقع الا اننا لا نقوى على كسب الحرب

« فدعت الحقيقة والحوادث الجارية القائد الفيلد مارشال والقائد لودندورف الى ان يعرضا على صاحب الجلالة وضع حد للقتال توفيراً على الشعب الالماني وعلى حلفائه في الضحايا الاخرى .

« وكما اننا وقفنا هجومنا العظيم الذي ابتدأ يوم ١٥ يوليه على أثر ما لاحظناه من عدم تناسب الارباح مع الخسائر الناجمة عن استمرار الوثوب كذلك يجب الآن تقرير الكف عن حرب لا تدل شواهدها على احراز الظفر . لقد أزفت الساعة . فان الجيش الالماني لا يزال قادراً على صد العدو عدة اشهر أخرى وعلى احراز انتصارات محليـة وحمل العدو على تقديم ضحايا جديدة . إلاّ أن كل يوم يمضي في مثل هذا الصراع يدني العدو من مأربه ويجعله أقل إستعداداً للاتفاق معنا على ابرام صلح يمكننا تحمل وطأته

« وعلى هذا فلا فائدة من اضاعة الوقت سدى لأن الحالة تزداد كل يوم سوءا وتتيح للخصم الفرصة التي تمكنه من تبين ضعفنا الحاضر بوضوح تام

« وان سوأيات العواقب لتنجم عن شروط الصلح وعن الحالة العسكرية

« فالواجب على الجيش وعلى داخل البلاد أن لا يظهرا أقل ضعف . بل يجب في نفس الوقت الذي نقترح فيه على الخصم ابرام الصلح ان تنهض في داخل بلادنا جبهة داخلية شديدة التماسك تظهر صحة عزمنا على موالاة

الصدام اذا ما رفض العدو قبول الصلح أواذا لم يمنحنا سوى صلح مذل

« فاذا حدث هذا الامر فان ثبات الجيش في المقاومه يتوقف على ما تبديه البلاد من الشجاعة وعلى الروح الذى يسرى من الداخل الى الجنود فينبث بين عواطفهم . »

ولم يقتصر البارون فوندم بوسش في تقريره على ايضاح برنامجي الرايخستاج بل لقد اوضحه واعرب عن آرائي للحكومة الجديدة التي تألفت من صفوف الرايخستاج . فالجندي الذى لبث اربع سنوات يخوض غمار الكفاح الهائلة بوسائل غير كافية أصبح اليوم عرضة لاعظم الاخطار

لقد قضيت عامين وأنا اجاهد أشد الجهاد في سبيل استئصال شأفة الانقسام والضعف المستولين على داخل البلاد ، وفي سبيل امداد الجيش بالقوى الاحتياطية اللازمة . وطالما خاطبت المستشارين كلا فى دوره لحشد كل الرجال واستخدام من تتوفر فيها القدرة على العمل من النساء وطلبت منهم جميعاً ان يطلعوا نواب الشعب الالمانى على حقائق الامور الجارية ، ولكن كل هـذا الجهاد الطويل الشاق لم يتكلل بالنجاح لان الرايخستاج لم يقف على الحقائق والمستشارين لم يبسطوا له الامور على علاتها ولم يستمدوه يد المعونة لانهاض حالة الشعب الادبية ، بل لم يطلع هذا المجلس على حقيقة موقفنا العسكري بعد ٨ اغسطس وافكارى فى صدد الصلح . ولو احدث نواب البلاد تأثيراً في نفوس الشعب بعد وقوفهم على الحقائق الناصعة لامكن تعقب المختبئين من المجندين والا بقين من الجيش ولتضامنت اجزاء الجيش ولما انسقنا الى هذه الكارثة التي نحن الآن مدفوعون بشدة اليها .

ولقد دهشت عند ما اعلمني القومندان البارون فون دم بوسش بما

احدثه بيانه في نفوس النواب من التاثر الشديد الذى دل على انهم لم يكونوا يتصورون الحاله على ماوصفها لهم . واذا كان النواب لم يجيبوا اذ ذاك بما يدل على استعداد للقيام بما يرجى منهم فما ذلك على ما اظن الا لشدة ماعراهم من الغم والذهول .

ولكن الأمر الذى يدعو الى الاهتمام والقلق هو ان هذه الحقائق كلها انتشرت على السنة الشعب فى اليوم التالى ، والذنب في هذا الخرق يرجع الى الحكومة التي لم تنبه القومندان بوسش الى وجود رجل بولونى بين النواب . فهو الذى اسرع باذاعة هذه الاسرار التى كان من الواجب ابقائها في حيز الكتمان حتى لايصل العدو بواسطتها الى اكتناه حقيقة حالتنا .

واذ كنت أرى من وجهة الانسانية ان لاداعى لاراقة الدماء الذكية سدى اذا توصلنا الى الصلح فقد صرت قلقا لتأخر تاليف الحكومة الجديدة التي يجب ان تبادر بارسال مذكرة المشروع الصلحي في الحال . واخذت احادث ممثلي الاستشارة ووزارة الخارجية ومن حولي من الضباط بالمثل عن آرائى الخاصة ذاكراً لهم ان الجيش يستطيع ان يقاوم عدة اسابيع اخري الا انه اذا وصل الى درجة الحرج النهائية فقد يضطر الى ابرام الهدنة في بحر اربع وعشرين ساعة اذا لم يحصل من الداخل على المادة التي تمكنه من مواصلة الصراع . هذا ما أفضيت به اذ ذاك لاماذهب اليه البعض من انني قلت : « يجب ابرام الهدنة فى بحر اربع وعشرين ساعة والاّ تداعت اركان الجبهة . » فان المدة المنقضية بين يوم ٢٩ سبتمبر الذى زودت فيه البارون فون دم بوسش بمادة مذكرته وبين يوم ٢ اكتوبر الذى عرض فيه هذه المذكرة على اعضاء الرايخستاج لم تشتمل

على حوادث خطيرة تستوجب التحول عن الرأي بمثل هذا الاختلاف العظيم .

ولقد رجوت من الفون هينتز أن يحتفظ بوزارة الخارجية اذا قبل المستشار الجديد لتظل وحدة العمل فى سياق واحد ولكن الامر جاء على غير ماأرجو . وكنت أحسب بيان القومندان بوسش سيلطف الحالة الداخلية ويصرف رؤساء الاحزاب عن المنازعات السياسية الى انهاض الحالة النفسية الداخلية ، بيدأن هؤلاء النواب لشدة تأثرهم فهموا هذا البيان على غير المقصود منه وكذلك فعلت الحكومة الجديدة التى لم تكن واقفة على مجري الامور فازدادت الحالة تفاقماً في الداخل

وفي ٣ اكتوبر التأمت أولى جلسات الوزارة الجديدة وحضرها الفيلد مارشال بصفته ممثلا للمعسكر العام الاكبر ، وتكلم باللهجة التى خاطبنا بها الوزير هينتز يوم ٢٩ سبتمبر . وسلم للمستشار مذكرة تتضمن فكر القيادة العليا وقد اطلعت عليها من قبل واستحسنت عباراتها . وهذا نصها :

« لا تزال القيادة العليا متمسكة بالطلب الذى عرضته في ٢٩ سبتمبر بشان توجيه دعوة للصلح الى اعدائنا فى الحال

« فعلى أثر انهيار الجبهة المقدونية وتزايد ضعف قوانا الاحتياطية في الملتحم الغربي واستحالة الاستعاضة عن خسائرنا الهائلة التي تكبدناها في المعارك الاخيرة لم يبق من أمل ، حسبما يستطيع أن يحكم به الانسان في حمل العدو على نشدان الصلح

« وأما خصومنا فيدفعون الى المعترك على التوالى بقوى احتياطية حديثة مؤلفة من الجنود المنتعشة

« وسيظل الجيش الالماني ثابتاً متيناً منظما وسيدفع كل الهجمات

الموجهة اليه وهو مكلل بالفوز . إلاّ أن الموقف يزداد حرجا على توالي الايام وقد يضطر القيادة العليا الى اصدار قرارات وخيمة العواقب .

« وفي مثل هذه الحالة من المستحسن انهاء الصراع توفيراً على الشعب الالماني وحلفائه فى الضحايا التى يوالون تقديمها . وكل يوم ينقضى عبثاً يتقاضى دماء الالوف من الأجناد الصيد

التوقيع : الفون هندنبورج »

وفي ٤ اكتوبر آب الفيلد مارشال الى سبا . وفى ٥ أرسلت المذكرة الاولى الى ويلسن . ولم يكن لنا دخل في صوغ المذكرة التى كتبت بلهجة لا توافقنا . ومن الاسف اننا خضعنا لحكم الاربعة عشر شرطاً التي وضعها ويلسن وهى شروط تنطبق على مبادىء الحزب الاشتراكي الديموقراطى المستقل . ولقد أوضحت فى تلغراف ارسلته في ٢٦ اكتوبر « ان الشروط الاربعة عشر المذكورة المرسلة الى ويلسن يجب ان تكون قاعدة المفاوضات الصلحية لا ان تصير الشروط التي يفرضها علينا العدو » . وقد وافقني الفيلد مارشال الذى كان حينئذ فى برلين على هذا الرأي إلا انه لم يجد موافقة تامة عليه من سائر الوزراء الذين كانوا مجتمعين إذ ذاك ، الا نائب المستشار الفون باير الذى اتفق مع الفيلد مارشال تماماً . ثم أعلموني فيما بعد ان سائر الوزراء متفقين على أن مسالتي الالزاس واللورين وبولونيا صارتا دوليتين الاّ أن هـذا لا يحول دون التنازل عن الالزاس واللورين وعن اجزاء هامة من أرضنا الشرقية

واجتمعت في سبا لجنة تنظر فى شؤون الهدنة يرأسها القائد جوندل ويمثل المستشار فيها الوزير هينتز وتتألف بقية هيأتها من القائد فينترفلد والقومندان برينكمان واليوزباشى البحري فانسيلوف .

وقد صدرت تعليمات جديدة الى الجيش لمكافحة التأثير السيء الذي أحدثه عرض الهدنة والصلح على العدو .

واستخلصت من المحادثات العديدة التي دارت بيني وعدد كبير من الضباط ان الثقة الموجهة الى لم تزل من النفوس فسرني هذا الأمر .

— ٧ —

لقد أعرب المستشار الامير ماكس البادي في خطبته الاولى العظيمة التي القاها في الرايخستاج يوم ٥ اكتوبر عن رأينا الفيلد مارشال وأنا بشأن الاستمرار على الكفاح اذا عرضت علينا شروط لا يمكن قبولها إذ قال : « لقد صممنا وقلوبنا مطمئنة وفائضة بالثقة على أن نجود مرة أخرى بضحايا متناهية في الجسامة إذا لم يكن لنا محيص من تقديمها في سبيل شرفنا وحريتنا وسعادة أعقابنا . »

« وكيفما كانت نتيجة عرضنا الصلح فاني لعلى يقين من انها ستجد المانيا متحدة ومصممة بعزم ماض على أن تنال صلحاً شريفاً أو تمضي في العراك الى أن تظفر بالحياة الآمنة الجيدة أو تستشهد في ساحة الدفاع الشريف . فشعبنا مستعد لمثل هذا الصراع اذا ما الجيء اليه . ولا تخامرني خلجة من الشك في امكان حدوث الأمر الثاني لأني أعرف الروح الذي يحرك القوى العظيمة التي لا تزال كامنة حتى الآن في شعبنا كما أعرف ان كل فرد مقتنع بانه انما يجاهد لاجل حياة المجموع وان هذا الاقتناع الذي لا يتزعزع سيزيد في خطارة هذه القوى . »

وأيده رئيس الرايخستاج بقوله : « ان كل الماني في الداخل مستعد

لان يباري الجندي الجاهد في الجبهة فى تحمل ماتتطلبه سلامة الوطن من سائر التضحيات . »

وانها لـكلمات نبيلة سامية تغرس فى النفوس الثقة والامل . ولـكن المستشار والرايخستاج لايعلمان ماأعلمه أنا من أن الشعب الالماني حينما هب للـكفاح فى عام ١٩١٤ كان كل امرىء من أفراده يحسب انه يدافع عن حياته والمدافعة عن الـكيان تجيز الجود بكل مرتخص وغال ، فما زالت الالفاظ السامة تنهال عليه من الداخل والخارج حتى قضت على هذا الشعور الذي كان يدفعه بقوة إرادة لاتغالب الى موالاة الجهاد . ولم يسر هذا الروح سرياناً حقيقياً في جثمان الشعب الالماني والجمعية الوطنية الا فى مايو ١٩١٩ عند ماأعلنت شروط الصلح التي لم يسمع بمثلها . ففاه إذ ذاك هذا الرئيس نفسه بكلمات مثيرة للعواطف والفاظ بديعة مهيباً فى الحال بجرأة بالشعب وإقدامه ، بيد ان التلغراف الرسمي لم يجسر على نقل هذه الاقوال . وفى هذه المرة بالمثل لم تتعد الالفاظ دائرة كونها الفاظا . فالفرصة اذن قد أفلتت .

وفى هذه الاثناء ظللت أؤدي واجبي كالمعتاد حتى اذا ماتبينت فيما بعد عند ورد مذكرة ويلسن الثانية انه عاجز عن تنفيذ مبادئه الاربعة عشر لان كليمانصو ولويد جورج متغلبان عليه ، وان العدو لن يرجع عن استعبادنا صحت عزيمتي على أن أنفذ الفكرة التي كانت تحوم في مخيلتي وهي المـكافحة الى النهاية وانتظرت من الامير ماكس وحكومته الوفاء بوعودهما ولقد أسفت إذ ذاك على عدم الاستفسار من الحـكومة والامة فى أوائل اكتوبر بصراحة تامة عما اذا كانا يريدان حقيقة موالاة الصراع الى المنتهى واستفراز الشعور الوطني واستجماع عناصر القوة الـكامنة في البلاد ؟ ولـكني علمت

الآن ان الحكومة والشعب لم يكونا على بينة من مقاصد الاعداء الحقة التي كانت تتستر تحت غشاء كثيف من الالفاظ الخلابة فكل استفسار وكل استفزاز كان سيقضى عليه بالاخفاق .

وكان من رأى الامير ماكس أن يرجىء ارسال المذكرة الى ويلسن اسبوعاً يضع في اثنائه برنامجا يتضمن مطابقة مقاصدنا الحربية لشروط ويلسن الاربعة عشر

ومنذ ٥ اكتوبر أصبحنا نطابق بين أعمالنا وآمالنا ومبادىء ويلسن. ومع انه لم يحدث شيء مزعج لنا في الجبهة الغربية منذ منتصف أغسطس فقد طفقت في الحقيقة أحث المستشار بطريقة صامتة على بذل أقصى جهده للوصول الى الغرض المقصود . وفي منتصف اكتوبر أصبحت لا أدري اذا كان المستشار لايزال يعتقد بحسن نوايا العدو ورغبته الصادقة في ابرام صلح عادل ؟ واذا كان لايزال يجهل أن العدو واقفاً على سائر دخائلنا ولا سيما قوانا المرابطة على الجبهة وما أحدثناه من التطور الهائل في وحداتها وانه ينتظر من آونة الى أخرى سقوطنا بعد أن رأى صيغة الامر الامبراطوري الموجه الى الكونت هرتلنج في ٢٩ أغسطس وهى الصيغة التي أفضت الى خاتمة ٩ نوفمبر ؟ لقد مثل الاتفاق دوره باتقان الا أن حقيقته قد انكشفت الآن فهل لايزال عشاق الانسانية والسلام من رجالنا الخياليين يسبحون في لجج الاوهام ويأبون الآن يقوضوا دعامة سلامة الوطن وهو الجيش ؟ وهل رأوا من عمال واشتراكيي دول الاتفاق سعياً الى حمل حكوماتهم على وضع حد للحرب والتقدم الى مائدة الصلح بمقاصد سلمية حقيقية؟ وهل لم يتيقن هؤلاء الداعون الى نشر الوية السلام على العالم أجمع أن مبادئهم لم تصل الى أعماق القلوب ولم يحن أوان تحقيقها بعد؟ على أن جريدة

الفورفارتس قد كتبت في ٥ فبراير ١٩١٩ على أثر انتصار جنود الحكومة في برلين ما يأتي :

« اننا بصفتنا اشتراكيين نأسف جد الاسف للالتجاء الى استخدام القوة لاننا الاعداء الطبيعيون لكل شدة . إلاّ ان مضادة استعمال الشدة لا تجيز الرضوخ للشدة الصادرة من الفريق المنافر . ولا يمكن أن يتوطن حب السلام الاّ على أساس من مثل هذا الحب لدى الفريق الآخر . فالذي يوافق من جهة المبدأ على كراهة استخدام القوة لا يسعه أن يعارض في أن مواجهة الشدة بمثلها تنتهي بتقوية سلطان القوة في نفوس الآخرين »

فجريدة الفورفارتس لم تزد على أن اعادت الآن ما ذكرته في ١٩١٤ وهي بقولها هذا تؤيد ما أؤيده أنا طول حياتي . ان استخدام القوة في الداخل أو في الخارج لا يرضى انسانا . ولقد اضطررنا في ١٩١٤ الى الاهابة بالشعب لحمل السلاح بقصد القضاء على حكم القسوة الذي سقطنا نحن تحت أسره اليوم . ان النظريات تخالف الاعمال

— ٨ —

وصل رد ويلسن على مذكرتنا المرسلة اليه في ٥ اكتوبر الى برلين يوم ٩ بالتلغراف الجوي . وهو يقضي من الوجهة العسكرية بجعل الشرط الاساسي لقبول الهدنة الجلاء عن البقاع المحتلة في الغرب . وكنا نحن مستعدين لهذا الامر . وترك الرد الباب مفتوحاً للمفاوضات مقبلة . فشخصت الى برلين بطلب خاص من الامير ماكس حيث دار بيننا حديث سري طويل . وكنت قد تحادثت مرتين في المعسكر العام الاكبر مع هذا الامير وخبرت أطواره . وهو الشخص الوحيد الذي ذكر لي نائب المستشار

أيير انه الكفؤ لتولى شؤن البلاد في مثل هذا الموقف العصيب. فسعيت في ترشيحه وتعيينه. واذ كان ضابطاً من اسرة امراء المانية قديمة فقد رجوت منه الخير للوطن الالماني ، ولم يثنني عن التشبث بهذا الرجاء اختلافه معي في بعض الآراء . وكنت أراه يرخى العنان الى منتهاه ثم لا يلبث أن يقبضه بشدة متناهية . على انه لم يحقق رجائي فيه . وعلى أثر محادثتنا وجه الي الامير سؤالا تتعذر الاجابة عليه وهو معذور في توجيهه لانه بصفة خاصة وسائر القوم في برلين بصفة عامة لا يفقهون كنه طبيعة الحرب . الا انى أجبته بخير ما تيسر لى من البيان . ولم أجد ما يحملني على اخفاء حقيقة اعتقادى اذ ذاك فلقد كنت أرى رد ويلسن يحمل على الامل في الحصول على صلح لا يتضمن محونا

وفي أثناء مسار تنارجا مني الامير ماكس ان ابعد عن القائد بارتنفرفر وأمير الألاي باوبر والقائمقام نيقولاي . فرجوت منه ان يبسط لى أسبابا معقولة تجيز لى ابعاد هؤلاء الضباط الامناء المخلصين لان الشك في الابرياء بغير دليل مقنع أمر في منتهى الخطارة. فلم يزدني بيانا على أكثر مما يدور من اللغط حول هذه الاسماء ، فالمسألة اذن لا تتعدى حد الاقاويل والدسائس التى لا يصح اتخاذها أساساً لاجراء تحقيق دقيق في الخفاء ضد ضباط انا على تمام الاقتناع من طهارة نفوسهم . وهكذا تهتم الحكومة في مثل هذه الاونة العصيبة بمثل هذه الامور الشخصية

وطلب مني المستشار أن أمكنه من الوقوف على آراء عدد من كبار الضباط فرفضت لان الامبراطور هو الذى له الحق وحده في كل آونة ان يطلع على آراء القواد وليس للمستشار مثل هذا الحق . فالفيلد مارشال وأنا نتحمل تبعة المسائل العسكرية وحدنا . على أن مثل هـذا الطلب لم

يكن وجيها لان آراء رئيس كل جيش وكبار ضباطه لا تتعدى القسم الذى يشغلونه من الجبهة ، أما نحن فواقفون على مجموع الآراء وخبيرون بتفاصيل الحالة

ومن المعتاد ان يكثر الانتقاد على الخطط والاعمال العسكرية عقب كل معركة كبرى ، وفى كثير من الاحيان يكون الانتقاد صواباً أو على شيء من الصواب لان الخطط العامة لاتتضمن التفاصيل والاعمال التى تجرى فى بعض الجيوش قد تنجم عن تأثيرات خاصة . فالانتقاد اذا تغلغل في دقائق الاعمال يؤدى الى نتائج محمودة . وهذا هو الذى حملنى على أن أطلب من سائر الضباط موافاتى بارائهم في هذا الصدد . ولكنى لم أظفر بطائل من هذا القبيل إلا نادراً . ولقد أفضى الي اليوزباشي باخاوس من الالاى ٧٨ من مدفعية الميدان بمعلومات هامة لم يسعنى سوي توجيه عنايتي الخاصة اليها

على انني رأيت الساعة قد أزفت للتحقق مما اذا كان الشعب سيهب على بكرة أبيه للذود عن حوضه الى النهاية اذا ما أبى الخصم علينا صلحاً عادلا واذا كان مزوداً بهذه العزيمة الصادقة فلا داعى لارجاء التأهب الاكبر للقيام بآخر جهودنا . على أن الصحافة كانت تحيي في نفوسنا روح الامل

ولكن حكومة الحرب الجديدة ولا سيما رئيسها الامير ماكس لم تبد شيئاً مذكوراً ولم ينفذ المستشار ما وعد به في الفاظة الضخام التى فاه بها يوم ٥ اكتوبر . وحينئذ طلبت من الحكومة التداول في هذا الامر فعقد مجلس الوزراء بحضورى . وتناقشنا طويلا في المسائل الحربية وفي المسائل الشرقية بصفة خاصة . وبما أن الحكومة لم تكن على تمام العلم بهذه المسائل ولا بد لها من مراجعة النمسا فيها فلم يبت مجلس الوزراء في هذه الجلسة في أمر ما . وقد رأيت من بحث الوزراء في أقوال الصحف المتحمسة

ما دلنى على تشبع نفوسهم بروح القوة والعزم . ووجدت في هذه الوزارة رؤوسا كثيرة ولكنها دون رؤس وزراء الأعداء .

وفي نهاية الجلسة شكرنى الامير ماكس على حضورى فاجبته وانا متفق مع الفيلد مارشال في هذا الصدد باننا نؤيد الحكومة باخلاص وصيغ الرد على مذكرة ويلسن الأولى باتفاق بين الوزارة والقيادة العليا ونجحت في ادماج السؤال الآتى في الرد وهو : هل تقبل انجلترا وفرنسا بالمثل المبادىء الاربعة عشر ؟ ولم تشترك القيادة العليا بتاتافي بحث المنح المختصة بالسياسية الداخلية ، لانها لاتقبل الضرب على هذه النغمه . ان الطريقة التى نتبعها في المانيا تدل على اننا نندفع بسرعة الى طرح كل ما كان مقدسا لدينا ظهريا . فالعدو ينظر بعين الارتياح الينا ونحن نزيد خطواتنا اتساعا في السير الى التدهور .

وعلى حين فجأة انكفت الالسنة فى سائر ارجاء العالم عن التكلم في صدد الصلح العادل ، صلح التصافي والتراضى . وما ذلك الا لان العدو الذى كان يستخدم هذا الضرب من الايهام للتغرير بعقولنا كشف الآن عن وجهه القناع بعد أن عرضنا عليه الهدنة واوحى الى صحفه بل الى سائر الصحف المحايدة بتجنب الخوض في موضوع هذا الصلح. والاغرب ان الذين كانوا يتوقون اليه في بلادنا ويحبذونه خفتت الآن اصواتهم بل وجد أناس يرون المباديء الاربعة عشر اساس العدل والحق . فالى هذا الحد وصلت بنا الضعه . وحمل البعض عليّ حملات شديدة لان اقتراحى عرض الهدنة على العدو قبل الأوان سبب مصابا جديدا بعد ان حالت قلة حيلتي دون ابرام الصلح. فحركوا بهذه الحملات سخط الشعب والجيش عليّ . ولو ان كل اولئك الذين لم يكن يهمهم في الماضي سوى ابرام صلح

العدل والتراضي وجهوا عنايتهم الى الحرب وتصوروا هول الهزيمة فى افظع مظاهرها وأيدوني في مجهوداتي التي اردت بها استجماع قوى الشعب الاخيرة وابقاءه حافظا قوة ارادته على موالاة الصراع لما اضطررت الى اقتراح عقد الهدنه . وعلى كل حال فقد ارسلت مذكرتنا الثانية الى امريكا يوم ١٢ اكتوبر

— ٩ —

ظلت المعركة التي نشبت على الجبهة الغربية فى أواخر سبتمبر محتدمه. وغرض العدو منها بذل مجهود عظيم ليشدخ قسم الجبهة المنتشرة عليه مجموعتا جيوش ولى العهد روبرخت والفون بوهن في اتجاه جاند وموبيج وبتر الجناحين الداخليين لمجموعتي الوريث الالماني والفون جالويتز على جانبي الارجون وفى اتجاه شارليفيل وسيدان . وكل الوثبات التي قام بها الاتفاق منذ خريف ١٩١٥ كانت قاعدتها هذه الفكرة الجوهرية . ولقد اخفقت الى هذه الاونة بسبب ما كان يصيب العدو من النصب وما كان يبديه جنودنا من شدة الدفاع . اما الآن فقد اشتفنا الضعف واخذت فرقنا تتخلى عن مواقفها شيئاً فشيئا . وازداد عدد الآبقين في مؤخرة الجيش بدرجة مزعجه . واذا كان الذين لبثوا يكافحون في الجبهة ابطالا فان عددهم اقل بكثير مما يقتضيه اتساع البقاع التي يغطونها . فأصبح الجنود ازاء قلتهم يستمدون روح شجاعتهم من ضباطهم . وهؤلاء الضباط خطوا بجنودهم الامناء أمجد صحيفة حربية واتوا بآيات باهرات من البساله . فكان رؤساء الالايات والالوية بل الفرق ومعهم ضباطهم وبعض الجنود وغالباً يصحبون كتمة اسرارهم وجنود مراسلاتهم يوطدون دعائم الحالة

بانفسهم ، ويمنعون من اختراق جبهتهم عدوا متفوقاً عليهم فى العدد بدرجة هائلة الا انه غالبا اقل منهم نخوة واقداما . واننا لنفتخر باعمال هؤلاء الرجال التي تعتبر من مدهشات البطوله . ولكن كل هذه الآيات الباهرات لم تكن كافية لاحرازنا النصر النهائى بجانب كثرة المتخلفين في الداخل من الجنود الذاهبين بالاجازات وبجانب كثرة الشاردين حتى ان قسما من طوابيرنا لم تعد تتألف الا من فصيلتين واضطرت القيادة العليا ان تلغي الاجازات بالسفر الى الداخل ولم يجيء نوفمبر حتى كان شخوص الجنود الى بلادهم ممنوعاً قطعاً ، ومن الاسف ان هذه الوسيلة لم تتخذ من مدة سالفه . واختصرت مدد ارتياح الفرق واعادة انتظامها وتزودها بالادوات والملابس . ووضعت خيرة الاجناد لحراسة الطرق والممرات لمنع الهاربين والمتجسسين فأحدث اخراجهم من الجبهة خطراً كبيراً لانها فقدت بابتعادهم عنها قوة معنوية عظيمه . واضطررنا ازاء شدة القتال واستمراره الى ان نقذف الى الهيجاء بفرق من الخط الثاني فحدث ارتباك في النظام العسكري . وازداد توتر أعصاب الضباط من شدة مايقومون به من الجهود الهائلة الا انهم كانوا كلما رأوا الخطر مندفعا نحو وطنهم تناسوا آلامهم واوصابهم وابدوا عزائم لايمكن قهرها .

وفي اوائل اكتوبر اضطر الجيش الرابع الى ان يرتد بعد كفاح هائل من خطه الامامى الى خط يمتد بين روليه وميئان مع استمراره على الاشتباك مع العدو في وقائع تخلية حاميه . وعاود العدو وثوبه بشدة في ١٤ اكتوبر في اتجاه روليه فاكتسح اراضى تمتد الى ماوراء المدينة نفسها ، وفقدنا بالمثل كور تمارك . الا أنه لم يستطع التقدم بدرجة محسوسة في اتجاه ميئان ، وارتد على عقبه فى جهة ويرفيك . واحرز العدو يوم ١٥

فوزا جديدا حمل الجيش الرابع على التراجع الى خط يمتد مابين ديكسمود وتورهوت وانجيلموستر و كورتريه . وكانت فرق هذا الجيش قليلة الجنود فدل عدم احراز العدو عليه نصرا مبينا على ان العدو نفسه ضعيف الحول . و بلغ الجيش الرابع من الضعف مبلغا جعل القيادة العليا تفكر في اقالته من الاحتكاك بالعدو وتقصير جبهته الى آخر ما يستطاع ، فصدر اليه الامر بالانثناء الى خط هرمان الممتد خلف قناة سيكلو واللير . فتخلينا بهذا العمل عن ساحل الفلاندر . وفي هـذه الاثناء كانت الغواصات قد أتخذت لها قاعدة أخرى .

واستمر الجيش السابع عشر بعد تدفق العدو على خطوطنا بالقرب من كمبريه يوم ٢٧ سبتمبر يتحمل ضغط العدو مارة به أيام عسيرة . وبقي محتفظاً بالمدينة الى يوم ٨ ا كتوبر . ولم يكن الجيش الثاني موفقا في قتاله فاضطر في أوائل ا كتوبر الى التراجع الى كاتليه واستند فى وقائعه التالية على الجناح الايمن من الجيش الثامن عشر الذى اصطلى نيرانا حامية . وفي ٨ ا كتوبر ضربه العدو ضربة اخرى في ضواحي كاتليه وفي الجهة الجنوبية فواصل ارتداده الى الخلف . فلم يسع القيادة العليا إلاّ أن تسحب الجيش الثاني في الليلة الواقعة بين ٨ و ٩ الى خط هرمان لنفاد قواه الاحتياطية فتبع قلب الجيش السابع عشر وجناحه الايسر هـذه الحركة مرتداً الى منتصف الطريق الواصلة من كمبريه الى فالانسيين في حين أن جناحه الايمن الذى كان مرابطا في الاول غرب دواى أخـذ يتراجع مقتربا من المدينة وانثني الجيش الثامن عشر كالجيش الثاني الى خط هرمان تاركا جناحه الايسر مرابطاً في لافير

وتم تراجع هذه الجيوش الى خط هرمان على غير ما كنا ننتظر لاننا

كنا نتوقع ثباتها فى خط سييجفرييد مدة طويلة . ولم نغادر خطنا الممتد في شمال سان كنتان فى الوقائع التى حدثت على امتداده في أوائل اكتوبر وان كان العدو قد شغل بعض أراض منه

وفي ١٠ اكتوبر وثب العدو على مواقعنا الحديثة الا انا صددناه وجرت بين العدو والجيوش السابع والثانى والثامن عشر وقائع متوالية من ١١ اكتوبر الى ١٧ كانت في مجموعها موافقة لنا

واستدعى تراجع الجيش الرابع الى ماوراء اللبز الى اجتذاب الجيشين السادس والسابع عشر خلف الاسكو على خط هرمان . فأخلى الجيش السابع عشر مدينة ليل ليلة ١٨ . وصممنا على إبطال مجموعة جيوش بوين أثر تراجعنا الى خط هرمان لانه لم يعد يستطيع اكمال نقصه . فالحقنا الجيش الثاني بمجموعة رويرخت والجيش الثانى عشر بمجموعة الوريث الالماني. وادمجنا الجيشين التاسع والسابع بالمثل في المجموعة الاخيرة

واضطرتنا حاجتنا الشديدة الى توفير قوانا الي أن نسحب مجموعة الوريث الالماني من بارزة لافو في أواخر سبتمبر مع ماكلفنا الاستيلاء عليها من الضحايا العظيمة وجعلناها ترابط خلف القناة الممتدة من الواز الى الاين . وأخذ جناحا الجيش السابع الايسر والجيش الاول الأيمن يتراجعان يوم ٢ اكتوبر الى الموقع الذي تقدما منه يوم ٢٧ مايو ١٩١٨ ومن سوء الحظ ان احدى الفرق سمحت بانشطارها على غير انتظار فوق الهضاب الناهضة في شمال شرق فيم قبل تنفيذ حركة الارتداد . وهجم العدو على قلب الجيش السابع في الشمن ديه دام على غير طائل . وجرت معركة شمبانيا والموز التي دارت على جانبي الارجون فى مجرى موافق لنا على الرغم من تفوق العدو العددى الهائل في هذين الملتحمين .

وقد حملت المعارك التي اصطلى نيرانها الحامية فى أوائل اكتوبر الجناح الايسر من الجيش الاول والجيش الثالث مجموعة الوريث الالماني على إبطال القتال وانسحابها باجمعها الى موقع هوندينج برونهيلد لان القيادة العليا لم تستطع أن تسعفها بالنجدات بل وافقت على حركة تراجعها التي تمت بالتدريج الى ١٣ اكتوبر . وفي هذا اليوم احتلت الجيوش السابع والثالث والاول الموقع الجديد المحصن أحسن تحصين وهى على استعداد لمنازلة العدو اذا واثبها . ويستحق قائد الجيشين الثالث والاول ورئيسا أركان حربهما كل اكرام من الوطن على الدفاع الباهر الذي قام به جيشاهم اثناء ارتدادهما من أواخر سبتمبر الى أواسط اكتوبر .

وكان العدو يتبع عن كثب تراجع مجموعة الوريث الالماني من الواز والاين وهو يتقدم بحذر فى منعطف الاين ولكنه حاول على عجل أن يقتحم زاوية الاين المرتسمة بين فوزيير وجرانديريه فلم يتوفق في بادىء الأمر . واستمر ضغط الامريكيين على الجيش الخامس في وادى الاردر شديداً جداً . وامتد القتال من شاطىء الموز الغربي الى شاطئه الشرقى . ومع تفوق الجنود الامريكيين الاحداث بدرجة هائلة فى العدد وآلات الكفاح فانهم اخفقوا في سائر وثباتهم وأصيبوا بخسائر جسيمة جداً . ويرجع الفضل في فوزهم يوم ٢٦ سبتمبر الى مابدر من فرقة احتياطية المانية من سوء الدفاع والى أن فرقة أخرى شجاعة كانت تشغل في مكان آخر جبهة واسعة وقد اضنكها جهادها الموصول من قبل فقل عدد رجالها

وصارت الحالة في يوم ١٧ كالآتي : لقد توطنا في الجبهة الممتدة على طول ضفة الموز الغربية في موقع ارتداد . ولا تزال حركة الانثناء مستمرة في الجناح الايمن . ومما يستوجب الكدر الشديد ان الجيوش في اثناء تراجعها

الى خطى هرمان وهو نديتج برونهيلد غادرت مخازن كثيرة كانت توفر أسباب الرفاه بدرجة عظيمة للجنود . ولقد قاتلنا في نقط كثيرة بنجاح باهر واكتفى العدو فى نقط اخرى بكل ما أحرزه من الانتصارات المبتورة وأصبحت نتيجة الوقائع الآتية متوقفة على ماتبديه البلاد والحكومة من الرغبة الصادقة في الاستمرار على الحرب . لقد أنا للجيش أن يعرف مصير هذا القتال فاذا كان الشعب الالماني سيتشبع بروح الحمية وينعش الجيش فان حالة الجيش تتحسن ويكون مصير الحرب أقرب الى النجاح

وشرعنا في اخلاء الاراضي الممتدة خلف خط استحكامنا الجديد بنقل كل أدواتنا ومخزوناتنا الى المانيا مباشرة ، فوقعنا في أزمة نقل أخرى ولا بد لنا من استغراق عدة أيام بل عدة أسابيع في حركة النقل وبدأت أدبر الوسائل الناجعة لتدمير الطرق والجسور والمعابر التي تفيد العدو فى اثناء مطاردته ايانا . وعاملنا السكان معاملة حسنة استوجبت شكرهم ، وأعرب لى كثير منهم عن امتنانهم غير انهم رجونى أن لا أصرح بهذا الامر علناً حذراً من الروح السارى في باريس . واقبلت لجنة محايدة من بروكسل الى الجبهة فخبرت مانبديه من العناية بالسكان وسبرت بالمثل حالة التخريب التى أحدثتها مدفعية العدو وطياراته . فاذا ماتألم السكان من شيء فانما يرجع تألمهم الى مفعول الحرب نفسها لا الى سوء سلوكنا الذي لا غبار من اللوم عليه . بيد أن الاتفاق كان فى حاجة الى خلق تهم تزيد فى اجتذاب ويلسن الى جانبهم .

ونشط العمل في المؤخرة لاعداد خط دفاعى يذهب من أنفرس الى الموز . واعددت كذلك موقعاً جديداً على امتداد التخم الالماني

وضربت السكينة أطنابها على الساحة الايطالية . وأشيع أن الاتفاق

سيقوم بوثبة جديدة هنالك فصار من المحتم الاهتمام بالجيش النمسوى لان الجنود النمسويين لم يحسنوا الكفاح فى الصرب

وساءت الحالة في البلقان باستسلام بلغاريا الى الاتفاق وصار التخلي عن قاعدة الغواصات فى كتارو وايجاد سواها في بولا

وتولى القيادة في الصرب القائد كويفيسك ليدافع عن المجر. وكانت مهمته من أشق الامور لان الجنود النمسوية التي تحت رآسته لاقيمة لها والجنود الالمانيين من الكهول ووحداتهم قليلة الاعداد ، والفيلق الألبي أجهده طول الكفاح .

وانتشرت جنود نمسوية في وادى المورافا في جنوب نيش لتغطي سير الفرق الالمانية والنمسوية فى الجبل فكان قتالها سيئا . فلزم ارجاع نقطة الاحتشاد الى الهضاب الناهضة في شمال المدينة يوم ١٢ اكتوبر . وفي١٦ وصلناالى الهضاب الكائنة فى شمال الكسيناك على جانبي المورافا . واحتكت الجنود الالمانية القادمة من ميتروفيتزا بالعدو في شمال المورافا الغربي . واستمرت التشكيلات المرتدة من صوفيا متراجعة من طريق لوم بالانكا لتجتاز الدانوب فاقتفت بعض الفرق الفرنسوية آثارها . وبلغتالدانوب يوم ١٧ . وازداد الاضطراب فى رومانيا . وانتقلت هيأة أركان حرب شولتز الى رومانيا لتتولى الدفاع عن الدانوب بناء على التعليمات الصادرة من الفيلد مارشال ماكنزن . ووصلت نجدات القوقاز واوكرينيا ولم تصبح الحالةفيالصرب وعلى الدانوب مطمئنة الاانها لمتؤل الى الانحلال . وأصبحت الجنود الانجليزية محتلة لادرنه ومنتشرة في شمال الماريتزا . وكان الدفاع عن الاستانة من هذا الجانب في منتهى الضعف . واستعد الجنود الالمانيون ورؤساؤهم لمغادرة تلك العاصمة مبحرين الى اودسا في حالة هجوم الاتفاق عليها

لقد أحطت علما بكل هذه المواقف العسكرية لا كون على استعداد لانواجه به مذكرة ويلسن الثانية

— ١٠ —

لم يمنحنا ويلسن فى مذكرته الثانية أي امتياز ، بل لم يفدنا اذا كان الاتفاق قابلا بالمبادىء الاربعة عشر . إلا انه طلب الكف عن حرب الغواصات وزعم أن طريقة قتالنا فى الجبهة الغربية مخالفة لحقوق الناس ، وتداخل بطريقة غامضة في شؤننا الداخلية . فلم يبق بعد ذلك شك فى مقاصد اعدائنا وفى نفوذ كليمانصو ولويد جورج المتناهى . فويلسن لا يسعه أن يعارض في مطالب فرنسا وانجلترا التي لا تقف عند حد معقول . فلا مناص لنا من اتخاذ تدابير خطيره. لقد صرنا الآن أمام السؤال الآتي وهو: هل نريد أن نستسلم الى تحكم العدو فينا ، أو تريد الحكومة أن تدعو الشعب الى التدجج بالسلاح للصراع النهائي المقرون باليأس والاستماته ؟ ومن الواجب أن يكون ردنا على هذه المذكرة مصوغا فى قالب العزم والشمم فنظهر رغبتنا الشديدة فى ابرام الهدنة ، ولكن مع الدفاع بشدة عن كرامة جيشنا الباسل . ولا ينبغي أن نترك سلاح الغواصات لاننا بتركه نكون قد سلمنا انفسنا للعدو

وتناقشت الوزارة يوم ١٧ اكتوبر في المذكرة . وحضرت هذه الجلسة كما حضرها أمير الالاي هي ورجوت من القائد هوفمان الحضور بالمثل الى برلين . وفي هذا اليوم اشتبك الجيش الثامن عشر في وقائع قاسية

وخاض المستشار عدة مسائل متنوعة ثم التفت اليّ مصرحاً بما يلى :
ان مذكرة ويلسن الحديثة تنطوى على تفاقم فى المطالب . ومن الواضح

أن تأثيرات خارجية جعلت ويلسن في موقف عسير . ويظهر انه يأمل أن نسهل استمرار المفاوضات ليتغلب على عناد اولئك الذين يريدون مواصلة الحرب . وقبل الرد على هذه المذكرة ينبغي معرفة ما تقتضيه الحالة العسكرية في المانيا

أما رأيي في أعدائنا فيناقض ما تقدم ، اذ كنت الوحيد الذى يعتقد حينئذ بظهور رغبة العدو في محونا . وأجبت على الاسئلة المختلفة الموجهة الي بما يأتي: « لقد القيت علي عدة اسئلة من المستحيل الاجابة عليها بصيغة جازمة . فما الحرب بمسألة رياضية . وفي الحرب أمور كثيرة قابلة لكل احتمال . ولا يسع أحد التكهن بعاقبة القتال . فحينما ذهبنا في أغسطس ١٩١٤ الى روسيا الشرقية وأمرنا بانشاب معركة تانينبرج لم نكن نعلم كيف تسير الامور وهل يتحرك رنينكامف أم لا . فالحرب مقرونة بالحظ وربما عاد حظ المانيا الى التحسن . واني لا أستطيع ان أقول لكم الا ما اعتقده . فانا احمل تبعة أقوالى كما تحملتها مدة أربعة أعوام طوال مفعمة بالاهوال . »

وعلي أثر ذلك دار البحث حول ما اذا كان من الممكن الاستمرار على الكفاح مدة طويلة اذا نقلت كل فرقنا الموجودة في الشرق أو القسم الاعظم منها . فأردت أن أعرف ما الذي يمكننا الاستعاضة به في الشرق عن فرقنا المسحوبة منه ، فان أمامنا هنالك مسألتين خطيرتين وهما خطر البولشفية وفائدة اوكرينيا العظيمة لنا . أن فرقنا المنتشرة في الجانب الشرقي تبلغ ستا وعشرين وهي مؤلفة باجمعها من الطبقات المسنة ، وعدد رجال الطوابير قليل جداً . ويوجد في ليتوانيا جندى واحد لكل ١٨ كيلو متراً مربعاً. أما الساحة الشرقية فتحتوى على ١٨٥ فرقة وقد لزم حل

عدد كبير منها . والجنود القادمة حديثاً من الشرق الى الغرب سيئة الاستعداد ومتشبعة بآراء رديئة وهي تفسد حمية الجند الشجعان المرابطين في الغرب . فنحن لانستطيع بهذه الفرق الضعيفة أن نحمل العدو على الدخول في مخابرات الصلح . على أن هذه الفرق التي لاتصلح للميدان الغربي يمكنها أن تفي بحاجتنا في الجبهة الشرقية ولو دعت الحالة هنالك الى مهاجمة السوفييت. فالحاجز الذي يفصلنا من البلشفيين متناه في الرقة وقد أصبح خطر البولشفية في درجة من الجسامة تحملنا على ابقاء نطاق من الجنود حول تخمنا الشرقي . الا أن الحكومة على مايظهر لاتزال مترددة في موقفها تجاه البولشفيين . وقد أخرجت ليبكنخت من السجن على الرغم من ممانعة رئيس المجلس العسكري الامبراطوري القائد لينكر ولبثت تنظر بغير اهتمام الى مايفعله جوف من نثر الاموال لاعداد الثورة في برلين ، وذهبت تحذيراتنا كلها ادراج الرياح . وأخيراً طرد خوف في أواخر اكتوبر فأصبحت حالة الحرب موجودة ثانية بين المانيا والبلشفية من جراء هذا العمل ووجب اتخاذ وسائل الوقاية من نتائج هذه الحالة الجديدة

ثم لفت انظار الوزراء في اثناء انعقاد جلستهم الى ما لاوكرينيا من خطارة الشأن من الوجهة الاقتصادية لنا ولحلفائنا بالمثل. ولولا أوكرينيا لما بقيت النمسا حافظة كيانها الى هذه الآونة ، ولقد قدمت لنا اوكرينيا مقادير عظيمة من الانعام والجياد وأمدتنا بكثير من المواد الأولية كما زودتنا بمقدار لايستخف به من الغلال وان لم نحصل منها على كل ما كنا ننتظره . ولو جلونا عن أوكرينيا لوقعنا في أشد الازمات في صيف ١٩١٩ فاذا عزمنا على مغادرة تلك الاصقاع فاننا نسحب الفرق الالمانية العشر المنتشرة فيها بالتدريج في مدة طويلة وهي فرق لايعتد بها في المعارك الحديثة .

الـكبرى فما نستفيده من سحب هذه الفرق لايعادل ماتخسره من ترك أوكرينيا .

ثم تحولت الافكار على أثر الايضاحات المتقدمة الى ماتستطيع البلاد أن تقدمه من المساعدة للجيش المقاتل . ولقد بح صوتي في هذا الصدد بدون أن أجد من الوزارات المتعاقبة جوابا شافيا . الا أن وزير الحربية الجديد أفعم قلبي بالرجاء اذ أفهمنى انه يمكن امداد الجيش بستين الفاً من المجندين الموجودين فى الداخل تحت السلاح. فتأثرت أشد التأثر من وجود ستين الفا الى سبعين الف جندى على قدم الاستعداد فى الداخل . ولم أدر لماذا لم يرسلوا قبل هذه الآونة الى الهيجاء ؟ ثم قلت . « اذا وصلتني الامداد المذكورة فاني اتطلع الى المستقبل بعيني الثقة والاطمئنان ولـكن يجب أن يكون ارسال النجدات سريعا . » فوعد وزير الحرب بعدم إضاعة يوم واحد سدى . ثم عطفت الى روح العزم الذي يجب بثه في الجيش والبلاد والى انعاش الحالة الادبية فى نفوس الشعب

ودعا المستشار الوزراء البرلمانيين الثلاثة الموجودين في هـذه الجلسة الى بسط معلوماتهم عن الحالة النفسية . فاما الوزير البرلماني جروبيبر فلم يتكلم في صدد هذه المسألة مباشرة. وأما الوزير شايدمان فقد وفى الموضوع حقه . فذكر اننا نستطيع أن نجند مئات الالوف من الرجال ولـكننا نكون مخطئين اذا اعتقدنا امكان انهاض الحالة النفسية في الجيش لأن العمال أصبحوا يقولون : ان النهاية الهائلة خير من الهول الذي لانهاية له . وكان من رأي الوزير شايدمان ان السبب في هذه النزعة الموجبة للاسف هو الضيق المادي المستحكمة حلقاته وضرب مثلا لذلك قلة مركبات السكك الحديدية . فتعهدت في الحال بان اتلافى كل أسباب الشكوي في أقصر وقت

وان كلمات الوزير شايدمان لتدل على افلاس السياسة الداخلية التي اتبعتها الحكومة وأحزاب الغالبية في الرايخستاج. وأما الوزير هاوسمان فمن رأيه أن الاهابة بالشعب تحدث تأثيراً عظيماً. وكان الوزير أرزبرجر غائباً لأنه فقد ولده الذي استشهد في خدمة الوطن. وكان نائب المستشار باير أقل تشاؤماً من الوزير شايدمان. ومن رأيه أن مذكرة ويلسن الثانيـة استثارت في الاول روح الحمية في النفوس إلا ان هذا الروح لم يلبث أن تغلب عليه الاعتقاد بأننا سنمحى من الوجهة الاقتصادية. ولقد أصبح الآن كل انسان يتساءل اذا كان من المحتم علينا أن نتحمل هذا الامر؟ فاذا قلنا للناس: « لا يزال يوجـد أمل فى النجاة إذا ثبتم، أما اذا لم تستطيعوا الثبات عدة أسابيع أخرى فلا بد لـكم من أن تتوقعوا اختفاء المانيا تقريباً من عقد الامم وان تنتظروا تحملكم عبئاً ساحقاً من الغرامات. » فمن الممكن أن تدب فيهم الحمية ويعمدون الى الثبات. واذا صيغ الرد على مذكرة ويلسن الثانية بما يشعر الشعب بوجوب التمسك بهذه العقيدة فمع الاعتراف ببقائنا في موقف حرج لا نكون قد فقدنا كل امل في الوصول الى نهاية محمودة العواقب. وبعـد أن تكلم الوزير فريدبيرح في ما يتفق مع هذا المعني طلب الاسراع فى العمل.

ولم يسعني أن أقول شيئاً عن موقفنا الحربي بعد هذه التصريحات سوى ترديد ما ذكرته في ١٠ اكتوبر وختمت كلامي بما يأتي. « انني أرى قطع المفاوضات كمجازفة لا كمحتمله. واذا شئتم أن تسألوني عما يوحي به ضميري اليّ فاني لا استطيع الاّ أن اجيبكم بهذه القوله: انني لا أخشى هذا القطع. »

ومن الممكن أن يسوء موقفنا العسكري من آونة الى أخرى، إلاّ أن جنودنا على كل حال يقومون بما ننتظره القيادة العليا منهم. ويلوح لي

بأن قوة اندفاع العدو قد ضعفت

ان مفاوضات ويلسن لم تفض الى أية نتيجة ، فنحن الى الان احرار في وصل المفاوضات أو قطعها . ومع ذلك فهل من الاجرام التسلح مع الرغبة الصادقة فى الصلح الذى يأباه العدو ؟ وهل أوخذ تروتسكي لامتناعه عن التوقيع على معاهدة الصلح في مستهل فبراير ؟ لا يسع أحد أن يشك في شغفنا الشديد بالصلح ، كما أن واجبنا يقتضى أن ندافع عن حياتنا وعن كرامتنا الى النهاية القصوى . وكلما كنا اصلب عودا في القتال كانت المفاوضات أعود علينا بالنفع . وفضلا عن ذلك فان استمرارنا على الكفاح واجب لا مفر لنا منه اذا شئنا أن لا نضع أنفسنا تحت تحكم عدو ليس لنا أن نرتجى أي خير منه . فالاستمرار على الجهاد قد يحسن مركزنا اكثر مما يعرضه للسوء ، وهذا ما يتطلبه منا أهم عناصر الجيش وشطر هائل من الشعب الالماني . فالشعب الالماني يستطيع ويريد أن يمد الجيش الالماني بآخر ما لديه من حول وقوة وواجب الحكومة أن تحول هذه الارادة الى عمل .

هذا مغزى ما فهت به في مجلس الوزراء وهو خلاصة ما كتبته الى رئيس الوزارة يوم ٥ اكتوبر . ثم اقترحت أن تسند الى النائب ايبرت رئيس الحزب الاشتراكى الديموقراطى بعض الوظائف الظاهرة لتجديد قوة المدافعة لدى الشعب بواسطته . واتفقت مع أمير البحر شير على استنكار العدول عن حرب الغواصات التي تحدث ضرراً بليغاً بالقوة الانجليزية . وما القاء السلاح من اليد اجابة لطلب العدو الا دليلا واضحاً على الضعف لا نتيجة له سوى ازدياد تشبث العدو بآماله .

فآخذني الوزير سولف على التقلب في آرائي . فدهشت لهذا اللوم .

لان الحكومة نفسها مقرة بوجوب الاستمرار على الكفاح اذا دفعنا الى هذه الضرورة القصوى . على انني اذا كنت قد أبديت من الثقة ما لم أكن أبده من قبل فلا يستطيع الوزير ولا ينبغي له سوى الابتهاج لأن مثل هذا الحكم السار على الموقف الحالى لا نتيجة له سوي تسهيل المفاوضات أمامه . ومع ذلك فاني لم اكن أذهب اذ ذاك الى قطع المفاوضات بل كل ما كنت اذهب اليه هو وجوب الاهتمام بما نفكر فيه ونريد الوصول اليه وأردت أن اتبسط في ايضاح كل آرائى فقلت

« انني لا ازال اذهب الى وجوب التفاوض لأجل عقد الهدنة اذا تيسر المسعى . الا اننا لا ينبغى لنا أن نقبل سوي الشروط التي تسمح لنا بالجلاء عن البلاد التي نحتلها بنظام تام وهذا مالا يتم الا في شهرين أو ثلاثة اشهر . ولا يجب أن نقبل ما يحول دون معاودتنا القتال متي شئنا كما يريد العدو في مذكرته ، فان شروطه تقضى بتجريدنا من وسائل الكفاح . وقبل أن نمضى الى مسافة بعيدة في التخابر يجب على العدو أن يذكر لنا شروطه . ونحن لا نريد أن نقاطع ويلسن فجأة ، بل ينبغى أن نسائله . « انبئنا يا هـذا جهاراً بما يجب علينا القيام به ! واذا كنت تفرض علينا مطالب مناقضة لكرامتنا الوطنية وتريد اسقاطنا الى حضيض العجز فلن يكون جوابنا سوى الرفض ! » . ولقد قمنا بما يقتضيه واجبنا من بذل كل ما نستطيعه من الجهود لحصر دائرة التدمير من الوجهة الحربية . وليس من الممكن التعهد بابقاء المساكن سالمة دائماً لان الملاجيء خير عون للعدو على أن الاعداء انفسهم قد دمروا المساكن بالمثل . ولقد ظلت الكهرباء وأنابيب المياه والترامواي سالمة في ليل ، أما التلغراف والتلفون والسكة الحديد فقد اتلفت . على أن أكثر حوادث التدمير ناجمة عن قذائفه

الطيارات والمدافع الانجليزية . والجيش غير مسؤول عن حوادث القسوة الفردية التي طالما قاومتها أنا نفسى . »

وعلى أثر هـذه الايضاحات انتهت الجلسة . وكان الوزيران جروبير وهاوسمان جالسين بجوارى فأعربالى عن ابتهاجهما لانني بعثت فيهماروح الحمية والاقدام . فقفلت راجعاً الى سبا وأنا مفعم القلب بالامل العظيم

وظلت الحماسة مستوليـة على برلين الى ظهر يوم ١٩ اكتوبر ، ثم طرأ عليها همود . وما علمت بتفاصيل ما حدث هنا لك . ولـكني لاأدرى لماذا لم يعمد أولئك الوزراء الذين كانوا يتكلمون يوم ١٧ وهم متشبعون بالثقة والامل الى تصيير أقوالهم اعمالا ، على انهم كانوا يعلمون حق العلم ما يتوقف على هذا الامر من النتائج الخطيرة ! واني لاجدنفسيامام معمى غير قابل الحل كلما مثلت في فكرى الفاظ الوزير كونرادهاوسمان التى فاه بها يوم ١٢ مايو ١٩١٩ في وسط رعد هائل من التصدية اذ يقول . «لو كان جيشنا وعما لنا يعلمون من يوم ٥ الى ٩ نوفمبر أن الصلح سيصير كما هو الان لما التى الجيش سـلاحه بل لظل ثابتاً في موقفه . » لان ما حدث هو عين كان منتظراً منذ ١٧ اكتوبر وهذا أمر يؤيده التاريخ ، فلقد أشرنا بعدم التسليم أمام العدو . فصار الاوفق عدم الانخداع وعدم التغرير بالشعب والاعتراف بالحقيقة على علاتها والتصميم على العمل كما فعلت القيادة العليا .

وفي ٢٠ اكتوبر وصلت الينا صورة الرد على مذكرة ويلسن الثانيـة فى سبا ، واذا بها تتضمن العدول عن حرب الغواصات والسير في طريق التسليم أمام العدو بـكل ما يترتب على هذا الامر من العواقب الوخيمة فلم يسعنا الفيلد مارشال وانا سوى التحذير من الاقدام على هـذا المشروع

وايضاح سوء مغبتة ، واقترحنا تحريك الشعب ، وامتنعنا عن الاشتراك في مشروع الرد . فتهيجت هذه الوزارة التي تالفت لاجل العمل على مواصلة الحرب ولا أدرى لاي سبب . اننـا رجال مستقلون في آرائنا الخاصة ، ونحن ننتهج الطريق التي نراها أقوم وآمن عاقبة ، وهي الطريق التي لبثنا سائرين فيها دائماً .

وارسل الرد على مذكرة ويلسن في يوم ٢٠ اكتوبر نفسه ، وضحيت حرب الغواصات . وادي تحقيق رغبة ويلسن في هذه المسألة الى تأثر الجيش والبحرية على الاخص بدرجة لا مثيل لها .فالحكومة بهذا العمل قد القت الحبل على الغارب

ولم يحدث مستشار الامبراطورية تغييراً في مجرى الامور بتصريحه الذى افضى به يوم ٢٢ اكتوبر متضمناً ما يأتى . « ان الذى يجعل آراءه مطابقة باخلاص لروح الصلح العادل يوافق فى الوقت نفسه على الواجب القاضي بعدم الخنوع لصلح التحكم بلا مسوغ يحتمه سير القتال وكل حكومة لا تكون متشبعة بهذا الشعور جديرة باحتقار الشعب الذى يجاهد ويعمل » فهذه الالفاظ خرجت من بين شفتى قائلها ولم تتحول الى عمل محسوس ولم يشرع احد لانهاض همم البلاد والجيش فالامير ماكس نطق بنفسه بالحكم الذي يستحقه هووزملاؤه

وبقى وزير الحربية بمفرده يعمل لتدبير النجدات اللازمة ، الا ان جهده لم يتكلل بالنجاح لان شطراً من الامداد لم يشأ التقدم الى الجبهة فلم يسع الحكومة سوى النزول على حكم هؤلاء المعنتين

— ١١ —

ورد رد ويلسن في ٢٣أو٢٤ اكتوبر فـكان خير جواب على قلة بصرنا ،اذصرح بوضوح بانشروط الهدنة لا يمكن أن تكون سوى الشروط التي تجعل الالمانيين عاجزين من معاودة القتال وتمكن دول الاتفاق المتحالفة بغير تحديد وهي متمتعة بالطمأنينة التامة من أن تضع بانفسها تفاصيل الصلح الذي يجب على الحكومة الالمانية أن تقبلها . فمن رأيي ولا يوجد من يتردد ازاء هذا الرأي ، يجب الدأب على القتال . واعتقدت بدون ان تخامرني خلجة من الشك وانا معتمد على العواطف التي استمددتها من جلسة ٢٧ اكتوبر ان الاعتماد على عزيمة الشعب لا يزال ميسوراً على الرغم من ضياع فرصة ثمينة

ومنذ ذلك اليوم تتابعت الحوادث في الجبهة الغربية على النسق الآتي أنهى الجيش الرابع حركة ارتداده الى خط هرمان وهو ملتحم على الدوام في وقائع متلاحقة مع العدو الذي يتعقبه . واخليت في ١٩ بريج وتيلت وكورتريه.ودارت رحى القتال يوم ٢٠ على نهر اللين فاحتل العدو الضفة الشرقية عنددينز . وكان المقصود من ضغطه الشديد على اللين وعلى الايسكو اقصاؤنا عن اللين . وفي ٢٥ تحولت الوقائع الى معركة توصل العدو بها الى اكتسا حه ارضا ممتدة على الايسكو فى اتجاه جاندو اودينارد.وامتدت دائرة القتال الى الجيش السادس المرابط بين اللين والايسكو

وجلا الجيشان السادس والسابع يوم ١٧ اكتوبر عن ليل ودواي وتراجعا وهما على اتصال بالجيش الرابع خلف قناة الديل في تجاه آفيانم وتورنيه وفالانسيين . فاقترب العدو يوم ٢٠ من هذه المدن فاشترك بعض

الاهالى مرة أخرى في الوقائع الدائرة واضطر الجناح الجنوبى من الجيش السابع عشر والجيشان الثاني والثامن عشر الى خوض وقائع طاحنة، فقد هاجم الخصم الجيشين السابع عشر والثامن عشر بشدة بين الكاتو والواز . فاضطررنا الى اجتذاب جبهتنا من الخط الممتد بين الجهة الجنوبية الغربية من لاندريسى والواز الى خلف القناة الممتدة بين السامبر والواز . وبعد أن تمهل العدو يوم ١٩ عاد الى توسيع نطاق وثباته في اتجاه الشمال ابتداء من يوم ٢٠ مندفعا الى ما وراء سوليسم والكاتو فى اتجاه لاندريسى . ولقد تفاضت هذه الملاحم منا ثمنا باهظاً ، ففى بعض الجهات لم يحسن الجنود القتال وفي البعض الآخر اتوا بالشيء العجاب . وهذا أمر دائم الحدوث

وتركت مجموعة ولي عهد المانيا في مبتدأ الأمر الجناح الايسر من الجيش الثاني عشر فيما بين شمال الواز ولافير . وبهذه الطريقة منع الخصم عند محاولته عبور الواز . وفي يوم ٢٠ تم احتلال خط هرمان بين الواز والسير . وهنا اشتد ضغط العدو جداً وتتابعت الوقائع الحامية

وهوجم الجيشان السابع والاول بين السير والاين فبقيا في مجموعهما محتفظين بمراكزهما . وفي ٢٥ صدا وثبة عظيمة قام بها العدو مكبديه خسائر هائله

وضغط العدو بشدة فيما بين الاين وفوزيبرجراند بريه فى وادى الاين . وعلى هضاب الشاطيء الايسر من نهر الموز . ومع أن الوقائع التي جرت هنا كانت قاسية ومشتفة القوى الا انها لم تفض الى طرؤ تغيير ذى بال على جبهتنا وامتدت كما حدث من قبل على طول الضفة الشرقية من نهر الموز من غير أن تصيب موقفنا العام باي تزعزع . وخيم الهدوء فى الجبهة الجنوبية الشرقية على تخمنا السويسرى

لقدكان الضغط شديداً على الجبهة الغربية يوم ١٥ وصار الالتحام في سائر اجزائها من الحد الهولاندى الى فردن مّن غير أن يصل الى الجيش أي مددمن الداخل وبدون أن يستثير أحد حميته فكان ما ابداه من البطولة آية باهره

واستمرت أعمال الجلاء بهمة على الرغم من صعوبة استخدام السكك الحديدية في انجاز هذه الاعمال

وظل العمل دائرا على مهل في اعداد الخط الممتد من انفرس الى الموز . وقدبدىء بتجهيزه باسلحة الدفاع وصممت القيادةالعليا على سحب الجبهة اليه في أوائل نوفمبر لتجعلها أوجز مما هي عليـه فى الخط الحالى . وسيجد العدو بالطبع فائدة له في هـذا العمل . وأخذ وثوب العدو في الشمال يفقد شـدته على أثرالاهتمام بتدمير السكك الحديد . إلاّ انه من المنتظر بعد الآن اشتداد الهجوم فى اللورين

وابتدأ الهجوم الايطالى يوم ٢٤ وهو موجه قبل كل شيء الى الجبهة الجبلية على أن الايطاليين لم يهجموا بكل قواهم الابتداء من يوم ٢٦ اذ اندفعوا على جهة البياف . ولم يحدث ما يستحق الذكر الى مساء ٢٥ بل ظلت الجبهة النمسوية متماسكة الاجزاء . الاّ انى كنت اتوقع أن تلجأ النمسا الى ابرام الصلح عاجلا . فلهذا اتخذنا التحوطات الاولى على طول الحد التيرولى بالاتفاق مع وزير حربية بفاريا

ورأى القائد الفون كوينيسك نفسه مضطرة في الصرب الى اصدار الامر بالتراجع خلف الدانوب. ولم يحدث أي تطور على الحد الدانوبي الروماني ولا ازاء الجيش الرومانى المخيم علي الشاطىء الآخر من السيريت لان سائر الاعمال كانت موقوفة في تلك الجهات

ولو تحرك الشعب في هذه الآونة لحسن موقفنا . ولم يك من الممكن إذ ذاك معرفة مقدار الزمن الذى نستطيع الاستمرار على الكفاح في أثنائه لاننا لا نعرف حقيقة الشعور المستولى على نفس العدو . على انه من الصعب جداً القضاء على شعب كبير اذا ما تزود بقوة الارادة. ولقد أقام الدليل المقنع على صحة هذه النظرية الفرنسويون في الدفاع الذى قاموا به في عامى ١٨٧٠ و ١٨٧١ والبوير في حربهم الاخيرة ! وفي عدد ١٢ فبراير ١٩١٩ من صحيفة الساندای بيكشوريال بسط ونستون تشرتشل الحكم الآتي على موقف الاتفاق من الوجهة العسكرية :

« لو استمرت حرب الغواصات التجارية على شدتها الاولى مدة قليلة أخرى لتركتنا تحت رحمة العدو من جرأة المجاعة بدلا من ضم أمريكا الى صفوفنا

«ولقد كان الفريقان يتباريان وهما متساويان في حلبة الصراع الى النهاية الا اننا انتصرنا في النهاية لان الامة بأجمعها صارت متحدة اتحاداً لم تطرؤ عليه أدني شائبة . . .

وكلما وصلت أنباء عن الكفاح ازداد العلم بالخطر الناجم عن رقة الخيوط المعلقة بها الآمال في نجاحنا . »

وشخصنا يوم ٢٥ اكتوبر الى برلين الفيلد مارشال وانا لنبسط من جديد آراءنا الى جلالة الامبراطور . فاعربنا له عن تصميمنا على وجوب الاستمرار في الصراع . وكان رئيس المكتب المدني الجديد صاحب السعادة الفون ديلبروك حاضرا . فانحاز انحيازاً تاماً الى وجهة نظر الاميرماكس مع مراعاته احتفاظه التام برأيه الخاص . ولقد عظم دهشنا عندما علمنا انه لايعرف شيئاً البتة مما دار بيننا ومستشار الامبراطورية من المداولات في

صدد الصلح منذ أواسط أغسطس . ولم يصدر جلالة الامبراطور قراراً في هذا الاجتماع غير انه أظهر لي ثقة لاحد لها . وحولنا جلالته الفيلد مارشال وأنا على مستشار الامبراطورية . واذ كان هذا الاخير مريضاً فقد استقبلنا صاحب السعادة الفون بايير نحن وأمير البحر شير الساعة التاسعة مساء . فاذا بمنهجه الشخصى مختلف تمام الاختلاف عما كان يبديه لنا في محادثاته السابقة . فلا بد انه كان مطلعاً على رغبة الوزارة في اقالتي من العمل بالنظر لما تمهده عني من التشبث بالمقاومة الى النهاية القصوى . وقد استشير بالمثل فى هذا الامر وزير الحربية الذي لم يدافع لدى الحكومة ولا في الرأي بخستاج عن الامبراطور ولا عن الجيش ، لانه لو أقدم على تعضيدهما لاضطر الى ترك منصبه . لقد أزفت الساعة المحزنة ، فان الحكومة لا تريد مواصلة الكفاح وبدت رغبتها هذه فى أوضح مظهر . فهى اذن تذهب الى وجوب التخلي عن كل شيء . فهل كانت تسمع إذ ذاك هدير الثورة التي انفجرت في ٩ نوفمبر ، أم كانت ترجو انقاذ الوطن فى الداخل بالتسليم للعدو فى الخارج ؟ لقد تكلمت حينئذ فكانت الفاظى خطيرة ومفعمة بالتأثر الشديد . فوجهت الافكار الى تصميم العدو على سحقنا وحذرتها من الاعتماد على ويلسن . وكذلك نبهت الافكار الى خطر البولشفية على المانيا ، والى ماينجم من الشر المستطير على قوة الدفاع من جراء الحملة المدبرة على الضباط ، تلك الحملة التي علقت تشتد وتبدو فى أجلى مظاهرها ولقد حدث من قبل في الروسيا مثل هذا الحادث فكان سبباً للانقلاب النهائى الذى قضى على تلك الدولة العظيمة . ثم عطفت الى جلالة الامبراطور فنصحت بعدم اضعاف مركزه ازاء الجيش لانه رئيسنا الاعلى والجيش على بكرة أبيه يعتبره رأسه ، ولقد اقسمنا له يمين الطاعة فلا ينبغى

هذه الاعتبارات التي لا يمكن تقديرها وهي امور قد امتزجت بدمائنا فصارت أقوى صلة تربطنا بالامبراطور . فكل ما يمسه يمس تماسك الجيش و تضامنه

إن اضعاف مركز الضباط وإضعاف مركز رئيس الجيش الاعلى في وقت يكابد فيه الجيش أقسى المحن هو عمل لامثيل له . بل هو أشد ضربة تصيب نظام الجيش ونظام الدولة في وقت ينتظر فيه من الجيش أن يحافظ على سلامة النظام الاجتماعى . وهذا هو الذى أوجب القضاء على الطاعة في الجيش أكثر من الجلاء السريع عن ضفة الرين اليسرى الذى كنا نحن السبب فى اجبارنا عليه .

وهذا هو ماخاطبت به بعض الزعماء الاشتراكيين بالمثل في أوائل نوفمبر . ولم يريدوا أن يفهموا ماهو شأن الامبراطور مع الجيش ، وليس معنا نحن فقط معشر الضباط القدماء ، بل مع الجنود البسطاء بالمثل . على أن أمثلة كثيرة أيدت آرائي بعد ٩ نوفمبر

ولم أهتم بما حدث في الرايخستاج في صباح هذا اليوم بشأن القيادة العليا ولم اخاطب فى صدده نائب المستشار الفون بايير . وذلك لانني لم أكن على علم بهذه المسألة التي لم تصلني بشأنها سوى مذكرة موجزة من هنيهة وجيزة لم أفقه معناها . لقد حدث فى مساء ٢٤ قبل مبارحتنا سبا بوقت قصير أن عرض علي النداء الآتى الموجه الى الجيش بخصوص مذكرة ويلسن الثالثة ، وهو مذيل بتوقيع الفيلد مارشال ومتضمن العواطف المتمكنة من المعسكر العام الاكبر . فالظاهر انه أمسى من الضرورى أن تتخذ القيادة العليا بالاتفاق مع برلين موقفاً حازماً ازاء هذه المذكرة لتحول دون سريان تأثيرها الحالي في الجيش و هذا هو نص التلغراف الموجه الى الجيش:

« ليعلم جميع الجنود ما يأتي :

« ان ويلسن يقول في مذكرته بانه سيقترح على حلفائه أن يشرعوا في مفاوضات الهدنة . ولكن هذه الهدنة ستفضي بالمانيا الى حالة العجز من الوجهة العسكرية لتصير غير قادرة على العودة الى حمل السلاح . وهو لا يفاوض المانيا بشأن الصلح الا اذا انصاعت كل الانصياع لمطالب الحلفاء المختصة بدستورها الداخلى ، واذا أبت فلا سبيل لها بعد ذلك الا التسليم بلا شرط .

« فالرد الويلسنى يتطلب التسليم العسكرى . ومن هذه الوجهة يصبح هذا الرد غير مقبول فى نظرنا نحن معشر الجنود . وهذا دليل على أن عزم أعدائنا على محونا الذى كان السبب في إضرام نيران هذه الحرب فى عام ١٩١٤ لا يزال متمكنا من نفوسهم بدون أن يطرأ عليه أى تطور . وهذا الرد يقيم الدليل فضلا عما تقدم على ان أعداءنا لا يستعملون اصطلاح « صلح الانصاف » الا بقصد التغرير بنا وليقضوا على قوة مقاومتنا . فرد ويلسن لا يمكن أن يكون ازاء أبصارنا نحن الجنود سوى دعوة الى مواصلة المقاومة الى نهاية ماتسمح لنا به قوانا . وحينما يتيقن الاعداء انهم على الرغم من كل التضحيات التي قاموا بها لا يستطيعون حطم جبهتنا فانهم يصيرون مستعدين لابرام صلح يضمن مستقبل المانيا ، لاجل اكثر طبقات الشعب نفوسا بالمثل .

« ميدان القتال ، ٢٤ اكتوبر الساعة العاشرة مساء

« التوقيع . الفون هندنبرج »

ولقد كنت من الانشغال في درجة جعلت اليوزباشى المكلف بصوغ نص التلغراف ينطلق به الى الفيلد مارشال فى بادىء الامر ثم يعود به الى قبيل سفرنا الى برلين . وكان المعتاد في غير هذه المرة أن تعرض علي

الاوامر التي سيوقع عليها الفيلد مارشال لاطلع عليها وأذيلها باسمي ثم تحمل اليه . وبما أن هذا النداء لايتفق مع الرد المرسل الى ويلسن يوم ٢٠ اكتوبر فقد ترددت وأنا شديد الدهش وسألت اليوزباشي اذا كان ميله متفقاً مع آراء الحكومة ، فاجابني بالتأكيد . وهذا البلاغ ينطبق على التصريحات التي فاه بها لممثلي الصحافة الكولونيل هايفتن والمستشار الخاص الفون ستوم في وزارة الخارجية . فعاودني الامل حينئذ ووقعت على البلاغ المقدم الي ثم علم فيما بعد بان لاصحة لما قيل من مطابقة نص التلغراف لعقيدة الحكومة وعلى ذلك بادر الكولونيل هيى الى وقف هذا الامر اليومي قبل ذيوعه الا انه وصل من كوفنو حيث كانت توجد انظمة ثورية تتولى مراقبة المخاطبات التليفونية الى علم الاشتراكيين الديموقراطيين المستقلين وعلى الاثر نمى خبره الى الرايخستاج . ومن جهة أخرى فقد أبلغ نص التلغراف حرفياً الى الصحافة كالمعتاد . وفي ظهر يوم ٢٥ ثارت عاصفة مكتسحة من الغضب في الرايخستاج على القيادة العليا . ولم تبدر من الحكومة أية إشارة للدفاع عن القيادة العليا على انها لا تزال تمثل سلطة جيش قوى المراس . ولم أعلم بتفاصيل هذا الحادث الا مؤخراً جداً في عشية ٢٥ ولو علمت بها من قبل لحادثت الفون باير نائب المستشار في صددها وقد أبلغت حقيقة هذه المسألة على علاتها فيما بعد الى الوزارة . الا انني في خلال هذه المدة كنت قد فصلت عن أعمالي بسبب ما أحدثته هذه المسألة من الجلبة الشديدة

وانتهت محادثة يوم ٢٥ التي جرت في وزارة الداخلية بعد ان استغرقت ساعة ونصف ساعة او ساعتين وكان ينتظرني في الطرقة القائد فينتر فيلد وأمير الالاي هايفتن ، فما استطعت ان اقول لهم وأنا في اشد حالات التأثر سوى : « لم يعد ثمت ظل للامل فقد تلاشت المانيا ! » فتملكهم هم بالمثل اعظم اضطراب

ولقد قررنا التسليم للعدو فى المذكرة الالمانية المرسلة فى ٢٧ أكتوبر

وكتبت فى الساعة الثامنة من صباح ٢٦ وانا في حالة التأثر التي عرتني مذ مساء الامس عريضة الاستقالة . وذكرت فيها انني على اثر محادثتي مع نائب المستشار الفون بايير صرت اعتقد بان الحكومة لاقدرة لها على العمل فالحالة حينئذ سيئة لجلالة الامبراطور وللوطن وللجيش وعاانى أجنح الى وجوب اطالة الحرب فاعتزالي العمل ربما يلطف الحالة ازاء مذكرة ويلسن ، ولهذا السبب ارجو من جلالة الامبراطور التفضل عليّ باقالتي من أعمالى

واقبل الفيلد مارشال يوم ٢٦ ليراني كعادته فى الساعة التاسعة صباحا فوضعت عريضة استقالتي في جانب على أمل أن لا أفاتحه الحديث في صددها الاّ بعد أن تصل الى يد الامبراطور . وللفيلد مارشال حق التصرف التام في ارادته فلم أشأ أن أؤثر فيها . الا انه لمح الكتاب لان شكله اجتذب نظره . فرجا مني أن لا أرسله اذ لا بدمن بقائي ، ولا حق لى الآن في ترك الامبراطور والجيش . وبعد تنازع شديد بين عواطفى الداخلية قبلت . وعلى أثر قبولى البقاء في وظيفتي اقترحت على الفيلد مارشال أن يسعي مرة أخرى في محادثة الامير ماكس . فلم يقابلنا هذا الامير لانه لا يزال مريضاً . وبينما أنا في انتظار هذا الرد اذا بامير الالاي هايفتن يفيدنى أن الوزارة حصلت من الامبراطور على قبول فصلى من مركزى ، والسبب الظاهرى الذى بنيت عليه رغبة الحكومة هو صدور الامر اليومى المعارض الى الجيش الذى تقدم ذكره . فصار من المحتم أن يستقدمني الامبراطور في الحال الى قصر بيلفي . فلم يدهشني هذا الاستدعاء الذى صرت ملماً بسببه . وبالفعل بينما أنا أحادث امير الألاي هايفتن في

هذا الصدد اذا بجلالته تدعونا الى مقابلتها في الساعة الاولى التي لم تكن تسمح بمقابلة احد ما فيها عادة

وفي أثناء قطعنا المسافة الكائنة بين مقر أركان الحرب وقصر بيلفى أخذت اقص على الفيلد مارشال ما سمعته . ولقد علمت فيما بعد أن الامير ماكس عرض على الامبراطور اقالة الوزارة في حالة استمراري في الاضطلاع بمهام وظيفتي

وبدا على الامبراطور مظهر التغير عن الحالة التي كان عليها بالامس ، ثم وجه الي الخطاب خاصة ، فحمل بصفة خاصة على الامر اليومي الصادر الى الجيش في مساء ٢٤ . فشعرت في الحال ببعض الدقائق التي اعتبرها من أشق ما مر علي في حياتي . فقلت باحترام لجلالته بأني أصبحت أشعر مع التألم بعدم حصولي على ثقتها فلا يسعني سوى الرجاء منها أن تقيلني من الاضطلاع بمهام وظيفتي . فقبل الامبراطور .

عدت بمفردي ، ولم أر الامبراطور بعد هذه المرة . وبعد عودتي الي مركز اركان الحرب وانا مفعم بالهواجس قلت لضباطي وفيما بينهم امير الالاي هايفتن باننا سنبيت بغير امبراطور بعد مضي خمسة عشر يوما فاهتموا هم بالمثل بهذا الامر الخطير . وفي ٩ نوفمبر انقلبت المانيا وبروسيا الى جمهورية .

واقبل الفيلد مارشال ليراني مرة أخرى في مكتبي قارئة طلب الاقالة الذي منعني من أرساله منذ ثلاث ساعات . وعلى أثر ذلك افترقنا .

وتخليت عن اعمالي الرسمية في الحال مرسلا عريضة الاستقالة التي كتبتها في الصباح . وفي الحقيقة انه كان من اللازم ان اعيد كتابتها الآن لافرغها في قالب آخر .

وفي مساء ٢٦ عدت الى سبا لاودع ضباطى الذين قضيت معهم الاعوام الطوال مشتركين في مسراتها ومساآتها ولارتب شؤني الخصوصية

وفي ظهر ٢٧ وصلت الى المعسكر العام الاكبر . وفي الاصيل ودعت الجميع وأنا متأثر وقلبي متقبض لمفارقتي ضباطى والجيش في مثل هذه الآونة العسيره . غير ان اعتقادى في اختصاص مركزى بصفتي ضابطا ازاء رئيسى العسكرى الاعلى كان يجبرني أن أقدم على ما فعلته كيفما ظهر لى عملى هذا في مظهر الشدة

انني لم اتبع في حياتى سوى جادة واحدة ، وهى طريق الواجب ولم اكن مسوقاً الا بفكرة واحدة وهى : حب الجيش والوطن والاسرة المالكة واننى لم اقض هذه السنوات الاخيرة على قيد الحياة إلاّ لاجل هذه الاشياء الثلاثه . وكل مطمعى كان محصوراً في كسر ارادة العدو نحونا وجعل مستقبل المانيا في مأمن من هجمات جديدة يقوم بها الاعداء مرة أخرى

وفي ٢٧ اكتوبر بلغت منتهى مجالى في الجندية وأنا على أتم ما اكون من القوة ، ولقد انفتح أمامي ميدان واسع ينطلق فيه نشاطى حراً الا انى تحملت تبعة قلما عهد مثلها اكفاء الرجال

وغادرت سبا مساء ميمما اكس لاشابل حيث زرت أول معسكر عام لى فى هذه الحرب . وأخذت افكر في ليبج . لقد جدت فيها بنفسى ولم اتحول عن هذه الخطة منـذ ذلك الحين . وأخذت أعصابى تتصلب فأبت الى مسقط رأسي



المنتهى

أخذت الحوادث تتوالى سراعاً ابتداء من اواخر اكتوبر . فتقهقر الجيش الالماني في الجبهة الغربية بنظام تام يوم ٤ نوفمبر الى الخط الممتد بين انفرس والموز تحت تأثير ضغط العدو المندفع من فردان . وثبتت جبهتنا الممتدة في الالزاس واللورين أمام وثوب العدو

وأصيب الجيش النمسوى بشر هزيمة في المعركة التى اصطلى شواظها في ايطاليا العليا من يوم ٢٤ اكتوبر الى ٤ نوفمبر

واندفعت بعض كتائب الاعداء في اتجاه اينسبروك . فاتخذت القيادة العليا الوسائل الكافية لسلامة حد بفاريا الجنوبي . وظلت قوانا محتفظة بخط الدانوب في الميدان البلقاني

لقد صرنا في عزلة من العالم أجمع

وفى مفتتح نوفمبر استطار لهيب الثورة الذي أعده وأشعله الحزب الاشتراكي الديموقراطي المستقل بين البحارة في بادىء الامر . ولم تجد وزارة الامير ماكس لديها من القوة الضرورية ما يمكنها من اخماد شرارة الحركات الثورية الممتدة على نسق الانقلاب الروسى والتى لم تتعد مكانها في الاول . وافلتت من قبضتها أزمة الادارة برمتها فتركت الامور تجرى فى أوسع مجاريها

وفى ٩ نوفمبر ظهراً أعلن مستشار الامبراطور الامير ماكس بسلطته الخاصة تنازل الامبراطور . وأصدرت الحكومة القديمة أمراً الى الجنود بعدم استعمال اسلحتهم ثم اختفت فى الحال

ورأى الامبراطور نفسه أمام الامر الواقع فتخطى الى هولاندا عملا بالرأي الذي أبداه له المعسكر العام الاكبر في سبا . وتبعه ولي العهد بعد أن رفضت برلين ما عرضه عليها من مجرد قيامه بواجب الخدمة الوطنية وتنازل امراء حكومات الاتحاد الالماني .

وفي ٩ نوفمبر أضحت المانيا مجردة من كل يد حازمة أيدة ومن كل ارادة قوية وبفقدها أميرها انقض بناؤها المشمخر كما تتداعى قوائم قصر من ورق . فكل ما قضيناه لاجله هذه السنوات الاربع العسيرة وما أرقنا في سبيله كل هذه الدماء الغزيرة أصبح في خبر كان . فها نحن أولاء وليس لنا وطن يمكننا أن نعتز ونفتخر به . وقد محي النظام العام والنظام الاجتماعي ولم يبق أثر لأية سلطة . وتسرب الى الوطن الالماني كل ما هو غريب اسما وفعلا عن المانيا كالبولشفية والترويع والفوضى . لقد اعدت تحت جلباب التستر بعمل طويل دقيق مرتب مجالس العمال والجنود في البلاد الالمانية وانضمت الى جانب الثائرين غالبية المستودعات العسكرية التي كانت الثورة قد تمكنت من نفوس جنودها

واهملت تشكيلات المراتب وجنود الاراضي المحتلة في الشرق وفي الغرب النظام والطاعة بما اعد بينهم من وسائل الاخلال والشذوذ فهبوا الى انتحاء فساقطوا رؤسهم ناهبين كل ما وصلت اليه أيديهم ونفوسهم ثائرة واخلاقهم طائشة . وتراجعت الجنود الموجودة في رومانيا وجنود الجبهة الدانوبية الى المجر حيث احتجزت هنالك .

وبذلت همة عظمى لايجاد مجالس جنود بين المكافحين في الجبهة الغربية بإذن من السلطة العليا

وقاوم الزعماء الجدد واعضاؤهم المدنيون كل معارضة وصادقوا بدون أدنى حق على تسليمنا لعدو لاأثر للرحمة في قلبه بدون ادنى شرط

واجتاز جيش الغرب في نظام حسن حدودنا منسحبا الى ماوراء الرين ليصبح هو بالمثل عرضة للانحلال من جراء فض الجيش بسرعة والاختلاط بالاوساط الثورية الداخلية .

لقد سلم الجيش والوطن في تلك الايام رجال لم تبدر منهم في سابقة حياتهم بادرة تستوجب اللوم ازاء العدو من جراء ما أصابهم عزائمهم من الانفلال ، ووجد بينهم ضباط جحدوا ما للدولة عليهم من الواجبات وتغاضوا عن مهمتهم التاريخية . لقد شهدنا مناظر لم يكن أحد من البروسيين منذ ١٨٠٢ يعتقد بامكان حدوثها . ويجب في هذا المقام اكبار وفاء الضباط وضباط الصف والعساكر الذين ظلوا في هذه الاطوار الحديثة محتفظين بعواطفهم القديمة ومستعدين لخدمة الوطن .

ونهبت أزواد الجيش وامتعته في كل مكان وهدمت وسائل الدفاع عن البلاد . ولا يمكن تقدير قيم ماذهبت به أيدي الضياع في هذه الاونة .

واختفى الجيش الالماني العيوف الذي لبث أربع سنين متواليات ناهض وهو محكلل بالفوز متفوق العدد آتيا باعمال لم يسمع بأمثالها من قبل في صحف التواريخ وحاميا من كل عدوان ومطيع حدود بلاده . ووضعت العمارة البحرية الظافرة تحت تصرف العدو . وأخذت السلطات العامة التي لم يقف متولو أزمتها يوما ما وجها لوجه ازاء العدو تعفو عن الاثقين والجناة الآخرين من رجال الجندية لان مديري أزمتها كانوا هم بالمثل وأقربيه اخصامهم اليوم في يوم ما من عداد أولئك الآثمين . ولقد اشتغل هؤلاء المتسلطون بغيرة ومقصد متحد مع مجالس العمال والجنود على محو معالم الحياة العسكرية . فهذه هي مكافأة الوطن في شكله الحديث للجنود الالمانيين الذين أراقوا دماءهم وضحوا أرواحهم بالملايين في سبيل الذود عن حوضه

لأن تقويض دعائم القوة العسكرية الالمانية بايدي الالمانيين أنفسهم جريمة فاجعة لم يشهد العالم باسره مثلها من عهد وجوده . لقد أندرست معالم المانيا لا بمفعول القوى الطبعية بل من جراء ضعف حكومتها التي يمثلها مستشار الامبراطورية ومن الشلل الذي أصاب الشعب المحروم من هاد يرشده الى سواء السبيل .

ان الذين أزاغوا بصر الشعب منذ عشرات من السنين ووعدوه بالأماني الضالة وحملوا على سلطة الدولة وسلطة الجيش وهدموهما رأوا أنفسهم مضطرة فيما بعد الى العدول عن المباديء التي لبثوا يروجونها حتى تلك الآونة . فصار من الواجب انشاء سلطة جديدة وتكوين جيش حديث لمقاومة القوة بالقوة في الداخل وهذا أمر لم تكن الحاجة ماسة اليه بتاتاً فيما مضى . وليست العساكر التي أوجدتها الثورة هي التي تنقذ الوطن بل تشكيلات المتطوعين الذين ظلوا محتفظين بتعاليم الجيش وطاعته منذ ١٩١٤ — فيالها من بارقة أمل في هذا الوقت العصيب — فالانسانية لم تصر اذن ناضجة لانتاج حسنات الثورة المزعومة . فما زعمت الحكومة الحالية انها أحرزته كان من الممكن الحصول عليه بالطرق الشرعية بدون القضاء على البلاد والشعب . وانها للعبة جنائية لا مثيل لها جازت على الشعب الالماني في أحرج ساعاته وها هو ذا الآن يبذل حياته ومقصده الاسمى عنا لتلك الهفوة الهائلة .

أن العالم ينظر الى هذه الحوادث كلها وهو ذا اهل ، لانه لا يستطيع أن يدرك معنى هذه الفظاعة وهذا الانحلال اللذين تحزما الامبراطورية الالمانية المجيدة القوية التي كانت ترتعد فزعاً منها فرائص اعدائها وهذا الاتفاق الذى لا نزال نخشى بأسنا ونحن مشرفون على الفناء رأى أن ينتهز

هذه الفرصة الموافقة له فيستمر على زيادة إضعافنا بنشر دعوته فى داخل البلاد وبفرضه علينا صلح التحكم والتمزيق .

أن المانيا قد لحق بها عار فظيع من جراء خطتها الشخصي . فلم تعد الآن دولة عظيمة مستقلة ، لان مستقبلها وكيانها تحت طائلة الخطر .

لقد خرجت من هذه الحرب العالمية منهوكة القوى كسيرة الجناح مجردة من البقاع والاهالي التي ظلت اجزاء غير قابلة الانفصال منها منذ أجيال عديدة . وعدا ذلك فقدت مستعمراتها . وسلب منها جيشها اذ تجرد الالماني من حق خدمة وطنه وسلاحه فى يده . واختفى الاسطول التجاري الالماني من الاقيانوس . وتحطمت قوتها الاقتصادية وما بقى من حطامها خضع لرقابة العدو المتغلب . وصارت حياة ٧٠ مليونا من الالمانيين ترتجح فوق أرض مائجة . وفرضت علينا غرامات فى منتهى الفداحة . ولا تقف التبعة التي ينوء بها كاهل الثورة عند هذا الصلح بل لقد جعلت نير الاستعباد الذى يرزح تحته الشعب الالماني ساحقا فالثورة تحبذ الكسل وتستأصل من النفوس ذلك الشعور الذى يلهمها أن الربح المادى ليس هو الامر الوحيد الذى يستفاد من العمل . وتعرقل خصائص الابتكار وتمحو المميزات الشخصية . وتستعيض عن هذه الامور بتسلط الجماعات وبالانحطاط . فمستقبل الحياة العامة والنظام الاقتصادي معرض للخطر ان لم يكن قد تحطم الى أمد طويل .

ان الدم يهرق في المانيا بسبب صراع شاجر بين الاخوة . وقد أبيدت أملاك المانية كثيرة . ونهبت أموال الدولة وانفقت في اغراض قائمة على الانانية ، وبدأ التضعضع يزداد في مالية الامبراطورية وماليات الحكومات المتحدة والهيآت الاجتماعية . وقل أدب الشعب ووقاره لانه

يسبح على غير اتجاه معين في لجة الحرية الثورية ، ولأن ميول المرء السافلة أصبحت ولا هم لها الا تطلب لذاتها بغير اقتناع واحتشام . وحمى في كل مكان العبث بالنظام والخوف من العمل والضلال والخداع والارتعاء في أماكن كثيرة في حماة الشهوات ، ومما يؤلم العواطف حدوث هذه الرذائل على مقربة من أجداث الملايين من شهداء الوطن وعلى مرأى من عجزة الحرب الذين راوح قسماتهم أشعة أبصارنا . ان المانيا تمثل منظراً قطيعاً خلوا من الكرامة يستجيش أشد الاسى في كل قلب الماني ويحرك عاطفة الاحتقار في نفوس الأعداء والمحايدين

ولقد وجد أناس من الالمانيين يتهمون المانيا أمام العدو بارتكابها جرائم مزعومة ليحرزوا رضاءه وليلتمسوا عطفه عليهم . وسلمت الحكومة للعدو رجالا من الالمانيين الذين خدموا وطنهم باخلاص لتثم عليه نعمة الظفر . فهذا هو مدى الشوط الذي قطعناه في منحدر التسفل الذي احتقره رجال متسربلون بالخزي ويجردون من الذوق ليتزلق منه الشعب الالماني .

لقد جعلت الثورة الالمانيين صعاليك بين الشعوب غير أكفاء لابرام محالفة في الخارج ، وعبيد الاسار يستخدمهم الاجانب ورأس المال الاجنبي محرومين من كل نظرات الرعاية والاحترام

« في بحر عشرين عاما سيلعن الشعب الالماني الأحزاب التي تفتخر اليوم بانها اضرمت نيران الثورة . » هذه كلمات حقة ذات مفعول هائل فاه بها جهاراً اثناء التئام مؤتمر مجالس العمال والجنود للمرة الثانية في برلين في ابريل ١٩٢٩ أحد الاشتراكيين الديموقراطيين وهو يخاطب زملاءه من أعضاء حزبه .

ان الصلح قد بت في مصير الشعب الالماني في هذه الآونة . وأما المستقبل فمبهم ازاء أبصارنا . ولقد ظهر في خلال دجوره بصيص من ضوء الأمل بعث به العمل الفريد الصادر من اولئك النفر الغر في سكاپافلو .

ولقد اختفت كل الاحلام والاوهام العذبة ، وبدأت عقيدة الجماهير الالمانية تتلاشى . فنحن نرى الفناء ومن العبث أن نخدع أنفسنا فنتكلم أو نوجه آمالنا الى أناس آخرين أو بالاحرى الى اشباح ، فالشجاعة القصوى على الالفاظ اذا اريد بها التعلل للمستقبل لا تعدو حد الضعف الحالي وهما معا لم يؤديا أبدا ولن يؤديا الى نتيجة ما .

وانما هنالك أمر آخر ضروري وهو أن يكون كل امرىء منا ذا قريحة متوقدة وعمل محكم ، وان يصبح في الوقت عينه مرؤوسا أمينا ويزيل من نفسه الانانية ويتشبث باهداب الطاعة الوطنية ، هذا هو الواجب الذي اذا اتبعناه يرد الينا كرامتنا الوطنية وهي القاعدة الاساسية لنهوض المانيا تارة أخرى . هذا هو أول ماندعو اليه !

أن يكون كل فرد شغوفا بمهنته أو بفنه مغرما بالعمل واجدا ابتهاجا لا يتضاءل في الانشاء والابتداع بهمة لا تفتر ، وان يعظم النشاط الحر في الحياة الاقتصادية التي يجب أن تسع كل جاد ، وان تتضامن السواعد والعقول بثقة متبادلة في الفقر وفي الغنى ، وأن يصبح مجال العمل الشرعي حرا لكل عامل . فهذه هي دعائم الثروة الالمانية ومقدمات مصيرها الحديث . وهذه هي النصيحة الثانية التي نوجهها الى الجمهور !

ومن الضروري أن يصبح الالمانيون مخلصين في قيامهم بالواجب شرفاء النفوس جانحين الى الحق جريئين وان تتمكن من اخلاقهم مسحة من الادب الدقيق ، وهذه هي ثالثة النصائح التي نسديها الى المجموع ! وهذه

الامور هي التي تجعلنا نحترم انفسنا وتلجىء سوانا الى احترامهم ايانا

ويجب على كافة الالمانيين وعلى كل الماني بمفرده أن يروا انفسهم مرتسمة في صحف التفكير والتثقيف الوطنى وفي النشاط الالماني والجهد الشاق والكرامة الانسانية وهم ينظرون بامعان الى الحقيقة القاسية التي توضح مستقبلنا الكئيب المثقل بالخصاصة والحرمان . ان انهاج هذا المنهاج يمكننا من انشاء وطن لنا مرة أخرى ومن التشبع بالروح الوطني العتيق الفائض بانكار النفس والذى يجعلنا قمينين بالحياة لاجل املنا السامي ولاجل كل ما هو الماني ولاجل سعادة وسلامة الوطن الالمانى وجعله في منتهى القوة ، واذا مادعا القدر الى التمشي صوب الموت لتحقيق هذه المقاصد فعلنا كما فعل اولئكم الابطال الذين طاحت نفوسهم الكريمة في هذا القراع الهائل الرهيب

ان ماقام به شعبنا اثناء سنوات الحرب الاربع عمل جليل يدلى بانصع الحجج على اننا كنا مزودين بالقوى الجسيمة التي قبرتها الثورة المدمرة . وان الشعب الذى نهض بامثال هذه الاعباء الجسام لاهل للحياه . فهلا يجد الآن في نفسه من القوة ما يمكنه من التخلص من الغام المتراكم عليه ، وهلا يجد الرجال الذين يتولون شؤونه وهم مبتهجون بتحمل التبعة كما نعل الزعماء الذين أداروا الحرب وهم متدرعون بالعزيمة الماضية والارادة الصارمة فينفثون في الحياة الوطنية المصروعة نفحة منعشة مقوية ، رجالا يوحدون باجتهادهم المبتكر وهم حاصلون على ثقة خيار الشعب الجهود الوطنيه في دائرة العمل المثمر ؟

لنجتهد قبل ان نصل الى حضيض الضعة ونحن نتذكر ابطالنا الذين سقطوا صرعى في سبيل عظمة المانيا والذين أصبحت بلادنا في أشد الافتقار

الى بطولتهم الا ن في أن نغدو المانيين تارة أخرى وان نفخر ونعتز دائماً بصير ورتنا المانيين!

فليستجب الله السميع !

انتهى

وطنية لودندورف

ان المطلع على هذه الذكريات التي دونها براع لودندورف فى أحرج ساعات محنته يراه قدخط آيات شعوره الوطني باحرف من ناروانحى بقوارص الكلم على دعاة العبث بهذا الشعور السامي غير مبال باتهم القابضون في هذه الآونة على أزمة السلطة فى البلادالالمانية ، ويرادمع استحكام حلقات الضيق على المانيا وا كفهر ارجو السياسة في وجهها لا يزال قوى الامل فى نهوضها من كبوتها وعودتها الى سابق مجدها العظيم . وان هذه الوطنية لا توجد إلاّ في نفوس عظماء الرجال الذين على شاكلة لودندورف لا تخور لهم عزائم ولا يتسرب اليأس الى قلوبهم ولا يعقل الخوف السنتهم ، وطنية تدفع المتقمص بها الى المجازفة بالنفس والتفريط فى النفيس لأجل تحرير الوطن وانهاضه واسعاده . وهـذا هو الذي أقدم عليه لودندورف بعد اعتزاله العمل ، فقد شخص الى السويد ليسطر مادة هذا الكتاب الذى لم يرد به تدوين وقائع الحرب الكبرى كما يظن بل أراد به احياء الوطنية الالمانية في نفوس الالمانيين وبعث الوطن الالماني من القبر الذى وأده فيه أعداؤه

بعد أن نشر لودندورف « ذكريات الحرب » حاول بالاشتراك مع الدكتور كاب أن يحدث انقلابا يقضي به على الحكومة الاشتراكية التي أذلت ألمانيا أكثر مما أذلها خصومها ، تلك الحكومة التي لا همّ لها الا الخنوع لارادة أعداء البلاد وتنفيذ أوامرهم القاسية الجائرة غير مبالية بكرامة الوطن ومستقبله وحريته . ولكن الاشتراكية كانت لا تزال صاحبة الكلمة العليا في البلاد الالمانية فأخفقت حركة كاب بعد أن أريقت فيها دماء غير كثيرة . واذ علم لودندورف أن ساعة الانقلاب لم تأزف بعد أعرض عن كل محاولة اخرى من هذا القبيل وبدأ يحدث بالانظمة العسكرية السرية التي كثيراً ما قضت على حياة زعماء الاشتراكيين الذين كانت لهم اليد الطائلة في ابرام هذا الصلح المذل الذي جعل ألمانيا في حالة العجز والاستعباد والذي سيؤدي بها حتما الى التفكك والزوال اذا لم ينهض لودندورف واضرابه من أبطال الالمانيين كهندنبورج وماكنزن وبيلوف وفالبكنهاين ويقبضوا على أزمة بلادهم بقبضات حديدية لينقذوها من وصمة العار الذي وسمتها بها حكومة ايبرت المستسلمة .

اننا نختلف مع لودندورف أشد الاختلاف في أحد مبادئه الاساسية وهو المبدأ الملكي لانه بتشدده في التشبث بهذا المبدأ الذي عكس من نفسه حد التمكن حال دون التفاف سائر الشعب الالماني حوله ، في حين انه لو اندفع مع تيار الدعوقراطية وأيد حكم الشعب نفسه بنفسه ثم طلب من الشعب أن يدافع عن كيانه لاعن سلطة امبراطورية متحكمة لنجح نجاح البولشفية التي تغلبت على أعدائها في الداخل والخارج وثبتت قوائم مجلسها الشعبي العظيم . وفي اعتقادنا أن حكومة الجمهورية الالمانية لم تستسلم الى أعدائها الا حذراً من الحزب الملكي الذي يرأسه أساطين العسكرية

البروسية ، ولو أمنت شر هذا الحزب لما تأخرت عن اعتبار لودندورف بمنزلة تروتسكي أي بعضد حكومة الشعب ونصيرها . ويدلنا على صحة هذا الاعتقاد أن حكومة الشعب الالماني لم تقاطع كبار الماليين والسياسيين السابقين الذين لم يناهضوها بل قبلوا أن يتعاونوا معها على العمل لسلامة البلاد الالمانية والشعب الالماني بقدر ما يسمح لهم الموقف الحالي العسير .

أما مبدأ لودندورف الوطني فنحن على أتم اتفاق معه فيه ، لان يحكم الشعب بلاده بنفسه لا بفرد أو أفراد معينين طول حياتهم لا ينبغي أن يحول دون تزود الشعب عن كيانه . ومتى حانت الساعة التي تزول فيها الدول وتحلقها فيها إدارات الشعوب فهنالك لا بأس من زوال الحواجز الوطنية التي تفصل بين بعض الشعوب وبعضها .

وإذا اتفقنا مع لودندورف في مبدإه الوطني فاننا نكاد نعتبر مبدأه الذي يحتم وجوب دفع القوة بالقوة حتى يزول تحكم النفوس الدموية الشريرة التي لا يرضيها سوى استعباد سائر الامم والامصار عقيدة ، وذلك لان القوة ما فتئت منذ أن برأ الله العالم سند الحق ودعامة العدل ، ولولا القوة لما انتصف المظلوم من الظالم . فالشعب الالماني لبث عزيز الجانب سعيداً حراً مستقل الوطن طول المدة التي كان فيها قوياً مهيباً من أعدائه . فلما دب دبيب الضعف في قوته استحق أعداؤه به واستطالوا عليه وها هم أولاء الآن يعملون على تمزيق شمله . فاذا كانت القوة لازمة للشعوب الكبرى التي كانت تعتبر جزءاً من مجموعة الدول العظمى الاوربية السالفة فهي ألزم للشعوب الشرقية الرازحة تحت كلاكل الاستعمار والاستبداد والاستغلال . ان القوة هي الوسيلة الوحيدة لنجاة الشعوب المستعبدة . وأما الاغترار بأقوال الدول المستعمرة المموهة بالوعود المنيمة وبالمفاوضات الطويلة العقيمة فلن يؤدي

الاّ الى اشتداد وطأة التحكم الاجنبي في البلاد الخاضعة لنيره . وهذا هو الذى نبه لودندورف اليه قومه ولبث يكرره فى تفاريق كتابه هـــذا ، وهذا ما يجب أن يضرب على نغمته كل كاتب شرقي مفكر وما يجب أن يمثله أزاء بصيرته في كل آونة كل فردمن افراد الشعوب الشرقية المستعبدة

واذا حق للودندورف أن يفخر بادارته أزمة الحرب العالمية مدة عامين كاملين فله أن يزداد افتخاراً بما كتبه عنه أحد كبار القواد الفرنسويين وهو القائد بوا اذ قال :

« لودندورف ! كما حدث فى القرن الماضي ان جنايسناواطفأ بشهرته اسم بلوخر ، وامحى فى ١٨٧٠ اسم غليوم الاول ازاء اسم مولتك كذلك كسفت سمعة لودندورف فى الحرب الاخيرة عاماً شهرة غليوم الثاني . »

« فبعد أن اسندت المانيا رآسة هيأة أركان حربها العامة الى قائدين ذائعي الصيت لم يثبت احدهما امام ازمة المارن والاخر منهما امام محنة فردان القت مقاليد شؤنها الى مسيطر اشتهر بدرجة فائقة فى الجبهة الشرقية وهو شخص هندنبورج ولودندورف المشترك الذى ادار الحرب من اواخر أغسطس ١٩١٦ الى أن انتهى القتال . ولم يكن لودندورف فى المظهر الرسمى سوى مساعد هندنبورج ، أما فى الحقيقة — وكل الناس فى المانيا وفى سائر البلاد الاخرى وبينهم لودندورف نفسه لا ينخدعون فى هذا الصدد — فقد كان الرئيس . ولم يكن الامبراطور ولا رئيس أركان الحرب بجانبه سوي شخصين رسميين يزيدان باسميهما خطارة شأن الاوامر الصادرة فى أدق المواقف . ويتكلم هندنبورج عن نفسه وعن القائد لودندورف ، أما لودندورف فلا ينطق الا بانا وفى تسع مرار من كل عشر مرات لا يورد بجانب اسمه أي اسم آخر

«وقد ادار اكثر من عامين الجيوش الالمانية والنمسوية والبلغارية والعثمانية في سائر الميادين . بل لقد بلغ من التسلط اعظم من ذلك : فما من مسألة داخلية ولا من مفاوضة سياسية خارجية ولا من عمل اداري ذي شأن مذكور لم يؤخذ رأيه فيه وغالبا ما يكون من ابتكاره هو . وبلغ من عظم نفوذه ان اطلق عليه بعض مواطنيه ، وليس بغير حق اسم « المسيطر » ولقد قال النائب هاز فوق منبر الرايخستاج فى شهر مارس ١٩١٨ : « ليس المستشار سوى الحجاب الذى يستر الحزب العسكري اما الحاكم الحقيقى فهولودندورف »

وبعد ان تكلم القائد بوا عن مذكرات لودندورف واستخلص منها انه « كان متعصبا لعظمة وطنه » قال عنه « انه احد الكهنة الذين اقاموا دعائم محراب المذهب الحربي البروسى ، فهو من اولئك الرجال الذين قال عنهم كوهلمان — انهم جفاة الطباع ولكنهم ليسوا مجانين — والذين يريدون ان يكسبوا المانيا بالحرب اتساعا يتفق مع كثرة أبنائها ويمكنوها من التفوق العادل اللائق بها بتنشيط الالمانيين الى التبرز في سائر فروع المجهودات البشرية »

ثم قال القائد الفرنسوي : « ولا يمكن مقارنة تعصبه لوطنه الا بما ينطوى عليه القسيس من التعصب الخفي لربه . فهو يمثل على وجه الكرة الارضية عظمة فردة وهى . عظمة المانيا . »

ثم قال عنه انه اذا كان قد اختفى من منصبه في الظاهر فان هذا الاختفاء خدعة وهو لايزال ناهضا خلف الستار مصدراً نصائحه وأوامره الى الشعب الالماني متنبئا بعودة الامبراطورية الالمانية الى سالف عزها ومجدها ذاهباً الى أن الازمة الدانوبية ستربك أوربا حوالى ربع قرن

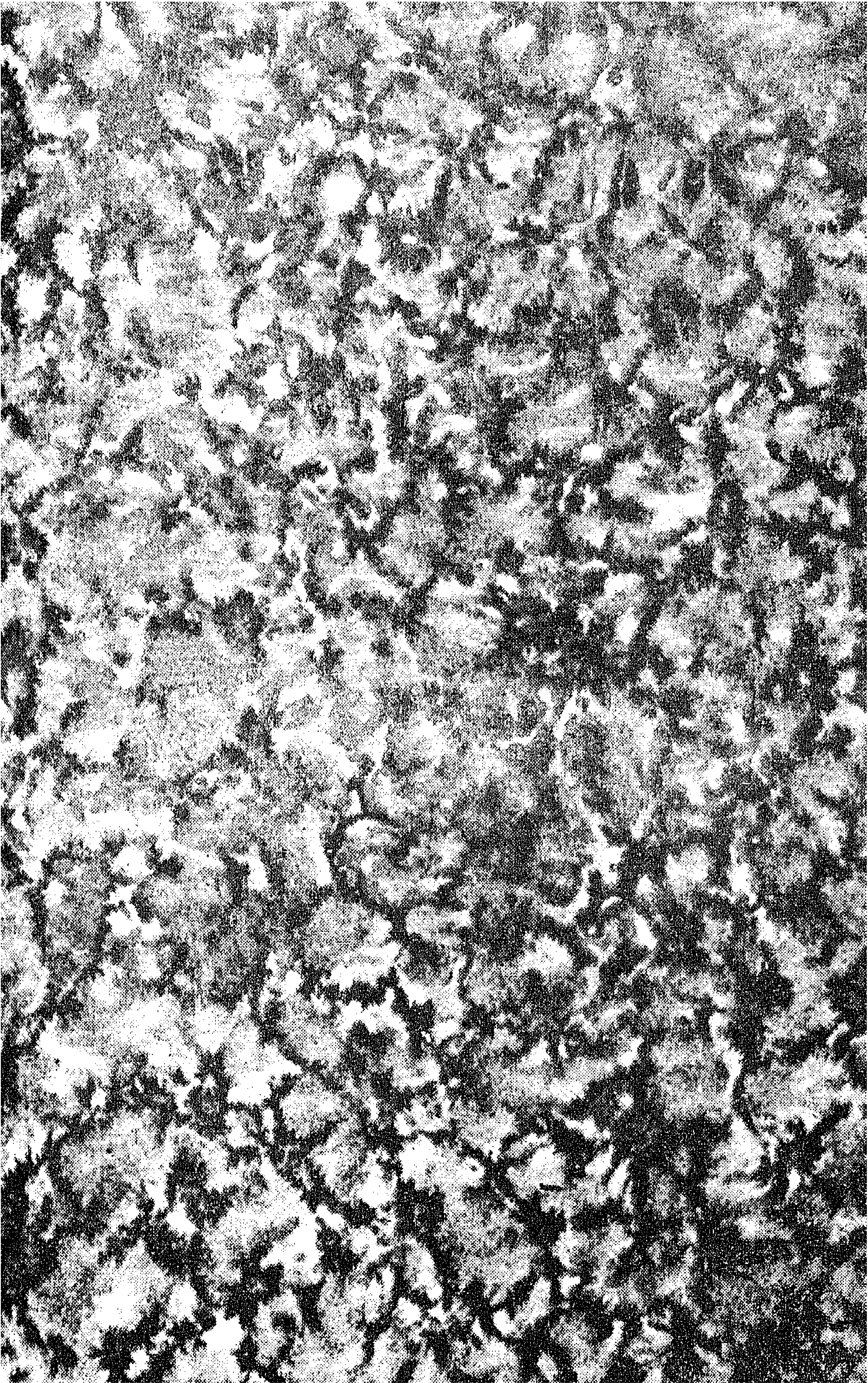
قد يجد في خلاله فرصة تجعله مسيطراً على هذه القارة . ومن رأي هذا القائد الفرنسوي ان الفرص لا تزال تساعده في المانيا بدليل مظاهر الحفاوة التي استقبلا هو والقائد هندنبرج بها في برلين يوم ١٢ نوفمبر والايام التالية له .

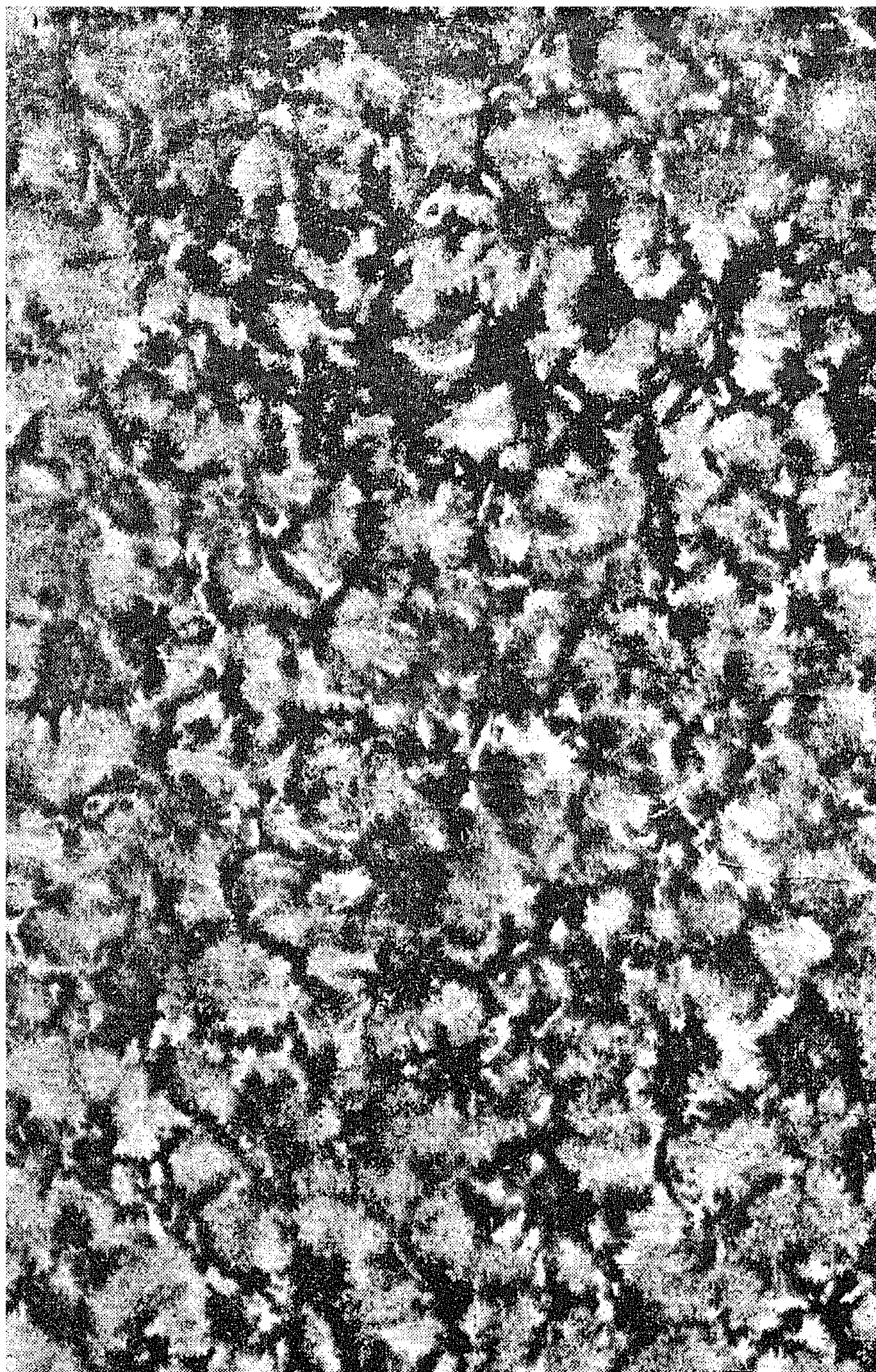
ويظهر ان حكومة ابيرت التي تتوجس خيفة من الانظمة العسكرية التي يؤلفها القائد لودندرف خشيت أن يثير هذه الحركة المتوترة فيها أعصاب الشعب الالماني من جراء الاعتداء الفرنسوي على أراضيه فينهض بالشعب كتلة واحدة في وجه الاعداء حتى اذا ما فاز في حركته قلب الجمهورية رأساً على عقب وأعاد الامبراطورية في وسط حماسة الشعب وعمله بانتصاره وعشي الروح الوطني فيه ثانية فأصدرت أمرها بابطال هذه الانظمة ولكن محاكم بفاريا أصدرت حكمها أخيراً بابطال قرار الحكومة الجمهورية . وهذا الحكم النظامي يعتبر خطوة كبرى في طريق لودندورف .

وعلى كل حال سيظل هذا القائد عاملاً لانقاذ وطنه فاما فاز بسؤله وأما وضع الاساس لسواه من اقرانه أو تلاميذه .

لم يتسرب اليأس الى قلب لودندورف أمام أعظم الاهوال وأشد الازمات بل ظل يكافح دول العالم حتى اذا ما رأى أن النصر متعذر عليه حاول أن يتلمس منفذاً سياسياً الى صلح يحفظ الدماء المراقة بغير فائدة ويضمن لالمانيا مستقبلها غير أنه حينما ايقن بامتناع العدو عن اجابة المانيا الى هذا السؤال صمم على انقاذ المانيا من تحكم اعدائها بكل وسيلة . وهكذا يجب على الزعماء الوطنيين الشرقيين أن لا يقنطوا وأن يعتمدوا بعد الله على القوة أكثر من الاعتماد على الكلام

طبع بمطبعة التقدم بدرب العنبه بشارع محمد علي بمصر






Bibliotheca Alexandrina
03795542
